مكتبة ياسمين

كاثرين راين هاورد

كتاب العام
2021
عن فئة أدب الجريمة
جائزة
الكتاب الإيرلندي

56 يومًا

رواية

ترجمة:
أنطوان باسيل

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

«لم يعرف أحد حتى أنهما كانا معًا. والآن، أحدهما ميت».

قبل 56 يومًا

تلتقي "كيرا" بـ"أوليڤر" في طابور سوبرماركت في دبلن، ويبدآن المواعدة في الأسبوع نفسه الذي يبلغ فيه كوڤيد-19 السواحل الإيرلندية.

قبل 35 يومًا

عندما يهدّد الحجر الصحي بتباعدهما، يقترح أوليڤر أن ينتقلا للعيش معًا. تجد كيرا فرصة فريدة لازدهار العلاقة بعيدًا عن أنظار العائلة والأصدقاء. بينما يجد أوليڤر فرصة لإخفاء هويته الحقيقية.

اليوم

يصل المحقّقون إلى شقة أوليڤر ليكتشفوا جثّة متحلّلة في الداخل.

هل يمكنهم تحديد ما حدث بالفعل، أم أن الحجر الصحّي قد أتاح الفرصة لشخص ما لارتكاب الجريمة الكاملة؟

كاثرين راين هاورد، روائية إيرلندية مقيمة في دبلن، في رصيدها 8 روايات من ضمنها «56 يومًا» التي احتلّت المرتبة الأولى على قائمة الكتب الإيرلندية الأكثر مبيعًا للعام 2021. كما اختارتها النيويورك تايمز والواشنطن بوست والتايمز الإيرلندية رواية العام (2021) عن فئة أدب التشويق. ويجري حاليًا تحويلها للعرض على أمازون برايم ڤيديو في العام 2025. حازت روايتاها «The Nothing Man» و«The Trap» المرتبة الأولى في قائمة الكتب الأكثر مبيعًا ووصلت أعمالها الأخرى مرّات عدّة إلى القائمة القصيرة من جائزة إدغار ألن پو الأميركية لأفضل رواية عن فرع كتّاب أدب الغموض، وجائزة جمعية كتّاب أدب الجريمة، وجائزة الكتاب الإيرلندي لأدب الجريمة.

telegram @yasmeenbook

ISBN 978-6144-58-635-8

9 786144 586358

www.all-prints.com

للاطّلاع على منشوراتنا

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

telegram @
yasmeenbook

56
يومًا

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل.

ALL PRINTS DISTRIBUTORS & PUBLISHERS s.a.l.

© جميع الحقوق بالعربية محفوظة
لشركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل.

الطبعة الأولى 2025

ISBN: 978-6144-58-635-8

تدقيق لغوي: إيلي عساكر - وفيق زيتون
تنقيح: رنا الصيفي
تصميم الغلاف: ريتا كلزي
الإخراج الفني: بسمة تقي

Original Title: **56 DAYS**
Copyright © Shanamore limited, 2021
Arabic translation rights arranged via Andrew Nurnberg Associates.

إنّ الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي
شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل.

الجناح، شارع زاهية سلمان، مبنى مجموعة تحسين الخياط

ص.ب.: 8375 - 11 بيروت، لبنان
هاتف: 830608 1 961+ فاكس: 830609 1 961+

الموقع الإلكتروني: www.all-prints.com
البريد الإلكتروني: publishing@all-prints.com
مواقع التواصل الاجتماعي: allprintslb

كاثرين راين هاورد

56 يومًا

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

ترجمة:

أنطوان باسيل

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

إلى إيان هاريس،

لأنني لم أعرف ما أهديك

بمناسبة عيدك الأربعين،

و... هكذا.

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

اليوم

الأمر يشبه أحد تلك الفيديوهات الواسعة الانتشار المصوّرة في واحد من المجمّعات السكنيّة الفخمة، التي يمارس جميع قاطنيها، ممّن هم في الثلاثينات ويتمتّعون باللياقة البدنية وبالنحافة، تمارين قفز رياضيّة وراء الحواجز الزجاجيّة لشرفاتهم، فيما العالم يحترق. لكنّ هؤلاء يقفون جامدين، لا يتحرّكون إلّا لينظروا إلى أسفل، أو بعضهم إلى بعض عبر الباحة، أو لرفع أيديهم إلى أفواههم أو إلى صدورهم. وجوههم شاحبة، وشعورهم مبعثرة، وأقدامهم حافية. بالكاد كان الفجر قد بزغ، وقد أفاقوا من نومهم للتو. لا أحد يريد تصوير هذا.

بدا كما لو أنّ المقيمين ارتادوا المدرسة معًا، إلّا واحدة. فالقاطنة في الشقّة رقم 4 أكبر سنًّا من جيرانها بنحو عقدين من الزمن. تملك شقّتها فيما الآخرون مستأجرون. في فناء الطابق الأرضي لشقّتها طاولة شبيهة بطاولات حانة صغيرة، وكراسٍ محاطة بنباتات مزروعة في أوعية مرتّبة بعناية؛ بينما استُخدمت فناءات الشقق الأخرى بمعظمها لركن الدرّاجات، أو أنها لم تُستخدم على الإطلاق. ليل السبت الماضي كانت قد هدّدت قاطني الشقة رقم 17 برفع شكوى إلى الشرطة على إقامة حفل في الشقة، ما لم يوضع حدّ للحفل على الفور، وما لم يحصل ذلك ستقرن القول بالفعل. إنّها امرأة ساحرة، أنيقة الملبس في العادة، وما تزال في حال جيّدة، لكنها صباح اليوم كانت غير مهندمة، غير متبرّجة، وترتدي بيجاما قطنية زهرية فاتحة، وسترة شتائيّة مبطّنة تنفتح مع كلّ خطوة واسعة تخطوها عبر الفناء.

وحدها، أيضًا، تعرف الرمز الذي يسكت جرس إنذار الحريق الذي كان قد انطلق قبل ذلك بخمس دقائق- وذلك ما أيقظهم- ويعتبر المقيمون أنهم مدينون لها لاعتنائها بالأمر.

لم يشهد المكان أيّ حريق، لكن جرس الإنذار انطلق ثلاث مرّات في الأسابيع القليلة الماضية، أربعًا إذا احتُسبت هذه المرّة. كان قاطنو المبنى قد اشتكوا تكرارًا لشركة إدارة المجمّع بأن النظام حسّاس أكثر مما ينبغي، ولا بدّ من أنه يتفعّل بسبب الخبز المحمّص المحروق وبسبب دخان سجائر المدخّنين من دون أن يفتحوا نافذة، لكن الإدارة لامتهم بدورها على التسبّب بتفعيله. لم يعد الضجيج يشير إلى الخطر بل يصدر صوتًا متقطّعًا، وما إن توقّف منذ بضع دقائق حتى قاموا بما يقومون به في العادة: خرجوا إلى شرفاتهم ومصاطبهم، ليروا ما يمكنهم رؤيته، للتحقّق من وجود ألسنة لهب أو دخان، لم يتوقّعوا وجودها أساسًا ولم يجدوها فعلًا.

لكن هذه المرّة، حصل ما لم يكن في الحسبان، أمر مثير للاهتمام: اثنان من الغاردي* باللباس الرسمي في وسط الباحة، ينظران من حولهما.

وهكذا ظلّا في الخارج يراقبان ويتساءلان.

وقفت سيّدة الشقة رقم 4 مع الشرطيّين وحافظت على مسافة المترين اللذين يفرضهما نظام التباعد. كانت تدلّ إلى واحدة من شقق الطابق الأرضي، تلك التي عند الزاوية تمامًا، في أحد أطراف المجمّع ذي شكل حرف U. لديهم فناءات صغيرة بدلًا من الشرفات، يميزها سياج مفتوح بدلًا من إحاطتها بالزجاج الصلب. لا يوجد أحد في ذلك الفناء، وبابه الجرّار مقفل. لكن يمكن، من بعض نقاط المراقبة، ومن

* الغاردي Gardaí: رجال الشرطة الإيرلندية (المترجم)

خلال الستائر الرمادية الرقيقة، رؤية الهالة المتوهّجة لنور الضوء المعلّق بالسقف في غرفة الجلوس.

ما الذي يجري؟

شقّة مَنْ هذه؟

لا أحد يعرف. فمجمّع «كروسينغز» السكنيّ جديد نسبيًّا، والتفاعلات بين القاطنين محصورة في الغالب، بتبادل المزاح عند العلب البريدية، وبراميل النفايات، وموقف السيّارات. ابتسامات خجولة في خلال فسحة مساءات الجمعة والسبت تلك، حين يبدو أن الجميع ينزلون في الوقت نفسه إلى المدخل الرئيسي للقاء عامل التوصيل. تعوّد القاطنون أن يعيشوا فوق حيوات كلّ الأشخاص الآخرين وتحتها وقربها فيما يدّعون أنهم غافلون عنها تمامًا؛ يسمع بعضهم أصوات تلفازات بعض، ويشمّون روائح طبخهم، لكنهم لا يتعرّفون مطلقًا على أسمائهم.

وهم، حتى في تلك الأسابيع القليلة الأخيرة، عندما يكونون قد التزموا جميعًا منازلهم في كلّ يوم، كانوا قد جهدوا في تحاشي الإقرار بمعرفة بعضهم لبعض عندما يخرجون إلى المجالات الخارجية- الشرفات، الفناءات، الساحة المشتركة- في جهد منهم للإبقاء على بعض من الخصوصيّة المزعومة، وللحفاظ عليها. كانوا يشاهدون على الإنترنت تلك الرفقة التي حفّزتها الأزمة في فيديوهات قصيرة غير ثابتة وضيّقة الإطار- أحدهم يعلن أرقام البنغو عبر مكبّر للصوت في مجموعة من الطوابق؛ فيلم يُعرض على جانب منزل بحيث يمكن لسكان بيوت الطريق المسدود أن يحظوا بليلة سينما جَماعية، كلّ من أمام منزله على المدخل الخاص لسيّارته؛ طقوس ليليّة من تصفيق متفائل وحماسي- رفقة لم تترسّخ في الحقيقة هنا. فقد حافظوا، بأكثر من طريقة، على

المسافة فيما بينهم. ما من أحد يريد التعامل مع مخلّفات الأُلفة عندما تعود الحياة إلى طبيعتها، وقد استمرّ الانطباع لديهم جميعًا بأن تلك العودة ستحصل قريبًا. فمن المقرّر أن يصدر إعلان من الحكومة في وقت لاحق اليوم.

أدار أحد الشرطيَين رأسه ورفعه ناظرًا إليهم، إلى هؤلاء الجيران الصاخبين. أنزل قناع وجهه بيده ذات القفّاز الأزرق، كاشفًا عن خدّين ممتلئين، على نقيض جسمه النحيل. ويُقال أنه إذا بدا لك الشرطي شابًّا فذلك مؤشّر أكيد على أنك تتقدّم في السنّ، لكن هذا الحارس هو في الواقع شاب، في منتصف عشريناته كحدّ أقصى، مع لمعة من العَرَق تتلألأ تحت خط شعره الأمامي.

«إنذار خطأ»، صاح ملوّحًا بيده، «يمكنكم العودة إلى الداخل».

كما لو أن أيًّا منهم يقف هناك بانتظار رؤية حريق.

وعندما لم يتحرّك أي منهم، صاح بصوت أعلى وأقسى، «هيّا».

انسحب القاطنون، واحدًا تلو الآخر، ببطء إلى داخل شققهم، لأن أيًّا منهم لم يرد أن تُلصق به تهمة الفضول الشديد، بالرغم من أن ذلك ما هم عليه بالضبط. كان هذا هو الأمر الوحيد المثير للاهتمام الذي يحصل هنا منذ أسابيع. إنه الشيء الوحيد الذي حصل إذا استُبعدت إنذارات الحريق.

أيُتوقّع منهم فعلًا ألّا ينظروا؟

يترك معظمهم أبوابهم الجرّارة مفتوحة ويختارون شرب قهوتهم الصباحية في الجانب الآخر تمامًا، بحيث يتمكنّون من أن يَروا من دون أن يراهم أحد. ويتمتم الأزواج بعضهم لبعض بأن لديهم، بالفعل، الحقّ في معرفة ما يجري. فهم، في النهاية، يقيمون في المكان. ويتساءل القاطنون الفرادى إذا كانت قد حصلت عملية سرقة أو ربّما ما هو أسوأ، هجوم

مثلًا، وكم سيستغرق الأمر قبل أن يلاحظ أحد، قبل أن يجدهم أحد في حال تعرّضهم لسوء في ظلّ الوضع القائم؟

لا يبعد هذا المجمّع السكني عن وسط مدينة دبلن. كان، قبل أن يبدأ هذا كلّه، عرضة لمسار صوتي متواصل من ضجيج المحرّكات، وصرير الكوابح، وأبواق السيارات، مصدرها الطريق المزدحم الذي يمرّ بجانبه. لكن المدينة كانت في هذه الأسابيع الأخيرة قد خفّت حركتها، وفرغت، وأقفلت، بذلك الترتيب. وإذا استثنينا إنذارات الحريق الظرفيّة، فإن الصخب الأكبر في الآونة الأخيرة كان زقزقة العصافير.

والآن بات صوت صفّارات الإنذار المقتربة أشبه بالعنف.

قبل 56 يومًا

«تفضّلي»، كانت هذه أوّل كلمة يقولها لها.

كان كلاهما على وشك الالتحاق بطابور الدفع على صندوق الخدمة الذاتية في «تسكو» Tesco. كان ذلك يوم جمعة في موعد الغداء، وهي المرّة الخامسة هذا الأسبوع التي تأتي فيها لتحصل على عرض بوجبة مملّة أخرى: سندويش بلا لون، شرائح تفّاح في كيس من البلاستيك، وقنّينة ماء، لاحظت للتوّ أنها من النوع الذي أضيفت إليه نكهة فواكه لزجة حلوة. جعلها هذا الإدراك تجمد في مكانها، وقد توقّفت عند كومة من بيض الفصح (الفصح؟ بهذه السرعة؟) متسائلة هل تتكبّد عناء العودة لاستبدالها، وهي على يقين بأنها لن تشربه في أي حال.

كان عندها أن رفعت نظرها ورأته، وهو ينتظر بتهذيب أن تقوم بخطوتها، مفسحًا لها في المجال أمامه للانضمام إلى الطابور.

هو أطول قامة منها قليلًا. ويبدو تقريبًا في مثل سنّها. لا مفتول العضلات ولا رخوها، بل متينها. شعره الداكن كثيف وفوضويّ، إلّا أنّه لم يراودها أي شكّ في أنه صرف وقتًا طويلًا في استخدام المرهم لإجباره على الانصياع، ليبدو على أتمّ إتقان. كان يرتدي بزّة زرقاء بربطة عنق زرقاء داكنة، ومن تحتها قميصًا باللون الأزرق الفاهي، لكنّ كميّ السترة كانتا متجعّدتين من كثرة الاستخدام، وكانت الكتفان متجمّعتين، والجزء الخلفي من ربطة العنق يتدلّى أطول من الجزء الأمامي. كان الزرّ الأعلى في قميصه مفتوحًا، والياقة منحرفة بعض الشيء، وربطة العنق منسحبة

خارج الوسط. بدا وجهه على بعض من حمرة، وخدّاه زهريّان من فوق لحية خفيفة غير مكتملة.

هو جذّاب جدًا لدرجة عرفت معها على الفور أنّ العالم الذي يعيش فيه ليس عالمها نفسه، وأنه ربّما لا يستطيع اختباره بالطريقة ذاتها. وجه كهذا قادر على نوع مختلف من الوجود، نوع تواجه معه كلّ ظرف بدرجة ما من درجات الموافقة المسبقة. لكنّك لا تعرف ذلك، لا تدرك أنه يتمّ، يومًا بعد يوم، توجيهك إلى «طابور الأولويّة» في الحياة.

تساءلتْ عن تأثير ذلك في الشخص.

فيه حدّة، أيضًا، شيء يتأجّج تحت السطح تمامًا. تصوّرتْ له حياة كاملة. إنّه رجل يعمل بجهد ويلعب بجهد أكبر. لديه حلقة من الأصدقاء يطلق عليهم حصرًا ألقابًا لا يمكن تفسيرها، فيما يجلسون حول طاولة في الحانة يكرعون المشروبات ويشاهدون المباراة. يركض للتخلص من السعرات الحرارية الزائدة فحسب. لديه إحداهنّ في مكان ما على علم بنسخة مختلفة تمامًا عنه، إنسانة يشعر حيالها برقّة متفانية غير متوقّعة، ينظر إليها فحسب بعينين ملؤهما الحنان.

«لا بأس»، قالت وهي تلوّح بقنّينة الماء وتشرع بالابتعاد. «أدركت للتوّ أنني حصلت على القنّينة الخطأ». استدارت وعادت صوب البرّادات وهي تشعر بعينيه تلاحقانها فيما تسير مبتعدة.

وخفقات قلبها تنبض بالوعد.

الشيء الثاني الذي قاله لها، «حقيبة جميلة».

كانت قد خرجت للتوّ من السوبرماركت، متوجّهة إلى الشارع، ولا تعرف من المتحدّث، أو إذا كان يتحدّث إليها.

لمّا استدارت صوب الصوت، رأته واقفًا عند البوّابة التالية، ينظر إليها مباشرة. كان السندويش الذي ابتاعه للتوّ مدسوسًا تحت إبطه وقد أخذ في الانسحاق تحت الضغط. هناك تلاميح ابتسامة على وجهه، مشوبة بأمر آخر لم تستطع تبيّنه بسهولة.

توقّفت. «حقيبـ ...؟».

قال وهو يشير، «حقيبتك».

كان يعني حقيبة المشتريات القماشية التي كانت قد وضعت مشترياتها فيها. لا بدّ من أنها كذلك لأن حقيبتها كانت حول جسمها مستندة إلى وركها الآخر، ذلك الذي لا يمكنه رؤيته من المكان الذي يقف فيه.

حقيبة المشتريات الزرقاء عليها صورة مكّوك فضائي محمول على طائرة تحلّق فوق ناطحات السحاب في مانهاتن.

رفعت الحقيبة ونظرت إليها، ثمّ عاودت النظر إليه.

«شكرًا»، قالت. «إنّها من إنتربيد. إنه متحف في...».

أكمل، «نيويورك. هو ذلك الموجود على حاملة طائرات، أليس كذلك؟». قال قوله لا بمعرفة متعجرفة، بل بحماسة محبّبة. «هل زرتِه؟».

«نعم». لم تشأ أن تبدو كأنها معجبة جدًّا بنفسها، فأضافت، «مرّة واحدة».

«هل استمتعتِ؟».

تردّدت، لأن تلك هي النهاية. اللحظة التي عليها فيها أن تتّخذ قرارها.

يعتقد الناس أن القرارات التي تتّخذها، والتي تغيّر مسار حياتك هي القرارات الكبرى؛ عروض الزواج، الانتقال من منزل إلى آخر، طلبات

التوظيف. لكنها تعرف أن القرارات الصغيرة، اللحظات الخاطفة، هي التي تحدّد المسار بالفعل. لحظات كهذه.

خياراتها:

أن تتفوّه بكلام وجيز ووقح، تتابع طريقها وتنهي الأمر الآن.

أو أن تقول شيئًا يطيل ما يحدث، تبقى لوقت أطول تكون أكثر استجابة، وتفتح بابًا.

تحتفظ بلقطة على شاشة هاتفها هي كناية عن اقتباس يُفترض أنه لأبراهام لينكولن: الانضباط يعني أن تختار بين ما تريده الآن وبين ما تريده بشدّة. ربّما صحّ ذلك، لكن الانضباط لم يكن مشكلتها مطلقًا. بل إن الخوف هو ما تتصارع معه. وتعتقد أن الشجاعة هي أن تختار بين ما تريده الآن وبين ما تريده بشدّة، لأن ما تريده الآن هو أن تبتعد، أن تقفل الموضوع، أن تصدّ الأبواب، أن تنسحب، أن تبقى في المكان الذي تشعر فيه بالسلامة والأمان.

لكن ما تريده بشدّة هو القدرة على أن تعيش حياة كاملة، ولو جلب هذا التمدّد معه الألم والخطر والخوف، حتى ولو كان ذلك يعني أن تعبر في البداية حقلًا من الألغام.

هذا الحقل، ربّما.

أمسكت كيرا بحمّالتي الحقيبة، وتخيّلت نفسها المستقبلية واقفة وراءها، ضاغطة بيديها على ظهرها، دافعة بها، هامسة، قومي بذلك، دعيه يتحقّق. تجاهلت الحرارة المتصاعدة في داخلها، جرس الإنذار في جسدها. ذكّرت نفسها بأن هذا ليس بالشأن الكبير، وإنّما هو مجرّد محادثة يقوم بها رجال ونساء طوال اليوم، كلّ يوم، في شتّى أنحاء العالم...

«نعم»، قالت. «لكنه ليس بجودة مركز كينيدي للفضاء».

رمشت عيناه دهشة.

انتصب واقترب أكثر.

أفسح في المجال لامرأة تدفع بعربة أطفال مزدوجة لتتمكّن من تجاوزه، واقتربت بدورها منه أكثر.

قال، «لعلمك، لم ألتقِ شخصًا يمكنه تسمية مكاكيك الفضاء الخمسة كلّها».

«وأنا أيضًا لم ألتقِ بعد شخصًا يعرف أنها ستّة».

عضّت على شفتها كما لو أنّ كلّ خليّة دم في جسمها تندفع بجنون نحو خدّيها. يا للعنة، ما الذي حدا بها إلى المضي في قول ذلك؟ بماذا كانت تفكّر؟

«ستّة؟»، قال.

ها قد أفسدت الأمر بالفعل.

وعليها بالتالي أن تتأكّد من أنها فعلت ذلك.

«كان هناك تشالنجر»، قالت متوجّهة بكلامها إلى الشقّ في الرصيف عند قدمها اليمنى، «وقد فُقد في 28 كانون الثاني من العام 1986 في خلال عمليّة الإطلاق. وكولومبيا الذي فُقِد في الأوّل من شباط من العام 2003 إبان عودته. أمّا أتلانتس وإنديڤور وديسكوفيري فمعروضة كلّها. أتلانتس هو ذلك الموجود في مركز كينيدي للفضاء. لكن هناك أيضًا إنترپرايز، مركبة الاختبار. وقد طارت، مع أنها لم تبلغ الفضاء مطلقًا. لم تكن تحتوي على درع مضادة للحرارة ولا على محرّكات. لكنّها كانت من الناحية التقنية أوّل 'أوربيتر'. وهذا في الواقع ما يعنيه الناس، في العادة، عندما يقولون 'مكّوك فضاء'. إنهم يقصدون بذلك 'أوربيتر' نفسه. وما تبقّى فمجرّد صواريخ. وإنترپرايز هو ذلك الموجود على الإنترپيد».

مرّت لحظة من الصمت المبرّح.

أجبرت نفسها على رفع رأسها لتلتقي عينها عينه وقد افترّت شفتاها لتتمتم كذبة ما عن حاجتها للعودة إلى العمل، وقد ارتفعت قدمها استعدادًا للهرولة بعيدًا من هذه الكارثة المطلقة، غير أنه قال:

«كنت في طريقي لشراء كوب من القهوة. أيمكنني أن أشتري لك واحدًا أيضًا؟».

هناك عدد كبير من خيارات القهوة في هذا الشارع، والغالبيّة الكبرى منها تُقدَّم مع جانب من المفاهيم الجدّية. فهناك المقهى الذي يحمّص حبوبه الخاصة ويجعلك تنتظر خمس دقائق للحصول على قهوة مصفّاة بسيطة تأتي بحجمٍ واحد فقط وتُقدّم فاترة. وهو يقع تمامًا بجانب المكان الذي أخطئ في تهجئة اسمه، وكُتب، بما لا يمكن تفسيره، مع شَرْطة مائلة للأمام: كهو/ KAPH/A l. ويبدو أنّ الموقع الأكثر شعبيّة كناية عن قُان صغير عتيق في الباحة الأماميّة لمحطة الوقود، ذلك الذي يحتوي على الكوّة التي لا تعدّد قوائمها المكتوبة بالطبشور أنواع خلطات القهوة بل مستويات اليقظة المستنفَدة: متلاشٍ، نعسٌ، مشخّرٌ.

شعرت كيرا بالراحة عندما تجاوز كلّ تلك المقاهي ووجّهها بدلًا من ذلك إلى مقهى تابع لسلسلة من متاجر القهوة الخفيفة.

«هل هذا مناسب؟». قال وهو يفتح لها الباب.

«هذا عظيم». خطت إلى الداخل، واستدارت للتحدّث معه من فوق كتفها. «أحبّ أن تُقدَّم قهوتي في أكبر كوب بسعر مقبول، وبالتالي...».

«تقولين إنّني نجحتُ في أوّل اختبار».

غمزها، وضحكت، وأملت في ألّا تنمّ ضحكتها عن توتّر لأنها فعلًا متوتّرة.

لأن لكلمة أوّل مضامين.

ولأنّ عليها أن تنجح في هذا الاختبار أيضًا.

ولأنّ الأمر أشبه بضغطة قدم واحدة كاملة عند طرف حقل ألغام وليس لديها أيّ فكرة عن مدى اتساعه، وكم سيستغرقها الأمر لتجتازه كلّه، وكم سيستغرقها الأمر لتشعر بالأمان والاطمئنان والراحة.

كان قد أخبرها، في الدقيقة التي استغرقتهما للسير إلى هنا، أن اسمه أوليڤر وأنه يعمل في مؤسسة مهندسين معماريّين تحتلّ الطابق العلوي لمبنى كبير مخصّص للمكاتب في الجهة الأخرى من الشارع. إلّا أنّه ليس مهندسًا، بل ما يُسمّى تقني هندسة. وشرح ذلك بقوله إنّ المهندسين المعماريّين يصمّمون المباني وعندها يتصوّر تقنيّو الهندسة كيف سيقومون بتشييدها. وحاول أن ينزع منها فكرة أن ذلك بهذا القدر من الأهمية الذي يبدو عليه، مؤكّدًا أنّ معظمه كناية عن جداول بيانات وبريد إلكتروني. ولمّا سألته إن كان هذا ما لطالما أراد فعله، أجاب نعم، ما إن تصالح مع واقع أنّه لن يصبح أبدًا رائد فضاء.

ثم سألها عمّا تفعله.

شرحت له أنّه بعدما تبخّرت أحلامها في أن تصبح رائدة فضاء، انتهى بها الأمر موظّفة في شركة تكنولوجيا صودِف أنها تملك واحدة من مراكزها الأوروبيّة في مجمّع مبانٍ يحتوي على مكاتب من الزجاج البرّاق والصلب على مسافة بضع دقائق من حيث يقفان. أمسكت شريط بطاقتها الأزرق الساطع ورفعته فقرأ الاسم عليها وقال، «تشرّفت بلقائك، يا كيرا». وقالت «تشرّفت بلقائك أنت أيضًا».

وها هي الآن، عند منضدة المقهى، تقول إنّها تريد كوبًا من الكاپوتشينو. فطلب اثنين كبيرين.

«نأخذهما معنا؟». قال مقترحًا. «فقد نحصل على مقعد عند القناة».

«يناسبني ذلك».

حاولت ألا تبدو مسرورة جدًّا بما يجعله يُطيل ما يحصل، مهما كان ما يحصل، ليشمل شرب القهوة أيضًا.

انتظرت عند نهاية المنضدة وراقبته يدفع على الصندوق بورقة جديدة من فئة العشرة يورو. شاهدت النادلة- وهي مراهقة لا يمكن أن تكون قد تجاوزت السابعة عشرة أو الثامنة عشرة- وهي تسترق النظر إليه كلّما اعتقدت أنه ينظر إلى شيء آخر. تساءلت إذا كان أدرك ذلك، وما شعوره حياله في تلك الحال (أاستحسان أم تفحّص؟). تتبّعت خطوط جسده كما أوحت بها ثيابه وتساءلت كيف سيكون الشعور بالتعرّف على البشرة من تحتها، إذا كانت ستعرفها، إذا كان هذا فعلًا بداية شيء ما، أو مجرّد حالة شاذة.

تخيّلت تينك الذراعين تلفّانها، قوّتهما، كيف سيكون الشعور باحتضانه لها.

ثم حاولت ألّا تفعل.

لم تضف السكّر إلى كوب الكاپتشينو، مع أنها في العادة تفعل، وفكّرت في نفسها، لو هذه العلاقة اكتملت، فلن يمكنني أبدًا إضافة السكّر إلى قهوتي بعد الآن.

كانت الشمس تظهر وتختفي طول النهار؛ وبرجوعهما إلى الخارج استقبلتهما سماء زرقاء في الغالب. كانت ضفّة القناة مزدحمة بموظفي

المكاتب الذين يتناولون الغداء، لكنهما عثرا على بقعة شاغرة عند الجدار المحاذي لمحطّة الوقود، قرب بوّابة السدّ.

استقرّا.

رفع غطاء الكاپوتشينو ليأخذ رشفة، فقاومت الرغبة في القول له إن هذا سيجعل قهوته تبرد أسرع. لكنها أخبرته بذلك عندما تمكّن من جمع هلال من الرغوة على شفته العليا.

«هكذا إذًا»، قال، «مركز كينيدي للفضاء».

«ماذا بشأنه؟».

«أخبريني أمورًا تصيبني بالحسد الشديد لكونك كنت هناك».

وصفت له الجولة بالباص الذي يأخذك من حول منصّة الإطلاق، والمبنى الذي تُجمّع فيه المركبة، والساعة الزرقاء الشهيرة التي تراها على التلفاز تقوم بالعدّ التنازلي للإطلاق. أخبرته عن سينما الـ «أيماكس» وعن حديقة الصواريخ. «الجولة» التي يجعلونك تشعر فيها بأنك على متن مكوك فضائي يتمّ إطلاقه، كيف يميلونه في شكل مستقيم بحيث تتمدّد على ظهرك، ومن ثمّ إلى الأمام كثيرًا جدًّا بحيث تشرع في الانزلاق عن مقعدك في مقاربة ذكيّة لانعدام الجاذبيّة. ثمّ مركز أبولو حيث يتاح لك أن تشاهد صاروخ «ساترن 5» الفعليّ، ملقى على جانبه بعلوّ السقف. ومكّوك الفضاء أتلانتس، الذي قام بالفعل برحلة إلى الفضاء، معروض بشكل رائع.

«تُكشف لك»، قالت، «من دون توقّع. بشكل مفاجىء. تُساق إلى هذه الغرفة الشاسعة المعتمة لتشاهد فيديو عن برنامج المكّوك، وعندها، في النهاية، ترتفع الشاشة وتكشف عن المكّوك فحسب... هناك فحسب، بكل مجده، أمامك مباشرة. وعنبر الشحن مفتوح وبزاوية مائلة

بحيث يبدو في الواقع كأنه يطير في الفضاء. وهذا مذهل. شهق الناس في الواقع. وبعدما سرتُ من حوله والتقطت كلّ صوري وقرأت كلّ المعروضات وغيرها، عدت من حيث جئت وانتظرت أن ترتفع الشاشة لأتمكّن من مراقبة وجوه الناس الآخرين، فأتمكّن من رؤية ردود فعلهم، وكانت...». ورأت ما بدا لها أنّه يشبه تعبيره المرتبك وحالات هلعه. «الأمر هو أنني كنت، ولفترة طويلة، أودّ الذهاب- مذ كنت طفلة- فكان الأمر أشبه بعض الشيء، لا أدري... أشبه بالسير في حلم».

مرّت لحظة طويلة.

ثم قال، «أريد حقًّا الذهاب».

ارتياح.

قالت، «عليك ذلك».

«المسألة هي في أنّني أكره الحرّ».

«لا تدع ذلك يردعك. المكان كلّه مزوّد بمكيّفات هواء جليديّة وأنظمة رذاذ. ثمّ إن الجوّ في فلوريدا ليس دائمًا حارًّا ومشبعًا بالبخار. ذهبتُ في آذار وكان الطقس في الواقع لطيفًا جدًّا».

«أكانت هذه رحلة فتيات أم...؟».

ادّعت أنّها لم تلاحظ محاولته اقتناص المعلومات، وادّعى من جانبه أنه لم يلاحظ أنها لاحظت، لكنّها ادّعت العكس.

«رحلة عمل، في الأساس»، قالت. «مؤتمر تكنولوجيا في أورلاندو. وهكذا تمكّنت، لحسن الحظ، من الإفلات والمضي للاستمتاع والتعلّم من دون وجود جمهور».

استدارت كيرا للنظر إلى القناة. هي جميلة عن قرب، ستعترف لها

بذلك. المياه ساكنة، والانعكاسات فيها محدّدة. الطقس لطيف ما يكفي ليجلس الناس على المقاعد بمعاطفهم، وليس للكشف عن بشرتهم أو التمدّد على العشب. كان دفق مستمرّ من موظفي المكاتب وممارسي رياضة العدو وقت الغداء يعبرون جيئة وذهابًا الألواح الخشبية الضيّقة لبوابة السدّ عند اللافتة تمامًا، التي تحذّر من المياه العميقة. أصابتها مراقبتهم بالتوتّر فأحنت نظرها بدلًا من ذلك إلى قهوتها.

أمكنها الشعور بعينيه عليها.

«أنتِ من كورك، أليس كذلك؟».

«في الأساس. لكننا انتقلنا إلى آيل أوف مان عندما كنت في السابعة».

«آيل أوف مان؟ لا أعتقد أنني التقيت من قبل بأحد عاش هناك».

ابتسمت. «في الحقيقة، يمكنني أن أؤكّد لك أن آلاف الأشخاص يفعلون. ترعرع والدي هناك واعتقدَ أنني سأريد ذلك أيضًا».

«أأردت ذلك؟».

«ليس حينها، لا. لكن كان لا بأس بالأمر في النهاية. وماذا عنك؟».

«كيلكنّي»، قال. «لكنّنا تنقّلنا كثيرًا».

«منذ متى وأنت في دبلن؟».

«كم مضى عليّ الآن»- تظاهر أنه يفكّر في الأمر- «ستّة أسابيع؟».

«ستّة أسابيع؟».

«ستّة ونصف في الواقع. وصلتُ يوم ثلاثاء».

«وأين كنتَ منذ سبعة أسابيع؟».

«في لندن». قال، «وأنتِ؟».

«كم مضى على وجودي في دبلن؟». تصنّعت التفكير، مقلّدة ما

فعله منذ لحظة. «في الحقيقة، يوم الاثنين المقبل سيكون قد مضى على وجودي، آه... سبعة أيّام».

«سبعة أيّام؟ وأنا الذي كنت أعتقد أنني المبتدئ».

ضحكت. «لا، أنا الفائزة في تلك المباراة».

«أين كنتِ قبل ذلك؟».

«في كورك، منذ انتهاء دراستي في المعهد. ذهبت إلى سوانسي. ولست على الإطلاق من المتخرّجين البارزين في دفعة 2017».

لم يتمكّن وجهه من إخفاء واقع أنه يحاول القيام بالحساب. كادت أن تتبرّع بالقول، «أنا في الخامسة والعشرين»، لكن قواعد اللعبة تقضي بأن تجري بتلك الطريقة.

وهي لا تعرف الكثير، لكنّها تعرف ذلك.

«وماذا عنك؟»، سألت. «إلى أين ذهبت؟».

«إلى نيوكاسل»، قال بخمود.

شعرت كيرا بأن شيئًا قد تغيّر، بأنها أضاعته في مكان ما على الخط. ما الذي تسبّب بذلك؟ لم تمتلك أي فكرة، لكنّها تعرف أنه يمكنها أن تتطلّع قدمًا إلى تمدّدها صاحية في الظلمة، متسائلة على مدى أيام تلي، ومن ثمّ تحليل كلّ شيء بطريقة الطبّ الشرعيّ، ومن ثمّ إعادة تحليله، في محاولة للعثور على الشيء الخاطئ، الغلطة، الأسف.

«سأتأخّر في العودة»، قال هذا قبل لحظة من هز معصمه والنظر إلى ساعته.

ثم وقف، ووقفت هي الأخرى وهي لا تعرف تمامًا ما عليها أن تفعل.

وكذبت، «نعم، من الأفضل أن أذهب أنا الأخرى. حسنًا... شكرًا على القهوة».

مضغ شفته السفلى، كما لو أنه يحاول أن يقرّر أمرًا.

شرع في القول: «كنت سأذهب لمشاهدة الوثائقي الجديد عن أبولو. يوم الاثنين، مساء. إنهم يعرضونه في دار صغيرة للسينما في المدينة. ربّما- إذا أردت ذلك- يمكننا... يمكننا أن نشاهده معًا؟».

فتحت فمها لتجيب، لكنّها كانت قد فوجئت بهذه الدعوة بحيث ماطلت، فيما حاول عقلها اللحاق بهذا التغيير في المسار، فسارع في هذه المهلة إلى القول مُحرجًا: «يا إلهي، كم أنا غشيم!».

هذا.

أرادت أن تقول له أنْ لا، لست غشيمًا، لكنها لم ترغب في الغالب أن تضطرّ إلى إجابته على إشارته إلى هذا بوصفه هذا، لأنه ماذا لو لم يكن يعني ما أملَت في أنه يعنيه؟

«يبدو ذلك رائعًا». وافترّ ثغرها عن أكثر الابتسامات طمأنة. «بالتأكيد. نعم».

قال إنه سيحجز التذكرتين. واتفقا على اللقاء خارج المبنى الذي يعمل فيه عند الخامسة والنصف من مساء الاثنين. أعطاها رقم هاتفه في حال طرأت مشكلات في آخر دقيقة وبعثت له برسالة نصّية ليحفظ رقمها. سارا معًا حتى مكتبه، ثمّ لوّح كلٌّ للآخر مودّعًا. ولم تأخذ نفسًا عميقًا إلّا بعدما أدارت ظهرها له.

وهكذا بدأ الأمر.

اليوم

إنّها، من الناحية التقنية، ساعة الذروة في صباح الجمعة، لكن الطرق كانت مفتوحة أمام لي. بلغت كيمّاج في لمح البصر، وأسعفها الحظّ بمساحة لركن السيّارة أمام المنزل مباشرة. الشارع ساكن، وقد حُرم السكّان من أسباب النهوض باكرًا للبدء بنهارهم في مكان أكثر بعدًا من أي غرفة أخرى في منزلهم. انقضت إلى الآن أسابيع من دون مواصلات، والمدارس متوقّفة، وما من سيّاح يصلون أو يغادرون. وبدا حتى أن وباء ممارسي رياضة العدو في الصباح الباكر منذ بداية الحجْر قد انحسر.

أخذ الحافز الجَماعي في البلاد للاستفادة إلى أقصى حدّ من ذلك في التراجع، وكان الأمر واضحًا كلّ الوضوح. تساءلت كم هي كمّية مقبّلات خبز العجين المخمّر التي رُميت حتى الآن بفظاظة في صندوق القمامة.

أنزلت لي النافذة المجانبة لمقعد السائق واستقرّت لشرب قهوتها. القهوة التي كان عليها أن تشاهد أحدهم يعدّها بيدين ذواتي قفّازين وبحذر مسرحي كما لو أنه يصنع قنبلة لا كابوتشينو، تضمّنت كلفتها أن تضطرّ إلى تعقيم يديها الجافّتين والمقشّبتين أساسًا قبل تسلّم القهوة وبعده، وقد احتوت على قطعتي سكّر فقط بدل الثلاث التي تفضّلها لأنه كان على النادل أن يضيفها لها، وقد خجلت كثيرًا من أن تطلب ذلك القدْر. القهوة التي جازفت بالروح والجسد حرفيًا للحصول عليها.

رفضت أن تتركها تبرد بعد كلّ ذلك.

أنزلت لي، بيدها الأخرى، واقية الشمس ودقّقت في الجزء الأعلى

من وجهها الذي أمكنها رؤيته في المرآة الصغيرة. تحتاج حقًّا إلى صبغ جذور شعرها قبل أن يقفلوا الصالونات؛ فالجزء الداكن من شعرها يصل عمليًّا إلى مستوى أذنيها، وبدا، في هذا الضوء الطبيعيّ، كأنه ينتهي بخطٍّ حاد. فهي، شأنها كلّ صباح، قد غادرت المنزل على عجل، وشعرها ما يزال رطبًا، وها هو الآن يجفّ، أشبه بعلامة تجارية لخوذة من الشعر الذي جعّده تأثير الكهرباء. ظنّت أنها تبرّجت قليلًا، لكن من المؤكّد أن تبرّجها تدبّر تنظيف نفسه بنفسه في نصف الساعة الأخيرة. ولطخة كريم الأساس على ياقة قميصها الأبيض هي الدليل الوحيد على أنه كان موجودًا في الأصل.

تحتاج بالفعل إلى أن تلمّ شمل نفسها.

هناك جزء منها يتمنّى لو أنها تشغل وظيفة أخرى، من النوع الذي يُنجز من على طاولة ثابتة في مكتب، وبات يمكن إنجازه الآن- ويجب إنجازه الآن- من المنزل. وجدت نفسها تحلم بأنّها واحدة من أولئك النساء اللواتي يعشن بمفردهنّ، متحرّرة وقتيًّا من كلّ التوقّعات الاجتماعيّة المنهكة، فتتمكّن في مآل الأمر من أن تنظّم روتينًا للعناية بالبشرة وتمارس اليوغا بمعيّة تلك التمارين التي تُعرض على يوتيوب ويهذي بها الجميع؛ أن تؤلم ظهرها وهي تنكبّ على كتب الطبخ الصحّي التي كانت عائلتها تصرّ، على مدى سنين، على إهدائها لها؛ أن تتمشّى طويلًا على الشاطئ وأعلى المنحدرات وعبر الأحراج، ذلك النوع من الرحلات الذي يتركك أحمر الخدّين، ويُشعرك بالوجع اللذيذ فتزهو بنفسك، ويصلك بالطبيعة من جديد (مع أنه سيكون على لي أن تكون على وصال معها أوّلًا)؛ وأن تخرج من الجانب الآخر من الحَجْر نسخة عن نفسها أكثر لمعانًا، وسلاسة، وإشراقًا. لي النسخة 2.0.

وهي، بكلّ صدق، ستتعهّد بأن تطلي غرفة معيشتها وتخسر نصف رطل من وزنها.

لكن لا توجد شواطئ أو منحدرات عالية أو أحراج في شُعاع كيلومترين من مدخل بيتها، ومحلّات الخردوات مقفلة والحجر لا ينطبق عليها. فهي ما تزال ترتاد مكان عملها اللعين.

رنّ هاتفها الموضوع على مقعد الراكب الأمامي إلى جانبها معلنًا عن رسالة نصّية جديدة.

عرفت حقّ المعرفة من المُرسِل قبل أن تؤكّد لها ذلك النظرة الخاطفة إلى شاشة الهاتف: إنّه كارلي.

الرقيب المحقّق كارل كونولّلي. وقد أضافت «الياء» على اسمه لمضايقته، ونجح ذلك تمامًا.

جاء في الرسالة: لكن مرّة أخرى؟

لم تلتقط لي الهاتف. وأخذت رشفة بطيئة طويلة أخرى من قهوتها. لكن عندما رنّ هاتفها للمرّة الثانية، شتمت، وزجّت القهوة في حامل الأكواب الموجود بين المقعدين الأماميّين وخرجت من السيّارة.

المنزل يبدو تمامًا مثل المرّة الوحيدة السابقة التي كانت فيها هنا. عمارة ضيّقة من طابقين من الطوب الأحمر، لو كان في حالة ممتازة لبيع بسهولة بنصف مليون في هذه النواحي، لكنّه يتداعى. الطوب يحتاج إلى تنظيف وقرميد السطح إلى إصلاح. إطارات النوافذ خشبيّة متعفّنة في الزوايا، والطلاء يتقشّر بإفراط عن البوّابة الأماميّة. وحاوية رُكنت في الممرّ، نصف ملأى بأثاث من السبعينيّات وبأشياء مكسورة.

كانت موجودة هناك في المرّة السابقة أيضًا. تتذكّر لي بوضوح حوض الحمّام المتفسّخ بلون سمك السلمون لأنهم كانوا يملكون واحدًا

مثله تمامًا. كانت الأعمال جارية في هذا المنزل، والآن، كما كلّ شيء آخر، توقّف العمل في ترميمه.

عليها أن تقرع جرس الباب، أن تعلن عن حضورها. عليها ذلك. لكنها ليست في مزاج طيّب في هذا الصباح. بل توجّهت، بدلًا من ذلك، إلى النافذة الأماميّة ولمست بأصابعها أسفل الحافة الخرسانيّة بحثًا عن الفجوة التي قيل لها إنّها موجودة. وعثرت عليها سريعًا، وعلى الطرف المسنّن للمفتاح بداخلها.

ولجت خلسة من الباب الأمامي.

المنزل ساكن، والهواء على بعض من عفن وفساد. لا يوجد سجّاد في الطابق الأرضي- ألواح أرضيّة عارية ومغبّرة فحسب- بل دوّامة شنيعة بلون البراز البنّي والبرتقالي الزاهي متشبّثة بالدرج. شرعت في صعوده، متنقّلة ببطء وبحذر، مختبرة وزنها على كلّ درجة لتتفادى صريرًا ينبّه إليها.

لا ضجّة في المنزل، ولا صوت من فوق، لكنه هدوء مقصود.

أحدهم يحافظ عليه.

ليس نائمًا، إذًا، بل صاحٍ وينتظرها.

بل ربّما سمعها تدخل.

بلغت لي بسطة الدرج. تخرج منها أربعة أبواب. أحدها يفتح على غرفة ملأى بمواد البناء: طاولة عمل، نوع من آلة الصنفرة وقد لُفّ سلكها الكهربائي حول نفسه، وصناديق ملحوظ عليها «أبيض متشقّق 7.5×4». وبان لها من باب آخر حمّام بدا أنه في منتصف عملية التجديد. وبدا ثالث أنّه لا يمكن إلّا أن يخفي مرجلًا. الرابع إذًا، وهو صوب واجهة المنزل، هو غرفة النوم الرئيسيّة.

كان هذا الباب مردودًا، لكنه ليس مقفلًا تمامًا.

وقفت لبرهة في الخارج، ثمّ دفعته بقوّة أدّت إلى فتحه كلّيًا واصطدامه بالجدار خلفه محدثًا دويًّا كالرعد.

كان أوّل ما رأته هو ورق الجدران. لا بدّ من أنه قد اشتُري في رحلة التسوّق ذاتها التي أدّت إلى وجود سجادة- الإسهال- المتأتّي- من- تناول- الجَزَر على الدرج. إنّه نمط من النقوش الهندية باللون الأزرق الزاهي أشبه بتأثير المخدّر، وقد أذى عينيها.

ثم بلغتْها الرائحة: عرق وجنس وكحول، عالقة وتتخمّر في هواء الغرفة الحار.

كان عليها أن تضع قناعًا. وحده اللّه يعلم ما الذي يحوم في المكان.

«حسنًا»، قالت، «ما الذي يبدو أنّه المشكلة؟».

كارل مستلقٍ على السرير، ويُفترض أنه عارٍ تحت الملاءة المثبتة التي تمكّنَ بطريقة من الطرائق من رفعها عن الزاوية السفلى للفراش ولفّها من حول نصفه السفلي.

لا بدّ من أنّ ذلك كان قد تطلّب بعض الجهد بما أن كلتا ذراعيه ممدودتان، ويديه أعلى من مستوى كتفيه، أشبه بالمسيح على الصليب.

سوى أن معصمي كارل ليسا مسمّرين إلى اللوح الأمامي للسرير، بل مكبّلان إليه.

«زوجان من الأصفاد؟». تجهّمت لي. «من أين جئتَ بالطقم الثاني؟».

«هيّا»، زمجر كارل. «استمتعي بالأمر».

«آه، أنوي ذلك تمامًا».

«لمعلوماتك، يمكنني أن أقسم أنني سمعتك تركنين السيّارة في الخارج منذ خمس دقائق».

«كم مضى عليك من الوقت هكذا؟». سألت لي.

«طوال الليل اللعين».

«هل غفوت؟».

حاول كارل هزّ كتفيه استهجانًا، ثمّ جفل من الألم الذي تسبّبت له به هذه الحركة. «إغفاءة خفيفة. أتظنّين أنه يمكنك تحريري قبل الاستمرار في هذا الاستجواب؟ سأحصل على معاملة أفضل في الزنزانات».

«كيف بعثت لي برسالة نصّية إذًا...؟»

«سيري Siri».

أومأ كارل برأسه صوب هاتفه الموضوع على طاولة السرير.

«لقد أخطأت بأحد الأحرف في الرسالة الأخيرة»، قالت لي.

«جئت بسرعة!».

«اسمع، من حسن حظّك أنني أتيت. وأنا مستميتة لأعرف ما كانت خطّتك البديلة».

«أعرف أنك مغتبطة لرؤيتي هكذا يا لي، لكنّني لا أشعر بيديّ هنا».

استلذّت بقلب عينيها قبل أن تلين، ساحبة مفاتيحها من جيب بنطالها ومتوجّهة صوب السرير.

«مهما فعلتَ»، قالت، «تمسّك بتلك الملاءة».

قال كارل ساخرًا، «كما لو أنّك لا تودّين إلقاء نظرة».

«سبق أن ألقيت نظرة، أتذكر؟ مع أنني بالكاد أتذكّر. فليس بالشيء الذي يعلق في الذاكرة». سحبت معصم كارل الأيمن صوبها، فعوى ألمًا. وانحنت لإدخال المفتاح الصغير في قفل الصفد. «ثمّ أين هي، إذًا؟ من هي؟».

«اللعنة إذا كنت أعرف».

«آه، الرومنسي الدائم، أليس كذلك يا كارل؟».

«سبق أن شاهدتكِ تفكّين الأصفاد. لماذا، بحق الجحيم، يستغرقك الأمر كلّ هذا الوقت؟».

تكَّ المفتاح في القفل وفتحت لي الصفد بما يكفي لسحبه عن معصم كارل.

هوت ذراعه على السرير أشبه بثقل ميت قد انفصل في شكل تام عن جسده. حاول، بحذر شديد، طيّها لكنه تمكّن فقط من تحريكها بضع درجات قبل أن يطلق سلسلة من الشتائم، مغمضًا عينيه ومستسلمًا.

«هل المفاتيح هنا في الأصل؟». سألت لي، وهي تنتقل إلى الجانب الآخر من السرير لفكّ الصفد الآخر.

«أخذتها معها. قالت إنّها سترميها في المرحاض. ولكن المزحة انقلبت عليها لأنه ليس موصولًا».

قطّبت لي جبينها. «أين تقوم...؟».

«مرحاض متنقّل. عند الكوخ».

«هل كانت تعرف ذلك قبل أن تعود إلى هنا؟».

«لا، وجاءت»، وابتسم. «وجاءت...»

«أقسم باللّه أنني سأعيد تقييدك إن أكملت تلك الجملة».

ما إن نُزع القيد الثاني حتى تمايل كارل إلى الأمام، جافلًا عند محاولته تقريب ذراعيه من جسمه، مضاعفًا من حدّة ونطاق الشتائم التي تمتمها مع كلّ إنش.

«يا يسوع. أشعر وكأن ذراعيّ تحترقان».

«لتكنْ تلك، إذًا، عِبرة لك». خطت لي مبتعدة عن السرير. «وأفترضُ أن تلك المرأة الغامضة الغاضبة، تقيم على بعد أقل من كيلومترين من هنا؟».

«لا أدري»، هزّ كتفيه. «لم أسأل».

«بحق اللّه، يا كارل. بالمعدّل هذا، سوف ينتهي بك الأمر على Snapchat وعندها لن أتمكّن حتى أنا من إنقاذك».

إنّها ظاهرة جديدة نسبيًّا: أن ينتهي الأمر بعناصر من الشرطة وقد كُشفوا وفُضحوا على وسائل التواصل الاجتماعي. وآخر ما كان قد لفت انتباه أصحاب المناصب العليا مقطع فيديو من حفلة منزلية أحياها تاجر مخدّرات معروف، وبدا فيها أن رجل شرطة متمركزًا حاليًّا في المنطقة، كان ضيفًا متحمّسًا وودّيًّا.

«لم أخبرها بأنّني شرطيّ»، قال كارل كما لو أن مثل ذلك الأمر منافٍ للعقل مع أن الأمر انتهى به مقيّدًا بزوج من الأصفاد في سياق لعبة جنسيّة مع امرأة غريبة شكّلت أيضًا زيارتها منزله انتهاكًا للقيود الراهنة التي فرضتها دولته بسبب كوڤيد-19.

«من أين قلت لها إذًا إنك جئت بالأصفاد؟».

«لم أفعل. لم نتبادل حديثًا طويلًا، يا لي، إذا كنت تعرفين ما أنا...».

«تحدّث أيضًا بكلمات أقلّ الآن».

خفضت نظرها إلى الأصفاد الثانية التي كانت ما تزال ممسكة بها، ورأت علامة بالطلاء الأزرق قرب القفل والحرفين الأوّلين من اسم محكوكين في المعدن عند المفصل: إ. م.

هزّت رأسها. «أحقًّا، يا كارل؟».

«ماذا؟».

رفع نظره إليها وإلى الأصفاد في يدها، وأعاده من ثمّ إلى وجهها. تمكّن من وضع ذراعيه في حضنه لكنه كان متصلّبًا في تلك الوضعيّة، كما لو كان كلّ أعلى جسمه مجبّرًا بقالب خفيّ من الجصّ.

«لا تقل لي 'ماذا؟'، تعرف ماذا. إنّها تخص إدي. طلاء أزرق، أوّل حرفين من الاسم. هذا ما ورد في التقرير الذي رفعه المسكين اعتقادًا منه بأنه فقدها».

«فقدها بالفعل. نسي أن ينزعها عن ذلك الأحمق المتعجرف الذي اقتدناه من الحفلة المنزليّة في ترينيتي هول Trinity Hall قبل بضعة أسابيع».

«تعرف أنه في ورطة بالفعل»، قالت لي.

«وأنتِ تعرفين السبب: إنّه حقير قذر».

«ألم يخطر ببالك أن تقدّم للفتى بعضًا من المساعدة؟».

«إنّني أساعده». قال كارل. «خارج السلك، لأنه لا ينتمي إليه».

شرع هاتف لي في الرنين.

يعود الرقم على الشاشة إلى مخفر ساندرايڤ رود Sundrive Road، الأمر الذي أثار اهتمامها على الفور.

لماذا يتصّل أحدهم من المخفر في وقت لن تبدأ فيه نوبتها ونوبة كارل إلّا بعد نصف ساعة؟ ولماذا لم تتم مناداتهما على اللاسلكي؟

«لي»، قال صوت رجل عندما أجابت. «لدينا مشكلة». تعرّفت على صوت ستيفن، أحد أفراد الوحدة. «أيمكنكِ الكلام؟».

«نعم»، قالت. «تفضّل».

«ورد اتصال عند شقّ الفجر من صديقتنا المقيمة في الـ'كروسينغز'، المرأة الوحيدة التي تشكّل جمعية المقيمين. افترضنا أن ذلك سيكون مجرّد مضيعة أخرى لوقت الجميع، فقمنا، آه...». وتنحنح. «فأرسلنا أَنتْ Ant ودَكْ Dec».

«ماذا فعلتم؟».

بما أن أجدد عضوين في الوحدة هما أشبه بالصبية الذين يتلقّون سرّ التثبيت في الدين المسيحي، وأحدهما يدعى دكلان Declan، فقد استحقّا على الفور اللقب المستوحى من مذيعَي التلفزيون اللذين يبدوان دائمَي الشباب.

«لم نعتقد أنه سيكون هناك شيء»، قال ستيفن. «فقد دأبت إحداهن على الاتصال، يومًا بعد يوم، لإبلاغنا بأن جيرانها يستضيفون أصدقاءهم».

«وما كان الأمر في هذه المرّة؟».

«هناك جثّة في شقّة من شقق الطابق الأرضي. وليس من نوع الشخص المتوفّى في سريره مرتديًا ثياب النوم».

«اللعنة»، قالت لي.

«من حسن حظّنا أنها طلبت سيّارة الإسعاف وكان پول فيلبس يقودها. ما إن وصل إلى المسرح حتى أدرك ماهيّة الأمر وقال لأنتْ ودَكْ أن من الأفضل لهما الاتصال بالماما والبابا».

غرّان وحيدان معًا في مسرح جريمة، من دون ضابط أعلى رتبة يخبرهما ماهيّة الأشياء. إنهما أوّل عنصرين في مسرح تحقيق مُحتمَل في جريمة قتل. لا تعرف لي أكثر من هذا، لكن أمكنها رؤية أن أي أمل في ملاحقة ناجحة يتلاشى أكثر فأكثر مع كلّ ثانية عدم خبرة تمرّ.

قرصت قصبة أنفها، وأغمضت عينيها.

وعندما عاودت فتحهما، رأت كارل ينظر إليها بتساؤل.

«أعرف أن ذلك سيّئ»، قال ستيفن في أذنها، «لكنّنا لم نفكّر...».

«سنتكلّم عن عدم التفكير لاحقًا. أنا مع كارل، سنتوجه مباشرة إلى هناك على الفور. ابعث لي بالعنوان الكامل في رسالة نصّية. وأرسل لي بضع سيّارات. وكذلك الأدلّة الجنائيّة والطبيب الشرعي. وإذا وصل أحدهم قبلنا إلى هناك، اطلب منهم تطويق المكان وعدم السماح لأحد بالمغادرة. ثمّ عاوِد الاتصال بأنتْ ودَكْ وأبلغهما أن على أحدهما الوقوف خارج باب الشقّة وعلى الآخر أن يلتقيني خارج المبنى، وأنّه يُمنع عليهما حتى التنفّس إلى أن أبلغ المكان. أبقِ الأمر طيّ الكتمان إلى أن تسمع مني من جديد. وابدأ بالصلاة أن يصطلح الإخفاق قبل أن يبلغ مسامع المفوّض. أفهمت ذلك كلّه؟».

«فهمته».

ما إن أنهت لي مكالمتها حتى رمت بأصفاد إدي على السرير في قوس مرتفع لتصيب كارل مباشرة بين ساقيه بكل ثقلها وأكثر، ودفعت به إلى تشنّج جديد من الألم.

لم تنتظره ليتعافى.

«ارتدِ ثيابك» قالت. «علينا الذهاب. الآن».

قبل 53 يومًا

لن يكون عدم وجوده هنا وعدم انتظارها خارج مبنى مكتبه، كما سبق أن اتفقا، السيناريو السيّئ. السيناريو الأسوأ هو وجوده في مكان آخر يطّل على ذلك الموقع، حيث يمكنه مشاهدتها وهي تنتظره كالمغفّلة. لتفادي ذلك، وصلت كيرا أبكر من الموعد بعشرين دقيقة واشترت قهوة من مقهى ستاربكس عند الزاوية تمامًا، ارتشفتها جالسة إلى طاولة من طاولات المقهى في الخارج وعينها على الساعة. بعد انقضاء نصف الساعة انتظرت دقيقة قبل أن تغادر وهي تقرمش حبّة نعناع بيضاء لتُنعش نَفَسها.

كان أوّل شخص تراه عندما استدارت إلى الشارع الرئيسي. تمامًا حيث قال إنه سيكون، وهو في انتظارها.

فاضت عروقها ارتياحًا.

استدار ولوّح بيده. ردّت التلويحة بأخرى، باذلة جهدًا لتبدو كأنها انطلقت إلى هنا مباشرة من مكتبها.

يلبس ملابس يوم الجمعة الفائت نفسها؛ وهي لا تستطيع تمييز بدلات الرجال، بمختلف أجزائها، لكن يمكن أن تكون هذه واحدة مختلفة. وفي أيّ حال، فإنّ لون ربطة العنق مختلف. الحمّالة السميكة لحقيبة السعاة الجلديّة المتهالكة استقرّت على جسده. لا يحمل معطفًا أو سترةً، مع أنّها بالفعل سعيدة بمعطفها، وما يزال أمامها أيضًا ليلة كاملة. اختارت ثياب عمل معتادة، لكن تلك التي ترتديها في يوم تبذل فيه جهدًا لانتقاء

ثيابها: فستان هو عبارة عن قميص أسود طويل، جزمة وجورب أسودان، معطفها الشتائيّ الأخضر الموثوق، وحقيبة يد سوداء.

من الغريب رؤيته الآن بالطريقة التي يبدو عليها، مبتسمًا ومتقدّمًا صوبها، فيما كانا، حتى وقت قريب جدًّا، غريبين. استطاعت في الساعات السبعين الماضية التي مرّت على رؤيته، أن تنسى كم هو مذهل.

كيف يكون الشعور عند النظر في تينك العينين.

وفي أن تبادلاك النظرات.

ها هو يمدّ إحدى ذراعيه للترحيب بها عناقًا قبل أن تسنح لها فرصة القلق في شأن طريقة الترحيب، وما قد ينتج عن ذلك من إحراج شديد إذا تبيّن أنّ توقّعاتهما مختلفة. كان العناق لطيفًا ومهذّبًا، ذراع من كلّ جانب، من دون أيّ حميميّة. لكنّها تنشّقت نفحة من العطر، أيًّا يكن، الذي رشّه على نفسه- في الدقائق الخمس الأخيرة، بالنظر إلى قوّته- وكان وجودها على هذا القرب منه، متلامسين، ولو مؤقّتًا، مُسْكرًا ومشتّتًا. فاجأها ردّ فعل جسدها، ولم تسمع ما قاله فور تباعدهما واستدارتهما للسير جنبًا إلى جنب في اتجاه المدينة، وقد شرد ذهنها للغاية من حرارة الاتصال التي أخذت تتلاشى.

«ممم؟» قالت.

«قلتُ إنّه ربّما لم يكن علينا القيام بذلك. أعني العناق». ودسّ يديه في جيبيه. وأضاف: «هل عرفتِ أنهم ألغوا المسيرة؟ مع أنه ربّما كان ذلك أفضل. فالمكان، في أيّ حال، سيعجّ كلّه بالسيّاح. والمرّة الوحيدة التي سبق أن شاركت فيها، بأيّ من هذا، كانت وأنا في الخارج».

كانوا قد ألغوا مسيرة عيد القدّيس پاتريك. ذلك ما كان يتحدّث عنه.

وفيما هما يسيران في الشارع، جنبًا إلى جنب، رأت نساء يسرن في

الاتجاه المعاكس يسترقن النظرات إليه في أثناء عبورهن. وهو ما جعلها تشعر بأنّها غير مرئيّة وبأنّها تتفوّق عليهنّ في آن.

لم تلاحظ تلك النسوة أنّها موجودة، لكنّها هي التي تسير بمعيّته. إنّه لصنف عجيب من الزهو.

«الشيء نفسه ينطبق عليّ»، قالت.

أخبرها أنّه عندما كان في لندن، كان عيد القديس پاتريك واحدًا من أهمّ ليالي السنة. مناسبة تُشترى لها التذاكر في حانة إيرلندية تغصّ بروّاد يرتدون ملابس العفاريت الأقزام، يشربون البيرة الخضراء، كلّ الأمور التي لن تسبّب مشكلات لو ضُبطوا يفعلونها في المنزل. وهي واحدة من أهمّ عشر حالات أصيب فيها بالثمالة. كان شقيقه يزوره حينها، لكن ذلك لم ينفع.

سألها إذا كان لديها أخوة.

«لا، فأنا عيّنة نادرة» قالت. «الطفلة الإيرلنديّة التي لا أخوة لها».

«تصنّفين في الخانة نفسها التي نستطيع فيها معاينة وحيد القرن».

«عفريت قزم، بالتأكيد؟». ابتسمت. «لكن نعم. أأنت وشقيقك فحسب أم...؟».

«نحن فحسب».

«أهو هنا؟».

«يقيم في پيرث الآن. وهو فيها منذ فترة. لديه العدّة الكاملة هناك: رهن عقاري، أولاد، وظيفة ببرنامج تقاعديّ». توقّف لبرهة. «لا أستطيع تخيّله عائدًا أبدًا. إنّه يحبّ الطقس هناك».

عبرا الطريق إلى جسر باغوت ستريت.

سألته، «الفيلم المفضّل؟».

«أعتقد أنّ فيلمه المفضّل هو العرّاب، الجزء الثاني».

ضحكت. «وأنت؟».

«جوراسيك بارك».

قالت، «قبل أن تسأل، ليس لديّ فيلم مفضّل، فأنا لا أعرف كيف يمكن للناس اختزالها إلى واحد».

«لديّ الشعور نفسه حيال الطعام».

«يمكنني في هذا المجال، تقسيم الأمر إلى فئات: الكوكتيلات المفضّلة، البيتزا المفضّلة، السندويش المفضّل. لكن هذا أقصى ما أذهب إليه».

«هيّا إذًا».

«السندويش هو الجبنة المحمّصة»، قالت. «المحمّصة مع المايونيز على الجزء الخارجي. يجب أن يكون هناك مايونيز، وليس زبدة. تلك هي الطريقة الفضلى للحصول على لون ذهبيّ. والبيتزا، بيتزا شرائح دجاج محمّر وبصل أحمر. لا يمكن مضاهاتها إذا وضعت بالنسب الصحيحة. الكوكتيل... لستُ في الحقيقة ممّن يشربون كثيرًا، لكنّني أحب ’فرنش 75‘».

«وما هو ذلك؟».

«جِنْ مع عصير الليمون الحامض، والقليل من شراب السكّر، يضاف إليها نبيذ البروسيكّو الفوّار. أو الشمپانيا، بحسب كلفته. إنّه في الأساس ليموناضة البالغين».

«أين نجد الجيّد منه؟».

«أوه»، قالت، «لا يسعني التمييز لأعرف. إذا قُدّم لي في الكأس الطويلة وكان طعمه فوّارًا بعض الشيء، فسوف يفي بالغرض. ولأكون صادقة، فإن وجود الكأس الطويلة ليس بالشرط القاطع».

«ولم يمضِ على وجودك هنا سوى أسبوع...».

«ولم يمضِ على وجودي هنا سوى أسبوع».

«حسنًا»، قال، متوقّفًا للانحناء قليلًا، ولفّ يده باتجاهها أشبه بحركة النادل الرئيسي في مطعم فاخر. «مضت على وجودي هنا ستّة أسابيع وبالتالي فإنني من الناحية العمليّة من أهالي دبلن الآن...»

«أمر قابل للتصديق، بالتأكيد».

«... وأعرف بالتالي أين يمكننا الحصول على كوكتيل لذيذ. حتى إنّه على مقربة من دار السينما». ورفع مرفقه لتتمكّن من شبك ذراعها حول ذراعه. «هل نمضي؟».

تحدّثا عن العمل وبرامج التلفزيون، وإذا كان سيُلغى مزيد من الأشياء بسبب هذه الإنفلونزا النائية. سارا عبر المدينة التي بدت هادئة حتى بالنسبة إلى ليلة يوم اثنين. أخبرها أن كثيرًا من الشركات المتعددة الجنسيّات جعلت موظّفيها يعملون بالفعل من منازلهم. قالت إنّها تعرف، فقلب عينيه لنسيانه أنها تعمل لواحدة منها. وقالت إنّها ستُصدم إذا بقيت تعمل من المكتب عند نهاية الأسبوع، وإنهم ينتظرون إعلانًا رسميًّا بذلك. وكانت بعض الأقسام قد شرعت بالفعل في تلك الخطوة. وهي تعتقد أنها تستطيع إنجاز عملها من المنزل بالجودة نفسها التي تنجزه فيها في المكتب.

شرحت أنّ المشكلة هي في أنّ لديهم آلاف الموظّفين الجالسين

على بعد قدم بعضهم عن بعض، في مساحة ضيّقة، يتنفسّون الهواء الذي يُعاد تدويره ويستخدمون المرحاض والملاعق الصغيرة نفسها، إلى آخره، ويأتي العشرات منهم في كلّ يوم من أيّام الأسبوع إلى العمل واصلين حديثًا من رحلات إلى منشآت أخرى ومكاتب في الخارج، وقد سافروا عبر مطارات، وحشروا أنفسهم في طائرات مكتظّة بالركّاب. إنّهم يتصرّفون بناء على التهديد المُحتمَل، وليس بناء على الواقع. في الوقت الراهن على الأقل. فقد أصيب أحدهم بالحصبة في السنة الماضية وحصل الأمر ذاته؛ ليس لأنّ أرباب العمل إنسانيّون، بل لأنّ ملازمة الموظّفين منازلهم بسبب المرض تؤثّر في النتيجة. فمن الأفضل تركهم يعملون من المنزل لفترة، حتى ولو كان ذلك، في مآل الأمر، ردّ فعل مبالغًا فيه تمامًا.

قال معلنًا، «ها قد وصلنا».

قادها، وهي تثرثر، إلى خارج شارع غرافتون، وها هما يقفان أمام فندق فخم. يشي اللمعان اللطيف والداكن لنوافذ طابقه الأول بضوء خفيض ودافئ في الداخل. أوراق الشجر الخضر تنسكب من فوق الرواق، وأمكنها أن ترى عبر الأبواب ذات الزجاج المزدوج والأطراف المذهّبة درجًا مهيبًا مكسوًّا بالسجّاد الفاخر. يقف، في الخارج، بوّاب بالزيّ الرسمي والقفّازات والقبّعة، حارسًا. رفرفت الأعلام الدوليّة بلطف في النسيم من فوق الأحرف الذهبيّة المصقولة التي تهجّئ اسم الفندق: ذا وستبُري.

كانت قد سمعت به، لكنها لم تعلم أنّه هنا، لم تعرف أنّه في الشارع، في هذا المبنى الذي لم تلاحظه إلّا من خلال رؤيته بطرف عينها وهي تتعدّاه.

قال، «البار يجهّز كوكتيلات رائعة».

«عظيم».

حاولت أن تبدو كأنّها تعني ذلك، كأنه فعلًا عظيم، لكنّ عينيها كانتا على البوّاب. فهو أشبه بحارس في ملهى ليليّ، لكن بحذاء أفضل. كانت واعية تمامًا لحذائها من الجلد المزيّف المجعّد الرأس، والقماش الرقيق لفستانها، وزغب الصوف على كمّي معطفها الشتوي الذي اشترته بثمن يوحي بأنّك يجب أن تسعد إذا كنت ستتمكّن من استخدامه شهرًا، وهو ذاته الذي ترتديه في الشتاء الثالث على التوالي. ولو أنها عرفت أنّ هذا هو المكان الذي سيذهبان إليه لارتدت شيئًا آخر. ولحاولت ربما حتى المبالغة بابتياع شيء جديد.

كان عليها أن تعرف. فأوليڤر بالطبع رجل يقصد أمكنة كهذه، يُفترض أنّه مرحّب به فيها، لأنه كذلك. الوجه، البزّة، الثقة الهادئة. وقد خطا مباشرة إلى الباب كما لو أنّ البوّاب ليس موجودًا، وهذه، على ما يبدو، الطريقة للقيام بذلك. لم يكتفِ البوّاب بفتح الباب لهما، بل رحّب بهما بابتسامة عريضة.

بعدما فصلا ذراعيهما المتشابكتين ليسيرا إلى الداخل، وضع أوليڤر يده عند أسفل ظهرها وهما يصعدان الدرج. وهو لا يوجّهها أو يدّعي امتلاكها، بل يطمئنها. تساءلت إذا كان يشعر بمدى شعورها بعدم الارتياح.

رحّبت بهم موظفة أخرى، سمراء برّاقة، عند منصّة المضيفات ووجّهتهما إلى البار. وعندما قالت، «بهذا الاتجاه تمامًا»، فإنّها قالته له من تحت رفرفة رموش طويلة، داكنة.

الحانة مهرجان من انعكاسات الأشياء والحواف اللمّاعة، من الشمعدانات وأكواب الكريستال، من التنجيد بالجلد الفاخر، ومن السطوح الرخامية. اصطفّت مئات الزجاجات من مختلف الألوان على الجدار وراء المنضدة. والإنارة، على غرار باقي الفندق، خفيضة ودافئة وهناك نار

حقيقيّة تشتعل عند أحد الأطراف. وقد وقف مزيد من الموظّفين بزيّهم ينتظرون لخدمتهما.

الأمر أشبه بموقع تصوير فيلم. شعرت كيرا، لبرهة، بأنها مفتونة.

المكان شبه خالٍ، ليس فيه سوى قليل من الزبائن جلسوا جميعهم حول طاولة واحدة عند أحد الأطراف، على مقربة من النار المتوهّجة. وُجِّها بعيدًا منهم إلى كشك دائريّ حميم في الطرف الآخر.

تخلّت، عندما طُلب منها ذلك، عن معطفها ليختفي في حجرة معاطف فاخرة، وحاولت ألّا تفكر في رؤية المضيفة لماركة «برايمارك» المطبوعة على علامته. ثمّ وبّخت نفسها على التفكير في ذلك أصلًا. أعطى أوليڤر المضيفة سترة بزّته حتى من دون أن ينظر إليها.

جلسا.

فكّ زرّي كمّي قميصه وشرع في طيّ الكمّين. ساعِداه باهتان ومغطّيان بشعر خشن داكن. ويرتدي ساعة فضّية تبدو ثقيلة الوزن.

سألها، «ما رأيك إذًا؟». ولوّح بيده للإشارة إلى أنّه يسأل عن رأيها بالحانة.

«بصراحة... قذرة قليلًا. أمكنهم فعلًا هندمة المكان قليلًا، أليس كذلك؟».

ابتسم. «يجب أن تري دورات المياه، إنّها مقزّزة تمامًا».

«أهي أفضل أم أسوأ من تلك الحفر في الأرض الموجودة في فرنسا؟».

«سوف تتمنّين لو كنت في واحدة منها».

بدا مزاحهما أشبه بطلقات رصاص سريعة، وشعرت بعد كلّ تبادل ناجح بارتياح، على بعضٍ من دوار، كأنّها صعدت إلى أعلى الخنادق وعادت لتحتمي من دون تعرّضها لأيّ إصابة.

اقترب نادل منهما مع لائحتي كوكتيل.

«آه، سنأخذ اثنين من»- نظر إليها أوليڤر- «ماذا يسمّونهما؟».

«فرنش 75. من فضلك».

«اختيار ممتاز»، قال النادل. «هل أترك لكما اللائحتين؟».

«من فضلك». ومدّت يدها لأخذ واحدة منه. «شكرًا». ومن ثمّ قالت لأوليڤر، «لنرَ ماذا لديهم هنا غير ذلك...».

غير أنّ ما كانت تبحث عنه في الواقع هو ثمن الشراب الذي طلباه للتوّ. تصفّحت اللائحة، مدّعية أنّها تمعن التفكير في خيارات الكوكتيل الأخرى. حاولت ألّا تبدي أي ردّ فعل عندما قلّبت إحدى الصفحات ورأته. ثمن الكوكتيل 24 يورو. للواحد.

«بالحديث عن دورة المياه»، قال أوليڤر، وهو ينزلق خارجًا من الكشك. «تناولت نحو ليتر من القهوة اليوم، ولذلك...».

«لا تسقط في الحفرة».

«إذا لم أعد في غضون خمس دقائق...»

«عليّ الانتظار لفترة أطول، أعرف».

راقبت ظهره وهو يختفي عبر أبواب الحانة. ثمّ سحبت حقيبة يدها إلى حضنها وشرعت تبحث عن محفظتها. أجرت عمليّة حساب تقريبيّة للأوراق النقديّة المجعّدة فيها: ما يكفي لتغطية حساب جَوْلتين من هذا الشراب بالإضافة إلى كلفة سيّارة الأجرة التي ستوصلها إلى المنزل. نحو ذلك تقريبًا.

من المرجّح أنه سيدفع. من المتوقّع أنّه سيدفع.

ومع ذلك...

دسّت إصبعين في الجيب الصغير الملحق ببطانة الحقيبة واسترخت بعض الشيء عندما شعرت بالصلابة الرقيقة لبطاقة السحب خاصتها، وبالأحرف النافرة على إصبعيها.

من الأفضل ألّا تضطرّ لاستخدامها، لكنّها تستطيع إذا دعت الحاجة. ستجد حلًّا.

كانا قد طلبا للتوّ جولة ثالثة عندما قال، «لن تصدّقي هذا».

شعرت بالحرارة في وجنتيها، وبالتخاذل في أطرافها، وبارتخاء في لسانها. ليست سكرى بعد لكنّها أشد سُكْرًا مما توقّعت أن تكون، وعرفت عندها السبب. ذلك أنّها لم تتناول أيّ غداء. لم تستطع تناول أيّ غداء؛ فالتوتّر كان قد سرق شهيّتها. أدنت كوب الماء منها وقرّرت بصمت أن تشربه كلّه قبل أن تتناول ولو رشفة واحدة من الكحول.

قالت، «جرّبني».

أظهر لها لمحة عن شيء على هاتفه. «بدأ الفيلم منذ عشر دقائق».

«أنت تمزح».

«يمكننا أن نهرع ركضًا إليه. فربّما ما يزالون يعرضون المقاطع الدعائيّة، والمكان لا يبعد سوى دقيقتين من هنا».

«هل سيكون فظيعًا...» وقد شرعت في الكلام في الوقت ذاته تمامًا الذي قال فيه، «أو يمكننا الاكتفاء بالبقاء هنا».

ضحكا معًا.

«أكره الاستعجال»، قال.

«وأنا أيضًا».

«وأحبّ احتساء الكحول».

«أنا أيضًا».

«وأنا معجب بك».

«في الحقيقة، أنا محبوبة جدًّا».

ضحك. أثارت إعجابه.

وهي أيضًا، بعد هذا التعليق الساخر، معجبة بنفسها قليلًا.

«إذًا»، قالت، متنحنحة. فهي تحتاج إلى تغيير الموضوع، لتمنح نفسها بعض الوقت للعودة عن حافة هاوية الثمالة. «أغالبًا ما تأتي إلى هنا؟».

«أوه، بربِّك».

«حقًّا، أريد أن أعرف».

اعترف. «هذه في الواقع المرّة الثانية لي هنا. والمرّة السابقة كان لها علاقة بالعمل. أنا فحسب...». وقَرَصَ ساق كأسه وزحلقه إلى الوراء والأمام قليلًا إلى أن شرع السائل في الدوران فيه. «أردتُ العودة إلى هنا مع... ما لا دخل له بالعمل».

«لا دخل له بالعمل. واو. أراهن أنّك تقول ذلك لجميع الفتيات».

«هل أعجبك ذلك؟».

التقت أعينهما وهو يسأل، وطرأ لها أنّها حتى الآن، وهما يجلسان عمليًّا جنبًا إلى جنب، وإلى حدّ كبير، لم تتواصل معه بصريًّا على الإطلاق.

لعلّ هذا بسبب الطريقة التي ينظر فيها إليها الآن...

لم تفقه في الحقيقة معنى كلمة «ثاقبة» عندما تنطبق على الأعين، لكنّ هذه حال عينيه. فهو لا يكتفي بالنظر إليها بل في داخلها، كما لو أنه ينظر مباشرة من خلال القشرة الرقيقة لهذا الادعاء. كما لو أنّ لديه

نظرًا بالأشعّة السينية يمكنه من دون أي جهد الاختراق وصولًا إلى كيرا الحقيقيّة، تلك المتكوّمة والحذرة والتي تحاول يائسة حماية نفسها مما يمكن أن تشعر به، إذا ما ساءت هذه الأمسية بشكل مريع.

أشاحت بنظرها إلى كأسها مباشرة.

«نعم»، قالت. «أعجبني. أقصد... اسمع، لننظر إلى الأمر على هذا الشكل، إنّه في الحقيقة ليس المكان الذي أقصده في العادة». فارَ الكحول في مجرى دمها، مكسّرًا جدرانًا كان يضعفها طوال الليل. ولا يمكنها تركها تنهار كلّيًا، ليس في خلال ما يجري، في خلال موعدهما الأوّل بالذات، لكن أمكنها أن تستغلّ إحدى الفجوات والحديث معه في جوّ صافٍ من دون المخاطرة بتخطّي الحدود. «بصراحة، لا أستطيع حقًّا تحمّل المجيء إلى أمكنة كهذه. ليس في شكل منتظم، في أي حال. ولو كنت أعرف أنّ المطاف سينتهي بنا هنا، لارتديت لباسًا مختلفًا. كنت أخشى أن يوقفني البوّاب ويقول، 'عذرًا، يا حبيبتي. من غير المسموح الدخول باللباس الرخيص'».

«دعاك حبيبة وقال لباس؟ من هو هذا الفتى؟».

لطمته ممازحةً على زنده.

«تعرف ما أعني».

«لعلمكِ»، قال، «أعتقد أنّك تبدين رائعة».

تمتمت «شكرًا» لكأسها.

«إنّه مميّز قليلًا فحسب، أليس كذلك؟».

أمكن أن يقصد الحانة. أو المشروبات.

أو هذه الليلة، وهي فيها.

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

«هاكَ ما أحبّه في شأن هذه المكان». حَرِصَت على النطق بكلماتها بأبطأ ممّا تفكّر فيها، وهي تلفظ كلًّا منها بوضوح. أو هكذا كانت تأمل. «إنّه مخفيّ. ليس سرًّا، لكنّه ليس ظاهرًا. لا يمكنك أن تعرف أنّه هنا عندما تمرّ بهذا المبنى وأنت في الشارع، لكن ادخل، وانعطف عند الزاوية، فيتكشّف لك، هذا الجمال الذي كان موجودًا هنا كلّ الوقت. في الانتظار. وأحبُّ ذلك. أحبّ اكتشاف أماكن كهذه لأنّ ذلك يجعلني أتساءل عمّا يوجد غير ذلك في داخل كلّ هذه المباني التي أمرّ بجانبها في كلّ يوم. ما هو الشيء الآخر الذي يقبع منتظرًا فحسب أن يُكتشف؟ هناك مدينة بكاملها مخفيّة. مدن عدّة مخفيّة. وكلّها مختبئة في مكان واضح للعيان في هذه المدينة».

«تحبّين الأسرار إذًا»، قال أوليڤر.

«لا». نطقت بها بتسرّع، وبدت قاسية جدًّا. كرّرتها في شكل أبطأ وأكثر ليونة. «لا. إنّه... هناك مكان في نيويورك، حانة، لا يمكنك مطلقًا أن تعرف بوجودها ما لم يخبرك عنها شخص آخر كان قد أُخبر عنها، لأنّه ما من جزء منها يطلّ على الشارع ولا تحمل أيّ لافتة، والطريقة الوحيدة للدخول إليها هي عبر باب سرّي في حانة أخرى».

قال، «يبدو ذلك منهِكًا».

«وغير ضروري للغاية. قدِّموا فحسب شرابًا جيّدًا وكونوا لطفاء مع الناس وكفّوا عن كلّ هذا الهراء. لكنّه ذلك النوع من الأشياء... إنّه سرّ. والأسرار تدور حول حرمان الناس من أشياء. من الحقيقة، نعم، ولكن أيضًا من الاختبار، من المعرفة... أنت تحاول فحسب إبقاءهم خارج عصبة الرائعين، وذلك مجرّد...». توقّفت كيرا وقد أضاعت حبل تفكيرها. أين كانت تريد أن تصل بذلك؟ أخذت حرارة الكحول تنتشر بلا دعوة

في أنحاء جسدها. «ليست الأسرار هي التي أحبّها. بل اكتشاف الأشياء الجديدة عليّ ولكنّها كانت في الواقع دائمة الوجود. الأسرار أمرٌ مختلف. الأسرار هدّامة».

صمتٌ.

تجرّأت على الاستدارة والنظر إليه ووجدت عينيه تحدّقان إليها. ظنّت للحظة أنّه قد يكون على وشك التحرّك لتقبيلها، وأملت في ألّا يفعل لأنها ليست جاهزة. ليست مستعدّة، وهي بالتأكيد ثملة بعض الشيء وتفضّل ألّا تكون كذلك، ليس لذلك الأمر، لكنّه هزّ بدلًا من ذلك رأسه وقال، «أعرف ما تعنيه». وكان عليه من بعدها أن يقصد المرحاض من جديد.

«ثلاث مرّات في ليلة واحدة؟».

«كسرت القفل»، قالها بوقار.

«وعليّ في الواقع أيضًا أن أقصد المرحاض. سأذهب فور عودتك».

«يمكنني الانتظار؟».

«يمكنني الانتظار أكثر». ولوّحت بيدها. «هيّا اذهب».

وهذه المرّة، عندما ذهب، أكرهت نفسها على إفراغ كوب الماء في ثلاث جرعات طويلة. ثمّ أخذت واحدًا من مناديل الكوكتيل النظيفة عن الطاولة، واعتنت في طيّه، ودسّته في حقيبتها. وعندما رفعت نظرها كان النادل يقف في المكان، مبتسمًا لها بتواطؤ، ورشقته بابتسامة مذنبة وقالت، «تذكار».

قال، «الأمور تجري على ما يرام، إذًا؟».

«أعتقد ذلك».

«وأنا أعتقد ذلك أيضًا».

وضع مشروبيهما الطازجين، وغمزها وغادر.

عندما أفرغ كلاهما محتويات كأسيهما، اقترح أن ينتقلا. فوجئت لمدى تأخّر الوقت- قرابة العاشرة، كيف حصل ذلك؟- فوافقت. اكتشفت أنّه كان قد دفع الفاتورة وهي في الحمّام، فاحتجّت لكن ليس بشدّة، وشكرته.

وضع يده على أسفل ظهرها وهما ينزلان الدرج، لكنها الآن تضغط بشدّة على جسدها. حملت معطفها على ذراعها وأمكنها الشعور بحرارة بشرته عبر القماش الرقيق لفستانها. أملت في ألّا يتمكّن من تحسّس عصبة جواربها الطويلة الملتصقة بجسدها. وتساءلت عمّا يمكنه أن يشعر به.

واجها انعكاس هيئتيهما في زجاج الأبواب الداكن، ودُهشت كم يبدوان جميلين، هو وهي، مقترنين معًا.

كم أنّ ذلك حصل بسرعة، وكيف انتقلا سريعًا من كونهما غريبين في طابور السوبرماركت إلى وجوده هنا بقربها، يلمسها، ويخبرها أمورًا عنه.

ربّما أمكن أن يكون هذا سهلًا.

لكن ما الآتي؟

افترضَتْ أنّهما سيذهبان إلى مكان آخر، ويتناولان كأسًا أخيرة، وربّما يحصلان، في مكان ما، على وجبة آخر الليل من الطعام السريع التحضير- يعلم اللّه أنها في حاجة له- أو ربّما...

قال أوليڤر للبوّاب، وهو غير الذي كان هنا من قبل، «أيمكننا الحصول على سيّارة أجرة؟».

فاجأها ذلك، لكنّها لم تُظهر أيّ ردّ فعل. تريد أن تعرف إلى أين ستقلّهما سيّارة الأجرة هذه، لكنّها لا تريد كذلك أن تهدّد التوازن الحسّاس

لتلك اللحظات القليلة التالية. شعرت كأنّها مسافرة عبر الزمن تمارس أقصى درجات الحذر في الحاضر، الذي هو في الواقع الماضي، لأنها تعرف كم أن المستقبل جيّد ولا تريد أن يتغيّر فيه أي شيء، ولو طفيفًا.

كان عدم إبداء أيّ ردّ فعل أصعب عليها عندما توقّفت سيّارة الأجرة وفتح أوليڤر الباب وأشار إليها بأن تدخل، لكنّه، بعدما فعلت، بقي في مكانه، واقفًا خارج السيّارة.

أدركت أنّه لن يدخل.

انحنى، وإحدى يديه على السقف، إلى أن أصبح وجهه في موازاة وجهها.

قال، «سأسير عائدًا إلى المنزل».

«أوه». واجتاحتها موجة من خيبة الأمل. «طبعًا. صحيح».

«أمتفرّغة أنتِ مساء الخميس؟ يمكننا في الواقع أن نذهب ونشاهد الفيلم هذه المرّة».

هزّت برأسها موافقة. وابتسمت ابتسامة وجيزة. «بلى».

«سأبعث لك برسالة نصّية».

«أوكي. عظيم».

«ليلة سعيدة».

«ليلة سعيدة».

أقفل بابها وانتقل إلى جهة المقعد الأمامي للركّاب، وكانت النافذة مفتوحة. انحنى ليلقي بشيء على المقعد- ما يكفي من المال لتغطية الأجرة، كما ستكتشف ذلك بعد لحظة- ولوّح للسائق.

لوّح لها مرّة أخرى مع انطلاق السيّارة.

لم تفهم تمامًا ما الذي جرى للتو. يريد رؤيتها من جديد، حسنًا، لكن ليس الليلة؟ ليس الآن؟

«إلى أين، يا حبّي؟». سألها السائق من فوق كتفه.

تلاشت أيّ ثقة لها بقدرتها على الإبحار في هذه المياه. فهي لا تمتلك أيّ فكرة عمّا تقوم به. ليس عليها سوى أن تستسلم الآن.

«إلى المنزل»، قالت بشرود، قبل أن تدرك أنّه يسأل عن العنوان.

اليوم

ركنَتْ لي سيّارتها وراء سيّارة دوريّة متوقّفة فوق الخط الأصفر المزدوج خارج مجمّع سكنيّ مقوّس، مبنيّ بالطوب الرمادي الناعم والزجاج والفولاذ المكشوف قبالة طريق هارولد كروس. وأنهى كارل فطوره- وهو كناية عن عبوة من مشروب الطاقة ردبول- تزامنًا مع إطفائها محرّك السيّارة.

أمكنها أن ترى بزّة شرطي في انتظارهما أمام ما يبدو أنّه المدخل الرئيسي: بابان زجاجيّان تحت لافتة تقول «ذا كروسينغز» بأحرف ذهبيّة مصقولة. وقد علّق إبهاميه في سترته الواقية وهو ينقل وزنه من قدم إلى قدم. لم تستطع لي أن تعرف من هذه المسافة هل هو أنثْ أو دِك، لكنّها ليست متأكّدة أيضًا من أنّها تستطيع تمييزهما عن قرب. وكذلك الأمر مع سميّيهما. واستقرّ رأيها في الوقت الراهن على افتراض أنّه دِك.

ما من مؤشّر بعد على وصول الدعم، لكن لم تكن قد مرّت بعد عشر دقائق منذ أن أنهت المكالمة مع ستيفن.

بحثت في هاتفها عن الرسالة التي كانت قد طلبتها منه: الجثّة في الشقة رقم 1. وأمِلت بوجود وحدات سكنيّة قليلة في كلّ طابق. فكلّما كان المسرح أقرب إلى المدخل الرئيسي، قلّ عدد الأشخاص الذين يرونهم قادمين، وبالتالي سيتوافر لهم مزيد من الفرصة لمعالجة هذا قبل أن تزداد الأمور سوءًا.

استدارت صوب كارل.

«هل اتضح لك ما ستقوم به؟».

«مسح وسخهما؟».

«ليست غلطتهما يا كارل. بل غلطة الأحمق، كائنًا من كان، الذي أرسلهما إلى هنا، لوحدهما. كما أننا لا نعرف بعد ماذا فعلا، فحاول، إذًا، ألّا تتعامل معهما بكامل طبيعتك المعتادة».

«طريف وجذّاب؟».

«وغد تام».

قبض كارل بيده على صدره كما لو أنّه أصيب للتوّ بطلقة في القلب.

«لم يمضِ عليهما في المَهمّة أكثر من خمس دقائق»، قالت لي، «وجلّ ما أقوله هو أن تمنحهما بعض الفرصة».

«لعلمكِ، عليك فعلًا أن تضمّدي قلبك النازف هذا». قال وهو يفتح الباب المجانب لمقعده. «أعتقد أنّني كنت قد شاهدت صندوق إسعافات أوّليّة في الخلف...».

ما إن صارا في الخارج، حتى هرع صاحب البزّة نحوهما.

التقوا على الممرّ.

قالت له، «مفتّشة المباحث ليا ريوردان، ورقيب المباحث المحقّق كارل كونولّلي. ماذا لدينا هنا...؟».

«مايكل»، قال الشرطي الشاب، وأنزل قناعه. «الشرطي مايكل كريدون».

«ما الذي يجري هنا، يا مايكل؟ باختصار».

تشجّعت لي لواقع أنّه فتح دفتر ملاحظاته قبل أن يجيب.

«حسنًا، لقد، آه... وصلنا إلى هنا حوالى السابعة والنصف»، قال وهو يتفحّص ملاحظاته. «السابعة وستّ وعشرين. واحدة من...»

«السابعة وست وعشرين؟». سأل كارل. «أمتأكّد أنت؟».

«نعم. لقد دوّنت ذلك...»

«أليس في السابعة وسبع وعشرين؟».

أخذت وجنتا الشرطي الشاب بالاصطباغ، ولكزت لي كارل في ضلوعه قبل أن تشير إلى مايكل بالمتابعة.

«آه، نعم، وهكذا...». تنحنح، «كانت واحدة من السكّان هنا في انتظارنا، غيليان فانّن. تقيم في الشقة رقم أربعة. وهي التي قدّمت البلاغ».

«ما الذي أبلغت عنه»، سألته لي، «بالضبط؟».

«رائحة كريهة في الرواق اعتقدتْ أنّها صادرة عن شقة جارها. الرقم واحد. على بعد ثلاثة أبواب منها ولكن في الممشى ذاته. افترضتْ في البداية أنّها مجرّد بقايا طعام فاسد أو ما شابه، لكنّ الأمر كان يزداد سوءًا... وتوجّهتْ هذا الصباح لقرع الباب... لكنّ الباب كان مفتوحًا».

«مفتوح كيف؟».

«وصفتْه بأنّه مغلق لكنّه غير موصود تمامًا. لم يكن مقفلًا. فتحته قليلًا- كانت على وشك المناداة، لترى إذا كان من أحد في المنزل- لكن الرائحة كانت عندها أسوأ بكثير فتراجعت وعادت إلى شقّتها وأجرت المكالمة. هما في الحقيقة مكالمتان؛ واحدة للمخفر، وواحدة للرقم 999 لطلب سيّارة إسعاف».

«إذًا، هي لم تلج فعلًا إلى الداخل؟».

«قالت إنّها لم تفعل، لا».

«كيف كان وضع الباب عندما رأيتَه أوّلًا؟».

«كما كانت قد وصفته»، قال مايكل. «كما وجدتْه. لا يبدو أنه يُقفل إلّا إذا سحبته لإغلاقه».

«أتعرف من يقيم هناك؟».

«تعتقد أنّه شاب، في العشرينات أو الثلاثينات من عمره، وهذا كلّ شيء. لم تكن قد شاهدته منذ فترة، ربّما منذ حوالى أسبوعين. تحقّقتُ من علب البريد، لكنّها تحمل أرقامًا فقط من دون أسماء».

«تفكير جيّد»، قالت ببعض من الإشادة. أمكنها بالفعل رؤية كارل، وهو بقربها، يقلّب عينيه على ذلك. «المسعفون... هل دخلوا إلى المكان؟».

«أحدهم»- عاود النظر إلى ملاحظاته- «پول فيليبس، دخل لفترة وجيزة. وعاود الخروج، وقال إنّه لا يوجد ما يمكنهم المساعدة فيه ونصحنا بالاتصال بالمخفر وإبلاغهم بما يجري. قال إنه لم يلمس الجثّة التي من الواضح أنّها في طور متقدّم من التحلّل. وأنّه، إذا كان عليه أن يخمّن، سيقول إنّ الذي حصل هنا، مهما كان، حصل منذ نحو أسبوعين».

«وهل غادروا؟».

«أعتقد أنهم متوقّفون في الخلف، عند مدخل الآليّات. لقد قال شيئًا حول إعلان الوفاة، إذا كنت لا تريدين انتظار الطبيب الشرعي...؟».

«نعم، باتوا يستطيعون القيام بذلك الآن. لكن لننتظرْ ونرَ. وهل ولجتَ إلى الداخل؟».

«لا، بل ولج دكلان. ولكن لبرهة. الجثّة في الحمّام، الباب الأول عند الردهة، وبالتالي لم يكن عليه الدخول أبعد. وقال إنّه استطاع من هناك رؤية غرفة الجلوس وغرفة النوم الأكبر. بدا أنّها شقّة خالية في ما عدا...». تنحنح مرّة أخرى. «بقي هناك لبضع ثوانٍ فقط».

يبقى أنّ في ذلك متسّعًا من الوقت لإتلاف دليل حاسم، لكن ربّما لن يكون نطاق الخراب كبيرًا بالقدر الذي كانت تخشاه لي.

«هل الباب الأمامي هو المدخل الوحيد؟».

هزّ مايكل برأسه نفيًا، «لشقق الطابق الأرضي مصاطب مسيّجة. ويمكنك بسهولة القفز من فوقها. ومن الخارج، يبدو الباب الجرّار الذي يؤدّي إلى خارج الرقم واحد مغلقًا، لكنّني لم أتحقّق ممّا إذا كان مقفلًا. حاولت لمس أقلّ ما يمكن». وأشار من فوق كتفه الأيسر. «هناك أيضًا بوّابة جانبيّة ومخرجان للحريق، وكلّها موصولة بالإنذار بحسب السيّدة فانّن، وهناك بالإضافة إلى ذلك مرأب السيّارات تحت الأرض. والمدخل إليه يقع في الجهة الخلفيّة».

«هل من حركة دخول أو خروج؟».

«لا دخول ولا خروج من هذه الجهة. أعتقد أنّ هذه الفترة من النهار تعمل لمصلحتنا. حاول شخص واحد الخروج لممارسة رياضة العدو لكنّه عاد أدراجه من دون التسبّب بمتاعب. بيد أنّنا لا نعرف شيئًا عن الآليّات».

«مخرجا الحريق... هل يوجد أحدهما في الطرف الأقصى للرواق؟».

هزّ مايكل رأسه إيجابًا.

«لا يوجد، إذًا، شيء بين ذلك المخرج وباب الشقة واحد؟ أما من شقق أخرى؟».

«يوجد باب يفضي إلى بيت الدرج»، قال، «وهذا كلّ شيء».

أومأت لي برأسها لكارل، الذي فهم: مخرج الحريق سيكون طريقهم الرئيسيّ عبر الطوق. وعليهم أوّلًا أن يطلبوا تعطيل نظام الإنذار.

«حسنًا، جيّد. سأتركك هنا يا مايكل مع رقيب المباحث كونللي

لمساعدته في ترتيب الأمور، فيما أذهب إلى الداخل وأرى ما الذي نتعامل معه. سيحضر لمساعدتنا مزيد من الأفراد في أي لحظة الآن، وما إن يحصل ذلك أريد إغلاق موقف السيّارات وفرض طوق أمني على هذا المكان. آمل أن الرقم أربعة من الذين يستيقظون باكرًا وأن يكون جيرانها جميعًا ما يزالون نائمين».

انقبض مايكل. «أخشى، أيتها المفتشة، ألّا يكون لنا لا حظّ في هذا المجال. اعتقدنا، عندما وصلنا، أنّه في إمكاننا الولوج عبر المدخل الجانبي. لكن عندما دفعناه لفتحه، تبيّن في الحقيقة أنّه مخرج طوارئ. واشتغل إنذار الحريق في أنحاء المبنى كافة، وأيقظ الجميع. وهكذا، في الوقت الذي عثرنا فيه على السيّدة فانّن- لاقتنا فَي الباحة- كنّا، مممم، قد حزنا جمهورًا. كان جميع السكّان قد خرجوا إلى شرفاتهم، يتفرّجون».

«أوه، عظيم»، تمتم كارل.

قالت لي لمايكل، «المهم الآن هو التأكد من التزام الجميع أماكنهم». ولكارل، «سألقي نظرة في الداخل. هل أنت جاهز للذهاب إلى الخارج؟».

«نعم، أيّتها القائدة».

تلت لي صلاة صامتة على نيّة الشرطي مايكل كريدون فيما استدارت وتوجّهت إلى الداخل.

كان أحد الأبواب الزجاجية قد فُتح خلعًا بمطفأة حريق؛ وأوحت لوحة مفاتيح ومجسّ إلكتروني أنّه بخلاف ذلك سيكون موصدًا لا يمكن إلّا للسكان ولوجه.

ما إن اجتازت العتبة، حتى صدمتها الرائحة.

وجّهتها إشارة على الجدار يمينًا إلى الشقة رقم 1، لكن الرواق كان منحرفًا وبالتالي لا يمكنها التكهّن بعدد الخطوات التي تفصل بين مكانها

الآن وبين باب الشقة. بالاستناد إلى شكل البناء وحجمه، ربّما ما يزال عليها أن تخطو ما بين ثلاثين خطوة وأربعين. هناك باب مفتوح وراءها مباشرة وهواء الصباح منعش وبارد، ومع ذلك...

أمكنها بالفعل شمّها: الرائحة المقزّزة اللاذعة للحم البشري المتحلّل.

إنّها أشبه بالعطر الرخيص الذي انقضت سنوات على تاريخ صلاحيته والممزوج باللحم المتروك للتحلّل في الشمس، فتتكاثر الأبواغ وترتفع حرارتها وتنتشر إلى أن تحلّ مكان كلّ جزيئة من جزيئات الهواء الخالي من الرائحة. وذلك ليس على هذا القدْر من السوء في الرواق، لكنّه على ما يكفي من السوء لمعرفة كيف سيمسي أكثر سوءًا.

فكّرت في المسكين دكلان واقفًا كلّ هذا الوقت خارج باب الشقّة. ستكون هذه بالفعل رواية يخبرها وهو يعاقر أكواب الجعة على مدى سنوات. وأملت في ألّا يختمها بقوله: وكان ذلك في اليوم الذي قرّرتُ فيه الاستقالة.

نقّبت لي في جيوب سترتها وشعرت بالظَفَر لعثورها في عمق أحدها على علبة منسيّة من حبوب النعناع ما تزال مغلّفة بورقتها المعدنية. فهناك فوائد للفشل الأبدي في التنظيم ولاختيار الملابس على أساس ما يبدو منها الأكثر نظافة فحسب.

حبّتا نعناع نظيفتان، إحداهما زاغبة بالوبر. أعادتهما إلى جيبها، ثمّ أخذت قناع وجه من جيب آخر وعلّقت شريطيه المطّاطين حول أذنيها.

الرواق صغير لكنّه مضيء من خلال بابين زجاجيّين في الجهة المقابلة تمامًا للبوّابة التي عبرت منها. وهما يؤدّيان إلى حوش مركزي. لم تذهب لي إلى هناك، بل تفحّصته عبر الزجاج: مساحة لطيفة نُسّقت حديقتها، حتى آخر شبر منها، بأشجار نابضة بالحياة، وبمقاعد خشبيّة،

وبنظام خرير مياه تعرف أنها ستجعلها تريد أن تبوّل ما إن تسمعها. يلتوي المبنى حول المساحة في شكل U لطيف الانحناء، مع بوّابتين كبيرتين من الحديد المطروق تملآن الطرف المفتوح. خمّنت أنّها معبر لآليّات الطوارئ.

أحصت ثلاثة طوابق من الشقق، مجموعها حوالى ثلاثين في حال كانت هناك شرفة واحدة لكلّ منها. ولوحدات الطابق الأرضي بقع صغيرة من المساحات الخاصة، ربّما بحجم يضاهي موقفًا ضيّقًا للسيّارات، يحدّها سياج حديديّ. لكنّ الأسيجة منخفضة ومفتوحة بين أطوالها، يسهل جدًّا القفز من فوقها، على ما قاله مايكل تمامًا. لا يوجد في الباحة أحد يمكنها رؤيته، ويصعب من هذه الزاوية القول إذا كان ثمّة من يراقب من إحدى الشرفات.

استدارت.

يوجد بجانب البوّابة الرئيسيّة أداة صغيرة، من الواضح أنّها جديدة، لتوزيع معقّم اليدين. بحثت عن مقبض الأداة قبل أن تدرك أنها تمتلك جهاز استشعار إلكترونيًّا، وتنشّقت الهواء وهي تفرك السائل الشفّاف في يديها.

عشب الليمون. فاخر.

الحمّالة الحديديّة التي يجب أن تستضيف مطفأة الحريق معلّقة إلى الجدار تحت صفّ من المذكّرات المؤطّرة. الأولى بعنوان قواعد السكن فوق لائحة ذات تعداد نقطي من- حوَلَت لي عينيها- ثلاثة وعشرين توجيهًا منفصلًا يبدو أنّ على سكّان الكروسينغز أن يلتزموها.

فكّرت بأنّ الأمر أشبه بالمدرسة، أو بالسجن.

أما الثانية فكناية عن ورقة باللون الأصفر الفاتح صادرة عن الحكومة

تتضمّن معلومات عن كوفيد-19. وهي واحدة من الأوائل بالنظر إلى كونها تتضمّن ثلاث توصيات: اغسل يديك، مارس قواعد العطس الصحيحة، وحافظ على مسافة مترين بينك وبين الأشخاص الآخرين.

تتضمّن المذكّرة المؤطّرة الثالثة طريقة التصرّف في حالة الطوارئ. أخرجت لي هاتفها وطلبت رقم شركة إدارة المجمّع المطبوع بالأحمر في الأعلى. ردّ على الفور المجيب الآليّ الذي أبلغها بطلب رقم مختلف خارج ساعات الدوام.

تحقّقت من الوقت على الشاشة: التاسعة إلّا ربعًا.

طلبت الرقم الثاني عن غيب. رنّ مرتين قبل أن يوصلها بالرسالة الصوتيّة ذاتها بالتمام.

قالت بصوت مرتفع: «يا للروعة اللعينة». وتركت رسالة تضمّنت اسمها والطلب بأن يعيد أحدهم الاتصال بها على الفور.

ثم استدارت إلى علب البريد.

أربعة صفوف مرتّبة من العلب النحيفة ذات أبواب من الفولاذ المقاوم للصدأ مثبتة على علوّ منخفض على الجدار الخلفي. سحبت زوجين من القفّازات المطّاطيّة الزرقاء من جيب سترتها، أدخلت يديها فيهما وأطبقتهما فوق كفّة سترتها لإحكام الإغلاق. استخدمت سبابتها لفتح الدرفة الضيّقة للعلبة التي تحمل الرقم «1»، وانحنت لترى إذا كان يمكنها رؤية ما في الداخل.

هناك ظرف رقيق أبيض، لكنّها لا تستطيع، من هذه الزاوية، رؤية أيّ كتابة عليه.

شرعت في السير عبر الرواق، مجتازة مجموعة من المصاعد، وكان مضاءً بشرائط من النيون المثبتة في السقف، تعمل من خلال كاشف

الحركة؛ وقد أخذت في الوميض وهي تتابع سيرها. ينحني الرواق إلى اليسار، كاشفًا عن ثلاثة أبواب أخرى وعن الشرطي دكلان... كايسي، أليست هذه كنيته؟ يقف ويداه مطويّتان خارج الباب الذي يحمل الرقم «1».

كان يرتدي قناعين، ويمكن رؤية إنش من المادة الورقية الزرقاء التي تُستخدم لمرّة واحدة وراء القماشة السوداء التي تغطّي وجهه من قصبة أنفه حتى حنكه. فكّرت لي بأنّها ليست بالفكرة السيّئة. لمع بريق رقيق من العرق عند مقدّمة رأسه، وبدا، ممّا أمكنها رؤيته من وجهه، أنّ لديه مسحة من بعض شيب.

«يمكنك الانتظار خارجًا»، قالت. «استنشق بعض الهواء النقي».

لم يحتج الشرطي الشاب إلى إبلاغه ذلك مرّتين؛ وتحرّك مبتعدًا قبل أن تنهي كلامها حتى.

كان باب الشقة مردودًا ويحتاج إلى نحو إنش ليقفل تمامًا- مقفل، لكن من دون تجهيز آلية قفل الإغلاق. لا توجد علامات مرئيّة أو لطخ على الباب أو الإطار أو المسكة. بدا كما لو أنّ هناك نورًا مضاء في الجانب الآخر.

أخذت لي حبّتي النعناع النظيفتين، ورفعت قناعها بأحد أصابعها وألقتهما في فمها. تركتهما يقبعان على لسانها، منتظرة الشعور بعقصة النعناع. ثمّ زفرت بقوّة مشبّعة القناع برائحة النعناع. لن تدوم الرائحة طويلًا- فحبّتا النعناع أخذتا تلينان بالفعل، وأطرافهما الطباشيريّة تتهاوى- لكنّ ذلك أفضل من لا شيء.

دفعت باب الشقّة وفتحته- القفل يبدو سليمًا، ولا يوجد أي شيء محشور في آليّته- فكشف عن ممشى ضيّق. أرضيّة خشبيّة، جدار أبيض،

مرآة ذات إطار فضّي معلّقة على الجدار، جهة اليسار، فوق منضدة. الضوء يأتي من مصباح في السقف، لكن يبدو أيضًا وكأنّ هناك أنوارًا أخرى مضاءة في مكان آخر من الشقّة.

كان على اليمين باب يفتح إلى الخارج، وهو نصف مفتوح حاجبًا معظم خط رؤيتها إلى باقي الشقّة.

صدمها ما بدا أنه جدار متين من الرائحة.

ليست الرائحة بالكلمة التي تصف حقّ الوصف ما في الهواء. فالرائحة شيء يجب أن تتنشّقه لكشفه. لكنّ ما ينبعث من جسم متحلّل يقوم بالعمل كلّه عنك، فلا يدع لك أيّ خيار في المسألة. يغمر منخريك ويهرع مسرعًا إلى فمك ويتشبّث بمخالبه بمؤخّرة حلقك. ويلتصق بكل خلايا بشرتك وخصل شعرك. يجعل عينيك تدمعان. فهو ليس رائحة بقدر كونه اجتياحًا، اعتداءً شاملًا.

وهذا كثير على فكرتها اللامعة في شأن حبّتي النعناع- فكل جزيئة متبقّية من النعناع قد تبخّرت على الفور.

تماسكت لي وخَطَت إلى الداخل.

قبل 50 يومًا

كان ليو على وشك الإدلاء بتصريح، مباشرة من واشنطن العاصمة. لم يكن في الشقّة جهاز تلفزيون، فعثرت كيرا على بثّ حيّ على الإنترنت وشاهدته وهي مستلقية على الأريكة، وقد وازنت حاسوبها المحمول على بطنها.

لم يكن الضوء قد طلع بعد هناك. سار، نحو المنبر المضاء اصطناعيًّا، المقام خارج مبنى تبدو عليه العظمة، يلتفّ بوشاح من ظلمة ما قبل الفجر بوجهه المهيب والجدّي.

تساءلت عمّا يفكّر فيه. فهو طبيب صحّة، بالإضافة إلى كونه زعيم البلاد. لا بدّ من أنه يفهم أكثر من معظمهم.

شرع في الكلام، بتؤدّة وبتروٍّ، قارئًا بسهولة من شاشة عرض غير مرئيّة، وكان يبدو، مع ذلك، كأنّه يتحدّث إلى العدسة مباشرة.

الڤيروس منتشر في كلّ أنحاء العالم.

لم تشهد ذاكرتنا الحيّة وباءً من هذا النوع.

سنتغلّب عليه.

ما إن انتقل البرنامج إلى المذيعين في إستوديو الأخبار، حتى أغلقت كيرا الحاسوب ثمّ فاجأت نفسها بالانفجار بالبكاء بدموع قويّة وحارّة.

ليست خائفة، أقلّه ليس من الناحية الجسديّة؛ فقد يكون الڤيروس موجودًا في البلاد لكنّها ما تزال تشعر أنّه بعيد جدًّا منها. إنّه في الغالب إنفلونزا حميدة، بحسب ما يقولون. وهي تثق بأنّ الأشخاص الذين يُفترض

بهم معرفة كيف يحمونها من هذا سيفعلون، وأنّهم يقومون بذلك بالفعل. لكن هذا كلّه ما يزال... في الحقيقة، مخيفًا.

بعض الأمور التي قالها الـ«تيشُخ*» كانت قد سمعتها من قبل، مرارًا كثيرة، لكن في أفلام الخيال العلمي التشويقيّة عن الڤيروس، وفي أفلام الزومبي ما بعد نهاية العالم، لكن ليس من فم زعيم بلادها في مؤتمر صحافي ملحّ جدًّا إلى درجة أنّه أجراه في ظلمة ما قبل الفجر في الجانب الآخر من المحيط.

هذا هو العالم الحقيقي.

عالمها.

أخبرتها أمّها مرّة أن الأمر الأكثر إثارة للفزع الذي شاهدته على التلفزيون، في 11 أيلول، كان لقطة حيّة للطرف الجنوبي لمانهاتن عندما كان الدخان الكثيف المغبّر يندفع إلى السماء من بين الأبنية المصابة. كانت لقطة مألوفة لمدينة تقول والدتها إنّها تشعر بأنّها تعرفها بالرغم من أنّها لم تزرها أبدًا، إذ كانت قد رأتها مدمّرة ومحتلّة ومنفجرة مرّات لا تُحصى عبر عقود من البرامج التلفزيونيّة والأفلام الهوليووديّة. لكن واقع أنّ ذلك كان يحصل بالفعل صيّر هذا المشهد غريبًا تمامًا. فالدنيويّ والمستعصي على الفهم اصطدما معًا بعنف؛ كانت والدتها قد قالت إنّ ذلك أحدث تنافرًا إدراكيًّا. كانت قد قرأت عن ذلك في مكان ما، ربّما في واحد من كتب تمكين الذات خاصتها.

ماذا لو التقطت عدوى هذا الشيء؟

---

* Taoiseach لقب رئيس حكومة إيرلندا.

لا يمكن لكيرا أن تتعامل مع ذلك القلق المحدّد حاليًّا، فاستبدلت به قلقًا آخر: لماذا لم يتصل بها أوليڤر؟

يُفترض أن يلتقيا من جديد في غضون بضع ساعات، لكنها لم تسمع منه منذ وَضَعَها في سيّارة الأجرة تلك خارج وستبري، قبل ثلاثة أيّام. من المنهك أن تكون قلقًا وتحاول جاهدًا أن تمنع نفسك من ذلك. فواقع أنّ الخطط وُضعت مسبقًا قد يفسّر تمامًا لماذا لم يتّصل أو يبعث لها برسالة نصّية. كلّ شيء مُقَرّر ما عدا الوقت المحدّد والمكان الفعليّ للقائهما، وربّما يُفترض أن يلتقيا خارج مكتبه بعد دوام العمل، تمامًا كما فعلا في المرّة السابقة، لأنّ هذا ما كان يفترض أن يقوما به لكنّهما لم يفعلاه، وربّما أنّ الرسالة الموعودة هي في ذهنه مجرّد إجراء شكليّ راسخ في صنف الاتصالات مثل: أتحقّق فحسب إذا كنّا ما نزال على موعدنا لــ.. ولذلك فإنّه يترك ذلك للدقيقة الأخيرة.

أو ربّما أنّه بدّل رأيه.

ومن الممكن أنّ انقطاع الاتصال منذ ليل الاثنين يدعم كلتا الفرضيّتين، وتلك هي المشكلة.

هل ما يزال في وسعهما الذهاب إلى السينما بعد خطاب ليو؟

فتحت كيرا حاسوبها المحمول وتصفّحت مواقع الأخبار إلى أن عثرت على لائحة تعدِّد ما يجري، نُشرت قبل عشر دقائق وحُدّثت في الدقيقتين الأخيرتين. حرّكت القائمة إلى الأسفل. ستُقفل المدارس والمعاهد ودور الحضانة. وستُقفل أيضًا المتاحف والمسارح وغيرها من المؤسّسات الثقافيّة. لا تجمّعات لأكثر من مئة شخص في الداخل، وخمسمئة في الخارج، الأمر الذي سيبدو لها بأنّه حجم ضخم. تبقى المطاعم والحانات مفتوحة، لكن

مع التطبيق الفوري لإجراءات التباعد الاجتماعي. وعلى كلّ شخص أن يعمل للحدّ من تفاعله الاجتماعي.

يبدو ذلك سهلًا، لكن ما من شيء سهل، ليس الآن. لم يؤتَ على ذكر السينما بالاسم- هل تُعتبر مؤسّسة ثقافيّة، أم أنّها مثل المتاجر أو الحانات، أمكنة يمكن أن تبقى مفتوحة طالما أنّها تحدّ من عدد الناس المسموح لهم بالدخول إليها؟ قال أوليڤر إن دار السينما هذه صغيرة، وبالتالي قد لا تكون تحتوي حتى على عدد كبير من المقاعد، وفي الحقيقة كم من الناس سيذهبون يوم ثلاثاء ليلًا لحضور وثائقي عن الفضاء؟ خصوصًا الآن. وماذا يعني بالتحديد 'الحدّ من التفاعل الاجتماعي؟' ولو كان هو تفاعلها الوحيد، فهل يُعتبر هذا حدًّا؟

ماذا يحصل لو أنّه قرّر ألّا يشملها في تفاعله؟

أغمضت عينيها وفركتهما بإحباط.

من المؤكّد أن هذا سيحصل الآن. بالتأكيد سيفعل. فهي، بعد كلّ هذا الوقت، نجحت بطريقة ما في غرس بذرة...

وها إنّ ذلك الوباء العالمي اللعين، الذي يحدث مرّة في الحياة، قد جاء ليجهز عليها.

أمر لا يمكن اختلاقه.

رنّ هاتفها، فأجفلها. كان محشورًا عند طرف إحدى وسادات الأريكة؛ فضغطت عن طريق الخطأ على زرّ الإجابة وهي تحاول الوصول إليه. لم يعد هناك وقت للاستعداد للحديث مع الاسم الذي شاهدته على الشاشة وهي تضع جهازها على أذنها: أوليڤر.

«ألو؟». واقتنعت على الفور بأن محاولتها في أن تبدو طبيعيّة قد فشلت فشلًا ذريعًا.

«كيرا؟».

«أوليڤر». شعرت برغبة ملحّة في الوقوف. «كيف حالك؟».

«بخير... فيما عدا، كما تعرفين، كلّ ذلك الأمر المتعلّق بوباء نهاية العالم. وأنتِ؟».

«الشيء نفسه».

«هل شاهدتِ خطاب ليو للتوّ؟».

«نعم».

شرعت في السير جيئة وذهابًا قبالة النافذة.

قال، «ذلك كلّه يفوق الواقع بعض الشيء، أليس كذلك؟».

«تمامًا».

«أتقتصرين على ردود من كلمة واحدة عن قصد، أم...».

«لا».

أضحكه ذلك.

قال، «إذًا، الليلة. لا أدري حتى إذا كانت السينما ما تزال مفتوحة... ولست أكيدًا من أنّني أريد الذهاب بالفعل. هل سبق لك أن شاهدتِ فيلم Outbreak (انتشار الوباء)؟».

«أهو ذلك الذي يعضّ فيه قرد طبيبًا من Grey's Anatomy؟».

«وجهة نظر غريبة، لكنها صحيحة في الواقع».

«الجواب إذًا هو نعم، لكن منذ سنوات».

«حسنًا، هناك مشهد في إحدى السينمات حيث يمكنك في الواقع رؤية الجراثيم تخرج من أفواه الناس. اعتقدتُ عندها أنّ ذلك طريف، لكن الآن... لا أدري. قد أكون أبالغ فحسب في ردّ فعلي».

قالت، «هِمْ»، لأنها لا تعرف إلى أين يريد الوصول بهذا، ولا تريد كشف أوراقها قبل أن يفعل.

هذا منهِك بشكل لعين. تمنّت لو أمكنها أن تضغط على زرّ ما وتتخطّى هذا الجزء من الحديث.

«يمكننا القيام بشيء آخر؟». قال مقترحًا. «يمكننا...».

«نعم».

«... أن نذهب ونتناول مشروبًا أو ما شابه. هل ما زلتِ في المكتب؟».

سرعان ما حلّ مكان شعورها بالخزي على ردّ فعلها الشديد اللهفة رعب من أن يكون على وشك اقتراح أن يأتي إلى هنا.

قال، «كنت أريد القول إنّه يمكننا اللقاء في المكان ذاته فحسب. خارج مكتبي؟ لكن إذا...».

«لا، لا. سيكون ذلك عظيمًا. فأنا في الواقع أعمل الآن من المنزل لكنّني أقيم على بعد نحو خمس دقائق من هناك، وبالتالي...».

«يمكننا اللقاء في مكان آخر إذا كان ذلك أفضل؟».

«لا، لا. ذلك جيّد. فلنقمْ به».

«الخامسة النصف؟».

«أراك عندها».

أنهى المكالمة وتهاوت، منهكة، على الأريكة حيث أتاحت لنفسها نصف دقيقة من الارتياح اللذيذ.

فهي إذًا لم تُفسد الأمر بعد.

باستثناء مدى ازدحام «تسكو» والأعداد الكبيرة للأشخاص الذين يهرعون

خارجين من أبوابه ممسكين بأكياس ورقيّة كبيرة الحجم من المنتوجات، يبدو أنّ ما من شيء في شارع باغوت يوحي بوجود خطب ما. كلّ المتاجر مفتوحة، بما في ذلك متجر الزهور. وكذلك الحال بالنسبة إلى المقاهي والحانات والمطاعم. فكّرت كيرا في أنّ عددًا أكبر بقليل ممّا يجب من الناس يرتدون قفّازات شتائيّة لهذا النوع من الطقس، لكن قد يكون الأمر فقط أنّها تبحث عن علامات تشير إلى أنّ العالم قد تغيّر، بدليل أنّ هؤلاء الناس هم أيضًا من النوع الذي يشاهد الأخبار. عندما سحبت كفّة معطفها إلى الأسفل لتفادي لمس زرّ عبور المشاة بيدها العارية، بدا كأن في الأمر مبالغة. وتمنّت ألّا يكون أحد رآها تفعل ذلك، وأنه هو لم يرها.

غير أنّه ما أمكنه أن يفعل، لأنّه اليوم كان قد تأخّر.

حاولت، وهي تنتظر، أن تلهي نفسها عن المبالغة في ردّ الفعل على هذا بالتركيز على الرجلين الواقفين خارج «تسكو» مرتديين البزّة الرسمية البسيطة السوداء لحرّاس المتجر الأمنيين. أحدهما يمجّ سيجارة، أبقاها مخفيّة في راحة يده وهو يستمع، فيما الآخر يتحدّث بحماسة ويشير إلى المتجر. خرج شخص ثالث، وهي امرأة بتنّورة الزيّ وشاركت في الحديث، وهي تواصل استراق النظر بعصبيّة إلى ورائها، ومن ثمّ إلى الداخل. وفكّرت كيرا بأنهم ربّما كانوا مرتبكين لوجود هذا العدد الكبير من الناس في المتجر.

نجح هذا الإلهاء أكثر ممّا يجب، فأوليڤر قد صار فجأة هناك، بجانبها معتذرًا، وهو ينحني ليطبع قبلة على وجنتها، رافعًا مستوى تحيّتهما الأخيرة، مرسلًا صدمة كهربائيّة صغيرة عبر بشرتها. شعرت في عمق معدتها بارتعاش الأعصاب ذاته الذي شعرت به عندما شاهدته في المرّة الأخيرة، وتساءلت إذا كان هذا ما يعنيه الناس عندما يتحدّثون عن القشعريرة.

ألقى باللوم في تأخيره البسيط على اجتماع استغرق أكثر من وقته. كان الشركاء يتأمّلون بالأفضل وغير مهتمّين بالتخطيط للأسوأ، وهكذا سيقفل المكتب فجأة منذ الغد، ولا يعرف أحد تمام المعرفة كيف سينجح ذلك.

قال إن هناك كثيرًا مما يجب تبيانه.

«وماذا عنكِ؟ كيف تسير أمورك؟».

«بشكل عظيم»، أجابت. «وبصراحة، فإن الأمر لا يختلف إلى هذا الحدّ. وفي أيّ حال فإن تسعة وتسعين بالمئة من عملي تقتضي بأن أحدّق بصمت إلى حاسوبي. صحيح، أنّه عليّ الآن أن أدفع من جيبي ثمن المياه المعدنيّة، وفيما عدا ذلك فإن أريكتي أكثر راحة بكثير من تلك الكراسي الرهيبة المصمّمة لتسهيل العمل التي يجلسوننا عليها».

«إذًا أنت، مثلًا، تقضين نهارك في الكودينغ أو...؟».

ابتسمت، «كودينغ؟».

«آه نعم، فأنا أعرف كلّ المصطلحات».

«هل أصبحت تعرفها الآن؟».

«ماذا يسعني القول؟ فأنا أقرأ كثيرًا في ويكيبيديا».

ضحكت، «لا علاقة لي بالكودينغ. أنا في خدمات مواقع الإنترنت. أشبه بخدمة الزبائن التقنيّة. أنا، في الأساس، أشبه بالخبير في المعلوماتيّة الذي يسألك إذا كنت قد حاولت إطفاء جهازك ثمّ تشغيله، لكن مع زبائن حوسبة السحابة، وهو بالتالي أكثر تعقيدًا بقليل من ذلك».

«اعتقدتُ أنّ مجموعتكم تضع التطبيقات، أو ما شابه».

«ذلك تمامًا ما نريدك أن تعتقد. فالمال الحقيقي موجود في شركات

الخوادم، في الحوسبة السحابيّة، نتحرّك ببطء ولكن بثبات إلى مكان تعمل فيه الإنترنت من على تجهيزاتنا بحيث يتمكّن زعيمنا الشرّير من السيطرة الفعليّة على العالم... هذا النوع من الأشياء».

«هل يجب أن أفزع؟».

«لن يغيّر ذلك في شيء».

«لنذهب، إذًا، ونتناول مشروبًا».

اقترَحَ حانة على طريق هدّينغتون، عند الزاوية. سارا إليها جنبًا إلى جنب، من دون التلامس. سألها: «ألا تفكّرين في الذهاب إلى كورك؟ إلى والديك؟».

تحيّرت، وليس بعبارة والديك في المثنّى فحسب، «ولمَ أفعل؟».

«الأمر هو أنّ هذه خطّة أحد الرفاق في المكتب. وهو سيتوجّه في الغد إلى غالواي. والده طبيب صحّة عامة ويقول لهم إننا، قريبًا، سنُحجر جميعنا في مناطقنا ولن نتمكّن من الذهاب إلى أيّ مكان. مع أنّني، شخصيًّا، أعتقد أنّه يبحث عن عذر لحمل أمّه على غسل ثيابه. وهو أصغر عمرًا منّا قليلًا، وبالتالي...».

«كيف تعرف ذلك؟».

«ماذا؟».

«بأنه أصغر منّا».

استغرب أوليڤر، «أيجب أن أهيّئ نفسي لخبر صادم؟».

تركت برهة تمرّ، مستمتعة بذلك، «أنا في الخامسة والعشرين».

«أف»، ومسح جبينه بطريقة وهميّة. «مع أنني تصوّرت أنّك قلتِ إنّك خريجة 2017. وقمتُ بالحساب».

«أحسنت».

«على آلة حسابيّة».

اجتازا شارع باغّوت عند الجسر، ومرّا برجل على وشك حمل صندوقين من الجعّة وهو يمضي على عجل في الاتجاه المعاكس.

أولويّات، فكّرَتْ.

قالت، «هذا هو الجزء الذي تخبرني فيه عن عمرك».

ابتسم، «أهو كذلك؟».

بلغا الحانة، وهي في الحقيقة حانة رياضيّة أكثر منها شيئ آخر. جلس رجل متقدّم في السن في الزاوية البعيدة لمنطقة تدخين مغلقة عند واجهة المبنى، وعلبة سجائر وقدّاحة موضوعتان بترتيب على الطاولة قرب كوبه.

فيما أوليڤر يسحب الباب لفتحه قال لها، «أنا في التاسعة والعشرين. تمامًا».

في الداخل، تمتدّ غرفة طويلة، ضيّقة، بعيدًا منهما. وهي ملأى بالأركان والزوايا، والحُجيرات والمقصورات، وكلّها فارغة. والشاشات المعلّقة مضبوطة على محطّة سكاي الرياضيّة. ولا توجد موسيقا تنافس صوت المعلّقين. ولولا الرجل مع الكوب في الخارج لربّما اعتقدت أنّهما دخلا خطأً إلى مكان لم تبدأ ساعات العمل فيه بعد.

أخبرت أوليڤر أنّها تمتلك ذوقًا انتقائيًّا كبيرًا في المؤسّسات التي تقدّم المشروب.

«نعم، في الحقيقة...». ووضع من جديد يده عند أسفل ظهرها وهو يوجّهها بلطف إلى مقصورة داخل الباب تمامًا، محميّة من باقي الحانة

بقاطع من الزجاج الملوّن. «لقد اخترت موقع الليلة بالاستناد إلى معدّل انتشار العدوى فيه».

«رائع»، وزحلت إلى المقصورة. «لكن ما رأيك في ألّا نتحدث في هذا الشأن؟ فأنا في مزاج يدفعني إلى دفن رأسي في الرمل لساعة».

«معقول. ماذا يمكنني أن أطلب لكِ؟».

«كأس من النبيذ الأبيض، رجاء».

«هل من نوع محدّد؟».

«المهم أن يكون باردًا وليس من نوع شاردوني...».

«يا إلهي، كم أنت متطلّبة».

غمزها قبل أن يستدير مبتعدًا.

وجّهت جسمها صوب النافذة بحيث أنّها، بعد ذلك بدقيقة، سمعت الساقي بدلًا من أن تراه يقترب من أوليڤر عند المشرب. لا بدّ من أنّه كان في الخلف. واتّضح، بعد تقديم طلبيّتهما، أنّه كان في الخلف، والسبب، كما شرح ذلك، هو أنّهم في صدد إعادة ترتيب الجزء الداخلي ليتماشى مع التوجيهات الجديدة للحكومة في شأن التباعد الاجتماعي قبل حلول عيد القديس پاتريك.

لم تتمكّن كيرا من تخيّل كيف أنّه يمكن لمجموعة من السكارى، في أكبر يوم سُكْر من السنة في البلاد، معرفة كيف يبقون على بعد مترين بعضهم من بعض، في حانة، لكنّ الساقي بدا مطمئنًّا. افترضت أنّ عليه ذلك.

«تفضّلي».

وضع بحرص كأس نبيذها الأبيض وكوبه الذي يحتوي على شيء ما

على الطاولة، ثمّ زحل إلى المقصورة إلى أن جلس بقربها ولكن على بعد خطوة مُعتبرة.

«إنّهم يعيدون ترتيب الطاولات»، قالها رافعًا ذقنه ليشير إلى خلفية الحانة.

«سمعت».

«شُرِّطت بعض المقصورات بالفعل».

«شُرِّطت بماذا؟».

«شرائط الخطر»، قال. «شرائط سود وصفر».

«هذا... مخيف قليلًا».

«و'يفوق الواقع'، لكنّني أعتقد أنّني قد تجاوزت الحدّ المسموح لي باستخدام هذه العبارة لهذا الأسبوع. أضيفي إلى ذلك: 'ولا سابقة له'... 'بأيّ حال'...». وضع يده على ساعدها، وضغط عليه برفق. «لنتحدّث في شيء آخر، أو لنحاول ذلك. لماذا انتقلتِ إلى دبلن؟».

اعتقدتْ أنّها سبق أن أخبرته هذا.

«بسبب عملي».

«لكنّكِ كنتِ تعرفين نوعيّة العمل هنا قبل التقدّم بطلب الحصول عليه. فلماذا تقدّمتِ بالطلب؟».

«آه، كما تعرف». نظرت إلى كأس نبيذها، والتقطتها، وأخذت رشفة. «الأمر المعتاد. حلمت بالتغيير، بمغامرة جديدة، بداية جديدة».

«أكان الذهاب في موعد مع غريب التقيته في السوبرماركت جزءًا من تلك الخطّة؟».

موعد.

«قد يساعد في بلوغ أهدافها»، قالت من دون النظر إليه، وهي تشعر بوجنتيها تسخنان تحت نظراته.

«سنرى».

كان الصمت الطويل الذي أعقب ذلك مبرّحًا للغاية لها بحيث خافت من أن تحترق من تلقاء نفسها.

ثمّ قال، «أعرف ما تقصدين. وذلك هو سبب وجودي هنا. سبب مغادرتي لندن».

عندما استدارت صوبه رأت أنّ نظراته مسمّرة الآن على شيء غير موجود، على ذكرى ما، في المسافة المتوسّطة. وبالرغم من أنّها أرادت أن تسأله عمّا يفكّر فيه، أن تعرف المزيد عمّا كان قد جرى في لندن، فقد تملّكها إحساس حقيقيّ بأنّه ليس الوقت المناسب، وبأنّ ذلك مبكر جدًّا.

«نخبك»، قال وهو يرفع كوبه. «نخب البدايات الجديدة».

بعد ذلك بجولتَيْن، جاء الساقي ليخبرهما أنّه سيقفل المكان باكرًا. اعتذر بشدّة لكنّهما أبلغاه أنّهما يتفهّمان الأمر. فهما الزبونان الوحيدان، وكانا كذلك منذ أكثر من ساعة بعدما رحل الرجل الجالس في الخارج، ومن الواضح أن الموظّفين يريدون منهما المغادرة ليستعدّوا لفتح الحانة في الغد في ظل ظروف مختلفة جدًّا. وكانت شرائط الخطر قد زحفت لتصل إلى المقصورة المجاورة لمقصورتهما.

كان الساقي قد جلب مشكورًا جولة إضافية من المشروب، على حساب المحلّ، للتخفيف من وقع الصدمة، ولم تكن الساعة قد بلغت التاسعة بعد عندما انتهيا.

«يمكننا الذهاب إلى منزلي»، اقترح أوليڤر من دون تكلّف.

وافقت على خطّته بقدر من اللامبالاة التي أتاحتها لها ذاتها الثملة،

ثمّ زحلت خارجة من المقصورة بما أمكنها استجماعه من الرزانة. وشكّت في أن تكون نسبة نجاحها في كلّ من الحالتين تقارب ولو من بعيد، ما كانت تأمله. لكنّ عيني أوليڤر كانتا تبدوان زائغتين بعض الشيء واستغرقه الأمر أكثر مما يجب لإعادة ارتداء سترة بزّته، وكان عليها بالتالي أن تستنتج أنّ كليهما ثمل بعض الشيء، أو أقله في الطريق إلى ذلك.

أملت، لصالحهما معًا، في أن يكون في منزله طعام.

وصلا إلى مجمّعه السكني وقد تشابكت ذراعاهما؛ وهي لا تذكر تمامًا متى حصل ذلك، أو من شرع فيه، لكنّها كانت سعيدة بمجرى الأحداث. كانا قد سارا لبعض الوقت بمحاذاة القناة، عائدين في اتجاه منزلها- مع أنّها لم تشر إلى ذلك لأنّها لم ترده أن يقترح الذهاب إلى شقّتها، ليس بعد- ثمّ انعطفا يسارًا، وربّما كانت هناك حديقة إلى اليمين في مكان ما... وها هما الآن خارج مبنى حديث على شاكلة حرف U، واقفين عند بوّاباته الزجاجيّة فيما يفتّش أوليڤر عن مفاتيحه.

تشير الحروف المذهّبة فوق البوّابات إلى أن اسمه «الكروسينغز».

قرأتها بصوت مرتفع، مضيفة علامة استفهام في النهاية. وبدا، بوجود كلّ هذا المشروب في معدة خاوية، أنّه اسم سخيف.

«هارولدس كروس»، قال أوليڤر، على سبيل الشرح.

«ما هو ذلك الآن؟».

ضحك. «إنّه حيث نحن الآن. هاورلدس كروس. هذا اسم المنطقة».

«آه».

لمس المستشعرَ ببطاقة بلاستيكيّة، فاستجاب أحد الأبواب وفتح. دخلا البهو المصنوع من الزجاج، وشعّ نور من السقف فطرفت عينا كيرا.

لمحت، من خلال مجموعة أخرى مقابلة من الأبواب، حوشًا مركزيًّا في وسطه نظام خرير مياه صغير، ومحاطًا بمقاعد خشبيّة وأشجار وأحواض زهور اعتُني في زرعها. وترتفع الطوابق من حوله في ثلاثة جوانب، وكل من شرفاتها فارغ، مع أنوار خافتة مضاءة وراء ستائر ناعمة.

سألته، «ألديك رفاق سكن؟».

«أنا فحسب. له علاقة بالعمل. حصلت عليه مع الوظيفة، لكن مؤقّتًا. حصلت عليه من دون دفع بدلات إيجار على مدى ثلاثة أشهر».

«ثم ماذا؟».

«عندها سنرى».

ابتسم بطريقة حملتها على التفكير بأنه يريدها أن تعتقد أنّه سيكون لها دور تؤدّيه في ذلك.

يا اللّه، إنّها تحتاج فعلًا إلى تناول أيّ طعام يكن.

تبعته متجاوزَيْن المصاعد وعبر رواق طويل من الأبواب المتباعدة التي لا يصدر من جانبها الآخر أي صوت. حافظت على مسافة نحو خطوتين وراءه، لأنه يستحيل بعد هذا القدْر من الوقت وهذا العدد الكبير من كؤوس النبيذ أن يبقى تبرّجها على ما كان عليه عندما غادرت المنزل، والأضواء المسلّطة البيضاء الساطعة التي تضيء مباشرة من الأعلى لا يمكن إلّا أن تزيد الأمر سوءًا.

شعرت بالارتياح عندما دفع بابه- ١- ليكشف وراءه عن مساحة معتمة، ذات إضاءة خافتة.

«تفضّلي بالدخول»، قال، ملوّحًا بيده بأسلوب مسرحي.

ابتسمت وقبلت الدعوة، وكعبا حذائها يصدران ضجيجًا أجوف لدى اتصالهما بالأرضيّة الخشبيّة.

أخذ معطفها وقال إنّه سيأخذها في جولة، هي عبارة عن السير بها إلى غرفة الجلوس فيما يدلّ إلى الأشياء؛ بابان مغلقان لغرفتي النوم، وثالث مفتوح جزئيًّا يؤدّي إلى حمّام من الطراز الصغير ذي المرذاذ وبلاط شبيه ببلاط المترو.

غرفة الجلوس عبارة عن مساحة مفتوحة، مع مطبخ لمّاع في الخلف. الجدران بيض ومزخرفة بمطبوعات تجريديّة متطفّلة على الفن. ('جاءت هكذا من الأساس'). وتقع أريكة جلديّة بنّية على شكل زاوية قبالة نار وهميّة 'تشتعل' داخل صندوق زجاجي يتراجع إلى داخل الجدار عندما يضغط أوليڤر على الزر. وقد عُلّق فوقها تلفاز ذو شاشة مسطّحة أكبر من طاولة طعام كيرا. سحب الستائر المسدلة على طول النوافذ الكبيرة التي تطلّ على الباحة، فلم يكن هناك أبواب جرّارة.

لا توجد أشياء، ولا مقتنيات. لا شيء يضفي طابعًا شخصيًّا على المكان سوى مجلّة وحيدة متروكة مفتوحة على الأريكة. لكن النظافة هنا ليست عادية، بل أشبه بأجواء مكان يكاد لا يقيم فيه أحد، كما لو أنّه بيت للعطلة حجزه لقضاء الليل فحسب.

وللمطبخ الخواء الغريب البارد ذاته: الرفوف خالية إلّا من قنّينة زيت تحمل علامة أحد المتاجر الكبيرة ولفّة من محارم المطبخ.

قالت، «يمكنني أن أضع شقّتي بأكملها في هذه الغرفة».

سار عائدًا إليها، «أُدرك أنّ هذا يصنّف إلى حدّ كبير تحت «مشكلات-

العالم- الأوّل، لكنّها في الواقع كبيرة للغاية. أشعر أنني كنت أدور في المكان بمفردي»، واستكان لبرهة. «لوحدي».

التقت أعينهما، ربطت شرارة كهربائيّة الهواء بينهما، تشعّبٌ من البرق في سماء هي بخلاف ذلك مظلمة.

«حسنًا»، قالت كيرا، وهي تأمل في أن تنطق بالكلمات الثلاث التالية قبل أن يشتعل وجهها كلّه ويخونها ويظهر كم هي عليه من توتّر كبير. «أنا هنا الآن».

«وأنا مسرور لأنّكِ هنا».

كان قد قال هذا بلطف وها هو يدنو منها الآن.

سمحت له.

دسّ ذراعيه حول خصرها وشدّها إليه إلى أن تلامس وجهاهما، الخدّ على الخد. أمكنها الشعور بحرارة نفَسه، وشمّ رائحة الجعّة فيه. شدة الحميميّة هذه، وقد جاءت في شكل مفاجئ جدًّا، أصابتها بالضياع، وأشعرها امتزاج ذلك مع النبيذ بأنها رخوة ومائعة.

أقلّ قلقًا. نسخة عن نفسها أكثر شَجاعة.

بل وربّما شخص مختلف تمامًا.

ضغط بشفتيه على صدغها وتمتم، «أريد أن أصيبك بالعدوى».

أمكنها سماع بسمته، ومن ثمّ الشعور بها. زحلت إحدى يديها من حول خصره إلى أن استقرّت عند أسفل ظهره. شعرت بحرارة بشرته من تحت قميصه. ومرّرت يدها الأخرى على ذراعه وعبر كتفه إلى أن لمست جلدة رقبته، ثمّ أمسكت فكّه وسحبته نحوها.

«أنا على استعداد للمخاطرة»، قالت لشفتيه.

كانا الآن قد أمضيا، بحسب تقديرها، عشر ساعات معًا، يتحدّثان فحسب. لكن عندما عثر فمه على فمها، أخبر كلّ منهما الآخر شيئًا ما أمكن أيّ منهما قوله: بأنّهما شخصان يشعران بوحدة موحشة ومتعطّشان للّمس، يحتاجان إليه، يجوعان إليه. سرعان ما تحوّل الحنان إلى قنوط، كما لو أنّ كليهما يحاول اجتياز حاجز جِلْده.

حلّت أزرار قميصه. صدره مغطّى بدثار من الشعر الناعم، الأسود. ضغطت براحتي يديها عليه ومن ثمّ صعودًا إلى ترقوته فإلى كتفيه، رافعة القماش عن بشرته. ولمّا تراجع خطوة للقيام بما تبقّى بنفسه، لمحت ذلك للمرّة الأولى: خيط سميك من النسيج الندبي، يلتوي كالأفعى نزولًا عند جانبه.

لمّا رآها تنظر حرّك زاوية جسمه لتتمكّن من النظر إلى ذلك بكلّيته.

«أعرف»، قال. «مثير للإعجاب، أليس كذلك؟».

الخيط الفضّي هو من الجلد الناعم الجديد بعرض نحو نصف إنش وينحني من تحت لوح كتفه اليسرى نزولًا إلى خاصرته. ظهرت أزواج من النقاط الشاحبة على مسافات منتظمة، واحدة من كلّ جهة: ذكريات البشرة عن المشابك التي لا بدّ وأنها وُضعت لتثبيتها بينما تشفى.

تتبّعته بلطف برؤوس أناملها. «ماذا حصل؟».

«ليست بالرواية اللطيفة». وتنهّد عندها، كما لو أنّه أذعن لفكرة إخبارها. «تورّطتُ في شجار، في إحدى السهرات، عندما كنت في السابعة عشرة. عاقرت كثيرًا من الخمرة، وبتُّ غاية في الشجاعة. نظرت إلى الشخص الخطأ بطريقة خاطئة. انتظرني في الخارج. كسر قنّينة على الجدار. أعرف أنني محظوظ بأنّ الأمر لم يكن أسوأ من ذلك، لكن...». استدار لمواجهتها. «أشعر أنّني دفعت ثمنًا باهظًا للحظة من الجنون.

ليست حتى جنونًا، بل مجرّد غباء. ولديّ الآن هذا الشيء على جسمي إلى الأبد ولا علاقة له البتّة بمن أنا».

قالت، «آسفة جدًّا».

«ليست غلطتك».

«وليست غلطتك كذلك».

أشاح بنظره، «لا أدري في هذا الشأن».

لمست وجنته، وأعادت سحب وجهه- وعينيه- صوبها.

اختفى التوتّر، واختفى معها التمادي في التفكير.

شعرت بسلام غريب؛ والصوت في داخل رأسها اختفى بمعجزة.

شعرت في تلك الأيّام القليلة الماضية وكأنّ بابًا يُفتح ببطء شديد، شديد. وها إنّ كيرا مستعدّة، أخيرًا، لاتّخاذ الخطوة.

فكّرت، يمكنني القيام بهذا.

كان الأمر أسهل ممّا اعتقدت أنه سيكون عليه، من ناحية أخرى فليس شيء ثابت.

«لا تبالي». رفعت وجهها صوبه وقبّلته.

اجتازت العتبة ورمت بنفسها في الهوّة.

قبل 56 يومًا

«تفضّلي»، كانت هذه أول كلمة يقولها لها.

كان كلاهما على وشك الالتحاق بطابور الدفع على صندوق الخدمة الذاتية في «تسكو». كان ذلك يوم جمعة في موعد الغداء، وهي المرّة الخامسة هذا الأسبوع التي يأتي فيها للحصول على سندويش، لأنّه يأتي إلى هنا كلّ يوم من أيّام الأسبوع، في هذا الوقت. ذلك ما دأب على القيام به، بشكل شبه مستمر، مذ شرع في العمل في المؤسسة في الجانب الآخر من الشارع.

وهي كذلك المرّة الخامسة هذا الأسبوع التي يراها فيها هنا، تقوم بالأمر نفسه.

على ما يبدو.

ربّما أنّه ما كان ليلاحظها على الإطلاق لولا الحقيبة: حقيبة قماشية صغيرة مترجّحة تحمل صورة مكّوك فضائي. كانت الحقيبة هي التي لفتت نظره في الأساس في يوم الاثنين. وما إن حلّ يوم الثلاثاء حتى شاهدها من جديد. تساءل، عندما رآها يوم الأربعاء إذا كان من الغريب أن يرى الحقيبة ثلاثة أيّام على التوالي، واستنتج في يوم الخميس، أن ذلك غريب حقًّا.

لاحظ الطريقة التي تحمل بها الحقيبة بمسكتيها، مترجّحة عند جانبها، بالرغم من أنه يتّضح أنها فارغة وستبقى كذلك إلى أن تشقّ طريقها عبر صندوق الدفع. لماذا لا تحتفظ بها مطوية في يدها، أو

مدسوسة تحت ذراعها، أو موضوعة في الكيس الصغير ذي الحمّالة الذي حملته على كتفها إلى أن تحتاج إليه؟

كاد يبدو كأنها تريد أن يشاهدها الناس تحملها.

أو، ربّما، من أجله فحسب.

ذلك ما كان قد حرّك الأمور. تساءل: لماذا لم يسبق له أن شاهد موظّفين من حملة بطاقات التعريف الزرق في هذه الأجنحة؟ ربّما كانوا، على غرار كلّ شركات التكنولوجيا الجيّدة، يحصلون على الطعام في مبانيهم. الطعام المجاني الجيّد، مثل السوشي الطازج. ولديهم نادل يعمل في الشركة. فلماذا يقف أحد موظّفيها في الصف للحصول من السوبرماركت على سندويش بلا طعم، رطب، وملفوف بالبلاستيك، وعليه أن يدفع ثمنه؟

ربّما لم يلاحظ ذلك من قبل.

لكن كيف يمكن أن يصادف وجودها دائمًا هنا في الوقت نفسه الذي يوجد فيه، بالرغم من أنه يتناول غداءه في وقت مختلف بعض الشيء في كلّ يوم، فلا يترك مكتبه إلّا عند حصول استراحة طبيعيّة في عمله؟

وخمسة أيّام على التوالي؟

كان قد شاهدها اليوم عند برّاد المشروبات في أوّل المدخل، تنتظر بصبر أن ينتقي شاب عشريني، يرتدي قميصًا أزرق، ما يريد، لتتمكّن من التقدّم والاختيار.

شاهد الحقيبة أوّلًا، مترجّحة فارغة، شأنها دائمًا، ومن ثمّ المعطف الشتويّ الأخضر الذي يبدو أنّها ترتديه كلّ يوم.

كان، طيلة هذا الأسبوع، يسجّل التفاصيل.

من باب التحسّب.

إنّها أقصر منه بقدم، بعمره نفسه، تقريبًا، نحيفة وليست هزيلة؛ وهناك نعومة في وجنتيها وفي خطّ فكّها. جذّابة بطريقة هادئة. شعرها بنّي فاتح ومقصوص بوضوح عند أطرافه، بحيث يحفّ الطرفان كالستائر على كتفيها وهي تتحرّك. بطاقة العمل تتدلّى من شريط أزرق فاتح وتحمل شِفرة تعريفية، وصورة شمسيّة صغيرة وشعار شركة تكنولوجيا لها فرع حوسبة سحابيّة يحتلّ مركزها الأوروبي مبنى بكامله، على بعد دقيقتين سيرًا من هنا. وعلى البطاقة نصّ من سطرين لم يكن قريبًا بما فيه الكفاية لقراءته.

لم يضبطها تنظر إليه، لا هنا ولا هناك. ربّما تعمّدت عدم النظر إليه، أو أنّها تجيد بالفعل القيام بذلك خلسة.

أو ربّما كان ذلك كلّه مجرّد ارتياب من جانبه.

كان قد تجاوزها وتوجّه إلى آخر المتجر حيث انتظر دوره عند منضدة قسم الأطعمة الجاهزة لتقديم طلبيّته المعتادة: دجاج، حشوة ومايونيز على الجاودار، من دون زبدة. ولكبح نفسه عن تفحّص الأجنحة بحثًا عن صاحبة معطف الصوف الزمرّدي الأخضر، حمل هاتفه وركّز بقوّة على آخر العناوين في أحد تطبيقات الأخبار. ثمّ توجّه إلى الصندوق حيث وجد أنّها على وشك الالتحاق بالطابور- توقيت ممتاز، لكن لمن؟- وبقي بعيدًا لتصبح أمامه. توقّفت ورفعت نظرها والتقت أعينهما.

عبرت وجهها ومضة من شيء- دهشة؟ تعرّف؟- في الوقت الذي فكّر في نفسه، سبق لي أن رأيتها في مكان ما.

مكان آخر، في ظروف مختلفة.

لكن أين؟

متى؟

«لا بأس»، تمتمت وهي تلوّح بقنّينة الماء التي تمسكها بيدها اليمنى. وتراجعت خطوة إلى الوراء. «أدركتُ للتوّ أنّني أخذت القنّينة الخطأ».

استدارت على كعبيها وأسرعت في الاتّجاه المعاكس.

وها هو يفكّر، نلت منكِ.

عرف أنّ عودته إلى إيرلندا ستكون مخاطرة، لكنّه كان قد افترض أنّه مرّ عليه ما يكفي من الوقت ليمسي الخبر خبرًا قديمًا. ثمّ إنه سيكون على من يريد فضحه أن يجده أوّلًا. وهو يحمل الآن اسم أمّه قبل الزواج. كان، في اليوم الذي غادر فيه لندن، قد قطع كلّ اتصال مع كلّ من يعرفه أو كان يعرفه، باستثناء شخصين: شقيقه، الذي يمكن الوثوق به، ودان الذي تفرض عليه المهنة أن يفعل. وبات أوليڤر يحظى الآن برواية أفضل للتغطية، وبات أكثر خبرة في التمسّك بها. وهو لا يجازف، ولن يجازف.

لن يكون هناك تكرار لما حصل في لندن.

لكنّه كان الآن قد رأى هذه المرأة المألوفة بشكل غامض ترجّح حقيبة المكّوك الفضائي الصغيرة هذه في السوبرماركت الواقع في الجانب الآخر من مكتبه، وذلك في كلّ يوم على مدى خمسة أيّام على التوالي، كلّ مرّة في وقت مختلف بعض الشيء، وأصابه ذلك بالارتياب.

من هي، في الحقيقة؟

ما هي؟

ما إن بات أوليڤر في الخارج، حتى دلف إلى أقرب مدخل، وأخرج هاتفه من جديد. فتح متصفّح الإنترنت وطبع اسمه في خانة البحث. اسمه الحقيقي، المعطى له. لم يحصل على شيء جديد باستثناء الأمور

القديمة ذاتها. تحقق من «تويتر» مستخدمًا twitter.com/Ireland كعنوان للإنترنت. فحمّل صفحة ireland@ وشريط البحث في شكل أساسي؛ ليس لديه حساب خاص لكنّ هذا يتيح له البحث متجاوزًا تسجيل الدخول. لا يبدو أنّ القوانين التي تحكم المراسلين الصحافيين والمنشورات التي يعملون لها تنطبق على هذا الموقع الأشبه بالمجرور، لكنّه كذلك لم يجد فيه شيئًا. ربّما كان مصابًا بالارتياب فحسب.

وكان أن وجدها.

فقد رفع نظره ورآها، وهي توشك على تجاوزه، مرجّحة تلك الحقيبة اللعينة.

إنّه لا يخطّط للقيام بذلك. لا يوجد من جانبه أيّ تصوّر مسبق على الإطلاق- وتلك بالذات، هي المشكلة، الأمر نفسه الذي أوقعه في ورطة في المرّة الأخيرة، في لندن، وكذلك في المرّة الأولى، في كلّ تلك السنوات التي مضت.

فهو لا يفكّر، بل يفعل فحسب.

فتح فاه، وخرجت منه كلمتان، «حقيبة جميلة».

جمدت في مكانها، شحبت. «ما...؟».

وها إنّه يندم على ذلك. لا يُفترض به التحدّث إليها. يعرف ذلك، فهو ليس غبيًّا. لكنّ الأمر الوحيد الأسوأ من كونها صحافيّة، هو في أن تفكّر بأنه غبي لدرجة أن يعتقد أنّها كذلك.

وها هو قد فعلها.

«حقيبتك»، قال مشيرًا إليها.

خفضت نظرها إليها، ثمّ أعادته إليه.

«شكرًا»، قالت. «إنّها من إنتربيد. إنّه متحف في...»

وأكمل، «نيويورك»، لا بدّ من أنها قد حضّرت لذلك كما يجب. «هو ذلك الموجود على حاملة طائرات، أليس كذلك؟». لنرَ مدى ما حضّرته. «هل زرتِه؟».

«نعم، مرّة واحدة».

هذا ذكاء منها. لن يتطلّب الأمر كثيرًا من التفصيل لتبدو مقنعة، لأنها لم تكن هناك إلّا لمرّة واحدة.

سألها، «هل استمتعتِ؟».

«آه...».

كان تردّدها، هذا هو الذي حسم الأمر. هو ما أقنعه بأنّ شكوكه صحيحة.

في هذه اللحظة، تقلّص خوفه ممّا يمكن أن يعني ذلك بالنسبة إلى مستقبله من جرّاء نشوة الربح، الشعور بالنشوة لأنّه كشفها. لكنّه لا يستطيع القول إنّه فعل، لا يمكنه إخبارها بأنّه يعرف. فلو أنّه واجهها، فلن يؤدّي ذلك إلّا إلى منحها التأكيد الذي تسعى إليه والذخيرة التي تسعى إليها يائسة الجهة التي تعمل لصالحها.

قام بثاني أفضل خيار: التظاهر بالغباء ومشاهدتها تتلوّى.

فلماذا عليه أن يعاني؟

يا للعنة، لماذا لا يستطيعون تركه وشأنه؟

آه، نعم، مسألة مكّوك الفضاء هذه كانت ذكيّة- فـ 'التيشرت' التي تحمل شعار الناسا كانت في كلّ تلك السنين الماضية واحدة من أكثر الأدلّة التي ذُكرت- لكن، يستحيل أن تكون مستعدّة بالقدر الذي تظن. لا

يمكنها ذلك. فما هذا كلّه إلّا طبقة رقيقة من التغطية، وهو متأكّد من أنّه لن يكون عليه أن ينقّب عميقًا جدًّا لبلوغ القاع، لفضح من- وماذا- هي حقًّا.

«نعم»، أجابت في النهاية. «لكنّه ليس بجودة مركز كينيدي للفضاء».

طرفت عينا أوليڤر دهشة. هذه جاءت لتلعب دورًا.

اقترب منها خطوة، باحثًا في وجهها عن رجفة أو تموّج انزعاج واضحين. لكن لم يصدر عنها أيّ ردّ فعل، بل إنّها في الواقع خطت خطوة أقرب منه.

قال، «لعلمك أنّني لم ألتقِ شخصًا يمكنه تسمية مكاكيك الفضاء الخمسة كلّها».

«وأنا أيضًا لم ألتقِ بعد شخصًا يعرف أنّها ستّة».

تراوحت نبرتها بين التحدّي والتعالي، وأربكته. ألا يتوجّب عليها، لو كانت صحافيّة، أن تبذل أفضل ما في وسعها لتملّقه؛ أليست إهانته آخر ما ستفعله إذا كانت تهدف إلى حمله على الكلام؟

أم أنّها خدعة مضاعفة، محاولة لتضليله؟

«ستّة؟».

وشرعت في تسميتها.

لم تكتفِ بتسميتها فحسب. بل أخبرته أين انتهى المطاف بكلّ منها. لديها تواريخ. بل إنّها ضمّنت أيضًا إنتربرايز. أسمتها مركبة مداريّة (أوربيتر). ووجّهت كلامها هذا كلّه صوب ممرّ المشاة، ما أدّى إلى مضاعفة شكوكه بأنّها كانت قد حضّرت ذلك مسبقًا وأنها تسمّعه الآن عن ظهر قلب.

لكن...

منحه ذلك الفرصة لرؤية بطاقة التعريف بها عن كثب. الصورة المأخوذة على شكل صور جوازات السفر هي بالتأكيد صورتها، لكن بشعر أطول، واقفة في ضوء باهت مائل للبياض. وجاء في الكتابة أن اسمها كيرا و. وهي مسؤولة خدمة الإرشاد في شركة «تك سي إس».

يبدو ذلك شرعيًّا.

ترجّح عائدًا إلى حالة عدم اليقين.

ربّما كانت صحافيّة. ربّما تعمل فعلًا في شركة التكنولوجيا عند الناصية وتحبّ مكاكيك الفضاء كثيرًا لدرجة أنّها تحمل جرابًا عليه صورة أحدها، والمكان الذي كان قد رآها فيه من قبل هذا الأسبوع هو هنا، في هذا الشارع، كونها تعمل في الجوار.

لكنّ ذلك لا يشرح لماذا، وعلى مدى خمسة أيّام على التوالي، كانت هنا بالتزامن مع وجوده، في كلّ يوم، بتوقيت مختلف قليلًا. صحيح أنّه لا يختلف كثيرًا- فهو يغادر دومًا في الإطار الزمني ذاته الذي يتراوح بين عشرين أو ثلاثين دقيقة- ولكن...

هذا الواقع أشبه بحصاة في حذائه: شيء صغير، لكنه مزعج بشكل لا يُعقل.

يحتاج إلى اكتشاف مزيدٍ، إلى معرفة ما يكفي للتخلّص من هذا الإزعاج.

قال لها، «كنتُ في طريقي لتناول كوب من القهوة. أيمكن أن أشتري لكِ واحدًا أيضًا؟».

قادها إلى فرع ’أنسومنيا‘ الذي يقع في مكان من الشارع لا يبعد كثيرًا، لأنّه يعرف، كون المكان تابعًا لسلسلة محالّ، أن المنضدة ستكون مصمَّمة

بطريقة معيّنة. وهو ليس متأكّدًا من أنّه يحمل ما يكفي من النقود لدفع ثمن المشروبين، ولن يسحب بطاقة الائتمان أمامها. لو أنّها من يشكّ في أنّها من تكون، فمن الممكن أنّها تعرف اسم أمّه وهي عزباء، وإنّ رؤية الاسم مطبوعًا على شيء رسميّ بعد شهرته سيؤكّد لها أنّها عثرت على رجلها.

قالت إنّها تودّ الحصول على كاپوتشينو فطلب اثنين، واقترح أن يأخذاهما إلى الخارج، ربّما عند القناة إذا تمكّنا من العثور على بقعة للجلوس. بدت متشوّقة لقبول هذه الدعوة ومسرورة بشكل غير عادي بأنّه عرض عليها ذلك.

عاد إلى خانة الارتياب.

لكنّها مضت عندها للانتظار عند نهاية المنضدة، فيما بقي عند الصندوق ليدفع. لن يشكّل ذلك فرقًا على أيّ حال لأنّه عثر على ورقة من فئة العشرة يورو في جيبه، لكن لو أنّها كانت تحاول تأكيد هويّته، ألم تكن لتبقى بقربه وتسترق نظرة إلى داخل محفظته؟

عودة إلى عدم اليقين.

هذا منهِك بشكل لعين.

كان الطقس يبدّل رأيه طوال النهار، لكن الشمس كانت مشرقة عندما عادا إلى الخارج. عثرا على بقعة فارغة عند الجدار المنخفض المحاذي لمحطّة المحروقات، وهي تطلّ على القناة. وما إن استقرّا حتى طلب منها أن تخبره عن مركز كينيدي للفضاء.

لم يسبق له أن زاره، لكنّه شاهد أمورًا عنه على الإنترنت وعلى التلفزيون. فهم لم يذهبوا إلى أيّ مكان، إلّا إلى فرنسا، في عطلة، عندما كان صغيرًا، والسفر إلى الولايات المتحدة ليس بالأمر الوارد الآن.

هل سبق أن أوقفتِ أو أُدنتِ بجريمة إلحاق ضرر بالغ بالممتلكات، أو التسبّب بأذى جسيم لشخص آخر؟

لم يبدُ أنّ كيرا انزعجت من السؤال. وإذا كان من شيء، فإنّها بدت متشوّقة للحديث عن المكان. أخبرته عن الجولة بالباص التي تأخذك من حول منصّات الإطلاق، «الـ 'في إي بي'- مبنى تجميع المركبة» والساعة الزرقاء الشهيرة التي تراها على التلفاز تقوم بالعد التنازلي. وعن سينما الـ«أيماكس» وحديقة الصواريخ التي يعبّر اسمها تمامًا عن ماهيّتها. و«الجولة» التي تحاكي عمليّة إطلاق مكّوك فضاء والتي قالت إنّها تؤلم العنق. ومركز أبولو حيث يتاح لك رؤية صاروخ ساترن 5 ومكّوك أتلانتس معروضين.

قالت، «تُكشف لك من دون توقّع. بشكل مفاجئ. تُساق إلى هذه الغرفة الشاسعة المعتمة لتشاهد فيديو عن برنامج المكّوك، وعندها، في النهاية، ترتفع الشاشة وتكشف عن المكّوك فحسب... هناك فحسب، بكل مجده، أمامك مباشرة. وعنبر الشحن مفتوح وبزاوية مائلة بحيث يبدو في الواقع كأنّه يطير في الفضاء. وهذا مذهل. شهق الناس في الواقع. وبعدما سرتُ من حوله والتقطت كلّ صوري وقرأت كلّ المعروضات وغيرها، عدت من حيث جئت وانتظرت أن ترتفع الشاشة لأتمكّن من مراقبة وجوه الناس الآخرين، فأتمكّن من رؤية ردود فعلهم، وكانت...».

إذا كان هذا تمثيلًا فإنّها تبالغ فعلًا في مشاعرها. كثير من المبالغة.

لا شك في أنّ سحنته تُخبر بهذا القدر لأنّها نظرت إليه حينها، وبدا أنّها أدركت الشيء نفسه.

«الأمر هو أنّني كنت، ولفترة طويلة، أودّ الذهاب»، قالت بسرعة.

«في الحقيقة مذ كنت طفلة. فكان الأمر أشبه بعض الشيء، لا أدري... بالسير في حلم».

قال، «أريد حقًّا الذهاب».

وهذه ليست كذبة.

بدا عليها الارتياح، «عليك ذلك».

«المسألة هي في أنني أكره الحرّ».

أمّا هذه فكذبة.

«لا تدع ذلك يردعك. المكان كلّه مزوّد بمكيّفات هواء جليديّة وأنظمة رذاذ. ثمّ إنّ الجو في فلوريدا ليس دائمًا حارًا ومشبعًا بالبخار. ذهبتُ في آذار وكان الطقس في الواقع لطيفًا جدًّا».

«أكانت هذه رحلة فتيات أم...؟».

ادّعت أنّها لم تلاحظ محاولته اقتناص المعلومات، وادّعى من جانبه أنه لم يلاحظ أنها لاحظت لكنّها ادّعت العكس.

«رحلة عمل، في الأساس»، قالت. «مؤتمر تكنولوجيا في أورلاندو...».

أحد الأشخاص من شركائه في السكن عندما كان في لندن، شارك في مؤتمر هناك في السنة الماضية- أمر، ويا للسخرية، يتعلّق بالسفر المستدام- وبالتالي فقد صادف أنّ أوليڤر يعرف بوجود مركز كبير للمؤتمرات في المدينة. ولأنّه كان قد فوجئ بسماعه ذلك، اعتقادًا منه أنّها ملأى بالأفعوانيّات وبقوارض بحجم الإنسان ترتدي شورتات حمر، فقد قال، «أورلاندو؟ حقًّا؟». وكان شريكه في السكن قال له إنّ المدينة تحتوي، في الواقع، على مساحة للمؤتمرات في المتر المربع أكثر من أيّ مدينة أميركية، ووحدها لاس فيغاس تحتوي على غرف أكثر. وبالتالي

فإنّ روايتها متلائمة، لكن هل هي كذلك لأنّها الحقيقة، أم لأنّها أجرت بحوثها؟

ها هي الآن تنظر صوب القناة، ترتشف قهوتها، واستغلّ الفرصة لدراستها.

سألها، «أنتِ من كورك، أليس كذلك؟».

لا يجيد، بشكل خاص، التعرّف على اللهجات، لكنّه اعتقد أنه يستطيع سماع آثار من المدينة في لكنتها.

«في الأساس»، قالت. «لكننا انتقلنا إلى آيل أوف مان عندما كنت في السابعة».

لا يعتقد أنّه سبق له أن التقى أحدًا يقيم هناك بالفعل. كلّ ما يعرفه عنها هو أنها في البحر الإيرلندي، وتجرى فيها سباقات للدرّاجات الناريّة.

ولمّا سألته من أين هو، قال كيلكنّي. ما من أحد يذكر من أين هو في الأساس، بل أين حصل ذلك فحسب، وبالتالي فإنّ هذه مشاركة آمنة نسبيًّا في بعض الحقيقة. ولمّا سألته كم مضى عليه من الوقت في دبلن، نطق أكثر قليلًا بالحقيقة باعترافه أنه مضت عليه ستّة أسابيع.

«وأين كنت قبل سبعة أسابيع؟».

«في لندن»، قال. «وأنتِ؟».

«كم مضى على وجودي في دبلن؟». تصنّعت التفكير، مقلّدة ما فعله منذ لحظة. «في الحقيقة، يوم الاثنين المقبل سيكون قد مضى على وجودي، آه... سبعة أيّام».

«سبعة أيّام؟ وأنا الذي كنت أعتقد أنني المبتدئ».

ضحكت. «لا، أنا الفائزة في تلك المباراة».

«أين كنتِ قبل ذلك؟».

«في كورك، منذ انتهاء دراستي في المعهد. ذهبت إلى سوانسي. ولست على الإطلاق من المتخرّجين البارزين في دفعة 2017».

قام بالعمليّة الحسابيّة في ذهنه.

دفعة متخرّجي 2017. على افتراض أنها التحقت بالجامعة وهي في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، سيجعلها ذلك في... الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين. قالت إنهم انتقلوا إلى آيل أوف مان وهي في السابعة، فسيكون ذلك... حوالى 2002.

أي قبل عام على حصول ذلك. قبل عامين على المحاكمة.

«وماذا عنكَ؟»، سألت. «إلى أين ذهبت؟».

«إلى نيوكاسل»، قال بخمود.

كان يفكّر في كونها يومها خارج البلاد، وفي الخانة التي يجب وضع هذه المعلومة فيها. الخطّ الزمنيّ ضيّق جدًّا؛ ضيّق كفاية ليجعله يتساءل إذا ما كان قد صُمّم ليكون كذلك. وحتى لو صحّ ذلك، فمن الذي يقول إنّ عناوين الأخبار الإيرلندية لا تبلغ آيل أوف مان؟

شعر فجأة بالتعب، وقد أنهكه الجهد الذي بذله في ممارسة هذه اللعبة. أن يكون عليه، دائمًا، أن يلعب نسخة منها. واليوم أيضًا، حتى بعد انقضاء سنوات على الواقعة.

ألّا يتمكّن من استقراء هذه المرأة، أقلّه ليس استقراء يمكنه أن يتمسّك به لفترة طويلة جدًّا.

يجب أن تتوافر طريقة أكثر فاعليّة لمعرفة من هي في الحقيقة.

«سأتأخّر في العودة». نظر إلى ساعته- كانت ما تزال لديه عشرون دقيقة على الأقل من ساعة غدائه- ونهض.

نهضت هي الأخرى. «نعم، من الأفضل أن أذهب أنا أيضًا. حسنًا... شكرًا على القهوة».

شرع في القول: «كنت سأذهب لمشاهدة الوثائقي الجديد عن أبولو. يوم الاثنين. مساء. إنهم يعرضونه في دار صغيرة للسينما في المدينة. ربّما- إذا أردت ذلك- يمكننا... يمكننا أن نشاهده معًا؟».

لم يتمكّن من قراءة تعبيرها.

أهو مفاجأة؟ عدم ارتياح؟ ذعر؟

ربّما كان قد بالغ كثيرًا معها. ولو أنّها مكلّفة التقرّب منه فيجب أن ترحّب بالأمر، لكن لو كانت تلك هي الحال فهذا يعني أيضًا أنّها تعرف من هو، ما هو، وهو ما سيفسّر تردّدها حيال اقتراح قضاء مزيد من الوقت معه.

«يا إلهي»، قال. «كم أنا غشيم».

لكن بدا عندها أنّها تتعافى وقالت له إنّ ذلك يبدو جيّدًا. عرض أن يحجز التذكرتين واقترح أن يلتقيا في الخامسة والنصف خارج مكتبه. سألته عن المكان وشرح لها.

قال عندها، «سأعطيك رقم هاتفي. تحسّبًا لحصول أي مشكلة في آخر دقيقة».

«بالتأكيد، نعم».

تلفّظ بالأرقام وهي تطبعها على هاتفها- وعلى ما أمله تمامًا، بعثت له برسالة نصّية ليتمكّن من الحصول على رقمها.

«سأضيفكِ إلى معارفي بوصفك فتاة المكّوك الفضائي»، قال.

ابتسمتْ. «أحبّ ذلك».

«من الأفضل وضع اسمكِ الحقيقي أيضًا». أبقى عينيه على هاتفه وهو يقول هذا، ناقرًا على الشاشة، بما أمكنه من نبرة عاديّة. «كيرا...؟».

«وايز»، أكملت. «و-ا-ي-ز».

أُنجزت المهمّة.

سارا عائدين معًا إلى أن بلغا مكتبه، ثمّ لوّح كلّ منهما للآخر مودّعًا. وأدرك، وهو يستدير لدخول المبنى، أنها لم تسأله عن اسم عائلته.

أخذ أوليڤر المصعد إلى الطابق الرابع واستدار يسارًا إلى مكاتب 'كي بي استوديوز'. فيوم الجمعة يعجّ دومًا بالاجتماعات مع الزبائن خارج الموقع وهو، إضافة إلى هذا الوقت من النهار، يعني أنّ معظم طاولات المكاتب تكون مهجورة. مضى إلى مكتبه، وأمال شاشة حاسوبه بحيث أنّه حتى لو جاء أحدهم وجلس بجانبه تمامًا، سيلقى صعوبة كبرى في رؤية ما يقوم به.

فتح متصفّح الإنترنت وطبع كيرا وايز في محرّك بحث غوغل. وعندما ضغط على مفتاح الإدخال، امتلأت الشاشة بالنتائج.

فهناك كيرا وايز وهي متقاعدة حديثًا من منصبها كمديرة لمدرسة محلّية. وأخرى لديها سيرة حياة مهنيّة على موقع مؤسسة محاسبين في دونيغال. وهناك عدد قليل من الحسابات الاجتماعيّة تعود لمراهقات يحملن الاسم نفسه، ولوحة على «پينترست» Pinterest مرتبطة بهذا الاسم، مليئة بالأفكار المتعلّقة بالوشوم.

ولا يبدو أنّ أيًّا منها يعود لها.

هناك أيضًا عدد من ملفّات التعريف في موقع «لينكد إن» LinkedIn. سجّل دخوله على الموقع وتحقّق مرتين من إعدادات الخصوصيّة الخاصة به؛ فهي، شأنها دائمًا، معدّة لإخفاء هويّته عندما يستعرض صفحات

المستخدمين الآخرين. وعندما بحث عنها في الموقع وجدها على الفور؛ فهي في رأس قائمة النتائج.

الصورة نصفيّة، احترافيّة، بشعرها الأسود الأطول. وأُدرجت في خانة التحصيل العلمي؛ المدرسة الثانوية في آيل أوف مان، وبكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة سوانسي، دورة 2017، كما قالت. أمّا خبرتها فتتضمّن ثلاثة مناصب مختلفة في ما يُسمّى سلسلة العمليّات والإمداد في معمل أبل في كورك- عادت، إذًا إلى هناك بعد سوانسي- ووظيفتها الجديدة: الخدمة التقنيّة للزبائن في شركة سيرّوس لخدمات الإنترنت، مكتب دبلن. وذُكر أن تاريخ بدء العمل هو شباط 2020. ولا يوجد غير ذلك سوى قليل في ملف التعريف وهي لا تملك سوى حوالى دزينتين من المتواصلين معها، لكنّ كلّ شيء آخر فيه يتوافق مع ما قالته.

يبقى أنّ هذه مجرّد صفحة في موقع على الإنترنت حيث يمكن للمستخدم إدخال النصّ. وهو يستطيع صنع واحد الآن بالذات يقول فيه إنّه درس في هارفرد وعمل رائد فضاء في ناسا.

ما يريده هو تأكيد مستقل.

بحث في تويتر وإنستغرام وفيسبوك، لكنّه لم يعثر على شيء- أقلّه شيء مخصّص للعامة- يمكن أن يبدو أنّها هي.

نقر بأصابعه على طاولة مكتبه، مفكّرًا. ثمّ عاد إلى غوغل ووضع شركة سيرّوس لخدمات الإنترنت في خانة البحث.

يوجد رقم هاتف مذكور للمبنى في شارع برلينغتون رود. شكّ في أن يكون أكثر من مجرّد رابط لمركز اتصال بعيد لن تكون كيرا موجودة فيه، لكنّ الأمر جدير بالمحاولة.

طلب الرقم على هاتف مكتبه ووضع السمّاعة على أذنه.

رنّ مرّة واحدة قبل أن يقول صوت المجيب الآلي، «شكرًا لاتصالك

بسيرّوس إيرلندا. إذا كنت تعرف رقم التحويل، الرجاء إدخاله الآن. وإلا اضغط على الصفر لمقسّم الاستقبال. الرجاء ملاحظة أنّ...»

ضغط على الصفر. سمع طقّة ثمّ رنّة واحدة، ثمّ قال رجل بصوت غنائي، «مساء الخير. كيف يمكنني مساعدتك؟».

«آه، مرحبًا. لست متأكّدًا من أنني طلبت الرقم الصحيح. أهذا هو المبنى في برلينغتون رود؟».

«من تحاول بلوغه، يا سيّدي؟».

«كيرا وايز، إنّها»- وانتقل عائدًا إلى الشاشة الأخرى على حاسوبه وقرأ ملفّها الشخصي على لينكد إن- «في الخدمة التقنيّة للزبائن». أمكنه، وهو يتكلّم، سماع طقطقة بعيدة على لوحة المفاتيح في الطرف الآخر من الخط.

«لا يمكنني وصلك»، قال الشخص، «لكن يمكنني إعطاؤك رقم التحويل خاصتها».

«سيكون ذلك عظيمًا».

«إنّه 5-4-1-0».

دوّن الرقم على دفتر ملاحظات موجود عند لوحة مفاتيح حاسوبه، بالرغم من أنّه لا ينوي في الواقع الاتصال بها. فذلك سيعني الدفع بارتيابه إلى مستويات غير مسبوقة.

قال، «شكرًا».

«شكرًا لاتصالك بسيرّوس إيرلندا». طقّة.

بات أوليڤر أكثر ارتباكًا من قبل. فإمّا أنّ هذه هي، ومن بعيد، المكيدة الأكثر إحكامًا التي سبق له أن واجهها، وإمّا أنّ كيرا هي من تقول إنّها عليه.

فتاة لطيفة لا جدول أعمال لديها سوى جدول الأعمال الأزلي، ذلك الطبيعي. الإعجاب بشخص، الرغبة في التعرّف عليه، والأمل في أن تتحوّل الأمور في النهاية...

رومنسيّة.

بدت العبارة غريبة عليه، مستعارة من لغة أخرى.

وماذا لو إنّها كذلك؟ لا يعني ذلك أنّه تم تحييد التهديد. فما ذلك إلّا مجرّد إبدال خطر بآخر.

ألم تبدأ الورطة في لندن بهذا الشكل تمامًا؟

عليه أن يمحو رقمها. أن ينسى أمرها كلّيًا ويشرع في جلب وجبة غداء جاهزة، لأنّه لا يمكن حصول شيء. فحتى لو تمكّن من التظاهر بحياة طبيعيّة، ستظهر الحقيقة في النهاية. فهي أكبر من أن تُخفى.

كلّ شيء أسهل بكثير عندما يبقى بمنأى عن الأناس الآخرين. فالطريقة الوحيدة لإخفاء ظلّك هي في الوقوف في الظلمة.

والمشكلة هي في أن أوليڤر يكره الظلمة.

أخرج هاتفه وعثر على النصّ الذي أرسلته إليه بهدف إعطائه رقمها. كمرجع للمستقبل: إنتربرايز، كولومبيا، تشالنجر، ديسكوڤري، أتلانتس، إنديڤور. رمز تعبيري لصاروخ، رمز تعبيري لوجه يغمز.

حام إصبعه من فوقه، استعدادًا لسحبه ومحوه.

ذلك ما يجب عليه فعله.

لكنّه لم يفعل.

اليوم

دفعت لي بباب الحمّام إلى الوراء بما يكفي لعبوره، متجاهلة، حتى اللحظة، الفظاعة القابعة في جانبه الآخر.

تعرف أنّ ذلك هناك. ما تحتاج إليه هو التحقّق، أوّلًا، من وجود أيّ شيء آخر.

من وجود شخص آخر.

طلبت من نفسها تجاهل الرائحة التي تدغدغ ردّ فعلها التلقائي في التقيّؤ، وتركّز على المسرح، وتدوّن كلّ التفاصيل. وأن تتحرّك بسرعة لأنّها لن تتمكن من القيام بذلك لفترة طويلة جدًّا.

تؤدّي أبواب ثلاثة أخرى إلى الردهة، وكلّ منها مفتوح.

إلى يمينها، بعد الحمّام: غرفة نوم صغيرة، شحيحة الأثاث. خزانات الملابس الضيّقة مدمجة- وفارغة- والأثاث الوحيد هو سرير صغير ذو نبّاضات فارغ مدفوع إلى الجدار البعيد، وما يبدو أنّه طاولة طعام طُوّعت وحُوّلت إلى مكتب.

وقد وُضع عليها حاسوب محمول مغلق، وبعض الأوراق المتناثرة وأقلام. ويحمل الحاسوب ملصقًا كُتب عليه: كي بي استوديوز. وتقبع طابعة على الأرض تحت المكتب، غير موصولة بالكهرباء.

الستائر الدوّارة على شبّاك الغرفة الوحيد مرفوعة إلى الأعلى تمامًا، وتوفّر إطلالة على الباحة.

في نهاية الردهة، في مواجهة باب المدخل: غرفة النوم الرئيسيّة.

السرير المزدوج غير مرتّب، الملاءات باللون الرمادي المتفحّم مقلوبة من الخزانة الجانبية إلى الباب، لكنّها لم تُمسّ من الجانب الآخر. فتحتْ جارورًا في منضدة السرير وكان فارغًا إلّا من الغبار. وقبعت في داخل خزانة الثياب حقيبتان، واحدة كبيرة والأخرى صغيرة، وهما فارغتان بالاستناد إلى وزنهما؛ كومة صغيرة من سراويل الجينز المطويّة؛ صفّ من البزّات والقمصان المعلّقة؛ جارور جوارب وألبسة داخليّة.

كلّها رجّاليّة وكلّها بالقياسات نفسها. وتكهّنت، انطلاقًا من الطراز، بأنّه شخص في العشرينات أو الثلاثينات من عمره. وكان هناك أيضًا بعض معدّات الركض وحقيبة لمستلزمات الحمّام، فيها مزيل للرائحة، ومرطّب رجّالي، وزجاجة زرقاء من عطر 'أكوا دي پارما'.

قدّرتْ أنّه لم يتمّ استخدام إلّا حوالى ثلث مساحة خزانة الملابس.

توجد في المكان نافذة أخرى تطلّ على الباحة، وهي أكبر حجمًا، وستائرها مسدلة إلى الآخِر. والمصباح عند السرير مضاء.

عبر باب الجهة اليسرى من الردهة، مساحة جلوس مفتوحة واسعة. في أحد أطرافها نوع من المطابخ اعتادت لي رؤيته في إعلانات إنستغرام عن مشاريع التطوير العقاريّة في دبلن، لكن ليس في منزل أحد: أملس، أبيض، وبرّاق كعيادة.

له مظهر الخاوي وغير المستخدم. تصوّرت أنّه لا بدّ من أنّ المنضدة المصنوعة بشكل زاوية تبلغ أربع عشرة قدمًا، لكن لا يوجد ما هو موضوع عليها سوى واحدة من آلات القهوة التي يقوم جورج كلوني بالإعلان عنها، وقفّاز فرن وحيد، ومجموعة من المفاتيح عُلّقت بها بطاقة تعريف بلاستيكية.

المفاتيح معلّقة بحلقة طُبع عليها شعار «ڤيڤا پروپرتي».

تؤشّر عارضة خشبيّة لتناول الفطور إلى نهاية المطبخ وبداية غرفة الجلوس المفروشة بأريكة كبيرة من الجلد البنّي ومنضدة صغيرة للقهوة فحسب. وتتدلّى شاشة تلفاز مسطّحة من فوق نار وهميّة. الجدران مطليّة بالأبيض وقد عُلّقت عليها صور تجريديّة تافهة من تلك التي تشتريها سلاسل الفنادق بكمّيات كبيرة، من النوع الذي يحقّق توازنًا تامًا بين عدم لفت النظر وبين كسر ما يكفي من بياض الجدران العارية.

ستائر حماية الخصوصية الرقيقة مردودة على الأبواب الجرّارة المؤدّية إلى المصطبة الخارجيّة؛ وعندما أحدثت فجوة بينها بإصبع واحدة، شاهدت في الخارج طاولة وكرسيّين، وبقايا شمعة بعطر السيترونلّا. الباب مغلق، لكنّه فتح بسهولة عندما سحبته.

وكان أحد مصباحَي السقف في غرفة الجلوس مضاء.

عمليّة الاستطلاع هذه استغرقتها حوالى أربعين ثانية وتصوّرت أنّه يمكنها الاستمرار عشرين أخرى، أو ما يقرب منها، قبل أن تهدّد القهوة التي شربتها كفطور بمعاودة الظهور.

عادت لي إلى الردهة وفتحت باب الحمّام كلّيًا بحيث انثنى عند جدار الردهة، لكنّها في الواقع لم تلمسه، تحسّبًا لوجود شيء له قيمة الدليل على المقبض سيحتاجون إلى جمعه في الوقت المناسب لعلّه يكون دليلًا.

وبقيامها بذلك، ألقت نظرة على ما ينتظرها وشعرت بشيء يلتوي في مؤخّرة حلقها.

أخذت نفسًا عبر أنفها، محاولة العثور على أيّ من بقايا النعناع، محاولة إقناع عقلها أنّ النعناع هو كلّ ما يمكنها أن تشمّ. فالتقيّؤ داخل قناع الوجه في قلب المسرح لن يكون في الحقيقة منظرًا جميلًا.

لنتتهِ فحسب من هذا الأمر.

نظرت لي إلى الأسفل.

الحمّام من دون نافذة ومصباح السقف مضاء. الجثّة ملقاة على الأرض، والوجه ضاغط على البلاط، والذراعان على الجانبين، مباشرة تحت مرشّة الحمّام. ترتدي ما يبدو أنه جينز وتيشرت، حافية القدمين. شعر بنّي فاتح، في الاتجاه المعاكس لها. تعتقد أنّها تعود لذَكَر، لكنّها لا تستطيع أن تجزم بذلك: ليس لديها منظر كامل ولن تستطيع الحصول عليه من دون التشويش على المسرح، كما أنّ أجزاء من الجثّة مشوّهة بشكل غريب. منتفخة في بعض المناطق وغائرة في أخرى. مرحلة متقدّمة من التحلّل. لا توجد جروح ظاهرة أو دماء، أقلّه من نقطة مراقبتها. تحيط بالجثّة حمأة من السائل المتعفّن وتربطها بفتحة التصريف أشبه بفقاعة الحوار في القصص المصوّرة. الجلد...

ابتلعت بقوّة، مجبرة العصارة الصفراويّة على التراجع، وتماسكت.

تمكّنت من رؤية الجلد على باطن قدميه فحسب، ومؤخّرة عنقه والذراع الأقرب إليها- الذراع اليمنى للضحية- نزولًا من المرفق، لكن هذا القدر سيّئ بما فيه الكفاية. وهو مجعّد على القدمين وبلون أرجواني داكن، ويظهر على الذراع دليل على انزلاق الجلد: باتت الطبقة العليا منفصلة، أشبه بالتقشّر بعد حروق شمس سيّئة جدًّا.

قالت في نفسها إنّه، على الأقل، لا يوجد ذباب. ولو أن ذلك الباب الجرّار تُرك مفتوحًا... لكانت قد باتت الآن في الخارج، محاولة العثور على مكان ليس رهيبًا للتقيّؤ.

الحمّام من الطراز الصغير ذي المرذاذ، وذو أرضيّة مستوية من البلاط الرخامي الأسود. وهناك لوح زجاجي في إطار معدنيّ أسود لحجرة

الاستحمام على مقربة من موقع سابق لباب زجاجي مماثل، وهو مليء الآن بألف حُبيبة من الزجاج أشبه بالماسات الصغيرة المنثورة في أنحاء الأرضيّة كلّها. تمكّنت من مشاهدة بعض القطع تتلألأ في شعر الضحية.

استدارت لتنظر خلفها.

توجد على الجدار خزانة أدوية ذات مرآة. فتحتها، وفحصت محتواها. لم يستغرقها ذلك طويلًا؛ فهي، على غرار بقية الشقّة، شبه فارغة.

بعض أقنعة الوجه ذات الاستخدام الواحد مكوّمة بغير ترتيب على أحد الرفوف. قنينة شامبو مكثَّف. علبة من الضمّادات اللاصقة، وأغلفة من الحبوب الصغيرة الخضر.

اقتربت أكثر، وهي تنتبه إلى مكان خطوها، لترى إذا كان بإمكانها أن تعاين ما هو مطبوع عليها. اعتقدت أنّه 542، ما يؤكّد أنّها ما تبدو عليه: روهيپنول Rohypnol، مخدّر الاغتصاب.

أغلقت الخزانة واستدارت إلى المغسلة.

يوجد فوقها رفّ صغير، ولا يوجد بخلاف ذلك أيّ شيء مخزون. لم يستغرقها كثير من الوقت للبتّ بأنّه لا يوجد شيء آخر في الحمّام باستثناء مستلزمات تنظيف الأسنان (فرشاة واحدة)، بضع لفّات من ورق الحمّام وزجاجة من صابون اليدين، إضافة إلى منشفة حمّام واحدة معلّقة على مشبك عند الباب.

أخذت الرائحة تسحب القهوة بثبات صعودًا إلى مريئها.

استدارت لي صوب الجثّة. الاقتراب أكثر منها سيبعثر الزجاج على الأرضيّة ويعلم اللّه ماذا غيره، لكنّها بذلت أقصى جهدها للانحناء ومعرفة إذا كانت ستحظى برؤية أفضل للرأس و...

تهوّعت عندما كشفت لها هذه الزاوية الجديدة مجموعة بحجم

الكفّ من اليرقات تتلوّى داخل وحول ما بدا أنّه جرح في الرأس قرب الصدغ الأيسر.

أرادت أن تهرب.

أرادت أن تتقيّأ.

أرادت أن تهرب من هنا الآن وهي تتقيّأ، لكنّها أمرت دماغها بأن يحافظ على هدوئه، مجرّد بضع ثوان إضافيّة، فهذا كلّ ما تحتاج إليه...

سمّرت نظرها على بلاط الجدار قبالة الجرح مباشرة وأخذت تحرّكه صعودًا في خطّ مستقيم...

هناك.

على ارتفاع الصدر تقريبًا، فوق الرأس: لطخة بنّية. دم جاف.

احتكاك.

قبل 35 يومًا

دارت كيرا مرّة أخرى في الشقّة، تحصي خطواتها وهي تمضي. بدأت بالمطبخ الصغير، واقفة عند المنضدة وباطن يديها على مسطّح وحيد ليس موقدًا ولا حوضًا: لوح سميك من الفورمَيْكا الأبيض الفاتح كان لمعانه الناعم قد بهت منذ زمن طويل. سارت ثلاث خطوات وها هي في غرفة الجلوس، وهي غرفة طعام أيضًا، وغرفة نوم، ولا يفصلها عن المطبخ إلّا ما كانت رأت أشخاصًا في برامج التصميم المنزلي التلفزيونية يدعونه منضدة الفطور.

خمس خطوات لعبور الأرضيّة إلى الأريكة، وسبع إلى الباب، واثنتان منه إلى الباب الأمامي. استدارت إلى الخلف وأحصت الخطوات الأربع التي سارتها لدخول الحمّام.

أوليڤر أطول منها بقدم، ويمكنه القيام بذلك بخطوات أقل.

وقفت أمام المرآة التي تعلو المغسلة وتفحّصت الزجاج بحثًا عن لطخات. فتحت خزانة الأدوية وحاولت رؤية محتوياتها كما يفعل ذلك أيّ غريب، وقد سبق أن قامت بالأمر ذاته تمامًا، قبل أقلّ من نصف ساعة. لكن، وفي إمعان أكثر في التفكير خلصت إلى أن ضمّادات التقرّح اللاصقة قد تجعله يفكّر بالجلد الأحمر الملتهب، وببشرتها الحمراء الملتهبة بالتحديد وبجروحها النازفة، فدفعتها إلى وراء عبوة من الجل الملطّف للعَيْن حتى اختفت عن ناظريها.

ثم إنّها استدركت وأخفت الكريم المزيل للشعر أيضًا.

كانت، وهي في الجامعة، قد أمضت إحدى عطلات الصيف تعمل خادمة في فندق على الشاطئ وها إن بعضًا مما تدرّبت عليه قد عاد إليها الآن.

اجلسي حيث سيجلس الضيف. تمدّدي حيث سيتمدّد الضيف. شاهدي ما سيشاهده الضيف.

أنزلت غطاء المرحاض وجثمت عليه ونظرت من حولها.

الحمام شبيه ببقية الشقّة: صغير ويعود إلى السبعينيّات، وهو من النوع المدمج. أرضيّته مغطّاة بالمشمّع المتموّج وستارة الدوش معلّقة على قضيب ضاغط موضوع في شكل غير مستقرّ. وكان قد وقع عليها مرّتين في الفترة القصيرة التي كانت أقامت فيها في المكان، وأصابها مرّة مباشرة على جبهتها مخلّفًا علامة حمراء. وكان، على الأقلّ، قد أعيد عزل الجدار مرّة واحدة، لكن ما نتج عن ذلك من لمعان لم ينفع إلّا في إبراز مدى اصفرار بلاط الجدار على مدى السنين.

تفحّصت الأرضية بحثًا عن غبار، أو شعر متساقط، أو قطعة قطن ملطّخة بشمع الأذن.

لا شيء.

ليس في الحمّام نافذة والمروحة لا تعمل، بل هناك فقط منفذ تهوئة ضيّق في الجدار فوق حوض الاستحمام سبق لها أن أزالت الغبار عنه. كانت قد اشترت عبوة صغيرة من معطّر الجو غير المزعج- يزعم أنه برائحة القطن اللطيف، مع أنها لا تستطيع أن تفقه كيف يمكن للمرء أن يشمّ شيئًا على أنه لطيف- لكنّها تتساءل الآن إذا كان مكان العبوة الراهن، فوق حوض المرحاض، يبدو سلبيًّا بعض الشيء... أيبدو أشبه

بطلب؟ وضعتها بدلًا من ذلك على رفّ تحت المغسلة، وأدارت ملصق التسمية إلى الخارج ليسهل إيجادها.

أربع خطوات للعودة إلى غرفة كلّ شيء، سبع خطوات للعودة إلى الأريكة.

جلست بحذر حتى لا تخرّب موقع الأغطية أو الوسادات المنفوشة، وتفحّصت الغرفة بشكل منهجي بحثًا عن غبار، أو نسيج عنكبوت، أو عن أيّ انتهاكات أخرى.

لم تجد شيئًا. لم تعتقد، في اليوم الذي انتقلت فيه، أن هذه الشقّة على هذا القدْر من النظافة.

تساءلت، مرّة أخرى، ما سيكون رأيه. حاولت رؤيتها كما سيراها، كما فعلت قبل أن تتعوّد عليها. وهي، في الواقع، ليست على هذا القدْر من السوء بالنسبة إلى إستوديو في برج سكنيّ متداعٍ. وله نافذة كبيرة تطلّ على سماء صافية لأنّها في الطابق الأخير من المجمّع السكني المبنيّ بالطوب الأحمر وهي الأكثر ارتفاعًا في مدينة كلّ شيء آخر فيها تقريبًا هو أقل ارتفاعًا بكثير. وشمس المساء، الآن بالذات، تملأ الغرفة بنور طبيعي تعكسه الجدران البيض العارية، وتضاعفه. هناك طاولة طعام صغيرة مربعة وكرسيّان، وأريكة منهَكة غائرة، مختبئة في الوقت الراهن تحت غطاء باللون الأرجواني العميق اشترته من 'بينّيز'- أو بالأحرى ثلاثة أغطية لأنها كانت صغيرة وبالتالي تطلّب تغطية معظم الأريكة هذا العدد منها. وهناك طاولة مكتب تُستخدم أيضًا طاولة زينة. وغطّى، ما يبدو أنّه خزانة ملابس مدمجة من خشب الزان، معظم الجدران، لكنها في الحقيقة سرير قابل للطيّ تثبّت ملاءاته ووساداته في مكانها بوساطة أحزمة 'ڤيلكرو'. وتتدلّى بجوار الباب المؤدّي إلى المطبخ قماشة باهتة

طُبعت عليها صورة لشروق الشمس فوق دبلن، لكنّها كبيرة جدًّا على المكان، وقد عُلّقت مائلة قليلًا، وأعلى مما يجب بنصف قدم. لا شيء متناسب. ويوجد قليل من الأغراض الشخصيّة، باستثناء كوب ناسا، خفضت مرتبته إلى حاوية أقلام، وبجانبه كدسة صغيرة من الكتب المستهلكة جدًّا مصفوفة بترتيب.

كانت قد تمعّنت بمظهر كعب كلّ كتاب، وكيف يمكنه أن يجعلها تبدو. تشي المجموعة بروايات عن روّاد أبولو الذين ساروا على سطح القمر، وشركات التكنولوجيا الناشئة التي فشلت فشلًا ذريعًا، والأزمة على متن محطّة الفضاء مير في التسعينيّات، بالإضافة إلى روايات التشويق المثيرة، ورواية أدبيّة ألفيّة ما تزال تحتل قائمة الأكثر مبيعًا على مدى ما يبدو أنه سنوات كثيرة، ونسخة من كبرياء وتحامل (Pride and Prejudice)، هشّة ومصفرّة جراء سنوات من إعادة القراءة.

وكانت قد خبّأت الكتاب الذي تقرؤه راهنًا- وهو قصّة حبّ تاريخيّة- في واحد من أدراج المكتب.

قلّمت مئبر الزنابق المنسّقة في مزهريّة على طاولة الطعام تحسّبًا لعدم معرفته بأنّه يجب أن لا يلمسها، وتحسّبًا لوصوله مرتديًا واحدة من ستراته المحاكة بشعار لاعب البولو الصغير المطرّز عند أيسر الصدر، وانحنائه لتنشّق عطرها.

جالت بنظرها من جديد، لكنها لم تعثر على أيّ شيء في غير مكانه. ويُفترض بهذا أن يمنحها الثقة، لكن كان له تأثير معاكس: يبدو الإتقان غاية في الهشاشة، تستحيل المحافظة عليه، ولو لتلك الدقائق الأخيرة القليلة.

انتقلت عيناها إلى الساعة الرقمية على التلفاز.

إنها تقترب من الثامنة. وهو سيكون هنا في أي ثانية.

خمس خطوات في عودة إلى المطبخ. فتحت الثلّاجة الصغيرة وتحقّقت مجدّدًا من أنّ كأسي النبيذ نظيفتان، لا لطخات ولا رواسب، ومن وجود مكعّبات ثلج في الثلّاجة. وأنّك، عندما تفتح باب الفرن لن تلفحك نفحة كيماويّة من منظّف الفرن قد تشكّ في أنها ستلوّث نكهة الطعام المطبوخ، أو منظر شريحة منسيّة منذ زمن، احترقت وتحوّلت رمادًا أسود.

قالت متوجّهة بكلامها إلى المطبخ الفارغ، «أتعتقد أنّه بذل هذا القدر من الجهد في تجهيز مكانه لكِ؟».

بالتأكيد لم يفعل. لكنّ مكانه جديد تمامًا. وهائل.

عليها أن تعمل لإثارة الإعجاب.

أزّ جرس البيت.

هرعت إلى جهاز الاتصال الداخلي وقالت، «ألو؟» في مكبّر الصوت، كما لو أنّ أحدًا على الإطلاق سيردّ، كما لو أن الضاغط على زرّ الجرس رجل غامض، كما لو أنّه سيكون أيّ شخص غيره.

أخذت نفسًا عميقًا وأمرت نفسها قائلة: يا للعنة هدّئي من روعك.

«هاي»، قال. بدا صوته معدنيًّا عبر مكبّر الصوت. «هذا أنا».

ضغطت على الزر الذي يفتح قفل الباب السفلي وسمعت التكّة الميكانيكيّة المتوافقة مع ذلك عبر مكبّر الصوت.

قالت له، «الطابق السادس»، بالرغم من أنّه كان قد سبق لها أن أبلغته ذلك مرّتين من خلال الرسائل النصّية. وكان الجواب الوحيد هو صوت الباب الثقيل الذي تُرك ليُصفق مقفلًا.

حرّرت الزرّ وعادت إلى الغرفة الرئيسيّة. تحقّقٌ أخير منها. تحقّق أخير من نفسها، في المرآة.

في الوقت الذي انتهت فيه من ذلك، لم تكن بعد قد سمعت طنّة المصعد أو طرقة باب الحريق يترجّح مغلقًا عند نهاية الرواق، ولديها بالتالي الوقت للتحقّق من جديد. وها هي تجد لطخة مسكارا تحت عينها اليسرى. كيف حصل ذلك؟ متى حصل؟

لحست إصبعها واعتنت في مسحها.

رنين.

طرقة.

حان وقت العرض.

فتحت باب مدخلها ومدّت رأسها خارجًا إلى الرواق. كان يرتدي جينزًا وتيشرت وسترة جلديّة سوداء. ويحمل كيس ورق بنّيًا بمسكتيه وهو ممسك بعنق قنّينة نبيذ. لمّا رآها، ابتسم.

في كلّ مرّة تراه هكذا- عن قرب، متّجهًا صوبها، قادمًا إليها- لا يمكنها أن تصدّق حقّ التصديق بأن ذلك يحصل فعلًا.

بأنّه ما يزال يحصل، على مدى ثلاثة أسابيع.

ردّت له الابتسامة، «وجدتني».

«هذه المرّة»، بدا خجولًا. «قد أكون ذهبت في البداية إلى المبنى الخطأ.»...

ضحكت لأنّ ذلك كان بالضبط ما حذّرته منه إذا لم يتبع التعليمات حرفيًّا. فهناك مبانٍ عدّة متماثلة في المجمّع، ولا لافتات عليها القيمة، ومداخل ومخارج كثيرة.

لمّا وصل إليها، تراجعت إلى الداخل ليتمكّن من الدخول.

توقّف للانحناء وملاقاة شفتيها بشفتيه، رافعًا النبيذ وهو يقوم بذلك، ضاغطًا بشرود القنينة الباردة على جنب كيرا. أجفلتها برودتها عبر قماش قميصها الرقيق، كما أجفلها واقع وجود هذا الجسد الذكوريّ الطويل القويّ في أصغر وأضيق مساحة في شقّتها.

في اللحظة نفسها، دار القفل في الباب المواجه لها مباشرة عبر الرواق.

اللعنة.

شُقّ الباب قليلًا، إنشان أو ثلاثة لا أكثر، من دون أن تُسحب سلسلة الأمان الصدئة حتى آخرها. ظهرت من الشقّ امرأة متقدمّة في السنّ- وقد ضاقت عيناها، وشعرها الأبيض مرفوع على شكل كعكة، ويدها الزرقاء- البيضاء ذات المفاصل المتورّمة والأظفار الصفر تمسك بقناع وجه جراحي على وجهها- ولا تظهر إلّا الظلمة من ورائها.

إنّها مورا، التي عيّنت نفسها المسؤولة الرئيسية عن تطبيق القانون في الطابق السادس.

«لا زوّار!»، قالت نابحة.

دفعت كيرا بأوليڤر إلى الداخل، «أعتقد أنّ ذلك يسري الليلة بدءًا من منتصف الليل، يا مورا».

«آه، سيغادر قبل ذلك إذًا، أليس كذلك؟».

«حسنًا، في الواقع... إنّه، آه، ينتقل إلى هنا. وبالتالي سنكون أسرة واحدة الآن».

«لا بأس».

علت ابتسامةٌ وجهَ كيرا، «ليس عليكِ أن تقلقي».

ضاقت عينا مورا أكثر، «لا يحمل معه أيّ شيء».

«ستأتي أمتعته لاحقًا. في الغد».

«لا يوجد متّسع من المكان في الداخل لاثنين».

«سنتدبّر أمرنا».

«أفترضُ أن نايل يعلم بكلّ هذا، أليس كذلك؟».

«يعرف بالتأكيد»، رفعت كيرا إحدى يديها لتلوّح بها وشرعت في دفع الباب لإغلاقه بالأخرى، «عمتِ مساء الآن، يا مورا. أخبريني إذا احتجت إلى أي شيء». وأقفلت الباب.

لمّا استدارت، رأته واقفًا في وسط غرفة الجلوس- غرفة كلّ شيء- متلفّتًا حوله باهتمام شديد. لعنتْ في سرّها مورا على تدخّلها، على إفسادها الخطط التي اعتنت في تصميمها.

أرادت أن تشاهده وهو يرى هذا المكان للمرّة الأولى. أرادت أن تتمكّن من سبر ردّ فعله.

«إذًا، أنا أقيم هنا الآن؟». سألها وهو يبتسم.

«تلك كانت جارتي الرائعة مورا. ولو كنّا في ألمانيا الشرقيّة، لكانت وضعت جهاز الاستخبارات ’ستازي‘ على قائمة اتصالاتها الهاتفيّة السريعة».

«ونايل؟».

«إنّه صاحب العقار».

تظاهر أوليڤر بأنه يمسح جبينه، «واو».

«أقصد، إنّه أيضًا زوجي السابق...»

«صح، صح».

«... ووالد طفلي السرّي».

«آه، افترضتُ».

«بأنّني رزقت بطفل أو بأنّه الوالد؟».

«الأمران، على ما أعتقد».

«لكنّه يسمح لي بالإقامة هنا بلا إيجار، طالما أنّني استمرّ في النوم معه، وهكذا...».

«صفقة جيّدة».

ستعرف أن هذه المزحة ليست على هذا القدر من الظرافة متى عرفتَ شكل نايل».

«وكيف هو شكل نايل؟».

«أستطيع القول إنّه قرابة الخامسة والثمانين».

ضحك أوليڤر.

سبق لهما أن تحدّثا عن علاقاتهما السابقة. أخبرته أنّه كانت لها علاقة واحدة يجدر ذكرها: جاك. التقيا في المعهد. بدآها صديقين، واستمرّا معًا ثمانية عشر شهرًا بعد التخرّج. ولمّا ساءت الأمور أبلغها أنّ المشكلة هي في أنّها لا تريد شخصًا لطيفًا، لكن المشكلة الحقيقيّة كانت في أنّه لم يكن هو كذلك.

قال أوليڤر إنّه كانت هناك فتاة التقاها في الجامعة. واعتقد لفترة طويلة أنّها الفتاة المنشودة؛ لكنّها ذهبت للعمل في الخارج على مدى سنة. وكانا قد تابعا العلاقة من بعد، أو هكذا دفعته للاعتقاد. لكنّها أخبرته يوم عودتها أنّها التقت شخصًا آخر، وانتهى الأمر.

وإذا أُسقِطتْ من الحساب علاقات مؤقّتة مع أشخاص يقيمون في الطابق نفسه، وكلاهما فعل ذلك، لم يعش أيّ منهما رسميًّا مع أيّ شخص آخر. ولا ثقة لأيّ منهما بتطبيقات المواعدة؛ تبادلا بالفعل أفضل رواياتهما المرعبة. وادّعى كلاهما أيضًا أنهما سيّئان في المغازلة- في الحقيقة في أيّ شيء، مرتبط بإقناع شخص آخر بأن يكون معك دون اعتبار لأي شخص آخر- ولكن مرّت حتى الآن ثلاثة أسابيع، وها هما هنا.

«إذًا»، قالت، «أتودّ القيام بجولة؟ لكنّ عليّ أن أحذّرك من أنّها ستستغرق عشر ثوانٍ كاملة».

«أحبّ المكان»، قال وهو ينظر من حوله. «إنّه...».

«يصيب برهاب الأماكن المغلقة؟».

هي لا تجده يصيب برهاب الأماكن المغلقة. ليس فعلًا. أو أقلّه لم تجده كذلك حتى الآن. لكنّها المرّة الأولى التي تستقبل فيها زائرًا هنا، هو، بأقدامِه الستّة الكاملة، وكلّ ما أمكنها التفكير فيه هو كم أنّ المكان يشعره بالرهاب وكم أنّه سيبدو مختلفًا عن المكان الذي يقيم فيه. وتريده أن يعرف أنّها تعرف ذلك، وأنّها ليست ساذجة، أنّها ليست غبيّة.

وذلك السرير. ذلك السرير اللعين. تكاد تكون متأكّدة بأن قامته طويلة جدًّا عليه. ويكاد يمكنها الآن أن تلخّص، بتأكيد، مجريات الأمسية كلّها: ستكون جميلة، وسيبقى، لكنّهما سيستأنفان، من الآن وصاعدًا، روتين قضاء الليل في مكانه الأوسع والأفضل.

ولن تعترض.

قال، «كنت سأقول مدمجة. وهي حسنة التصميم، فعلًا. وأنت لا ترين نوافذ بهذا الحجم في مبانٍ أخرى بهذا القِدَم». وضع الكيس والزجاجة على طاولة الطعام ورفع يديه. «آه، الحمّام؟».

دلّت بإصبعها، «هناك تمامًا».

مضى. وأخذت الكيس والزجاجة ونقلتهما إلى المطبخ.

يقع الحمّام في الجانب الآخر من الجدار الذي وراءها الآن. واستمعت، وهي تفرغ الطعام، إلى دفق المياه من الصنبور. استمرّ لفترة طويلة جدًّا: يقوم بالأمر على أكمل وجه. ولمّا عاد، جلب معه العطر الليموني لغسول اليدين المضاد للبكتيريا.

سألها، «أين تنامين؟».

دلّت بإصبعها، «ذلك هو السرير، هناك».

«ينزل من الجدار؟». بدا متحمّسًا بشكل طفولي للموضوع.

«صدّقني، ستفقد هذه التقليعة وهجها في نحو خمس دقائق».

«كلّ شيء مرتّب جدًّا. لكن أين كلّ أغراضك؟».

شرحت أنّها جاءت إلى دبلن من كورك ومعها حقيبة كبيرة واحدة وحقيبة حاسوبها المحمول. كان يُفترض بأحد أصدقائها أن يأتي ببقيّة أغراضها في ڤان والدها، لكن... لا سفر إلّا للضروريّ فحسب. كان لديها هنا بالفعل بضعة أغراض متفرّقة- قدور ومقالٍ، مكواة ولوح للكيّ، ذلك النوع من الأشياء- وكانت كلّما احتاجت إلى شيء ينقصها تشتريه من محلّات 'پينيز' قبل أن تُغلق. وإلى أن تعود الأمور إلى طبيعتها، ستبقى أغراضها قابعة في صناديق في مرأب منزل أهلها.

«لكنّني، في الحقيقة، أحبّ الأمر كما هو»، قالت. «قد لا أكلّف نفسي عناء جلب هذا القدر منها».

كان قد توقّف عند متجر فاخر للأطعمة الجاهزة يقع قرب منزله واشترى طعامًا جاهزًا لاثنين، لا يحتاج إلّا إلى التسخين في الفرن.

بدا الطبق بأكمله كأنّه يحتوي على اللازانيا، لكنّ الملصق عليه يقول بابوتي*. لم تمتلك كيرا أيّ فكرة عمّا هو، وما يزال ملصق السعر عليه أيضًا. لم تستطع منع نفسها من التفكير في المبلغ الذي يمكن دفعه لقاء كمّية طعام أكبر من السوبرماركت، إذا كنت مستعدًّا لأن تطبخه بنفسك. وهناك أيضًا طبق بلاستيكي من سلطة البيسترو** وقطعتان من كعكة بالليمون. وكان النبيذ قد حاز على ملصق ذهبيّ من أحدهم.

استرقت نظرة إليه.

كان منحنيًا من وسطه، ورأسه مائل جانبيًّا، يقرأ كعب كتبها.

جهّزت الفرن على الحرارة التي يفرضها ملصق بابوتي. سيستغرق وقتًا طويلًا ليحمى؛ ربّما كان عليها القيام بذلك قبل أن يصل. وضعت زجاجة النبيذ على المنضدة ومسحتها بمحرمة مضادّة للبكتيريا. وفعلت الأمر نفسه بعلب الطعام. رمت المحرمة في القمامة وغسلت يديها. أخرجت كأسي النبيذ وسكبت فيهما الخمر قبل أن تضع الزجاجة في الثلّاجة.

ثم عاودت غسل يديها.

إنّه الوضع الطبيعيّ الجديد، ويستحيل على الإطلاق أن يكون طبيعيًّا.

تعتقد أن الزجاجة والعلب الكرتونية لا تشكّل خطرًا، لكّنه يعتقد ذلك. أخبرها أنّه سمع شيئًا عن ذلك على الراديو في سياق الأسبوع وهي كانت من يومها قرأت بضع مقالات على الإنترنت. فالمتاجر مزدحمة كثيرًا هذه الأيّام بحيث أن كلّ البضائع على الرفوف ربّما وُضعت هناك

---

* طبق جنوب إفريقي مؤلّف من لحم البقر المفروم والكاري الحلو يضاف فوقه الحليب وصفار البيض ويخبز في الفرن إلى أن يصير لونه بنّيًا مذهّبًا.

** سلطة خضار وأعشاب مع البصل وعصير الليمون والزيت.

فحسب، ويلتقط الزبائن البضاعة ثمّ يعيدونها إلى مكانها، وربّما كان أحدهم قد عطس عليها...

يقول أوليڤر إن الاحتياط أفضل من الندم. فهو مصاب بالربو، وتلك حالة طبّية كامنة. ولا يريد المخاطرة بالتقاط ذلك الشيء، ولا تريد بالتأكيد أن تكون هي من يصيبه بالعدوى.

حملت الكأسين. خطت خمس خطوات إليه وقالت، «هاك»، وهي تعطيه كأسه. وفيما هو يتناوله، لفّ ذراعه الأخرى حول خصرها وشدّها برفق إليه.

سألها، «أأنت بخير؟».

تنشّقت رائحته، «أفضل الآن».

«أكنت تشاهدين؟».

هزّت برأسها إيجابًا.

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

جاء الإعلان قبل ذلك بساعتين. كان رئيس الوزراء قد قال إنّه لا يريد استخدام عبارة «حَجْر» لكنّ هذا ما هو عليه الأمر في الواقع. فعلى مدى الأسبوعين المقبلين، بدءًا من منتصف هذه الليلة، على كلّ شخص التزام المنزل. يمكنك المغادرة لشراء الطعام، أو لممارسة الرياضة لمدة وجيزة، في نطاق شعاع لا يبعد أكثر من كيلومترين من منزلك، إلّا إذا كنت موظّفًا أساسيًّا، هذا كلّ شيء. لا زيارات لمنازل أخرى، لا ترتيبات للّقاء مع أناس لا يقيمون معهم في منزل واحد... حتى في الخارج.

تعرف كيرا أنّ عليها أن تعالج الذعر الذي يغلي في جوف معدتها من أنّ شيئًا سيّئًا، وسيّئًا جدًّا يحصل، لكنّها منشغلة كثيرًا بالقلق الشديد الذي يعتمل في صدرها في شأن ما سيعنيه ذلك لهما، لها ولأوليڤر.

راودها إحساس بأنّ لديه سؤالها نفسه لكنّه لا يطرحه.

تركت لحظة تمرّ، ثمّ أخرى.

قرّرت بعدها بأنّه لا قدرة لها على مزيد من الانتظار وسألت، «ماذا ستفعل؟».

ولمّا هزّ كتفيه، انقبضت معدتها.

أليسا على الموجة نفسها هنا؟ أكانت مخطئة كلّيًا في قراءة هذا؟

أخذت، وقد ذعرت، في التراجع، في التقليل من شأن الأمر، والكلمات تتدفّق من فمها قبل أن تتمكّن من التفكير فيها.

«أقصد، المسافة أقلّ من كيلومترين من هنا إلى منزلك، وهكذا... يمكنك الذهاب في نزهات وفق المسافات الاجتماعيّة...؟ ربّما؟ أعرف أنّه لا يُفترض بنا هذا من الناحية التقنيّة، لكن لا بأس في ذلك، صحيح؟». ها هو يقطّب حاجبيه؛ واندفعت بالكلام. «هل الأمر على ذلك القدْر من السوء إذا ذهبتُ إلى منزلك وأنت أتيت إلى منزلي؟ فما من أحد منّا سيذهب إلى مقرّ العمل. وما من أحد منّا يواعد شخصًا آخر».

ندمت على الفور على اختيارها هذه الكلمات، ولواقع أنّها سترسل لفحة من الحرارة إلى وجنتيها. فهي تفترض أنّه لا يواعد فتاةً أخرى. «لو أنّنا على اتصال، أحدنا مع الآخر، فلا يمكننا أن ننشر المرض، أو حتى التقاطه... صحيح؟». تمنّت يائسة أنّها لم تنته من قول ذلك وهي تبدو بوضوح تقطر أملًا.

ها إنّ أسوأ مخاوفها قد تحقّق: بالرغم من المدى الجيّد الذي كانت الأمور تسير عليه، فإنّها باتت على مسافة خطوة غبيّة واحدة من إفساد كلّ شيء تمامًا.

تراجع عنها، واعتقدت لبرهة رهيبة واحدة أنّه يعتقد الآن أنّها قد

تكون ناقلة للعدوى، وأنّها كشفت للتوّ عن غير قصد بأنّها شخص مهمِل، وبأنّ غسل يديها وتباعدها الاجتماعي لا يرقيان إلى الدرجة الطبّية.

لكن في تلك اللحظة أخذها بيدها وقادها، سائرين معًا، إلى الأريكة.

جلسا وأخذت رشفة من نبيذها لتمنع نفسها من استفراغ مزيد من الكلام.

«المسألة هي...»، قال وهو ما يزال يمسك بيدها ويعتصرها. «المسألة هي، يا كيرا...».

بربّك، انطقها.

هل يتخلّى عنها؟ أهذا ما هو عليه الأمر؟

أيمكنه أن يتخلّى عنها، وهما بالكاد معًا؟

«لا أريد حقًّا انتهاك القوانين. فهناك سبب لوجودها».

شعرت فجأة بثقل التسليم في أطرافها. كما لو أنّها تنكمش من الداخل، أشبه ببالون منفجر في قلب قوقعة متصلّبة من عجين الورق. وجلّ ما تريده الآن هو خلع حذائها والارتماء على الأريكة وشرب ما تبقّى من النبيذ بمفردها.

تريده أن يغادر.

تريده أن يبقى.

فبالرغم من أنّ الأمور تبدو كأنّها تسير على ما يرام، لكن الحقيقة أن كلًّا منهما لا يعرف الآخر حقًّا. والوضع يكشف ذلك جليًا.

لا يعرف كلّ طرف ما يفعله الطرف الآخر في أوقات كهذه. هل هما ذلك النوع من الأشخاص الذين يرتدون القناع قبل أن يمسي إلزاميًّا، وينظّفون هواتفهم ويمسحون مشترياتهم، أم أنّهما من نوع الذين

يتناولون المشروبات مع الأصدقاء في الحديقة العامة في يوم سبت مشمس ويتهكّمون على كلّ مارّ ممتعض؟

فما بين أفلامهما المفضّلة، والمعاهد التي درسا فيها وإلى أين يأملان الذهاب هذا الصيف، نسي كلّ منهما أن يسأل الآخر: أيّ نوع من الأشخاص أنت في جائحة عالميّة؟

شرع في القول، «ماذا لو...؟».

استدارت صوبه، وقد استولى عليها الأمل في أنّ كلّ شيء لم يضع، لكنّها حاولت عدم إظهاره. بدا غير واثق، أو ربّما كان شديد الارتباك فلا يقول ما في ذهنه.

«ماذا؟»، عاجلته.

«لا أدري إذا...»، وأخذ نفسًا عميقًا وبطيئًا، خرج بعده كلّ شيء باندفاع متسارع. «حسنًا، لديّ غرفتا نوم. أليس كذلك؟ سنكون بخير إذا كنّا في المنزل ذاته. ولن يكون علينا أن نقلق بشأن القوانين. وعلى ما هي عليه الحال، فإنّني عندما لا أعمل أكون معك، ولن يكون الأمر على ذلك التغيير الكبير، أليس كذلك؟». ابتلع ريقه وأضاف، «يجب أن لا يكون ذلك أشبه بشيء فعليّ، فهو مجرّد تدبير مؤقّت. أسبوعان. نعيش كلّ يوم بيومه فحسب. وإذا لم ينجح الأمر، فلا يزال لديك مكانك هنا، لذلك...».

توقّف ونظر إليها بأمل.

أرادت أن تبتسم وتقول نعم لكن عليها، أوّلًا، أن تتأكّد.

«ما الذي تقوله، بالضبط؟».

«ما أقوله هو...»، وشدّ على يدها من جديد. «كيرا، لماذا لا تنتقلين للإقامة معي؟».

قبل 53 يومًا

«وغير ضروري للغاية»، قالت كيرا. «كأن تكتفي بتقديم شراب جيّد وتكون لطيفًا مع الناس وتتوقّف عن كلّ الهراء. لكنّ ذلك من نوع الأشياء... إنّه سرّ. والأسرار تتعلّق بحرمان الناس من أشياء. من الحقيقة، نعم، ولكن أيضًا من الاختبار، المعرفة... أنت تحاول إبقاءهم خارج عصبة الرائعين، وذلك مجرّد...». وتوقّفت كيرا وقد أضاعت، على ما يبدو، حبل تفكيرها. «ليست الأسرار هي التي أحبّها. بل اكتشاف الأشياء الجديدة بالنسبة إلي مع أنّها كانت في الواقع موجودة دائمًا. الأسرار أمر مختلف. الأسرار هدّامة».

الأسرار هدّامة.

حرّكت هذه الكلمات شيئًا.

كان أوليڤر يمتطي، بسرور، موجة من الثمالة الدافئة، الفوّارة بفضل تلك الأشياء التي كانت قد أوصت بها كيرا، لكنّه يشعر الآن بأنّ ذلك يتحوّل إلى سخونة متعبة.

مسحة من العرق البارد على صدغيه، وفورة في وجنتيه.

ذلك اليقين المفاجئ بأنّه ارتكب خطأً فادحًا.

كان قد اختار هذه الحانة لأنّها موجودة في عمق الفندق، ومن المستبعد أن يتردّد إليها عابرو السبيل؛ فالروّاد في معظمهم مسافرون من أماكن أخرى سرعان ما سيعودون إليها. لكنّ بُعده الآن عن الخارج، وافتقاره إلى الهواء النقيّ، جعلا صدره ينقبض ذعرًا.

شعر بعينيها عليه.

نقطة من العرق تهدّد بالسقوط من صدغه الأيمن، ذلك الذي يمكنها رؤيته.

قال بشرود، «أدرك ما تعنين».

كان يُفترض بهذه أن تكون مهمّة لتقصّي الحقائق. كان قد قرّر أن يلتقيها، أن يستخلص ما أمكن من المعلومات ليستخدمها ومن بعدها يحدّد بصورة نهائيّة إذا كانت شيئًا يجب أن يقلق عليه.

في أيّ حال، ذلك ما قال لنفسه أنّه يفعله. كان قد رفض أن يسهب في مقدار تطلّعه قُدُمًا للقيام بذلك.

في البداية، كان كلّ شيء قد سار وفق المخطّط. لم يكن قد كلّف نفسه حجز تذكرتين لذلك الوثائقي؛ فلا فائدة من المخاطرة بهذا النوع من الاتصال لمجرّد الجلوس قربها بصمت في خلال الليل. يحتاجان للتحدّث. كان ينوي أن 'يدرك' أنّه أخطأ في موعد بدء الفيلم ويقترح أن يذهبا لتناول شراب وهما ينتظران، لكنّها كانت قد طرحت عندها موضوع الكوكتيل ومنحته مدخلًا سهلًا.

من الواضح أنّها لا تعي الوقت ولم تلاحظ أنهما يعاقران المشروب حتى وقت متأخّر، والأحسن من ذلك، أنّها لم تبالِ عندما اكتشفت ذلك. كان كلّ شيء يسير على ما يرام.

إلى درجة أنّها نسيت ما كان يُفترض أن يكون.

إنّ محاولته أن يكون طبيعيًّا تفعل ذلك به دومًا. فالادّعاء قد يكون قويًّا. وهو يحبّها، ويحبّ أن يكون معها، ويحبّ الطريقة التي تجعله يشعر فيها.

وذلك سيّئ، لأنّ لا قدرة له على الشعور بالارتياح.

فذلك هو الوقت الذي تبدأ فيه الأمور السيّئة بالحصول.

«عذرًا»، قال وهو ينقل جسمه بعيدًا منها وإلى خارج المقصورة. «أحتاج للدخول مرّة جديدة إلى المرحاض».

قطّبت حاجبيها بعض الشيء، «ثلاث مرّات في ليلة واحدة؟».

«كسرتُ القفل»، قالها بوقار.

«وعليّ في الواقع أيضًا أن أقصد المرحاض. سأذهب فور عودتك».

«يمكنني الانتظار».

«يمكنني الانتظار أكثر»، ولوّحت بيدها. «هيا اذهب».

نزل مسرعًا الدرج المغطّى بالسجّاد، محتفظًا بإحدى يديه على الدرابزين الذهبي. شعر بالأدراج تحت قدميه طريّة وغير مستقرّة، كما لو أنّها غير راسية وتطفو. تقع البوابات الرئيسيّة قبالة الباب الأخير تمامًا، وكذلك البوّاب وزوجان يسحبان حقيبة من سيّارة أجرة. انعطف أوليڤر فجأة إلى اليسار إلى داخل نفق من الرخام المصقول وتوجّه إلى البوّابات الآليّة الجرّارة في أقصى النهاية، نازلًا بسرعة درجتين رخاميّتين، وحاثًّا جهاز الاستشعار الإلكتروني على الإسراع والسماح له بالخروج.

انفصل البابان ببطء مؤلم فاستدار جانبيًّا للمرور عبرهما وخرج إلى الشارع المظلم المهجور.

للشارع مظهر المكان المؤلّف في معظمه من أسوأ جوانب الأماكن الأخرى: أرصفة تحميل، بوّابات خلفيّة، مستوعبات قمامة. وفي الجانب المقابل تمامًا صالون للتسمير محشور بين نادٍ رياضيّ ومتجر للمستلزمات الطبّية، ذلك النوع من المتاجر التي تغطّي واجهاتها الزجاجيّة بدلًا من استخدامها للعرض. والشخص الوحيد الذي أمكنه رؤيته في أي مكان

في الجوار سيّدة مغ درّاجة لشركة التوصيل 'ديليفرو' متوقّفة عند زاوية بعيدة، وقد أنار وجهها الضوء الأزرق لشاشة هاتفها.

شعر ببرودة هواء الليل وبحدّته، وهو يستند إلى أحد الجدران، ويتجرّعه.

سئم من ذلك كلّه، من كونه كذلك. تمنّى لو أنّه يستطيع أن يرضى بنصيبه في الحياة، أن يعقد نوعًا من السلام معه. لأنّه في كلّ مرّة حاول فيها بناء ناووس يدفن فيه الماضي، كان الناووس يتفسّخ حتى قبل أن ينهيه.

فلماذا يستمرّ في تعذيب نفسه بالمحاولة؟

جمد في مكانه عند سماعه خشّة البوّابة الآليّة للمرّة الثانية. اعتقد أنّ كيرا لحقت به إلى الخارج، لكنّها كانت امرأة مختلفة خرجت إلى الظلمة.

إنّها أكبر سنًّا، ونحيلة بتلك الطريقة الضيّقة القاسية، وبشعرها الأشقر الطويل المعقود بشكل ذيل الحصان ويحفّ نزولًا حتى منتصف ظهرها. كانت تنتعل كعبًا عاليًا رفيعًا جدًّا وتحمل محفظة جلديّة كمغلّف كبير تحت إحدى ذراعيها.

خطر له أنّه رجل متعرّق بطول ست أقدام يقف في ظل شارع مظلم مهجور، وذلك في الوقت ذاته الذي استدارت فيه وشاهدته وارتعشت ملامحها رعبًا.

«عذرًا»، قال، رافعًا إحدى يديه، ومتقدّمًا صوب ما أمل في أنّه النور من الداخل. «عذرًا».

تسمّرت في مكانها، وعيناها ترمشان.

تآمرت الفتحة العميقة في أعلى فستانها والضوء الساطع فوق الباب

لإبراز ندبة رفيعة، باهتة، بطول ثلاثة إنشات في أسفل عنقها، واضحة تمامًا، بحيث توحي بأنّها نتيجة عمليّة جراحيّة خضعت لها منذ زمن طويل.

حمله ذلك على التفكير بندبته وبمختلف الأكاذيب التي طُلب منه استخدامها لشرحها.

قال، «لم أقصد إخافتك».

ارتاحت ملامح المرأة وأصدرت صوتًا يتراوح بين الضحك وتنفّس الصعداء.

«يا إلهي»، قالت، «أعتقد أنني أُصبت بأزمة قلبيّة». وسحبت محفظتها من تحت ذراعها وشرعت في التنقيب فيها. «حسنًا، فهمت، أيّها الكون. التدخين مضرّ بصحّتي».

أخرجت من محفظتها علبة سجائر عفا عليها الزمن: غطاؤها قد تمزّق وما تبقّى من كرتونها مجعّد ومشوّه. أخذت منها سيجارتين مرتخيتين ورفعتهما، عارضة عليه واحدة.

«أنا في الحقيقة لا أدخّن»، قال وعينه عليها.

هزّت كتفيها، «ولا أنا».

أخذ السيجارة وأشعلها بالثقاب الذي أعطته إياه: علبة كبريت سوداء صغيرة طُبع عليها اسم الفندق.

لا تكاد عمليّة التدخين الفعليّة تقارب، بأيّ شكل، جودة استباق القيام بها، ومع ذلك جعلته السحبة الأولى يشعر بحال أفضل. أفضل بكثير إلى حدّ أنّه قرّر عدم القلق من أن تشمّها كيرا عليه عندما يعود إلى فوق. سيخترع شيئًا، سيقول إنّه تلقّى اتصالًا هاتفيًّا وخرج لإجرائه، وإنّ شخصًا ما جاء ووقف بقربه ودخّن.

«أتقضي ليلة ممتعة؟»، سألته المرأة.

لم يتمكّن حتى من إرساء جواب حقيقي على ذلك السؤال. وزفر نافخًا الدخان في الليل، بعيدًا منها.

قال، «لا بأس».

«شرب أو عشاء؟».

«شرب»، وأخذ سحبة أخرى. «أكثر مما يجب، ربّما، وأنت؟».

«عشاء».

«كيف هو؟».

«الطعام رائع»، قالت، «لكنّ الرفقة بغيضة».

«موعد سيئ؟».

ضحكت بحدّة، كما لو أنّ فكرة كونها في موعد منافية للعقل تمامًا.

«ربّ عمل سيّئ. وظيفة سيّئة. أمر خاص بالعمل».

«وماذا تفعلين؟».

أخذت نفسًا قصيرًا خفيفًا من السيجارة، «أنا نوع من صائدي الرؤوس». وأخرجت غمامة كثيفة من الدخان. «توظيف. شؤون ماليّة. كلّ تلك الأمور المملّة». أمسكت بالسيجارة قريبًا من وجهها وراقبت البصيص البرتقالي على رأسها يحترق عبر الورقة. «في أيّ حال، كان طعامًا مجانيًّا وسهرة في الخارج. وقد لا نحظى، بالشكل الذي تسير فيه الأمور، على كثير من ذلك بعيدًا من الإيمان، وبالتالي...». أخذت سحبة أخرى وجفلت.

«أنتِ فعلًا لا تدخّنين»، قال أوليڤر. «أليس كذلك؟».

«أواضحة أنا إلى هذا الحدّ؟ كلّا. ليس بانتظام. أحبّ الرائحة فحسب

وكيف أن ذلك يشكّل عذرًا متينًا للابتعاد عن الناس عندما تدعو الحاجة وبعدما تكون قد استنفدت بالفعل العدد المقبول اجتماعيًّا من المرّات التي تذهب فيها للدخول إلى الحمام. إنّها فسحة هروبي الباهظة الثمن 'السيّئة-جدًّا-لكِ'». أطفأت سيجارتها على الجدار، ونظرت إلى ما تبقّى من سيجارته. «إذا كان طعمها شبيهًا بطعم الشريط اللاصق للمغلّف، فربما لأنها موجودة في محفظتي منذ زمن عيد الميلاد، على الأقلّ».

«طعمها جيّد»، قال. «شكرًا».

«أأنت في موعد؟».

توحي النظرة التي رمقته بها وهي تسأل بما هو أكثر من مجرّد فضول.

قال، «الحقيقة هي في أنني لا أعلم بالفعل».

لكنّه أضاف بصمت، آمل ذلك، وهو ما فاجأه.

ثمّ أصابه بالقلق.

«حسنًا...»، لوّحت له قليلًا واستدارت صوب الباب. «مهما يكن ذلك، استمتعْ بما تبقّى من ليلتك».

عاد إلى الأعلى بهدف إنهاء هذه الأمسية في أوّل فرصة متاحة. دفع الفاتورة فيما كيرا في الحمّام حتى لا يؤدّي دفعها لاحقًا إلى تأخير مغادرتهما. طلب من النادل أخذ ما تبقّى من كوكتيله، وشرب من كوب الماء محاولًا التخفيف من سيطرة الكحول الراهنة على مجرى دمه. صمّم على أن يبقى يقظًا مهما استغرق ذلك من الوقت إلى أن يحظى بلحظة طبيعيّة يقترح فيها أن يغادرا، جالسًا بتصلّب، وانزعاجه بمنزلة تذكير بأنّ هذا ليس وضعًا عليه أن يسترخي فيه.

لو أن كيرا لاحظت تغيّرًا فيه فإنّها لم تفصح عن ذلك. وهي، على الأقل، ثملة بعض الشيء أيضًا. تبدو عيناها مختلفتين الآن، حدقتاها أكثر اتساعًا من قبل، وهي بين الفترة والفترة تتعثّر بالكلمات أو تتأتئ مرّة أو اثنتين قبل أن تتلفّظ بها.

ربّما لم تكن على هذا القدر من شدّة الملاحظة. فهي لم تسأل عن سبب غيابه أو يبدو أنها لم تشتمّ رائحة الدخان على ملابسه أو في نَفَسِه. لم يكن عليه حتى أن يُتعب نفسه باختلاق كذبة لشرح ذلك.

كذبة أخرى.

مزحت في شأن الطبيعة الأشبه بالبدعة لبرنامج التوجيه في شركتها بينما كان يراقب المستوى في كأسها. وفيما رفعتها إلى شفتيها لإفراغ آخر جرعة، اقترح أن يغادرا.

هزّت رأسها بحماسة، «بالتأكيد. فلنفعلْ».

بدت مشيتها غير متوازنة بعض الشيء، فوضع يده على ظهرها ليوجّهها بلطف إلى الدرج ومن ثمّ نزولًا عليه. كانت تحمل معطفها على ذراعها وأمكنه الشعور بحرارة بشرتها من خلال قماش فستانها الرقيق.

وتساءل عمّا تشعر هي به.

واجها انعكاس هيئتيهما في زجاج الباب الداكن، وأدهشه كم أنّهما يبدوان جميلين، مقترنين معًا.

وأدهشته من ثمّ، السرعة التي حصل فيها ذلك.

قبل ثلاثة أيّام، لم يكن أحدهما يعرف الآخر. وها هي الآن بجانبه، تسمح له بلمسها، وتخبره أشياء عن نفسها. بدت سرعة حصول ذلك خطرة، أشبه بسيّارة سباق تبلغ منعطفًا حادًّا وكوابحها لا تعمل.

غادرا الوهج الدافئ للفندق وشقّا طريقهما عبر الأبواب الدوّارة إلى ظلمة الليل.

وسأل البوّابَ، وهو غير ذلك الذي كان من قبل، «أيمكننا طلب سيّارة أجرة؟».

استرق نظرة إلى وجه كيرا لكن لم يبد عليها أيّ ردّ فعل على هذا.

خطا البوّاب إلى الشارع ولوّح لشيء غير مرئيّ عند الزاوية. أضاءت أنوار المصابيح الأماميّة نصفه الأسفل، ثمّ توقّفت سيّارة الأجرة وظهرها إلى الباب. وقبل أن يتمكّن البوّاب من القيام بذلك، تقدّم أوليڤر وفتح الباب الخلفي مشيرًا إلى كيرا بالدخول.

وجّهت له ابتسامة امتنان وهي تصعد، غير أنّ الخيبة ظهرت على وجهها عندما أقفل الباب ولم يتحرّك للدوران من حول السيّارة والصعود من الجانب الآخر.

انحنى، ويده على سطح السيّارة، إلى أن بات وجهه قبالة وجهها.

«سأسير عائدًا إلى المنزل»، قال كاذبًا.

«آه»، وبدا أنّها تنكمش خيبة. «بالتأكيد. نعم».

«أمتوافرة أنت مساء الخميس؟»، سألها. «يمكننا في الواقع أن نمضي ونشاهد الفيلم هذه المرّة».

لا ينوي رؤيتها من جديد. لكنّ الدعوة ستجعل هذه اللحظة أكثر ارتياحًا وذلك كلّ ما يمكنه التفكير فيه الآن بالذات: انتشال نفسه من هذا بأقل قدر ممكن من الاحتكاك.

هزّت برأسها، وابتسمت ابتسامة وجيزة، «نعم».

«سأبعث لك برسالة نصّية».

«حسنًا. عظيم».

«ليلة سعيدة».

«ليلة سعيدة».

أقفل الباب وانتقل إلى نافذة السائق المفتوحة. أخرج ورقة العشرين من جيبه وأسقطها عبر النافذة على المقعد. تجهّم السائق منها، ثمّ رفع نظره إليه متسائلًا. فأشّر له بيده أنّه لن يصعد. هزّ السائق كتفيه وتحرّك لحلّ فرامل اليد.

لوّح أوليڤر لكيرا مع انطلاق السيّارة.

يعتقد، في شكل من الأشكال، أنّه كان محظوظًا. فحديثها عن ذلك الأمر المتعلّق بالأسرار أخرجه من... أيّ ما كان فيه في وقت سابق من الأمسية: إحساس كاذب بالأمان. تهاون. تحت تأثير نوع من السحر.

كان مستمتعًا، وتلك كانت المشكلة. كان مستمتعًا بها.

انطلق إلى شارع غرافتون؛ ليستقل من هناك سيّارة الأجرة الخاصة به. كان بإمكانهما حقًّا، أن يتشاركا في واحدة، لكنّه ليس متأكّدًا من مكان إقامتها، ولا يمكنه المخاطرة بكشف عنوانه لها.

فأن يسترسل لنصف ساعة، شيء، وأن يقوم بأمر غبيّ إلى أقصى حدّ قد يجبره على البدء مرّة أخرى من جديد، فشيء آخر.

من جديد.

اليوم

بدأ الشارع خارج المدخل الرئيسي للكروسينغز يعجّ بالنشاط. كان الدعم الذي طلبته لي قد وصل رفقة أفراد من مكتب الأدلّة الجنائيّة. شاهدت ضابط ساحة الجريمة وهو يُنزِل المعدّات من مؤخّرة الڤان، وإلى جانبه يقف توم سيرسون، أحد الأطباء الشرعيين في المقاطعة. لوّحت له؛ ولوّح لها. كانت شرائط الشرطة الزرق والبيض ترفرف في الهواء، وقد رُبطت أطرافها حول الدرابزينات وأعمدة الإنارة وأقماع المرور. كان مرتدو البزّات يدورون في المكان بقمصانهم ذات الأكمام القصيرة، بالرغم من برودة الهواء في شمس الصباح الباكر هذا. وكان اثنان من المتطفّلين المكتوفي الأيدي واقفين في الجانب الآخر من الطريق، لكن لا وجود للصحافيّين بعد، بالرغم من كلّ ما يجري هنا، وبالرغم من أنّه لا يحصل شيء آخر في أيّ مكان في البلاد باستثناء قيام وزارة الصحّة بتعداد ليلي للمتوفّين، لكنّها بالتأكيد مسألة وقت قبل أن يصلوا.

فوجئت بأن الشرطي مايكل كريدون قد عُيّن مسؤولًا عن كتابة المحضر الذي فرضته الشرطة- صديق لطيف ونظيف، ويوحي ببعض من السطوة- وشعرت باهتزازة دافئة من الفخر لفكرة أن كارل ربّما قام بأمر لطيف وإنّ ذلك حصل لأنه استمع لها.

أو أنّ صلاتها قد استُجيبت.

كان مايكل يتحدّث إلى صاحب بزّة آخر؛ عرفته لي لمّا صارت على مقربة منهما. إنّه دكْلان، والقناع يتدلّى الآن من حول عنقه. يبدو أقلّ

شيئًا من المرّة الأخيرة التي التقيا فيها. أومأت له برأسها وهي تنحني للمرور من تحت الشريط، ثمّ، وفي الوقت تمامًا الذي أدارت برأسها بعيدًا، لمحتهما يتبادلان النظرات. كان يكفي أن تطرف بعينها ليفوتها ذلك، لكنّ المحتوى كان مكتوبًا أيضًا على وجهيهما.

مايكل: قل لها.

دكلان: اللعنة عليك، اخرس.

توقّفت على بعد خطوات واستدعت دكلان بهزّة من رأسها. وهذه محادثة صامتة أخرى يجريها قبل أن يطيع الأمر.

آه، رائع. شكرًا لتوريطي.

لا تجعل الأمور أكثر سوءًا.

سألته، «كيف سارت معك الأمور هناك؟».

هزّة كتف، من دون اتصال بصري. «لا بأس».

«هل لمست شيئًا؟».

«كنت أضع قفّازين».

هذا ما في الأمر إذًا.

«ذلك لا يجيب عن سؤالي»، قالت لي. «فالقفّازات تترك آثارًا هي الأخرى. ويمكنها أن تلطّخ البصمات أو حتى تتلف أدلّة حيويّة من الناحية الجنائيّة. لكن جميعنا نرتكب أخطاء. وقد تكون محظوظًا، لأنّه لو توجّب عليّ تسمية الأشياء هنا، فإن ظنّي سيكون أنّ هذا الشخص تعاطى المخدّر للمتعة والتسلية ثمّ وقع عبر باب حمّامه وصدم رأسه. وبالتالي فإنّ ذلك لن يكون مهمًّا البتّة. لكن أنت لا تقرر ما هو المهمّ. هذه وظيفتي. فقل لي، ما الذي لمسته؟».

مرّت لحظة قبل أن يسقط تظاهره بالشجاعة ويعترف.

«أعتقد أنّني ارتكبت خطأ»، تنحنح دكلان. «أعرف أنّني فعلت».

«حسنًا، لا ترتكب خطأً آخر الآن». ونظرت إليه لي بترقّب، وهي تنتظر.

«كان الدوش يقطر»، قال. «لم أفكّر، كان الأمر ردّ فعل تلقائي...»

«أغلقتَه؟».

«نعم»، قال ببؤس.

حاولت تصوّر أداة التحكّم بالدوش: ذراع مسطّحة تدفعها إلى أسفل لوقف تدفّق المياه.

«أرِني كيف».

أغلق قبضته ودفعها برفق إلى مسطّح غير مرئي. وأغلب الظنّ أن طرف يده هو الذي قام باللمس.

«آسف، أيّتها المفتّشة».

«لا تقلق في هذا الشأن الآن. أمكنني أيضًا أن أفعل الشيء ذاته». لم تكن لتفعل، لكنها ربّما كانت لتفعله عندما كانت غرّة مثله. «لو لم تكن الأمور كريهة إلى هذا الحدّ لتركت المسعفين يدخلون فيقلبونه وغير ذلك، وكنّا سنضطرّ إلى التعامل مع مزيد من البلبلة أكثر من تلك التي نتعامل معها الآن. هذا هو نوع الأمور التي لن تقوم بها مرّتين، وبالتالي فإنّك في المرّة المقبلة، عندما يكون ذلك مهمًّا بالفعل، لن ترتكب الخطأ ذاته». وهي تأمل في ألّا يكون الأمر مهمًّا في هذه المرّة، لمصلحتهما معًا. «كن، في المستقبل، أكثر حَذَرًا. لقد أحسنت في عدم تقيّؤ ما في أمعائك. كانت الأمور بغيضة جدًّا هناك».

رأت، من فوق كتفها، كارل وهو يقترب. صرفت دكلان وخطت بعيدًا لتتمكّن من التحدّث إلى كارل من دون أن يسمعهما أحد.

افتتح كارل حديثه بالقول، «عمّا كان ذلك كلّه؟».

«لا شيء مهمّ. أين كنت؟».

«موقف السيّارات. الطابق السفلي».

«أيّ شيء مثير للاهتمام؟».

«تحتاجين إلى بطاقة ممغنطة للدخول، لكنّ أجهزة الاستشعار تسمح لك بالخروج. وقد خُصّص مكان لكلّ سيّارة، ولا توجد واحدة في الرقم واحد. لكنّه ليس فارغًا- فالفرع المحلّي لسلسلة سوبرماركت 'ليدل' ينقصه عربة تسوّق وعربة التسوّق تلك ينقصها دولاب. ما يدفعني إلى الاعتقاد...»

أتمّت لي كلامه بالقول، «بأنّه كان فارغًا منذ مدّة».

«وبالتالي فإمّا أنّ أحدًا أخذ السيّارة، وإما أنها لم تكن موجودة أصلًا. علينا انتظار ما في كاميرات المراقبة للتأكيد. أيّ خبر من الشركة التي تتولى الإدارة؟».

«ليس بعد. وإذا لم أسمع منهم في الدقائق الخمس التالية سأرسل سيّارة لعينة إلى المكتب. تبًّا لرقم الطوارئ».

«هل هم»- وصوّر كارل بيديه علامة اقتباس- «موظّفون أساسيّون؟ لأنّهم إذا لم يكونوا، فلن يوجد أحد هناك».

«لعلمك، أنا لا أظنّ أنّ الشقة رقم 1 هي مقرّ إقامة دائمة. يكاد لا يوجد فيها أيّ شيء، لا أغراض شخصيّة، وهي مزيّنة بشقّ النفس... وفي ذهني أنّها أشبه بشقق Airbnb. وهو ما يتوافق مع عدم وجود سيّارة، صحيح؟ وأنّه ما من أحد لاحظ أنّ هذا الشخص مختفٍ منذ الأسبوعين

الأخيرين. ربّما لم يكن يُفترض به حتى أن يكون هنا. وربّما وقع عندما بدأ العمل بالحَجْر».

«أسبوعان؟»، ظهر الاشمئزاز على وجه كارل. «هل تقيّأتِ؟».

«يبدو أنّه مرّ كلّ ذلك الوقت. وشممت الرائحة، أيضًا. واهتمامك مؤثّر، لكن لا. أمّا أنت فكنت ستفعل».

«من تأثير الكحول، نعم. ربّما. فماذا لدينا إذًا؟».

«جثّة ذكر»، قالت لي. «أعتقد. ممدّد ووجهه إلى الأسفل في الحمّام. راكع، في الحقيقة. الباب الزجاجي محطّم بالكامل، من نوع زجاج الأمان، وبالتالي انتشرت حبيبات الزجاج في كلّ المكان. جرحٌ في الرأس، وهو حاليًّا مقصف فطور لليرقات، بما يتّفق مع سقوطه عبر باب الحمّام واصطدام رأسه بالجدار».

«حادث، إذًا؟».

«ربّما».

«أكانت مرشّة الدوش تعمل؟».

«لا»، قالت لي بعد لحظة. وهذا صحيح من الناحية التقنيّة. فنزول الماء قطرة-قطرة-قطرة من مرشّة غير-محكمة-الإقفال-تمامًا لا يعني أن المرشّة تعمل. «واحزر ما لديه في خزانة دوائه؟ ستحبّ ذلك: روهيبنول».

رفع كارل حاجبيه، «ماذا، بحق الجحيم، يفعل بها؟».

«السقوط عبر باب الحمّام، بحسب تخميني».

«لكن لماذا يخدّر المرء نفسه؟».

«لا أدري»، قالت. «سأم من الحَجْر؟ ربّما كان يمقت فطيرة الموز. ما يضايقني هو أنّ باب الشقّة كان غير موصد، مشقوقًا إنشًا أو ما شابه».

«إذًا»، هزّ كارل كتفيه. «ربما ترك الباب ليغلق خلفه لمّا دخل لآخر مرّة الشقّة ولم يدرك أنّه غير موصد».

«وبأنّه كان مرتديًا ثيابه. في الحمّام».

«الحمّام الذي يُحتمل أنّه وقع فيه».

«ربّما».

قال كارل، «هناك دومًا أمر لا يتلاءم».

«في أيّ حال لدينا ما أُعلنَ رسميًّا بأنّه مسرح جريمة. سبق لي أن اتصلت بالمفوّض. أعتقد بأنّه هو الآخر يظنّ بأنّه حادث، لكنّ الوقاية خير من العلاج».

«هل أخبرته عن التوأم؟».

هزّت لي برأسها، لا. «لم يخطر لي ذلك».

«سيخطر. الوسخ يطفو دومًا على السطح في مآل الأمر».

«لا يعني ذلك، في الوقت نفسه، أنّه عليّ بلوغه والتقاطه بيدي العارية، أليس كذلك؟ وماذا عن استجواب السكّان؟».

«بدأ للتوّ»، قال كارل. «الجميع في منازلهم، ولذا سيستغرق الأمر وقتًا».

«وعمّ نسأل؟».

«مَن المقيم في الشقّة واحد؟ ومتى كانت آخر مرّة يرونه فيها إذا كانوا قد رأوه؟ وهل كان هناك في الأسابيع القليلة الماضية ما يثير الريبة أو خارجًا عن المألوف؟ إلخ. إلخ. إلخ... الأمور العاديّة. أعتقد أنّها في المجموع خمسة أسئلة».

«وكم عدد الذين كلّفتهم بذلك؟».

«ثلاثة أزواج. واحد في كلّ طابق».

«هل ذكّرتهم بالبقاء في الخارج؟ أن يتحدّثوا معهم من الرواق؟ أن يضعوا أقنعتهم؟».

«وهل أنا أمّهم؟»، وتسمّر نظر كارل على شيء ما من فوق كتف لي الأيسر. «مهلًا. حساب من على إنستغرام الذي دبّت فيه الحياة؟».

لم يكن لدى لي أي فكرة عمّا يعنيه، لكنّها عندما استدارت رأت رجلًا يقترب من مايكل. هو في آخر العشرينات من عمره، يرتدي بزّة مع ربطة عنق، وساعة فضّية كبيرة. ولمحة من جوارب من آخر ابتكار. كان كلّ ما يرتديه على قياسه تمامًا بحيث خشيت من أن ترتكب جريمة جنسيّة بمجرّد النظر إليه. كيف يمكنه الجلوس من دون تمزيق الدرزة؟ وكيف يرتديها في الأساس؟

«إذا لم يكن هذا وكيلًا عقاريًّا»، قال كارل، «فأنا سأتوقف عن تناول الخمر. لماذا يرتدون دومًا ثيابًا كما لو أنّ لديهم وظيفة أفضل؟».

«لتسويق الشعور بالثروة والثقة. فالعقار هو التسوّق الأغلى ثمنًا الذي ستقوم به. أما أنا، فكان عليّ أن أدخل إلى مكان مقفل في أثناء الوباء للنظر إلى جثّة متعفّنة بات لها أسبوعان وهي تتحلّل، ربّما علينا أن ندع الوكيل العقاري وشأنه، آه؟».

كان مايكل يدلّ عليه وعلى كارل، وهو يرسل الرجل ذا البزّة الضيّقة جدًّا إليهما.

«كيفن أوسوليڤان»، قال، «من إدارة ڤيڤا پروپرتي». ومضى ليمدّ يده، لكنّه استدرك وقبضها، ثمّ خطا خطوة إلى الوراء على سبيل الاحتياط. «آسف، فأنا استمرّ في القيام بذلك»، نظر من حوله. «ما الذي يجري؟ ماذا حصل؟».

«لديك جثّة متحلّلة في الداخل»، قال كارل بشكل قاطع.

«سيّد أوسوليڤان»، خطت لي نصف خطوة إلى الأمام ودسّت نفسها بين الرجلين قبل أن يتمكّن كارل من قول مزيد. «أنا المفتّشة في المباحث ليا ريوردان، وهذا زميلي الرقيب المفتّش كارل كونولّلي. تلقّينا اتصالًا هذا الصباح أخبرنا عن رائحة منبعثة من الشقة رقم 1 التي كان بابها الأمامي غير موصد أيضًا. ولمّا وصلنا، وأنا آسفة للقول، عثرنا على شخص متوفٍّ في الداخل. وبدا أنّه كان قد مضى عليه هناك بعض الوقت».

بدا كيفن مرعوبًا ومذهولًا في آن.

«اللعنة»، قال، واضعًا يده على فمه. فقالت لي في قرارة نفسها، توقّف عن لمس وجهك.

«ماذا حصل؟».

«لا نعرف بعد».

«هل هي جريمة؟».

«سنكتشف ذلك قريبًا. أيمكنك أن تخبرنا من الذي يقيم هناك؟ فالتعرّف على هويّة المتوفّى وإبلاغ عائلته هما أولويّتنا القصوى عند هذا الحد».

«آه، نعم...». نقّب كيفن في سترة بزّته، وسحب بعض الصفحات المطويّة التي تحتوي على جدول بالأسماء. تفحّصها. «آه. في الحقيقة، لا، لا يمكنني أن أقول لكما. لا يوجد اسم شخص لهذه الشقّة. إنها مؤجّرة لشركة كي بي استوديوز في شارع باغوت. أعتقد أنها شركة مهندسين... وسيعرفون من كان يقيم فيها».

نظرت لي إلى كارل الذي أومأ برأسه وخطا مبتعدًا.

«بمعنى؟»، قالت لكيفن. «هل استأجروها لبضعة أسابيع، لشهر؟».

«كلا، إنّها معهم منذ زمن بعيد. سأقول، منذ البداية، من حوالى السنتين. لديهم اثنتان، بعقد إيجار لاثني عشر شهرًا لكنهم يستخدمونهما لفترات إقامة أقصر». وفيما هو يتحدّث إليها استمرّت عيناه في الزوغان من فوق كتفها إلى حيث كان ڤان الأدلّة الجنائيّة مركونًا. «لمجرّد أن تكونا في تصرّفهم، أتفهمين؟ انتقال، زوّار من الزبائن، ذلك النوع من الأشياء. يمكن لأحدهم أن يبقى لثلاثة أشهر، أو لليلة واحدة».

«وماذا عن التنظيف بين الإقامات؟».

«نعم يفعلون ذلك»، قال كيفن. «وهو يتمّ من خلالنا. لكن ليس في الوقت الراهن. ليس منذ بدأ الحَجْر».

«أخبرني عن كاميرات المراقبة».

«لدينا ذلك، نعم».

قاومت لي الرغبة في الإشارة إلى أنّها تعرف ذلك، وبأنّه يمكنها أن ترى بأم العين كاميرات الرؤية الواسعة المركّبة من حول المجمّع.

«أريد أن أرى ذلك»، قالت موضحة. «التسجيلات».

تردّد، «هل يُفترض بي، كما تعلمين، أن أريها لك؟ ألا تحتاجين، مثلًا، إلى مذكّرة أو...».

«ذلك موجود في برامج التلفزيون فحسب، يا كيفن».

«أوه»، واحمرّ وجهه. «صحيح. سيكون عليّ، إذًا، أن أذهب وأحصل لك على التسجيل. فالمراقبة تتمّ خارج الموقع».

«وكم سيستغرق ذلك من الوقت؟».

«إنّها في الخارج على مقربة من المطار، وربّما ستستغرقني ساعة

للمضيّ إلى هناك والعودة؟ لكنّني لا أعرف الوقت الذي سيستغرقني لتحميلها. كم تحتاجين؟».

«إلى أن تعود؟».

قطّب كيفن حاجبيه مفكّرًا، «سبعة أيام، ربّما؟».

«سآخذ بأبعد ما عندك، كلّ الكاميرات. إذا أوقفك أحد، أخبرهم الحقيقة واعطهم اسمي، مفهوم؟ هاك». أخرجت من سترتها بطاقة عمل نموذجيّة في حالة شبه مزرية وأعطتها له. «أرهم هذه. أيوجد في الموقع شخص مسؤول عن الصيانة، شخص يمكنه فتح أيّ باب مقفل، ويعرف كيفيّة تعطيل إنذار الحريق، وغير ذلك من الأمور؟».

«لدينا شخص»، قال كيفن. «سيكون على السمع».

«أيمكنه المجيء إلى هنا الآن؟ سنحتاج إلى مساعدته».

«سأبلغه بذلك».

«بأسرع ما يمكنه، مفهوم؟».

هزّ كيفين برأسه بقوّة كما لو أنّه كُلّف للتوّ بمَهمّة إنقاذ أرواح، واستدار بحدّة على عقبيه.

وبذهابه، عاد كارل للانضمام إليها، معيدًا هاتفه إلى جيبه.

قال، «إذًا، كي بي استوديوز هي بالفعل مؤسّسة مهندسين. رقم المكتب يعيد التحويل إلى هاتف محمول لموظّفة استقبال موجودة في المنزل. وهي لا تعرف شيئًا، وتقول إنّ هذا النوع من المعلومات بحوزة مدير المكتب. وستطلب منه معاودة الاتصال بي».

«لدينا مشكلة».

شخر كارل، «مشكلة واحدة فقط؟».

«لا تعود تسجيلات كاميرات المراقبة إلّا إلى سبعة أيّام».

«حسنًا، إذا كانت حادثة، فلن نحتاجها. ويبقى، ماذا؟ ما يقرب من المئة وسبعين ساعة من الفيديو سيكون علينا مشاهدتها؟ أكاد لا أستطيع الانتظار».

تنهّدت لي، «وأنا التي كنت أفكّر في إمتاع نفسي الليلة بطعام جاهز وبالاستلقاء على الأريكة...».

«لماذا؟ هل بسبب استراحتك المستحِقّة من حياتك الاجتماعيّة الصاخبة؟ أتعرفين، كنت أفكّر في شأن هذا الصباح، يا لي، ألاحظت أننا في حالة حجر؟ أي، كيف تبدّلت حياتك، في الواقع؟».

«متى كنت تفكّر بهذا؟ هل كان ذلك قبل أو بعد أن خلّصتُ مؤخّرتك العارية من زوجَيْ الأصفاد؟ أم بعد ذلك؟».

«لكان كلانا أصيب بصدمة نفسيّة أكثر حدّة بكثير لو أنّهما كانا في أي مكان قريب من مؤخّرتي».

«الحمد للّه على مراحمه».

«إذًا، تمهّلي، لا نمتلك تعريفًا بالهويّة؟ أما كانت هناك أيّ محفظة أو...».

«هناك مغلّف في علبة البريد»، قالت لي وقد تذكّرت. «لكنّه ليس مقرّ إقامة دائمًا، حتى أنّه ربّما ليس له. يمكن أن يكون مجرّد بريد دعائي». أومأت برأسها في اتجاه المبنى. «لنمضِ ونتحقّق».

أشار كارل صوب الطوق، «من بعدك أيّتها الرئيسة».

قبل 34 يومًا

استيقظت كيرا في وقت مبكر من الصباح التالي في دفء سرير أوليڤر.

كانا، بعد العشاء، قد أنهيا النبيذ، وتأسّفت من بعدها لعدم وجود مزيد منه. كان أوليڤر قد اقترح أن يتمشّيا إلى متجر بيع الكحول، واقترح، من ثمّ، بلطف، أن يتابعا بعد ذلك إلى منزله. كانت قد أمضت النهار بطوله تنظّف شقّتها من أعلاها إلى أسفلها، وأنفقت مالًا على أشياء لا تحتاجها- مثل ثلاثة أغطية أرجوانية قبيحة- لأنّه لم يسبق له أبدًا أن زارها في شقّتها، لكنّه كان، في الأيّام العشرة الماضية على الأقل، يصرّ على رؤيتها. بات الأمر مزعجًا بعض الشيء، فاستسلمت. وها هو الآن، بعد ساعتين على وصوله إلى هنا، يقترح أن يغادرا.

قال ممازحًا، «يمكنك أن تلقي نظرة على غرفتك الجديدة».

لقد سبق لها أن رأتها، لكن لا يمكنها أن تخبره ذلك. فقبل بضعة أيّام، كانت، وهو في الحمّام، قد ألقت نظرة خاطفة وراء الباب الوحيد في شقّته الذي يبدو دائمًا مغلقًا. لم يكن يوجد في الجانب الآخر أي ما هو أكثر إثارة من غرفة نوم إضافيّة.

سرير مفرد ذو نوابض، من دون لوحِ رأسٍ، مدفوع إلى أحد الجدران في مواجهة خزانة ملابس مدمجة. الفراش نظيف جدًّا وهناك غطاء واقٍ ما يزال مطويًّا بعناية في تغليف بلاستيكيّ موضوع عند أحد الأطراف. ستائر النافذة الدوّارة مسدلة إلى الأسفل تمامًا وكانت تفوح من الغرفة رائحة خفيفة من الطلاء الجديد، كما لو أنّه لم يقم أحد هنا لأي فترة من الوقت.

قالت له، «أنت لا تريد النوم في سريري-الذي-ينزل-من-الجدار، هذا هو الأمر، أليس كذلك؟».

ابتسم، «أوه، لن يكون لديّ مشكلة في النوم فيه...».

ضحكت ونظرت بعيدًا كي لا يرى وهج الحرارة الفجائيّ على وجهها.

لم يعد الجنس بينهما أخرقَ ومتخبّطًا بالقدر الذي كان عليه في المرّتين أو المرات الثلاث الأولى، عندما جاء أشبه بالنقطة على السطر في نهاية السهرات مع كيرا، عارفَين ما سيأتي، ومتأكّدين من معاقرة ما يكفي لجعله ممكنًا، لإسكات الأجزاء التي صرخت بأنّه ليس عليهما القيام بذلك، والتي تفاعلت كما لو أنّ لبشرتها حساسيّة على لمسة أوليڤر. كانت قد عمدت إلى إغماض عينيها، وإلى محاولة إيقاف دماغها، قائلة لنفسها إنّ هذه أيضًا كانت بداية مؤلمة إذا تمكّنت من تجاوزها فستؤدّي إلى أمور أفضل، مشاعر أفضل، وحياة أفضل. وتحسّن الأمر بالفعل مع كلّ مرّة، أشبه برقصة تتعلّم خطواتها بالتدريج، فتصبح الحركات رويدًا رويدًا ذاكرة العضلات. ومع ذلك، فإنّها وجدت نفسها، أحيانًا، مصدومة من العري البارد لبشرة أوليڤر، والقيد الذي يفرضه وزنه من فوقها، وأجزاء من جسمه في داخلها أشبه بنوع من الغزو الخارجي.

وها هي تلتفّ على جانبها وتنظر إليه.

ما يزال نائمًا، وظهره العاري صوبها، بأبعد ما يمكنه وهو باقٍ في السرير. تنفّسه عميق ومنتظم. هكذا كان ينتهي بهما الأمر دومًا عندما تبيت عنده: متنافران، مع أنّهما يبدآن الليل يحتضن أحدهما الآخر، ورأسها يستند إلى صدره.

تمكّنت من رؤية الندبة من فوق الملاءات تمامًا.

انقلبت على ظهرها وحدّقت إلى السقف الأبيض الناعم. وهي تكره

هذا الجزء، أي الصباح الذي يلي الليلة السابقة. فضوء النهار ليس صديقًا لأحد، وهي مقتنعة بأنه عدوّها الناشط. تعرف أنّه، من فوق الملاءات، لا يوجد على وجهها المنتفخ إلّا ما تبقّى من تبرّج البارحة، وأنّه، من تحتها، لا يوجد شيء على الإطلاق.

تشعر بأنّها ضعيفة ومكشوفة.

تودّ لو أنها تمكّنت فحسب من أن ترتدي ملابس داخليّة وتيشرت قبل خلودها إلى النوم وتخبره أنّ ذلك ما تحتاج إليه، لكنّها لم تتمكّن بعد من إيجاد الصوت اللازم لقوله. تخيّلت أنّها تستطيع الشعور برطوبة بين فخذيها تخشى من أن تنتقل إلى ملاءاته. وكرهت عدم معرفتها كم الساعة الآن.

تنتظر، من اللحظة التي تستيقظ فيها على هذه الحال، الفرصة للعودة إلى بيتها لتعيد ترتيب نفسها وفق توقيتها الخاص؛ استحمام، ماكياج جديد، وملابس نظيفة.

إعادة تكوين نفسها، إعادة تجميع المرأة التي ستكون جاهزة للقائه من جديد في وقت لاحق من النهار على الغداء أو العشاء، وارتشاف كأس من النبيذ يعرف كلاهما أنها نقطة الانطلاق في سلسلة من كؤوس عدّة ستقودها من جديد إلى العودة مباشرة إلى هنا.

ارتداء أشياء تعرف أنّه سينزعها عنها، تأمل أنّه سيفعل، لأنّه لو فعل فسيعني ذلك أنّهما ما يزالان يمضيان قُدُمًا، وأنّ ذلك ما يزال يحصل، وأنّ ذلك ينجح.

لكن، وابتداء من الغد، سيكون على كلّ ذلك أن يحصل هنا. لن يكون هناك مكان آخر. فهي ليست جاهزة له، لكنّه سيحصل. لقد وافقت عليه.

لأنّها تريد الاستمرار في رؤيته وهذه، في هذا الوقت بالذات، هي الطريقة الوحيدة.

كانت قد شاهدت، في سياق ثلاثة أيّام سبت، الحياة تفرغ من مدينة دبلن.

في السبت الأول- اليوم الذي أعقب حديث أوليڤر معها خارج تسكو- كانت الحانات ما تزال مفتوحة بالرغم من إلغاء المسيرة، والسيّاح الذين تدفّقوا على ما يجب أن يكون نقطة انطلاق مهرجانات عيد القدّيس باتريك لم يكونوا قد هربوا بعد. فقد كانوا يتجوّلون على غير هدى من حول ستيفنس غرين، بهواتفهم الأيفون التي يحملونها بأيديهم الممدودة، وبأكياس الهدايا كارولز أيرش غيفتس، ويرتدون طبقات كثيرة من الثياب بالنسبة إلى الطقس الربيعيّ اللطيف، ويطعمون الحمام عن قصد وطيور البحر سهوًا. بدوا جميعهم لكيرا هانئين بشكل لا يمكن تفسيره، يتابعون حياتهم كأنّ كلّ شيء كان طبيعيًّا، كما لو أنّهم لم يلاحظوا بأنّ الوحيدين من غير السيّاح في الجوار كانوا لوحدهم ويسرعون بالمرور ممسكين بأكياس البقالة ويرمقونهم بنظرات جانبيّة، ويبذلون ما في وسعهم لتفادي الاقتراب منهم.

وحتى الإيطاليّون، الذين كان يفترض بهم، عند ذلك الحدّ، أن يعرفوا حقّ المعرفة ما الآتي، بدوا مطمئنّي البال للغاية. والحالة الشاذة الوحيدة كانت فتى في أواخر سنيّ مراهقته يضع قناعًا ويحمل هاتفه قبالة وجهه وهو يدور ليمكّن العدسة من التقاط منظر من 360 درجة للشوارع وراءه. وكان يعلّق على المشهد، بلهجة بدت ألمانيّة، مشيرًا إلى أنّه الوحيد الذي يرتدي قناعًا. بدا لكيرا، في حينها، أنّه مثير بعض الشيء للمخاوف.

بعد ذلك بأسبوع، كان السيّاح قد رحلوا والغالبية الكبرى من

المؤسّسات والشركات التجاريّة قد أقفلت على سبيل الوقاية. والناس المتبقّون في الشارع كانوا قلّة، ولكن من طرفي طيف الوقاية. كانت قد شاهدت امرأتين في عشريناتهما تجلسان خارج واحدة من المقاهي القليلة المفتوحة وتتبادلان النظرات فيما مرّ بهما رجل مسرعًا يضع قفّازين مطّاطيّين وقناعًا أمكن كيرا، عند ذلك الحدّ، أن تعرف أنّه قناع تنفّس وليس قناعًا طبيًّا. كان مع المرأتين حقيبتان صلبتان، مشمّعتان، تحملان شعار متجر ثياب فاخر موضوعتان إلى جانب أقدامهما. وكانتا تشربان القهوة في مقعدين يستحيل أن يكونا على بعد مترين أحدهما من الآخر.

بدا كما لو أنّ بعض الناس اعتقدوا أنّ النهاية ليست قريبة، فيما لم يكن الآخرون حتى قد قرأوا الصحف.

كانت قد اكتشفت من حينها ظاهرة غريبة في ذلك كلّه، وهي أنّه يمكنك أنت نفسك أن تكون النوعين معًا من الناس. وكانت كيرا، في بعض ظهر أحد الأيام، قد ارتدت فستانًا جميلًا وسرّحت شعرها على شكل تموّجات وانطلقت في شمس بعد الظهر الباردة إلى بيت أوليڤر. كانت السماء زرقاء، والعصافير تزقزق، ما أشعرها بالحبور. كانت تقوم بهذه المسيرة أبكر قليلًا من العادة، في أثناء نشرة أخبار السادسة والدقيقة الواحدة وليس بعدها مباشرة، وفوّتت على نفسها بالتالي مراسمها الليلية القاضية بأن تنتظر على الأريكة فرسان رؤيا يوحنا الأربعة الرقميين: أخبار الوفيّات، الإصابات الجديدة، مجموع الموتى، ومجموع الحالات.

كانت قد نسيت، لدقائق قليلة فقط.

وكان قبالة القناة مباشرة موقع بناء محاط بسياج أزرق وقد تمّ، في خلال الليل، إلصاق لافتات جديدة عليه. نسخ عدّة من الملصق نفسه،

ذات فقاعات وتجاعيد من جرّاء التسرّع في إلصاقها. والكلمات الوحيدة الكبيرة كفاية لتتمكّن من قراءتها من تلك المسافة كانت في العنوان: يمكنك الإسهام في وضع حدّ لانتشار كوڤيد-19! كان ذلك أشبه بالانتقال من الحياة الواقعيّة إلى موقع تصوير فيلم تشويق هوليوودي عن الڤيروس، لكنّ الأقطاب وحدها كانت معكوسة. هذا ما كان حقيقيًّا، وهو مخيف.

بدا الأمر هذا الصباح، وهو الأوّل في حَجْر الأمر الواقع هذا، كما لو أنّ حدثًا مريعًا قد حصل في الليل. لا يوجد على الطرقات ما يكفي من الآليّات لتبرير اعتباره حركة سير. والصوت الأقوى هو صوت وقع أقدامها على الممرّ وهي تسير بمحاذاة القناة. مرّت بصيدليّة كُتب على واجهتها بخط اليد شعار صارخ، مطهّر لليدين، 50 ملل. متوفّر، 4.99 يورو، الحد الأقصى 3 لكل زبون! لكنّك إذا كنت تريدها فعليك أن تنتظر للحصول عليها لأنّ الأنوار مطفأة في الداخل، وقد أنزل المشبّك المعدنيّ أمام الباب. وفوق السطوح تجثم مجموعة من الرافعات الساكنة، أشبه بساعات متوقّفة في السماء.

في الوقت الذي بلغت فيه كيرا المبنى لم تكن قد مرّت إلّا بواحد فقط من المشاة، رجل متقدّم في السنّ ينزّه كلبًا، وكان قد انتقل إلى خط الباصات ليعطيها مسافة المترين الواجبة، ولم تشاهد إلّا واحدًا آخر من الجيران وهي تمضي إلى الداخل، شاب من هواة النوادي الرياضية يمارس التمارين على العشب المبتلّ بالندى.

كانت ورقة معلومات عن كوڤيد-19، أصدرتها الحكومة، قد ظهرت في البهو، وأُلصقت بجانب لائحة من أرقام الطوارئ، وكانت هناك قنّينة، ذات حجم صناعيّ، من مطهّر اليدين موضوعة فوق بقعة صغيرة من السائل الشفّاف على مقعد صغير عند الباب الرئيسيّ.

فيما هي تُدخل المفتاح في القفل، فكّرت بكل الوحدات السكنيّة في هذا المبنى، وبكلّ الأيدي التي لمست الباب ذاته الذي تلمسه في هذه اللحظة. وفكّرت واقعَ أنّه توجد وحدات سكنيّة أقلّ في مبنى أوليڤر وبالتالي أناس أقلّ، وأضافته ذهنيًّا إلى مجموعتها من الأسباب التي تقول بأنّها ليست، في الواقع، بالفكرة السيّئة.

لمّا باتت في داخل شقّتها، دفعت الباب برجلها لإغلاقه وتوجّهت مباشرة إلى مغسلة الحمّام لغسل يديها، لأنّها لن تلمس زر الإنارة إلّا بعد غسل اليدين.

ذلك ما يقول أوليڤر أنّه يتوجّب عليك فعله، ولمّا كانا يركبان الآن القطار نفسه، شعرت بأنّها ملزمة بأن تحذو حذوه.

كما أنّها تجد عادات التطهير تلك مهدّئة بشكل غريب. فأيّ شيء بسيط، مع سلسلة من الخطوات، ربّما سيكون له ذلك التأثير، حتى ولو كان ذلك في محاولةٍ للتقليل من خطر التقاط ڤيروس مميت.

خلعت ملابسها ووقفت تحت السيل الحارق لمرشّة الدوش إلى أن امتلأ الحمّام بالبخار الكثيف. (مرشّته أفضل أيضًا- لسبب آخر). ثمّ التفّت بمنشفة وتركت وراءها آثارًا من نقط المياه عبر غرفة الجلوس وإلى المطبخ حيث هيّأت لنفسها كوبًا من الشاي وشريحة من الخبز المحمّص مع الزبدة وتساءلت ماذا عليها أن توضّب؟

ما الذي تحتاجه الفتاة بالضبط لتنتقل للإقامة مع شاب، بالكاد تعرفه، لأنّ هناك حالة طوارئ عالميّة، والبلاد تدخل في حالة حَجْر وشقّتها تكاد تبلغ حجم علبة ثقاب؟

استقرّ رأيها على: كلّ شيء. فهي لا تملك إلّا القليل جدًّا من المتاع بحيث يتّسع في الحقيبة الوحيدة التي معها.

وهي حتى الآن، وهي تنقل ملابسها الداخليّة من أحد الأدراج إلى الحقيبة، لا تستطيع أن تصدّق تمامًا أنّها تفعل ذلك، أنّها تنتقل للإقامة معه. لكنْ هناك سبب آخر يضاف إلى مجموعتها: فهي لا تنتقل. ليس حقًّا.

ستبقى معه فحسب حوالى أسبوعين. ولن تتخلّى عن هذا المكان. فلا شيء في ذلك دائم أو لا يمكن تداركه.

ليس بعد، في أيّ حال.

وهناك، في هذا الشأن، ما هو جالب للحظّ بشكل لا يُصدّق، أو على الأقل يمكنه أن يثبت أنّه كذلك، مع الوقت. تلك الظروف الغريبة، التي لا سابقة لها- أقسمت أنها، عندما ينتهي كلّ هذا، ألّا تستخدم تلك العبارة أبدًا من بعد- قد تتآمر لأخذها في قطار سريع إلى كلّ ما كانت قد أرادته من قبل، فيما لم تكن لتوجد، بخلاف ذلك، طريق إلى هناك.

وحده الزمن كفيل بالإجابة.

عندما فتح أوليڤر الباب مدّ إحدى يديه، وقدّم لها حاملة مفاتيح تضم مفتاحين كانت موضوعة في راحة يده: مفتاح نموذجي فضّي يفتح باب الشقّة، وآخر كناية عن بطاقة بلاستيكيّة صغيرة تفتح البوّابة الرئيسيّة المفضية إلى المبنى.

قال، «كنت لأضعهما في علبة هدايا أو أربطهما بشريط أو ما شابه، لو كان عندي أيّ منها».

ابتسمت ومدّت يدها لالتقاطهما، ولتلتقطه بذراعها الأخرى. لكنّه سحب يده فجأة بعيدًا وتراجع إلى الوراء.

مرّ على وجهه طيف من شيء لا يمكن قراءته، ثمّ أخذ يمتلئ بشيء يسهل تحديده: الارتباك.

«يداكِ»، قال موجّهًا كلامه إلى الأرضية. «آسف».

«بالتأكيد، نعم. لقد نسيت».

واستدارت صوب الحمّام.

«أنا لا أحاول أن أكون وغدًا، لكن مع الربو...»

«لا، أنا سعيدة أنّك ذكّرتني».

لم تفهم تمامًا لماذا حاول أن يسلّمها شيئًا قبل أن يفعل هذا، لكن لا بأس، مهما يكن.

تمالكت نفسها قبل أن تتمكّن النقمة من التفاقم. لديه ربو. وتلك حالة كامنة. وغسل اليدين أمر يُفترض بها فعله بأيّ حال، سواء كان هنا للتذمّر في شأنه أم لا.

دفعت باب الحمّام بمرفقها لفتحه ومضت إلى المغسلة.

شعرت، وهي تغدق المياه على يديها، بشيء لم يكن عليهما من قبل: حرف قاس، جاف من الجلد على الحواف الخارجية لأصابعها الصغيرة. جفّفت يديها بالمنشفة، وأدارت من ثمّ رسغيها لتتمكّن من الحصول على رؤية أفضل. الجلد هناك يتقشّر، أحمر ومتقرّح. محتجّ. وضعت ملاحظة ذهنيّة بشراء مرطّب لليدين. خطر لها الذهاب إلى الصيدليّة، وهو ما جعلها تفكّر بماذا قد تشتري غير ذلك وهي هناك، وهي تجد أنّ أيّ نوع من البيع بالتجزئة هو بمنزلة عمليّة كبرى الآن.

يتحدّثون عن هذا الشيء على أنّه سعال جاف، حمّى، وآلام. وبعض الناس، على ما يبدو، يصابون باضطرابات في المعدة. حاولت ألّا تفكّر في

كابوس أن تضطرّ لتقيّؤ الكثير أو إخراج الكثير هنا، في الحمّام الوحيد في شقّة أوليڤر، فيما هو موجود خارج الباب تمامًا، وركّزت بدلًا من ذلك على ما قد يساعد في حال حصوله.

البراسيتامول، شراب السعال، وبعض الإيموديوم لن تذهب سدى... ربّما بعض المظاريف التي تحتوي على الأشياء التي تذوّب في الماء وتُشرب لتعويض الإلكتروليت، مهما تكن الإلكتروليت. غسول اليدين المضاد للبكتيريا، إذا أمكن الحصول عليه، وهو ما تشكّ فيه. فرفوف تسكو في محلّتها قد فرغت منه منذ نحو أسبوعين على التوالي الآن.

رفعت عينيها، ونظرت في المرآة، ولاحظت مرآة أخرى على الجدار خلفها: باب خزانة الأدوية. سبق لها بالفعل أن تطفّلت على ما فيها- فعلت ذلك في الليلة الأولى التي كانت فيها هنا- لكنّها فتحتها الآن لتفقّد محتوياتها.

هناك رفّان فقط وبدا أنّهما ممتلئان في الغالب بمنتجات شخصيّة. شامبو مكثّف. شفرات حلاقة. زيت حلاقة. علبتا واقيات ذكرية، إحداها مفتوحة من أحد طرفيها وموضوعة بشكل مسطّح، فأمكنها أن ترى أنه لم يتبقَّ فيها سوى اثنين.

مظروف بلاستيكي يحتوي على أقراص باللون الأخضر البحري وقد طُبع عليها الرقم 542، وقد فرغ من معظمها؛ اعتقدت أنّها ربّما كانت مضادات للحساسية. وكلّ ما يمكن احتسابه مستلزمات طبّية هو مظروف لصقات للجروح من السوبرماركت وأنبوب جل مخفّف للألم 'ديپ فريز'.

عبرت ذهنها فكرة طارئة، وهي تغلق باب الخزانة.

لا وجود لأجهزة استنشاق.

وجدت أوليڤر في الغرفة الإضافيّة، وهو يرفع حقيبتها إلى السرير العاري. في الجو رائحة ملمّع الأثاث؛ لا بدّ وأنّه كان ينظّف وهي غائبة.

قال، عندما رآها عند الباب، «صدّقيني لست مصابًا بجنون الارتياب. بالرغم من كلّ الأدلّة على العكس».

لوّحت بيدها، «لا بأس. حقًّا».

الستارة مرفوعة كليًّا إلى الأعلى، وتوفّر إطلالة على الباحة عبر أوراق إحدى الأشجار، وكانت النافذة مفتوحة قليلًا. توجّهت إليها للحصول على نظرة أفضل، ورأت أنّ الشقّ الصغير هو أقصى ما يمكن النافذة أن تفتحه؛ إنّها خاصيّة أمان.

جاء أوليڤر من ورائها، ولفّ خصرها بذراعيه وتحدّث في انسكابة شعرها.

«أريدنا أن نكون بأمان فحسب»، قال. «أن تكوني أنت بأمان».

«أعرف. لا بأس، صدقًا. أريدنا أيضًا أن نكون بأمان». واستدارت لمواجهته ورفعت شفتيها إلى شفتيه.

قبّلها مرّة، لفترة وجيزة، ثمّ تراجع ليقول، «بالحديث عن... أنتِ لم تكوني تقبّلين أحدًا آخر، أليس كذلك؟ ألهذا السبب لم تريديني أن آتي معك هذا الصباح؟».

«لم أفعل، كلّا. لكنني قد لحست فعلًا كلّ أزرار أضواء معابر المشاة بين هنا ومكاني، وبالتالي...».

ضحك، وقبّلها من جديد، لفترة أطول، وأعمق.

ثمّ شدّها نحوه إلى أن باتا ملتصقين، وأدارت رأسها بحيث يمكنها أن تسند خدّها إلى صدره.

وضعت ذراعيها من حوله، متنهّدة بارتياح وهي تسترخي في ضمّته.

سألها، «كيف هو الوضع في الخارج، في أي حال؟».

«غريب. يمكنك فعلًا أن تلاحظ الفرق منذ يوم أمس».

«أفترض أنّ ذلك جيّد؟ يظهر أنّ الناس يأخذون الأمر على محمل الجدّ».

«لكنّني لا أعرف إذا كان الجميع يفعلون».

انسحبت، ومضت إلى حقيبتها، وشرعت في حلّ السحّاب. كان قد فتح لها أبواب خزانة الثياب المدمجة بالجدار ووضع بعض العلّاقات الفارغة على السكّة. ما من شكّ في أنّها ستنام في غرفته، لكنّها أحبّت أنّه قدّم لها هذه الخزانة لأمتعتها، للقليل منها الذي تملكه.

شرعت في سحب أشيائها.

سألها، «ماذا تعنين؟».

«في الحقيقة، لقد اتّصلتُ بوالدتي وأنا في شقّتي. واستهلكت معظم الحديث وأنا أشرح لها أن حصر المسافة بكيلومترين ينطبق عليها أيضًا. ولماذا ينطبق»، وقلّبت كيرا عينيها. «تعتقد أنّ الجميع يبالغون في الأمر».

مرّت لحظة قبل أن يسأل أوليڤر، «هل أخبرتها؟».

«أخبرها بماذا؟».

«عنّي. عن هذا».

قالت كيرا وهي ترفع ثوبًا أسود من الحقيبة وتنفضه. «من الواضح أنّك لم تقابل أمّي. كان ذلك سيواجه بعبارة لا، وبعبارة لا أخرى، أعلى صوتًا وأكثر جزمًا. فهي لم تردني حتى أن أنتقل إلى دبلن. وإذا عرفت بهذا الشأن فمن المرجّح أن تقود سيّارتها إلى هنا وتعيدني إلى كورك

وهي تجرّني بشعري. في الواقع...». واستدارت صوبه بعدما علّقت الثوب في الخزانة. «لم أخبر أحدًا. هل فعلتَ؟».

«كنت سأخبر شقيقي، لكنْ ليس عليّ ذلك».

«افعل، إذا شئت. هذه ليست معلومات سرّية، الأمر فقط...»

«... أنّك عندما تفكّر في الأمر...».

«... سيكون الأمر أكثر سهولة بهذه الطريقة، صحّ؟».

هزّ أوليڤر برأسه، «هذا ما كنت أفكّر فيه».

«ليس هذا الجزء فحسب، أي مسألة-الانتقال-للإقامة-معًا-بسبب-الحَجْر، بل...»

وأكمل، «كلّ شيء آخر، أيضًا».

«أتعرف؟ أنا أكره كلّ تلك المسألة. ما إن تخبر أحدًا أنّك في علاقة، حتى يكون عليك، مثلًا، أن تحدّد كلّ شيء، من بعدها. محاكم التفتيش الإسبانيّة اللعينة». وعندما تجهّم وجه أوليڤر قالت، «حسنًا، ربّما كانت هذه عائلتي فحسب. لكنّ هذا مثاليّ نوعًا ما، أليس كذلك؟ لدينا، ماذا، أسبوعان؟ لأن نكتفي بأن نكون نحن. أن نرى ما سيحصل من دون أن يكون علينا شرحه، أو تصنيفه، أو تبرير أيّ شيء لأيّ يكن. أعني، أنّه لا يمكننا حرفيًّا رؤية شخص آخر. لا يمكن لأحد أن يأتي للزيارة، ليس لأنني لم أعرف أحدًا هنا، بعد. وما من أحد يعرف أنّني هنا. ومن سيعرف أنني لم أعد موجودة في شقّتي؟».

ابتسم أوليڤر، «نحن، إذًا، في علاقة الآن، ألسنا كذلك؟».

«أسمعت شيئًا بعد هذا الجزء أو...؟ في أيّ حال فإنّ أيّ ارتباط بين شخصين هو، من الناحية التقنيّة، علاقة، لذلك...».

«أحسنتِ في تخليص نفسك».

«اعتقدت ذلك».

«لكنّنا في علاقة».

التقت نظراتهما، «هل نحن كذلك؟».

«أتريدين أن تكوني؟».

«أتريد أنت؟».

قال، «سألتكِ أوّلًا».

«نحن إذًا نمارس تلك اللعبة...».

«الحقيقة هي أنّه ليس لدينا شيء آخر نفعله».

أضحكها هذا.

قالت عندها، «سيروق لي الأمر لو أننا كذلك».

«أنا أيضًا».

«إذًا، فلنكن».

تبادلا النظرات، متوقّعَين، أخرقين، ومحرجين، إلى أن انفجر كلاهما بالضحك. ثمّ استدارت كيرا إلى حقيبتها المفتوحة، ووجنتاها ساخنتان، لإخراج مزيد من الثياب.

تحرّك أوليڤر لمساعدتها.

كان كوب الناسا خاصتها موضوعًا فوق بعض الجينزات. رفعه.

قال، «هكذا إذًا، أنت فتاة كرات اللحم».

لم تمتلك أيّ فكرة عمّا يعنيه هذا. ردّ فعلها الأول كان في أنه حقّرها بطريقة ما، وبأن عليها أن تشعر بالإهانة، لكنّها عندما فكّرت في أنّه لم

يقترب حتى من قول شيء كهذا من قبل، كان ردّ فعلها الثاني هو الارتباك التام.

«فتاة ماذا؟!».

أشار أوليڤر إلى الشارة على الكوب، الدائرة الزرقاء المليئة بنجوم بيضاء صغيرة يخرقها خطّ مائل أحمر.

قال، «ذلك ما يُدعى كرة اللحم. فالشعار الذي استخدموه في الثمانينيّات، ذلك الذي لا يحمل إلّا الأحرف، ذلك هو الدودة». توقّف قليلًا. «ألم تسمعي ذلك من قبل؟».

«لا أعتقد ذلك». واستدارت لتُخرج مزيدًا من الثياب من الحقيبة وتأخذها إلى خزانة الملابس. «لكن، في تلك الحال، أنا قطعًا فتاة كرات اللحم. فأنا أكره الشارة الأخرى. إنّها شنيعة».

استغرقها ما لا يقل عن خمس عشرة ثانية لتعليق ثوب وإعادة طيّ زوج من التيشرت لتتمكن من إضافتهما إلى الكدسة، وفي كلّ ذلك الوقت لم يتفوّه أوليڤر بكلمة. ولمّا عادت واستدارت صوبه، وجدته ما يزال ممسكًا بالكوب، وهو ينظر إليه.

«هاي»، قالت.

رفع رأسه.

«أأنت بخير؟ أنت تحدّق إلى هذا الشيء كما لو أنّك في نوع من الغيبوبة».

«كنت أفكّر فحسب»، قال، «ماذا يعني الشطب الأحمر؟». ودلّ إليه على الكوب؛ الشكل الذي يشبه حرف «v» ويشطر القرص الأزرق. «ماذا يُفترض بذلك أن يكون؟».

«أليس ذلك جناحًا؟».

رفع حاجبيه.

«القرص الأزرق كوكب»، قالت، «والنجوم هي الفضاء. الخط المداريّ الأبيض الصغير يمثّل السفر في الفضاء، والشيء الأحمر جناح، بالنسبة إلى علم الطيران».

أرادت أن تضيف على ما أعتقد، لكنّها تعرف أنّها محقّة، فأكرهت نفسها على ابتلاعها.

ابتسم أوليڤر.

«حسنًا»، قال، «أعتقد أن المرء يتعلّم شيئًا جديدًا في كلّ يوم».

قبل 50 يومًا

في منتصف فترة قبل الظهر، انتشر الخبر في المكتب: رئيس الوزراء ليو ڤارادكار على وشك الإدلاء ببيان، مباشرة من واشنطن العاصمة.

الشاشة الوحيدة التي تبثّ القنوات التلفزيونيّة موجودة في غرفة الاجتماعات. تكوّموا فيها، جالبين القهوة والمخبوزات الدبقة بحيث تترافق مشاهدة هذا الخبر الرهيب، غير المسبوق، مع تناولهم وجبة الصباح الخفيفة.

كان أوليڤر آخر الواصلين. وكان جوناس، وهو سويديّ، الذي بدأ العمل في اليوم نفسه الذي بدأ هو فيه، يقف داخل الباب تمامًا.

تبادلا الإيماءات.

«ها نحن ذا»، همس جوناس، وعيناه تومضان إثارة.

بقدر ما يستطيع أوليڤر القول، فإنّ جوناس كان، في سياق الشهر الماضي أو ما شابه، قد أمضى وقتًا في التنقيب في الإنترنت عن موضوعات متعلّقة بڤيروس كورونا، ضعف ما يفعله للقيام بأيّ عمل فعليّ. ففي الأسبوعين الأخيرين، كان الفتى قد أمسى مهووسًا كلّيًّا بشمال إيطاليا. ويعرف أوليڤر هذا لأنّ الشيء الآخر الذي يستهلك فيه قدرًا هائلًا من الوقت هو في إطلاع أوليڤر، بالتفاصيل المتزايدة باستمرار، على الأمور التي يجدها في الإنترنت.

كان، في وقت سابق، يقرأ شيئًا على موقع صحيفة نيويورك تايمز، ويهزّ رأسه بشكل متقطّع ويتفوّه بأمور مثل، «يا إلهي»، و«ماذا بحق

الجحيم؟». كان أوليڤر قد رفض ابتلاع الطعم، لكن بلا جدوى، لأنّ جوناس كان، في أيّ حال، ينحني في المجال الفاصل بين شاشتي حاسوبيهما ويخبره عن ذلك كلّه. قال إنّه قد انقضى على إيطاليا يومان من الحَجْر الوطني الصارم أُقفل فيه كلّ شيء باستثناء الصيدليّات ومتاجر البقالة التي تشكّلت أمامها، بالتأكيد، طوابير ضخمة. وفي غياب العدد الكافي من أجهزة التنفّس، بات على الأطبّاء أن يقرّروا، بالحرف الواحد، من يعيش ومن يموت، والذين يموتون هم الأكبر سنًّا على الدوام.

«وإيرلندا متأخّرة عن ذلك أسبوعين»، قال جوناس بوقار. «أسبوعان».

لم يعتقد أوليڤر أن النيويورك تايمز كانت تنشر أخبارًا ملفّقة، ومع ذلك بدت تلك الوقائع كأنّها تمتلك تلك الخاصيّة. كانت مستهجَنة، جنونيّة.

لا يمكن للأمور أن تكون على هذا القدْر من السوء على بعد دولتين منّا، أليس كذلك؟

لم يكن قلقًا جدًّا في ذلك الشأن، حتى الآن. افترض أنّ أيّ ما يحصل هناك سيتم إيقافه قبل مدّة طويلة من وصوله إلى هنا. سيشبه الأمر تمامًا كلّ التقارير الإخباريّة الأخرى: سينتقل الأمر من المبالغة في التغطية بحيث تتساءل ما الذي كانوا يملؤون به أعمدة مطبوعاتهم وبرامجهم قبل أن يكون لديهم هذا ليتحدّثوا عنه، لتدرك، في أحد الأيّام، أنّك لم تعد تسمع شيئًا عنه منذ فترة.

تمامًا كقصّة أوليڤر الخاصة، كان ما كان في قديم الزمان.

لكنّهم مجتمعون الآن، صباح أحد أيّام الأسبوع، للاستماع لزعيم البلاد يتحدّث عن وصول الڤيروس إلى إيرلندا، وهو من الخطورة بحيث لا ينتظر أن يعود إلى إيرلندا لقوله.

عمّ الصمت الغرفة فيما انتقلت شاشة التلفزيون من المذيع الجالس إلى مكتب في استوديو التلفزيون إلى رئيس الوزراء وهو يسير إلى منبر أقيم خارج أحد المباني العظيمة. كانت الظلمة ما تزال مخيّمة هناك، وتقاسيم وجهه تعبّر عن الجدّية التامة. ومن فوق كتفه يتموّج العلم ذو الألوان الثلاثة في الهواء.

«حجْرٌ»، همس جوناس. «يجب أن يكون ذلك».

لكنّه لم يكن.

شرع ڤارادكار في الحديث، بتؤدة وتروٍّ، وهو يقرأ، على ما يبدو، من ملقّن قراءة شفاف لكنّه يظهر كأنّه ينظر مباشرة إلى العدسة، كما لو أنّه يتوجّه، في وقت واحد، إلى كلّ شخص بمفرده وإلى الأمّة جمعاء.

الڤيروس منتشر في كلّ أنحاء العالم. وسيستمرّ في الانتشار، لكن يمكن إبطاؤه.

قلنا إنّنا سنتّخذ الإجراءات المناسبة في الوقت المناسب. وعلينا أن نتحرك الآن لتحقيق التأثير الأكبر.

عليكم الاستمرار في الذهاب إلى العمل إذا استطعتم، لكن عليكم، حيث أمكن ذلك، العمل من منازلكم. ولخفض التفاعل المباشر غير الضروري في مكان العمل، يجب على أوقات الاستراحة وأوقات العمل أن تتمّ بالتعاقب، وأن تُجرى الاجتماعات من بعد أو بالهاتف.

امتلأ الجوّ في الغرفة فجأة بالتوتّر.

تحرّكت الأجسام، وتفرّقت التجمّعات. تبادل بعض الأشخاص الابتسامات العصبيّة، والضحك المتقطّع. أحصى أوليڤر ثلاثة عشر منهم، يقفون كتفًا إلى كتف في هذه الغرفة السيّئة التهوئة، وتراجع خطوة إلى الوراء خارجًا منها.

فهو لا يريد حقًّا أن ينتهي به الأمر وقد التقط هذا الشيء.

لا يمكنه تحمّل ذلك. الذهاب إلى طبيب الصحّة العامة، الخضوع للفحوصات، إدخاله إلى المستشفى. أيّ شيء كهذا، أيّ شيء رسميّ، أيّ شيء يتطلّب التعرّف على الهوّية والمعاملات الورقيّة والتاريخ...

الڤيروس خطر عليه بنوع خاص، لكن ليس لأيّ سبب طبّي. فهو قلق بشأن نوع مختلف من الانكشاف.

بينما كان أوليڤر يسير عائدًا عبر المكتب، لاحظ من ورائه انقطاع صوت التلفزيون والمدير الإداري، كينيث، يقول، «حسنًا، حسنًا، حسنًا»، بنبرة توحي بأنّه يريد من الجميع الانتباه. «امضوا إلى مكاتبكم الآن. أليستير في طريق العودة من زيارة لأحد المواقع، وسنجلس، أنا وهو، معًا بعد ظهر هذا اليوم، ونعالج المسألة. لكنّه من الآمن الافتراض بأنّنا سنعمل، جميعنا، من المنزل في الأسبوعين المقبلين، ويمكنكم، بالتالي، الشروع في التخطيط على هذا الأساس...».

بلغ أوليڤر مكتبه، وجلس، وتجاهل الأمر.

هاتفه موضوع بجانب لوحة المفاتيح؛ نقر على الشاشة لإيقاظه.

ما من رسالة نصّية جديدة.

اعتقد أنها بعثت برسالة، أما زلنا على مشروعنا الليلة؟ ربّما لم تشاهد الأخبار بعد.

عليه أن يعترف، مع ذلك، أنّه ما يزال، منذ ليل الاثنين، يضبط نفسه وهو يفكّر بها- أو أن ما يفعله، ربّما، هو التفكير في شأن ليل الاثنين.

فأن يجلس في حانة ويحتسي شرابًا ويستمتع بالحديث، كان مرَحًا لم يسبق أن شعر به منذ وقت طويل، طويل. كما لو أنّ شخصًا كان قد بنى له جسرًا من فوق مياه مظلمة ومضطربة، بحيث يمكنه أن

يأخذ استراحة من محاولته الجاهدة للخروج من أعماقها المتداخلة، الموحلة.

وقد أحبّ ذلك.

أحبّ أن يكون قادرًا على أن يكون.

وقبل أن يتمكّن من التفكير أكثر من اللازم في الموضوع، أمسك بهاتفه وطلبها.

فوجئ بمدى حبوره بنبرة صوتها، كم أنّه يشعر بحال أفضل لمعرفته بأنّهما ما يزالان على موعدهما الليلة.

لكنّه أحسّ، بعدما أقفل الخط، بشعور من الوخز في أسفل جمجمته، وهو مؤشّر شبه دائم إلى أنّه يقوم بشيء لا يجدر به فعله، بأنّه يعمل بنقيض غريزة البقاء البدائيّة، مهما تكن، التي أوصلته إلى هذا الحد.

قال في نفسه إنّه سيتوخّى الحذر.

إنّه يتوخّى الحذر. لقد قرّر بالفعل أنّ هذه ستكون المرّة الأخيرة. لن يراها من جديد بعد هذه الليلة، وهو ربّما لن يتمكّن من رؤيتها، ولن يكون عليه بالتالي أن يتّخذ القرار.

المسألة هي في أنّه أحبّ الشعور في كونه معها، وفي كونه أوليفر معها.

ويريد الشعور بذلك مرّة واحدة بعد.

قبل 33 يومًا

توجّها بالسيّارة، في وقت مبكر من يوم الأحد، إلى أكبر تسكو أمكنهما العثور عليه على خرائط غوغل، على مسافة ثمانية كيلومترات خارج شعاع الكيلومترين الذي يُفترض بهما البقاء ضمنه. كان أوليڤر قد استأجر سيّارة من «غو كار» GoCar وهو يجلس متوتّرًا في مقعد السائق، يداه ممسكتان بإحكام بالمقود، وعيناه لا تفارقان الطريق أمامه. قالت له تكرارًا إنّ مسألة الكيلومترين هي للتمارين الرياضيّة فحسب، وبأنه يمكن السفر إلى ما هو أبعد لتسوّق المواد الضروريّة. لكنّه لم يقتنع.

«يا إلهي، أنت فعلًا لا تحبّ مخالفة القوانين، أليس كذلك؟». سألته بعد مضيّ عشر دقائق على الرحلة. «إذا أوقفونا فليس ذلك بالمشكلة الكبيرة. لن يعتقلنا أحد. لن يجبرونا حتى على العودة لأنّ ما نفعله هو من ضمن القوانين. وإذا فعلوا، فماذا في ذلك؟ سنكتفي بالاستدارة والعودة».

هناك وجهة نظر أخرى على رأس لسانها- وفي أيّ حال فنحن نفعل ذلك لأجلك- لكنّها عضّت على لسانها.

لا يبحثان عن مؤونة أسبوع من البقالة فحسب، بل عن طابعة أيضًا. أدرك أوليڤر أنّه سيحتاج إلى واحدة، لكن بعد أربع وعشرين ساعة من إعطاء الأمر بإقفال المتاجر التي تبيع في العادة مثل هذا الشيء. وسيعني طلبها عبر الإنترنت انتظار أسبوع أو أكثر لتسلّمها، فقرّرا بالتالي أن يجرّبا حظّهما والقيادة بالسيّارة خارج نطاق منطقتهما إلى سوبرماركت مخازن

عملاقة، أملًا في العثور على معدّات كهربائيّة بين عصائد الشوفان ولفّات أوراق المرحاض.

عندما شرعا في العمل من المنزل، قبل حوالى أسبوعين، ذهب أوليڤر وابتاع واحدة من آلات القهوة الباهظة الثمن التي تدمع لها العين وتحتاج إلى كبسولات بنّ باهظة الثمن أيضًا. لم تستطع كيرا الامتناع عن التفكير بأنّ ذلك كان الوقت المناسب للحصول على ما يريده للقيام بعمله، لكنّها احتفظت بالصمت على تلك الجبهة أيضًا.

«ليس ذلك»، قال. «فأنا لست معتادًا القيادة فحسب». وأضاء إشارة السيّارة عند تقاطع طرق، بالرغم من أنها السيّارة الوحيدة التي كانت على الطريق. «لكنّك محقّة فأن لا أحبّ مخالفة القوانين». وابتسم ابتسامة وجيزة. «الأمر متعلّق، في الأغلب، بالقيادة. لم أقد سيّارة وأنا في لندن».

«أيجب أن أشعر بالقلق؟».

«ليس عندما تكون الطرق على هذه الحال».

كانت حركة السير خفيفة جدًّا بحيث أنّهما كلّما بلغا إشارة مرور حمراء وجدا أن سيارتها هي السيّارة الوحيدة التي تتوقّف عندها. وقد أخذتهما الطريق عبر ضواحٍ فارغة؛ وكانت السيّارات متوقّفة في ممرّات المداخل، والبوّابات مقفلة وراءها، وستائر المنازل ما تزال منسدلة.

فكّرت كيرا، أن دبلن تبدو كأنها قد قرّرت البقاء في السرير، بما أنّه ليس هناك مكان للذهاب إليه أو شيء للقيام به.

لكنّها كانت مخطئة. فمع اقترابهما من مدخل تسكو إكسترا على مقربة من ليفّي ڤالي Liffey Valley، أخذ يتّضح أن فكرتهما عن المدينة كانت كما هي عليه في الواقع.

كان هناك طابور طويل من السيّارات المنتظرة للتمكّن من الدخول

إلى المرأب. استغرق الأمر نحو عشرين دقيقة لبلوغ المدخل حيث طلب منهما مراهق، يبدو على محيّاه الضجر ويرتدي سترة عاكسة، أن يتبعا السيّارة التي أمامهما، كما لو أنّه ما كان يمكنهما اكتشاف ذلك من دون أن يؤشّر بيده. استغرقهما الأمر عشر دقائق أخرى للعثور على مساحة فارغة، وكوفئا على ذلك بالانضمام إلى نحو خمسين أو ستّين شخصًا، يقفون متباعدين على مسافة مترين أحدهم من الآخر، في صفّ يتعرّج من خارج المدخل الرئيسي للمتجر وعلى طول واجهته قبل أن يلتوي حول نفسه. مرّ حوالى الساعة قبل أن يبلغا رأس الطابور حيث أبلغهما حارس أمنيّ ذو قسمات وجه صارمة أنّه لا يُسمح اليوم إلّا بعربة تسوّق واحدة لكل زبون.

اعتقدت كيرا أنّه يقول لهما إن على كلّ واحد أن يأتي بعربة قبل الدخول- ولماذا بحق السماء تكون تلك قاعدة؟- إلى أن استدار أوليڤر نحوها وقال، «لا بأس. سأدخل وأقوم بذلك»، ففهمت الأمر: القاعدة هي في أن يتسوّق المرء لوحده. لا يمكنهما الدخول معًا.

كان أوليڤر قد أخذ يتحرّك بعيدًا منها، صوب الأبواب.

شرعت في القول، «لكن...». ثمّ توقّفت لأنّها لا تعرف ماهيّة باقي الجملة.

وفي مكان ما وراءهما، تنهّدت امرأة بشكل مسرحيّ.

نادى أوليڤر من فوق كتفه، «ابعثي لي اللائحة بالبريد الإلكتروني، هلّا فعلتِ؟».

ثم مضى، واختفى في المتجر، وبقيت كيرا واقفة في الخارج وحدها، متسائلة ما الذي يفترض بها فعله الآن.

لا يمكنها حتى المضي والجلوس في السيّارة. فالمفاتيح معه.

«يمكنكِ الدخول أيضًا»، قال الحارس، «لكن عليك التسوّق منفردة». رفع يده في حركة توقّفي ليعلمها بأنّه لا يمكنها ذلك بعد، وبأنّ عليها أن تنتظر إلى أن يخرج شخص آخر. لا بدّ من أنّ وجهها أوصل شكلًا من أشكال ردّ الفعل على قوله لأنّه أضاف، «ذلك لإبقاء الأجنحة خالية ما أمكن ليبقى الجميع على أكبر مسافة تباعد بعضهم عن بعض».

لمّا سمعت أصوات الاستهجان من ورائها، شعرت كيرا بأنها مدفوعة إلى القول، «بالتأكيد، نعم. أفهم»، بصوت أعلى مما كانت لتفعل بخلاف ذلك.

قال الحارس، «سيستغرق الأمر دقيقة».

تناولت هاتفها وبحثت عن لائحة المشتريات التي كانا قد وضعاها وسجّلتها في تطبيق مذكّراتها. فأوليڤر طبّاخ لا بأس به، بينما هي من مستخدمي المايكرويف، وبالتالي فإنّه يتولّى الجزء الأكبر من التخطيط للطعام. هي لا تعرف ما الذي سيفعله مع أشياء مثل ضلوع لحم الغنم، ونبتة النعناع الطازج، وخليط البهار الحار الهندي(؟)، والطحينة (؟؟) لكنّه وعدها بأنّها لن تجوع. وكانا قد وضعا أيضًا ما أسماه أوليڤر لائحة حاجيات نهاية العالم الضرورية. يقولون إنّك إذا أُصبت بالڤيروس فسيكون عليك أن تعزل نفسك عن أيّ شخص آخر لما يصل إلى أسبوعين، فحاول كلاهما التفكير في أشياء غير قابلة للتلف يمكنهما تخزينها، إضافات يجب الحصول عليها من باب الاحتياط.

كان ذلك ممتعًا بطريقة غريبة. كان بمنزلة تحدٍّ. واتفقا على المعجّنات المجفّفة والصلصات الجاهزة، من النوع الذي لا يتلف على مدى سنين. خلطات الخبز الذي يمكن طهوه بحسب الحاجة، الأسمر منه والصودا فحسب، لأنهما يحتاجان إلى إضافة الماء، وليس الحليب.

عصائد الشوفان. وجبات خفيفة تحتوي على مواد حافظة بحيث تدوم حتى الأزمة العالميّة المقبلة. فواكه معلّبة. سمك معلّب. بقوليّات معلّبة. ربما بعض الفيتامينات المتعدّدة، تحسّبًا. قهوة سريعة التحضير، النوع الفاخر منها الذي يُفترض أنّه يحتوي على خليط من الحبوب الطازجة. علب كرتون من حليب الشوفان لأنّه لا يتطلّب تبريدًا ولن يخرب القهوة كليًّا. مياه معبّأة، مع أنّ أوليڤر قال إنّه عندما تفتح المتاجر من جديد سيشتري واحدًا من تلك الأباريق التي تحتوي على فلتر. معجون أسنان وجل للحمّام. ورق للحمّام، ورق للحمّام، ورق للحمّام، فلا أحد يرغب في أن يعلق في حيّز محصور مع شخص لا يعرفه حقّ المعرفة، قد يكون يعاني من مشكلات في الأمعاء، ومن دون مخزون وفير من الورق!

لا يوجد أيّ جزء من كيرا يعتقد للحظة أنّه سيكون على أيّ منهما أن يعيش على حمية من المعجّنات المجفّفة وقطع من الفاكهة المعلّبة، لكن فكرة وجودها تعطي نوعًا من الاطمئنان.

بعثت اللائحة برسالة إلكترونيّة إلى أوليڤر وانتظرت سماع «ووشش» التي تؤكّد انطلاقها بسلام.

مرّت ثلاث أو أربع دقائق أخرى قبل أن يظهر رجل في الأربعينات من عمره، من الأبواب وهو يدفع عربة تسوّق ملأى بصناديق البيرة، وأعطى الحارس لكيرا الموافقة على الدخول.

بدا الركض للحاق بأوليڤر أشبه بانتهاك طفوليّ للقواعد، ومن النوع الذي لا يوافق عليه. وهو، في أي حال، يستطيع أن يتدبّر عمليّة التسوّق بنفسه. وكانا قد اتّفقا بالفعل على أنها ستسدّد له نصف المبلغ نقدًا؛ ويمكنها أن تعطيه إيّاه لاحقًا. بل إنه يمكنها كذلك أن تستعرض المكان، بدلًا من البقاء في الخارج ضجرة وهي تنتظره.

ما إن أقفلت الأبواب الجرّارة من ورائها حتى أدهشها مدى الهدوء المخيف في الداخل. لم تكن قد لاحظت كم يمتلئ سوبرماركت كبير بالضجيج في العادة- افترضت أنّها أحاديث، والأصوات التي تصدرها عجلات عربات التسوّق على الأرض، ونعال مطّاطيّة تصرّ- لكنّها متأكّدة من أنّها المرّة الأولى التي تتمكّن فيها من سماع الموسيقا البعيدة تنطلق من مكبّر صوت خفيّ. من الواضح أنّ نظام شخص-واحد-عربة-واحدة ينجح؛ والشخص الآخر الوحيد الذي شاهدته هو موظّف يرتدي البزّة الرسميّة كان يوجّهها لتتبّع السهام الكبيرة الصفر الملصقة بالأرض.

التقطت كيرا سلّة لتواصل التظاهر بالتسوّق ومضت إلى حيث قيل لها.

أمكنة بيع الأزهار ورفوف المجلّات فارغة. وسُيّجت منطقة بيع ثياب ذات سمة تجاريّة خاصة بلافتة تقول: هذا القسم مقفل مؤقّتًا. نأسف على الإزعاج. وحتى مع تقدّم كيرا في أجنحة الطعام، لم تلتق بأيّ زبائن آخرين، بل بموظّفين يستعجلون إفراغ المحتويات من أكداس من العلب المعدنيّة الزرق ونقلها إلى الرفوف فحسب.

برّادات الحليب وسلال المخبوزات ممتلئة بشكل طافح، ولكن هناك في الأمكنة الأخرى ما يشبه تثاؤب ضخم من الفراغ في الأمكنة الذي يجب أن تكون فيها المنتجات. يوجد ورق حمّام، لكن اللافتات تحذّر بأنّه لا يحق لكلّ زبون إلّا رزمة واحدة؛ وضعت كيرا واحدة في سلّتها إذ بدا لها أنّه من السخف ألّا تفعل. كان قد أُفرغ قسم المعجّنات من محتوياته ولم تجد أيًّا من خلطات الخبز تلك في الجناح الذي تعرف أنّه يجب أن تكون فيه؛ يظهر أنهما لم يكونا الوحيدين اللذين خطرت لهما تلك الفكرة اللامعة.

إنّه لشعور غريب أن تعرف أنه عليك أن تحصل هنا، والآن بالذات على كلّ ما تحتاج إليه. لا يوجد مكان آخر للذهاب إليه باستثناء متاجر كهذا ونسخ أصغر منه ذات مجموعات محدودة أكثر من المنتجات.

ماذا لو دام هذه الشيء أكثر من أسبوعين؟

تناولت علبة من أقلام الحبر الجاف من جناح القرطاسيّة، وبعض شفرات الحلاقة وقنينة منعّم للشعر في قسم الجمال. وعندما عثرت على مجموعة صغيرة من الكتب الورقيّة الغلاف مع السعر المخفّض ملصقًا عليها، التقطت بالدور عددًا صغيرًا منها، متفحّصة النصّ على أغلفتها الخلفية إلى أن تذكّرت أنّه يجب أن لا تلمس أشياء بلا داع. اختارت اثنين عشوائيًّا ورمتهما في سلّتها، وهي تحسب في ذهنها الكلفة الإجماليّة لمحتوياتها.

لم تعثر على أوليڤر إلى أن بلغت آخر سهم أصفر على الممرّ وخرجت إلى صفّ صناديق الدفع. يبعد عنها ثلاثة صناديق، وهو يحشو أشياء في حقيبة ظهره. ما من أحد ينتظر وراءه وأمينة الصندوق محتمية وراء حاجب شفّاف من مادة «پرسپكس»، فأسرعت للانضمام إليه.

آخر غرض على الحزام كان صندوقًا كبيرًا يحتوي على طابعة «كانون» Canon. فرمت على عجل محتويات سلّتها وراءها.

«حصلتَ على واحدة، إذًا؟».

دار أوليڤر حول نفسه وقد فوجئ لرؤيتها، «أوه. نعم. من حسن الحظّ».

رأت أمينة الصندوق أوراق الحمام الخاصة بكيرا، وامتعضت قليلًا، فمن الواضح أنّها غير معجبة بتجاوزها القانون.

«لكن لا معجّنات»، أضاف أوليڤر.

«رأيت ذلك. من كان يظنّ بوجود نقص في المعجّنات في إيرلندا؟».

«على الأقلّ تخلّصنا من البطاطا».

سلّمها كيسًا بلاستيكيًّا مجعّدًا، واحدًا من تلك التي شاهدته يحشرها في حقيبة ظهره قبل مغادرتهما الشقّة.

والسؤال هو، ما الذي في حقيبة الظهر الآن؟

يمكنها أن تقسم أنّها رأته، تمامًا قبل أن يستدير، يغلق السحّابة على عجل بطريقة جعلتها تفكّر بأنّه وضع فيها شيئًا لا يريدها أن تراه.

استغرقت عمليّة متجر البقالة معظم النهار. فما بين الانتظار في الطابور لركن السيّارة، والانتظار في الطابور للدخول، كانت الساعة قد بلغت الثانية في الوقت الذي قادا فيه السيّارة على طريق العودة إلى هارولدز كروس. تطلّب إفراغ حمولة السيّارة رحلتين إلى الشقّة، كما استغرق تنظيف كلّ شيء بالمنديل وإيجاد مكان لوضعه وقتًا طويلًا.

بدا الارتياح واضحًا على أوليڤر عندما بلغا نقطة تسليم السيّارة لشركة الإيجار- التي هما في صدد إعادتها إليها الآن- من دون أن يصادفا أيّ حواجز للشرطة. تخلّصت كتفاه وعموده الفقري من التوتّر الذي حملته معظم النهار. قد يزعم أنّ المسألة تتعلّق بقيادة السيّارة، لكنّهما مرّا في طريق العودة بسيّارتي دوريّة في طور إعداد حاجز طريق، وستقسم كيرا بأنّ اليد التي كانت ممسكة بيدها باتت دبقة بالعرق البارد على ذلك المنظر.

لكنّها لم تسأله عن الأمر.

فهي ما تزال منشغلة بحقيبة الظهر.

أبقت عينها عليها عندما عادا إلى الشقّة في المرّة الأولى: كان قد هرع بها إلى غرفة النوم قبل أن يعود إلى المطبخ من دونها، وبالتالي فإن ما كانت تحتويه، مهما يكن، ليس طعامًا.

ما الذي كان قد ابتاعه من ذلك المكان ولا يريدها أن تراه؟ ما الذي يمكن أن يكون قد اقتناه؟

ولماذا يخفي أيّ شيء عنها أصلًا؟

كانت قد سألته عَرَضًا عن الإيصال وهما في السيّارة في الطريق إلى المنزل، بحجّة معرفة بكم تدين له. لكنّه قال لها إنّه لا يعرف أين وضعه، بالرغم من أنّها كانت قد شاهدته يدسّه في جيب سترته عند صندوق الدفع.

هل نسي ذلك حقًّا؟

أم أنّه نطق بكذبة صريحة؟

وبعودتهما في المرّة الثانية إلى الشقّة، شرع أوليڤر في تمزيق علبة الطابعة وأعلنت كيرا أنّها ستأخذ دشًّا.

أخذت معها منشفة إلى الحمّام، أقفلت الباب وراءها وتعرّت. فتحت الماء في مرشّة الدوش بقوّة، وعدّلت الحرارة إلى ما دون الحارق بقليل ووقفت تحت مطرها المضغوط لثلاثين ثانية، متأكّدة من بلّ أطراف شعرها. ثمّ خرجت من تحتها، ولفّت نفسها بالمنشفة وأنزلت جسمها إلى أن جلست القرفصاء على بلاط الأرضيّة وظهرها إلى الباب.

تحتاج إلى دقيقة لوحدها.

للتفكير.

حقيبة الظهر ليست بالمسألة الكبيرة. فللناس الحقّ بالخصوصيّة، وهناك كثير من الأشياء التي يمكنك شراؤها من السوبرماركت وقد لا ترغب في الإعلان عنها للمرأة التي بدأت معها علاقة للتوّ. مثل...

أفضل ما أمكنها الخروج به هو مرهم البواسير، وهي ليست متأكّدة حتى من أنّه يُباع في السوبرماركت، لكن لا بدّ من وجود كثير من الأشياء.

شرع البخار الكثيف يدور من حولها في الهواء.

المشكلة في أنّ ذلك ذكّرها بإمكانية احتوائها على مجموعة من سكاكين المطبخ؛ أو زجاجة بحجم 200 ملل من الفودكا سيشربها قبل الظهر من زجاجة ماء؛ أو شيء من القسم الطبّي يحتاج إليه بسبب حالة صحّية ما لم يكشف عنها.

المشكلة هي في أنّها لا تعرف ما الذي يمكن أن يكون فيها، لأنّها لا تعرفه.

لا تعرفه بما يكفي لتتأكّد من أنّها في أمان هنا، تقيم معه في هذا المكان الذي لا يعرف أحد أنّها تقيم فيه.

وهي تريد أن تكون هنا. فعلًا.

لكن هل يجدر بها ذلك؟

أجفلتها قرعة قويّة على باب الحمّام.

«أأنت حيّة في الداخل؟»، قال أوليڤر بصوت خنقه الباب.

قفزت كيرا، خارج المنشفة، وعادت إلى سيل الدوش قبل أن تجيب بحيث تبدو «نعم» كأن تأتي من المكان الصحيح في الدوش.

«حضّرتُ العشاء»، قال. «سيجهز بعد حوالى عشر دقائق».

«حسنًا»، صاحت. «عظيم».

سمعت صوت نقرة- أذلك مقبض الباب؟ هل يحاول الدخول؟

أم أنّه يتحقّق إذا كانت قد أقفلته؟

انتظرت.

«أكلّ شيء على ما يرام؟»، سأل بعد لحظة.

«نعم. بخير. لماذا؟».

انتظرت جوابًا لكن لم يأتِها شيء، واعتقدت، بعد ذلك ببضعة ثوانٍ أنّها سمعت باب غرفة الجلوس يرتطم مقفلًا.

بقيت في الحمّام لبضع دقائق أخرى حفاظًا على المظاهر، ثمّ جمعت أغراضها وفتحت الباب.

تسرّب البخار من ورائها إلى الهواء البارد للردهة- وفي الاتجاه المعاكس تمامًا، كان باب غرفة الجلوس مقفلًا بالفعل.

توقّفت بقربه، وقد أدارت رأسها، تستمع. ما من صوت على الإطلاق يأتي من الجانب الآخر.

ما الذي يفعله هناك؟

اقتربت أكثر إلى أن كادت أذنها اليسرى تمسّ الخشب.

لا شيء. ثمّ عندها...

اعتقدت أنّها قد تكون سمعت صرير معدن على الإسمنت.

ما سيعني أنّه في الخارج، على المصطبة.

وعندها سمعت صوت تنقيط ماء، أكثر قربًا منها، وأدركت بعد برهة أنّها هي، تسيل منها قطرات الماء على أرضيّة البهو، تحدّد المكان الذي كانت تتنصّت منه، إنّها أطراف شعرها المشبعة بالماء التي كانت تشي بها.

توارت في غرفة النوم الرئيسيّة، متمسّكة بالمنشفة التي لفّتها من حولها، مقفِلة الباب وراءها بتكّة خفيضة.

لتوصده بعد ذلك، أيضًا.

كان المفتاح موجودًا على الدوام في القفل لكنّها لم تسمعه يدور فيه، وها هي تجفل الآن من مدى صخبه، وتأمل في أنّه ما يزال في الخارج. ولماذا سيكون عليها أن تقفل الباب الآن بالذات؟ لا يمكنها التفكير في أيّ سبب معقول ولا يمكنها بالتأكيد الإفصاح عن السبب الحقيقي: أن تبحث عن حقيبة الظهر.

أعادت ارتداء ثيابها- جينزها الوفيّ وتيشرت أسود عاديّ وقد تجعّد من الوقت الذي التفّ فيه كالكرة على أرضيّة الحمّام- ثمّ تفحّصت الغرفة.

ليس هناك إلّا مكانان يمكن أن تكون موجودة فيهما: في خزانة الملابس أو تحت السرير. تحقّقت من الاثنين، بذلك الترتيب، وهي تحرص على عدم ترك أي علامة تشير إلى أنّها كانت تفتّش في أغراض أوليڤر.

لكن لا أثر لحقيبة الظهر.

هل جاء إلى هنا وأخذها فيما كانت في الحمّام؟ ولماذا يفعل ذلك؟ يا للعنة، ماذا يوجد فيها ولا يريدها أن تراه؟

تحقّقت من جديد لتتأكّد من أنّه لم يفتها شيء، لكن حقيبة الظهر ليست هنا بالتأكيد. يمكن التحقّق من المكان بسرعة؛ فأوليڤر لا يملك كثيرًا من الأشياء. ثياب وأحذية ومستلزمات النظافة، وهذا يغطّي كلّ شيء.

لكنّه كان قد قال إنّ هذا منزل مؤقّت. وربّما أنّه غادر لندن ومعه كلّ ما يستطيع نقله على الطائرة.

«كيرا؟».

تجمّدت في مكانها.

بدا صوت أوليڤر كأنّه يأتي من غرفة الجلوس. أدارت المفتاح بسرعة، وفتحت باب الغرفة على مصراعيه ثمّ أسرعت إلى المرآة الكبيرة المعلّقة على الجدار بجانب خزانة الملابس، حيث كان ما يزال لديها خطّ رؤية إلى الباب المؤدّي إلى غرفة الجلوس.

كان بخار الحمّام قد أذاب كلّ مساحيق التجميل عن بشرتها ولكن ليس عن عينيها، مخلّفًا رموشًا ملطّخة ومتخبّطة بالكحل المتمرّد. بلّلت إصبعها، ومرّرته تحت كلّ عين على التوالي، محاولةً أن تصلح الضرر وأن تبدو بمظهر من كان يفعل ذلك هنا طول الوقت.

فُتح باب غرفة الجلوس بوضوح وظهر أوليڤر.

عندما رآها في غرفة النوم ابتسم لها بمكر، «أمستعدّة أنت؟».

«آه... نعم» وقد لاحظت الآن أنّ شعرها ملتصق برأسها. فرفعت يديها إليه ودلّكت فروة رأسها، في محاولة عقيمة لإنقاذه.

قال، «تبدين رائعة».

«هذه، الآن، كذبة واضحة».

«رائعة بالنسبة إليّ».

قلبت له كيرا عينيها.

«هيّا إذًا، تعالي»، ومدّ لها يده، يستدعيها. «لنذهب».

«نذهب إلى أين؟».

«تعالي معي فحسب».

«ما الذي يجري».

«بحقّ السماء، يا امرأة. فأنا أحاول أن أفاجئك. ساعديني».

أخذت بيده وتركته يقودها عبر غرفة الجلوس، وعبر باب الفناء وخارجًا إلى المصطبة...

كان مظهر المصطبة قد تغيّر.

كانت أشرطة أضواء اللّد الصغيرة ملتفّة حول الدرابزين؛ وتتوهّج بدفء في ضوء شمس المغيب. الطاولة الآن مغطّاة بشرشف مزيّن بمربّعات حمر وبيض، ومعدّة لعشاء لاثنين، تكمّلها شموع وامضة وكأسا شمبانيا. ضحكت عندما رأت أن كرسيًّا من المطبخ قد صودر ليتحوّل منصّةً لدلو بلاستيكيّ أصفر، من النوع الذي يلعب به الأطفال على الشاطئ، وقد امتلأ بالثلج ويحمل في داخله زجاجة نبيذ الپروسيكّو الفوّار. هاتفُ أوليڤر موضوع على الطاولة يصدر منه عزف شعبي ولطيف.

استدارت صوبه.

«كنت مقتصرًا على تسكو للحصول على المؤن»، قال، «وكان عليّ بالتالي أن أرتجل. لا تحدّقي كثيرًا إلى هذه الأضواء، فهي في الواقع وحيدات القرن. وشرشف الطاولة مصنوع من الورق، وكوبا الشامبانيا من البلاستيك، وهذه الشموع هي من النوع الذي تضيئينه لإبعاد الحشرات. لكنّني أعتقد أنّني أبليت حسنًا، صح؟».

لم تعرف تمامًا ماذا تقول. لكنّها استطاعت القول، «ما سبب هذا كلّه؟».

«حسنًا، أنتِ». وضع يده على ظهر رقبته ودلّكه بشرود، وهو ما أخذت تلاحظ أنّه يفعله دائمًا عندما يصاب بالحَرَج أو يخشى من أنّه سيصاب به. «أعني، انتقالك إلى هنا. حتى ولو كان ذلك مؤقّتًا وبسبب حالة طوارئ عالميّة غير مسبوقة... أنا، لعلمك، أختار ألّا آخذ هذا الأمر على محمل شخصيّ. فكّرت أنّه علينا، كما تعلمين، أن نحيي المناسبة.

وبما أنّه لا يمكننا الذهاب إلى أي مكان...». وابتسم. «لكن عليّ أن أحذّرك، بأنّني لم أبذل المجهود نفسه، أو أيّ مجهود، في تهيئة العشاء. فهو عبارة عن بيتزا وخبز بالثوم. من المجلّدات».

«أشكرك»، قالت وقد استعادت أخيرًا صوتها. «هذا... رائع».

وقد عَنَت ذلك.

دنا منها، وتركته يفعل.

«وأنتِ كذلك»، قال هامسًا في أذنها.

وكان عندها أن رأتها. من فوق كتفه عبر الباب المفتوح. في غرفة الجلوس في ضوء النور الساطع.

منكمشة وفارغة الآن، ملقاة على الأرض على مقربة من الأريكة.

حقيبة الظهر.

قبل 48 يومًا

جالا، صباح السبت، لفترة حول المدينة، بحثًا عن مكان يتناولان فيه الفطور. أشارت إلى مقهى يعجّ بالحركة في رأس شارع داوسن ولديه مقاعد في الخارج، لكنّه لم يكن يريد أن يتيح لمئات من الأشخاص فرصة التحديق إلى وجهه وهم يجولون بمحاذاتهما، ولا يريد الشعور كأنّ أحدًا غير مرئي يراقبه. ولمّا اقترح مطعمًا صغيرًا، في الطابق السفلي، على بعد أربع واجهات، قطّبت جبينها وقالت ربّما إن مكانًا أكبر أوسع قد يكون الخيار الأسلم، بسبب الوباء العالمي، كما تعلم؟ واتّفقا في النهاية على بِوْليز في شارع غرافتون، لأنّ كليهما مدرك، من جهة، بأنّه يُفترض به أن يكون مكانًا مميّزًا، ولأنّه، من جهة أخرى، يوجد بالفعل طابور طويل من الناس الذين ينتظرون للدخول، وهذه علامة جيّدة.

ما إن عبرا الباب بدورهما، حتى وجد أوليڤر أنّه الخيار الأمثل. فللداخل المهوّى، المرتفع السقف، التصميم ذاته للمقاهي الأوروبيّة الراقية الكبرى، والأفضل من ذلك أن مضيفهما قادهما مباشرة إلى الخلف، ومن حول زاوية، إلى طاولة صغيرة حيث لن تكون هناك حركة مرور. قدّم لكيرا المقعد المواجه للمقهى ليتمكّن من الجلوس وظهره له.

إنه لا يبالي بالطعام أو بالقهوة. جلّ ما يريده هو التأكّد من أنّه لن يندم على ذلك أكثر مما هو نادم بالفعل.

التقط لائحة الطعام وتظاهر بالقراءة.

التقطت لائحتها وقالت، «أنا أتضوّر جوعًا».

كان يُفترض به أن يكون قد وضع حدًّا للأمر في ليل الخميس. يلتقي بها على شراب ثمّ يختفي. ذلك ما يحتاج إلى القيام به، وكان سيقوم به.

وكان سيسهل القيام به، بالنظر إلى ما يحصل الآن. وربّما لم تكن لتفكّر بذلك مرّتين، ومن المؤكّد أنّها لم تكن لتشكّ فيه بشيء.

وانتهى بهما الأمر، بدلًا من ذلك، بالعودة إلى شقّته. ينزع كلّ منهما ثياب الآخر. وها هي الآن لا تعرف مكان إقامته، بل إنّها نامت أيضًا في سريره ورأت ندبته.

أمّا وقد أُخذ على حين غرّة، فقد أخبرها الرواية ذاتها التي أخبرها للوسي عندما كان في لندن. وأمل في ألّا يكون هذا مؤشّرًا إلى ما سيأتي.

هناك جزء منه لا يُصدّق أنّ ذلك قد حصل، لكنّ الجزء الأكبر يعرف أنّه حصل لأنّه أراد له أن يحصل.

لأنّه معجب بها.

تروق له وسيفسد ذلك كلّ شيء.

من جديد.

سألته، «ماذا ستطلب؟ أعتقد أنّني قد أطلب طبق البيض المخبوز في الفرن».

يعرف أنّه كالذي يده في النار، ويمكنه أن يرى اللّهب يخزّ جلده. وتخبره التجربة السابقة أنّه، في أيّ لحظة الآن، ستخترق الحماوة الطبقة الخارجية وتحرقها وصولًا إلى أطراف الأعصاب وترميه في عالم من الألم الصارخ.

لا توجد أيّ خاتمة ممكنة أخرى. فهو يعرف هذا.

لكنّه لا يستطيع أن يسحب يده.

يحبّ الحماوة.

«يبدو جيّدًا، قال. «أعتقد أنّني سأطلب ذلك أيضًا».

وضعا لائحتَي الطعام جانبًا. لا يمكنه أن يرى أيّ نادل في هذا الجزء من المقهى، لكن من المفترض أن يظهر أحدهم.

«لا تنظر»، همست كيرا. «فقط من زاوية عينك، إلى يمينك».

ثم رفعت ذقنها لتشير بأن عليه أن ينظر.

كانت واحدة من الزبائن واقفة بجوارهما على كرسيّها، متوازنة بشكل غير مستقرّ، وموجّهة كاميرا بحجم كلب صغير إلى طاولة مليئة بطعام وشراب مرتّبة بشكل فنّي. وتحقّقت المصوّرة من نتائج لقطتها الأخيرة، لتنحني من .بعدها وتزحل كوبًا من القهوة بضعة إنشات إلى اليسار، مترنّحة بعض الشيء. فيما ترجّح الكرسي الخشبي الواقفة عليه بشكل غير مستقرّ تحت قدميها.

التصرّف في العلن بطريقة تسترعي هذا القدر من الانتباه من دون أن يبدو عليها أنّها تهتمّ لمن يراها، أمر غريب جدًّا على أوليڤر بحيث صنّفه على أنّه نوع من الاختلال النفسي.

وتمتمت كيرا، «أيّ شيء من أجل الإنستغرام».

كانا قد استيقظا هذا الصباح في السرير نفسه، لكنّهما لم يمكثا بعد ذلك معًا؛ اقترح أن يسيرا إلى المدينة لتناول الفطور، لكنّها أبلغته أنّها بالأحرى ستلاقيه هناك، لأنّها تحتاج إلى «تجهيز نفسها» في شقّتها. تبديل الملابس، التبرّج، أيّ شيء آخر تقوم به النساء. منحه ذلك ساعة في المنزل وحيدًا استخدمها للبحث في وسائل التواصل الاجتماعي، بإفاضة أكبر هذه المرّة، مستخدمًا كلّ المعلومات التي كان قد استقاها. لكن، ومرّة أخرى، من دون طائل.

لم يتمكّن من إيجاد شيء يشبه حتى ملفّ تعريف مطابق على تويتر، فيسبوك أو إنستغرام، بالرغم من بحثه الدقيق عن كلّ احتمال أمكنه التفكير فيه. اسمها الكامل. اسمها الأوّل مضاف إليه عبارة دبلن. شهرتها إضافة إلى «كورك».

وكلّ تلك مع اسم عائلتها وأوّل حرف من شهرتها.

كل المشاركات الأخيرة التي تحمل وسمًا مثل thesidebar# #cocktails، و#french75 في حال كان اسم مستخدمها مؤلّفًا من سلسلة من الأرقام العشوائيّة أو أي اسم آخر معًا.

لا شيء.

ليس حتى حسابًا حُدّد على أنّه خاص قد يكون لها. وما من مشاركات قديمة تخصّ حسابات أخرى يمكن أن تكون قد وُسِمَت فيها.

لم تكن موجودة هناك.

ليس على وسائل التواصل الاجتماعي فحسب، بل أيضًا على الإنترنت في شكل عام.

وباستثناء حسابها على «لينكد إن» الذي وجده في اليوم الذي التقيا فيه، لم يأتِ البحث عنها في غوغل بأيّ نتيجة. فهي غير موجودة هناك إلى حدّ كبير يحمل على الشكّ.

على المرء أن يبذل جهدًا لإبقاء الإنترنت نظيفة إلى هذا الحدّ من اسمه.

أم أنّه سيفعل؟

ربّما لن يكون ذلك على هذا القدر من الصعوبة إذا كنت شخصًا عاديًّا.

وربّما كانت كيرا لا تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي. وهو ليس بالأمر المُستَغْرب. أليست، في مآل الأمر، عمليات التخلّص من السموم الرقميّة آخر صيحات الموضة؟ كما أنّه، في الساعات التي قضياها معًا، لم يشاهدها أبدًا تلتقط صورة واحدة من هاتفها. وكان يبدو، في كلّ مرّة يلقي نظرة على شاشتها، أنّها تتفقّد بريدها الإلكتروني أو تتصفّح عناوين الأخبار.

وبما أنّها فتحت الموضوع الآن، فإنّه وجد في ذلك فرصة لا تُفوَّت.

سألها، «إذًا، أنت لست على إنستغرام؟».

هزّت برأسها، «كلّا».

«ليس في الوقت الراهن، أم أنّك لم تكوني مطلقًا؟».

«أعتقد أنّه كان لي حساب لمدّة خمس دقائق، منذ بضع سنوات، لكنّني لم أنشر شيئًا. لماذا؟ هل لديك حساب؟».

«أوه، إذًا ستواصلين الادعاء بأنّك لم تلقي نظرة بحثًا عنّي هناك، هل فعلتِ؟».

«أقسم أنّني لم أفعل... صدقًا، ما كان الأمر ليخطر لي على الإطلاق».

«حقًّا؟».

«حقًّا».

«إذًا، أنتِ لا تجلسين مع الفتية الرائعين».

«أعتقد...»، قالت كيرا، «أنّ استخدام جملة ’تجلسين مع الفتية الرائعين‘ قد تستبعدك من كونك ذلك...؟».

«هذا منصف. وجوابًا عن سؤالكِ، أنا لستُ على إنستغرام».

«يا للعار. كنت ستحقّق نجاحًا كبيراً هناك».

«أكنت سأفعل؟».

«بذلك الوجه؟»، قالت، «بالتأكيد ستفعل. وأنت مهندس، بحقّ السماء...»

«ليس تمامًا».

«ستكونه هناك. فوسائل التواصل الاجتماعي ليست مكانًا للفوارق الدقيقة. عليك أن تستغلّ كلّ ذلك الهراء المتعلّق بتشييد المباني».

«ذلك في الواقع ما كان يُسمّى مقرّر شهادتي: بكالوريوس في الهراء المتعلّق بتشييد المباني».

ضحكت. ثمّ قالت، «فلماذا لست هناك؟».

«بصراحة...؟». زفر، شاريًا الوقت. عليه القيام في هذا بعمل أفضل ممّا فعل مع الندبة. المحافظة على البساطة. «أنا ببساطة، كما تعرفين، لا أفقه ذلك. لست ضدّه أو أيّ شيء. فأنا لن أعرف ما أفعل به». توقّف قليلًا، «لماذا لستِ أنت هناك؟».

«لأنني شاهدت من وراء الستارة».

«يبدو ذلك مشؤومًا».

«تقصّدت ذلك»، انحنت إلى الأمام، ومرفقاها على الطاولة. «انظر، ما من شيء مجانيّ، أليس كذلك؟ نحن ندفع معطياتنا ثمنًا لهذه التطبيقات. هذا ما تقوله في الواقع كلّ تلك اتفاقات الاستخدام التي لا يقرؤها أحد. لكنّ واقع أنّ كلّ عمالقة التكنولوجيا يجمعون المعلومات عنّا ليس ما يجب على الجميع القلق منه، بل إنّ ما يفعلونه بها هو المرعب. يمكنني أن أضع لك لائحة بالوثائقيّات لتشاهدها- إنّها حقًّا أفلام رعب- لكن

الطويل جدًّا ولم يُقرأ هو أنّها تلقّم المعطيات لأجهزة الذكاء الاصطناعي التي تعمل لتقويض فكرة الإرادة الحرّة بالذات. وأنا لا يمكنني وقفها- لا أعتقد أن أحدًا يستطيع، فقد فات الأوان- لكنّني لا أحتاج كذلك إلى أن أساعد بنشاط. وبالتالي فأنا أكتفي بـ«لينكد إن» لأنّه، في صناعتنا، إذا لم تكن فيها فكأنّك غير موجود على الإطلاق، لكن هذا كلّ ما في الأمر. أسيادنا الروبوتات سيأتون لا محالة، لكنّني لن أفتح لهم الباب على مصراعيه».

أتاح لنفسه لحظة من تصديق ذلك كلّه، في تأمّل ما قد يعنيه بالنسبة إليه لو كان صحيحًا فعلًا، لو أنّ كيرا لم تستخدم بالفعل وسائل التواصل الاجتماعي. حاولَ تخيّل ذلك. ماذا لو لم يكن هناك خطر في أن يجد، من خلالها، اسمُه ووجهه طريقهما إلى الإنترنت، فيؤدّي إلى نزول من ينصبّون أنفسهم مطبّقين للقانون من زمرة تويتر إلى الشارع حاملين المشاعل والمذارى، مسترعين انتباه إعلام الفضائح؟

يمكنه الاستمرار في رؤيتها. لوقت أطول بعض الشيء، في أيّ حال. ما دامت مستمرةً في تصديقه.

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

اليوم

الرائحة في البهو أسوأ من ذي قبل.

تستطيع لي أن ترى، عبر البوّابات الزجاجيّة المقابلة، أنّ ساكني الشقق، في الرواق بين هذا المكان والمسرح، قد لزموا بحكمة مصاطبهم. لا يمكنهم، في الوقت الراهن، المغادرة إلّا إذا امتلكوا ما يمكن احتسابه سببًا طارئًا، إلّا أنّ الوباء العالمي وضع حدًّا لمعظم الأسباب. كان يمكن في العادة نقلهم إلى فندق، لكنّ ذلك، في الظروف الراهنة، ليس بالخيار السهل كما في السابق. وما إن ينهي أفراد الأدلّة الجنائيّة عملهم، ويكون الطبيب الشرعي قد حضر وغادر، حتى يمكن نقل الجثّة وتنظيف الشقّة. وهي تأمل، حتى ذلك الوقت، في أن يبقى الطقس جيّدًا.

فتحت لي، وهي مقنّعة وتحاول التنفّس من فمها، علبة البريد المخصّصة للشقة رقم 1 بمفتاح كان أحد العناصر قد استعاره من المرأة في الشقة رقم 4. يبدو أن كلّ مفاتيح علب البريد هي ذاتها هنا؛ تساءلت إذا كان السكّان يعرفون، وفي هذه الحال، ما هو شعورهم حيال ذلك. أخرجت المحتويات بيدها ذات القفّاز. وفيما هرع العنصر الأمني لإعادة المفتاح، أخذت لي مكافأتها عائدة إلى الخارج- مُبعِدة نفسها أيضًا عن الرائحة.

كان كارل ينتظر عند سيارتهما، وهو يبدو، على غير عادة، راضيًا عن نفسه لتمكّنه بطريقة ما من تحضير كوبين من القهوة الجاهزة بسرعة.

جلسا في المقعدين الأماميّين، تاركين بابيهما مفتوحين ليتمكّنا من الاستمرار في الإصغاء إلى المسرح والتحرّك في حال احتاج إليهما أحد.

وضع الكوبين على لوحة القيادة وسحب كيسًا نظيفًا لحفظ الأدلّة من علبة القفّازات، وأمسك به مفتوحًا لتتمكّن لي من إسقاط المغلّف فيه.

هو كيس رقيق وبلون القشطة، ناعم وقاسٍ. ورق من الباب الأوّل. أشبه بشيء قد يحتوي على دعوة إلى زفاف.

لا يوجد شيء على وجه المغلّف سوى اسم مكتوب بخطّ اليد بالحبر الأزرق.

أوليڤر سانت لدجر.

حرّك الاسم شيئًا في خلفيّة ذهن لي، لكنّها لا تعرف السبب. فهو لا يعني لها شيئًا. لا يمكنها التفكير أين قد تكون سمعته من قبل، أو في أيّ سياق.

«ما هذا؟»، قال كارل، مشيرًا بإصبعه.

قلّبت لي المغلّف ورأت مزيدًا من الكلمات المكتوبة بخطّ اليد على ظهر المغلّف، فوق الجزء الذي يُطوى.

هذا ليس ما تخشى أنّه كذلك.

قال كارل، «أراهن على أنّه ما خشي أنّه كذلك».

لا يمكنهما فتحه؛ على الأدلّة الجنائيّة أن تفعل ذلك من باب الاحتياط. وضعته لي، في الوقت الراهن، على لوحة القيادة، وكان الجانب الذي يحمل الاسم إلى فوق.

سوّى كلاهما وضعية جلوسه، وحدّقا إليه وهما يرتشفان قهوتهما.

عقدت لي حاجبيها، «أوضعت سكّرًا فيها؟».

«ثلاث ملاعق»، قال كارل. «ولا تجرئين على القول أنّه لا يمكنك أن تتذوّقيها»، هزّ رأسه مضيفًا «تحتاجين فعلًا إلى إجراء تحليل للدم».

«لستُ أنا من يفطر على عبوة ردبول وسيجارتي مارلبورو».

«وماذا تناولتِ إذًا؟ أعجّة من بياض البيض وحقنة من عشبة القمح؟».

«لم أتناول شيئًا»، قالت. «فأنا صائمة».

«لا شكّ في ذلك».

«أيعني لك ذلك الاسم شيئًا؟»، أشارت لي بذقنها في اتجاه المغلّف على لوحة القيادة. «أوليڤر سانت لدجر؟».

«أيجب أن يفعل؟».

«لا أدري. يبدو لي مألوفًا، وسانت لدجر اسم غير شائع كثيرًا هنا. ولا أعتقد، مع ذلك، أنّني قد قابلت أحدًا بهذا الاسم».

«ربّما تفكّرين بممثّل ما».

سحبت لي هاتفها من جيبها وفتحت متصفّحها، بيد واحدة وفي شكل أخرق. أدخلت اسم أوليڤر سانت لدجر في خانة البحث في غوغل. وكانت النتيجة خلطة الإنترنت النموذجية: ملفّات التعريف على وسائل التواصل الاجتماعي، وفيّات، لائحة بالموظفين في موقع تابع لإحدى الجامعات.

ليس هناك سوى قليل جدًّا من الأسماء المطابقة تمامًا، ويكاد يكون لا شيء من دبلن، أو أيّ شيء يمكن أن يفسّر لماذا قد يعني ذلك الاسم شيئًا لها.

«لا طوابع»، قال كارل. «تسليم باليد».

«أدهشني أنّك لاحظت».

«أخذ الكافيين يفعل فعله، ماذا يسعني القول؟».

تناولَتْ لي الكيس البلاستيكي وقلّبته بحيث باتا ينظران إلى الرسالة على الظهر.

«هذا ليس ما تخشى أنّه كذلك»، قرأ كارل بصوت مرتفع. «ما الذي يعنيه ذلك؟».

«تخمينك بجودة تخميني».

«تخميني هو انفصال سيّئ»، قال. «أو معركة حضانة. أو ساقطة منتقمة مترصّدة مهووسة».

«أسحب كلامي. ذكّرني في أن أسجلّك في برنامج للتدريب على مراعاة المشاعر، يا كارل».

«أهو ذلك الشيء المتعلّق بتقمّص الأدوار؟ لقد قمت بذلك بالفعل».

«لست متأكّدة من أنّك استوعبته».

«ما الذي تعتقدين، إذًا، أنّه يعني؟».

«في الحقيقة...»، تنهّدت لي، «أعتقد أنّنا ربّما كنّا منحازين من جرّاء واقع أنّنا وجدناه في علبة بريد لشقّة كان أحدهم يتحلّل فيها منذ أسبوعين. قد يكون شيئًا بريئًا، إيجابيًّا، بل وحتى لطيفًا. كأن يكون... دعوة».

«حسنًا، أيّتها المتفائلة بوليانّا*».

«هل عاود جمهور الهندسة ذاك الاتصال بك؟».

«لا. سأحاول معهم من جديد». أخرج كارل هاتفه، وبينما كان يعمل على فتح قفله بإبهامه، سكب بضع نقاط من القهوة على بنطاله. «لنسألهم إذا كانوا يفتقدون شخصًا اسمه 'أولّي'».

* بطلة رواية كلاسيكية للأطفال للروائيّة الأميركية إليانور بورتر، اشتهرت بالتفاؤل المفرط.

أولّي.

أولّي سانت لدجر.

خرج الاسم وكلّ ما يعنيه مسرعًا من خلفيّة دماغ لي ومقدّمته ووسطه.

فجأة، عرفت بالضبط من أين تعرفه، وهذه المعرفة ألقت حجرًا باردًا من الخوف في وسط صدرها.

«أعود بعد لحظة»، قالت لكارل الذي كان حينها قد وضع هاتفه على أذنه.

نزلت لي من السيّارة، ووضعت قهوتها على سطحها. سارت مبتعدة بضع خطوات، وخابرت مكتب الاستقبال في صان درايف رود وسألت إذا كان هناك من يعرف رقم الهاتف الجوّال لمفتّش المباحث، المتقاعد، بيل أوليري. كان أحدهم يملك رقم شخص قد يكون يعرفه، وانتظرت لكي يجري الاتّصال.

أولّي سانت لدجر.

يا اللّه، لو أنّه هو الموجود هناك...

ستكون محظوظة إذا تمكّنت من الحصول على طلبيّتها الجاهزة مساء الجمعة المقبل.

عادت لي، وهي ما تزال في الانتظار، لجلب قهوتها، وارتشفت منها وهي تخطو جيئةً وذهابًا خارج نطاق شريط الطوق الخارجي للشرطة.

استطاعت أن ترى، عبر زجاج السيّارة الخلفي، أن كارل قد أنهى مكالمته وهو ينظر إليها الآن بتساؤل في انعكاس مرآة الرؤية الخلفيّة.

أدارت له ظهرها.

لن تتفوّه بشيء حتى تتأكّد.

أولّي سانت لدجر. فهو قلّما استخدم ذلك الاسم. لا يمكن أن يكون هو، بالتأكيد. كان، في العادة، سيبدّله، في حالات كهذه، إلى اسم عائلة أمّه وهي عزباء. ذلك ما يحدث في الغالب.

لا توجد حالات كثيرة كهذه في العادة.

خرج صوت من الطرف الآخر من الخط، وقال إنّهم حصلوا على رقم بيل، وإنّهم سيبعثونه برسالة نصّية.

توقّفت لي عن المشي ونظرت إلى الهاتف، وهي تريد من المرسل أن يستعجل في الطبع.

إذا لم يكن يستخدم ذلك الاسم- وهي شبه متأكّدة من أنّه لم يفعل- فهذا يعني أنّ من وضع المغلّف في علبة بريده، كائنًا من كان، يعرف من هو تمام المعرفة.

أو أنها تعتقد أنّه يعرف، ما يعني أنّ الأمر سيكون أكثر سوءًا بكثير لو كان لذلك المغلّف علاقة بواقع أنّه يرقد الآن ميتًا على أرضيّة حمّامه وأنّهم أخطأوا في هويّته.

رنّة.

ضغطت لي على الرقم الوارد في النصّ، بادئة الاتصال.

رنّ عددًا كبيرًا من المرّات قبل أن يجيب صوت رجل متقدّم في السن بخشونة، «نعم؟».

«بيل، أنا لي ريوردان. كيف حالك؟».

مرّت لحظة قبل أن يقول، «أخشى من أنها ليست مكالمة مجاملة».

مباشرة إلى صلب الموضوع، تمامًا كما عندما عملا معًا قبل خمسة عشر عامًا. كانت قد تخرّجت حديثًا من كلّية الشرطة في تمبلمور، وكان

بيل عندها قياديًا محنّكًا متقدّمًا في السن، اشتهر حتى خارج السلك بسبب ضلوعه في قضايا بارزة جدًّا.

قالت لي، «ليست. لسوء الحظّ». خطت خطوة أخرى بعيدًا من السيّارة، والطوق، والجميع، وخفضت صوتها. «بيل، أنا في مسرح في هارولدز كروس، وعندي أمر حسّاس أريد أن أسألك إيّاه. لديّ اسم. أريد أن أعرف إذا كان يعني لك شيئًا. ذلك كلّ ما أسأله، عند هذا الحدّ، لمصلحة كلينا. وكل ما أبحث عنه هو نعم أو لا. موافق؟».

«موافق...».

أخذت لي نفسًا عميقًا، «أولّي سانت لدجر».

الصمت الذي أعقب كان طويلًا للغاية إذ أنها أبعدت الهاتف عن أذنها للتحقّق من أنّه كان ما يزال متّصلًا.

قال بيل، «يعني لي شيئًا، نعم».

«شكرًا. اعتقدتُ أنّه سيكون، لكنّني أردت التأكّد».

«إذا احتجتني...»

«لربّما. أهذا هو الرقم الأفضل للاتصال بك؟».

«طالما أنّني أسمع الهاتف يرن. فسمعي لم يعد كما كان. لكنّ زوجتي ستفعل إذا لم أسمع».

تردّدت لي. يفترض بها ترك المسألة عند هذا الحدّ، لكن...

شعرت بأنها ملزمة بإعطائه شيئًا في مقابل هذا.

قالت، «أعتقد أنّه ميت».

صمت طويل آخر. ثم: «جيّد».

طقّةُ خط يُقفل.

عادت لي إلى السيّارة وجلست فيها.

«لدى كي بي استوديوز شخص اسمه أوليڤر»، قال كارل. «لكن اسم عائلته هو كينيدي. قال الشخص الذي تحدّثت معه أنهم يملكون شقّة هنا، نعم، ويعتقد أنّ كينيدي يمكن أن يكون مقيمًا فيها، لكنّه غير متأكّد. يبدو أن ذلك هو شعار الشركة». وقلّد صوت دعاية تلفزيونيّة. «كي بي استوديوز: حيث لسنا متأكّدين مطلقًا». ذكّريني بألّا نستخدمهم على الإطلاق، لتصميم مبنى، مثلًا، هلّا تفعلين؟ ولا توجد صور أستطيع العثور عليها على الموقع الإلكتروني، أو أي موقع تواصل اجتماعي. لكن الشخص وصف كينيدي بأنّه في أواخر عشرينيّاته، بطول ست أقدام، شعره بنّي فاتح، حسن المظهر. لكنّه قال أيضًا أن أذنيه كبيرتان ويمتلك فكًّا زاويًّا وهكذا... أعرف أنه كان على درجة كبيرة من التحلّل ووجهه إلى الأسفل، لكن أيمكن أن يكون ذلك ما هو موجود في الداخل؟».

قالت لي، «ما هو موجود في الداخل عاصفة قرف تامّة ومطبقة. على الأرجح».

«آه؟»، تجهّم كارل. «مع من كنت تتحدّثين؟».

«سنحتاج إلى التكتّم الكبير على ذلك، في الوقت الراهن».

«أحبّ التشويق، يا لي، لكن...».

«أقلّه إلى أن نتأكّد»، وتنهّدت. «كنت حقًّا أتطلّع إلى ذلك الطعام الجاهز، كما تعرف».

«بحق الجحيم، ما...»

استدارت لتنظر إليه، «أتذكر قضيّة ميل ريڤر؟».

قبل 32 يومًا

بعد الوهج الدافئ لليل الأحد، بدا يوم الاثنين أشبه بصدمة البداية الحقيقيّة الباردة، الحادة.

فتحت كيرا عينيها على الظلمة، لكنّها وجدت، بعد بضع ثوان، الضوء الرماديّ الضعيف يشقّ طريقه حول حافات ستارة النافذة. وكان أوليڤر، كالعادة، يدير لها ظهره في الجانب الآخر من السرير، وهو ما يزال يغطّ في نوم عميق، ويشخر قليلًا. كانت قد تأكّدت، في الليلة الماضية، من أن تترك ثيابًا مطويّة على الأرض تمامًا بجانب ما يبدو الآن أنّه جانبها من السرير: سروال بيجاما من القماش المنقّط وتيشرت قديم مبقّع حُوّل إلى ملابس للنوم. التقطتهما وسارت على رؤوس أصابعها إلى خارج الغرفة، مغلقة الباب وراءها بهدوء، وارتدتهما على وهج الضوء في غرفة الجلوس.

كانت ماكينة القهوة الأنيقة هادئة هدوء محرّك الجَرّار، فاستخدمت كيرا الغلّاية بدلًا منها، وأطفأتها قبل أن تبدأ بالغليان والصفير، وحرّكت فيها ملعقة من حبيبات البنّ السريع التحضير سحبتها من مخزونهما المخصّص ليوم نهاية العالم.

إنها لا تهتمّ فعلًا لمذاقها؛ وكلّ ما تريده منها هو فوعة عطرها في الصباح.

فتحت قفل الباب المؤدّي إلى المصطبة ذات الدرابزين، فأصدر صوت تكّة لطيفة، لكنّه أصدر صوت صفير أكثر صخبًا لمّا جرّته لفتحه. ما يزال الشرشف ذو المربّعات على الطاولة منذ الليلة الفائتة كما ما تزال

الأضواء ملفوفة حول الدرابزين: شعرت بالسخافة عندما تذكّرت شكوكها بأنّ لديه شيئًا أكثر شرًّا يخبّئه في حقيبة ظهره.

ما الذي اعتقدت جدّيًا أنه موجود فيها؟

تصوّرت وجه أوليڤر بعد كشفه عن الأمر مباشرة، عندما كان يعتذر على اضطراره للبحث عن لوازمه الرومنسيّة في تسكو. لمحة من الحماوة على وجنتيه، الابتسامة العصبيّة، الطريقة التي يخفض فيه رأسه عندما يكون محرَجًا كما لو أنّه يرفع عينيه للنظر إليك، بالرغم من طوله...

ابتسمت كيرا للذكرى.

اختارت الكرسيّ الذي يمنحها منظرًا أفضل للباحة، ومن حوله للشقق الأخرى، وأمسكت قهوتها بيديها الاثنتين.

السماء تزداد إشراقًا في كلّ دقيقة. هدوء المكان مدهش. لكنه يُشعر بالضيق. فحركة المدينة آخذة في التراجع منذ أسبوعين حتى الآن؟ لكنّها توقّفت كلّيًا في خلال عطلة نهاية الأسبوع. غياب ضجيج حركة السير- المحرّكات والأبواق والإطارات على الأسفلت- هو التغيُّر الأكبر، وهو الأكثر إثارة للقلق بينها كلّها. وهي على بعد عشر دقائق من قلب المدينة الواقع على الضفّة الجنوبيّة للنهر. ولا يوجد أيّ صوت على الإطلاق باستثناء العصافير البعيدة وحفيف النسيم عبر أشجار الباحة.

فكّرت: قد أكون آخر شخص موجود على الأرض، وأنا لا أعرف ذلك.

ومن ثمّ أنّها قد تكون آخر شخص على وجه الأرض، ولم يكن أحد حتى قد عرف أنّها كانت هنا.

حركة.

رأت كيرا أوّلًا، جوربًا باللون الورديّ الفاتح وتحيّرت لبرهة وجيزة كيف تبدو ساقا صاحبته كأنّهما تختفيان عند الركبة، لكنّها طرفت عند

ذاك بعينيها وأدركت ما الذي كانت تنظر إليه: ليس امرأة تطفو في الفضاء، بل واحدة ترتدي جوربًا طويلًا رماديًّا إلى ما تحت الركبة، تقوم بتمارين اليوغا على شرفتها.

كان أوليڤر قد أخبرها أنّ في المبنى قاعة للرياضة، لكنّها أقفلت في الأسبوع الفائت باب الشقّة من باب الوقاية، وهي، في ظلّ الحَجْر، ستبقي باب الشقّة مقفلًا في المستقبل المنظور. وكان قد أخبرها بأنه سيعاود رياضة الهرولة؛ فردّت عليه: «لن أفعل ذلك معك»، وأخبرته عن قاعدتها القاضية بألّا تركض إلّا إذا كانت عرضة للمطاردة وتبغي الفرار. لكنّها تحبّ فكرة الخروج للتنزّه. فالجوار لطيف هنا بوجود قناة ماء، وما يزال بعض من المدينة في نطاق كيلومترين. وسيكون من المثير رؤيتها كما يجب أن تكون عليه الآن، فارغة تمامًا. وستمنحها النزهة فرصة للتفكير.

تناولت رشفة أخرى من قهوتها.

سيّدة اليوغا تنحني الآن. إنّها شقراء ورشيقة. هي في الطرف الآخر من المجمّع وأعلى منها بطابق واحد أن ترى كيف أنّ القماش يلتصق بجسد المرأة ويمكن لكيرا، حتى من تلك المسافة. وهي تفترض أنّ هذا هو سبب امتلاك هذه المرأة الثقة للقيام بذلك على شرفتها، على مرأى محتمل من جميع جيرانها. تساءلت إذا كانت المرأة تريد للناس أن يشاهدوها، وإذا كانت اليوغا هي التي تجعل المرأة تشعر بالارتياح، أم أنها للفت الأنظار.

انتصبت المرأة، كما لو أنّها تسمع أفكار كيرا، وجاءت إلى الحاجز الزجاجيّ ووضعت يديها فوقه. وأدارت رأسها للنظر مباشرة صوب كيرا.

ذلك، في أيّ حال، ما يبدو عليه الأمر. إذ يصعب تبادل الحديث

من تلك المسافة البعيدة، كما أنّ أوراق أشجار الباحة تقع على مسافة متوازية بينهما. لكنّ كيرا أحسّت بوخز في بشرتها للشعور بأنّها مراقَبة.

خفضت نظرها إلى كوب قهوتها، وبالغت في حركتها هذه، بحيث تتلقّى المرأة الرسالة بأنّها لا تحدّق إليها في المقابل.

«آه، بحقّ السماء».

قفزت كيرا لدى سماعها صوت أوليڤر وراءها مباشرة، فانسكبت القهوة من فوق حافّة كوبها ووقعت بضع نقاط على فخذيها. استدارت لتراه واقفًا عند الباب المفتوح، يحمل كوبين، ويقدّم أحدهما لها.

«اعطني ذاك»، قال. «وخذي هذا».

«ما هذا؟».

«قهوة. أعرف أنّها ليست ما تشربينه، فقد رأيت الإبريق على المنضدة. ذلك مخصّص، كما تعلمين، للوقت الذي نبلغ فيه مرحلة الطريق إلى نهاية العالم. ولا داعيَ لتعاقبي نفسك به حتى ذلك الحين».

قلّبت كيرا عينيها بحسن نيّة، ووضعت طوعًا الكوب الذي معها على الطاولة وتناولت البديل منه.

«لماذا لم تستخدمي الآلة؟».

«نسيت كيف»، قالت كاذبة. أخذت رشفة من قهوتها الجديدة، الجيّدة. طعمها أطيب. لا بدّ من أنّ تلك الآلة أقلّ ضجيجًا ممّا اعتقدت.

«شكرًا»، قالت. «وصباح الخير».

«صباح الخير لك أيضًا». خطا إلى الخارج، حافي القدمين على الخرسانة، وانحنى ليقبّل قمّة رأسها. ثمّ جلس في الكرسيّ الآخر، في خطوة محترسة لإبقاء قهوته كلّها في كوبه. «إذًا، أنت دومًا تنهضين في هذا الوقت المبكر في يوم مدرسيّ؟».

«أهو وقت مبكر؟».

«صارت السابعة للتوّ».

«حسنًا، إذًا... نعم. أفترض ذلك. هذا هو توقيتي الاعتيادي».

نظر أوليڤر من حول الباحة، «يا إلهي، المكان هادئ للغاية».

«ما من حركة سير. أعتقد أنّ ذلك هو التغيُّر الكبير اليوم».

«ما من أيّ شيء. إذًا، ما مشاريعك؟».

«أحتاج، في الحقيقة، إلى تسجيل الدخول إلى نظام حواسيبنا عند التاسعة»، قالت كيرا. «هل لديك مانع إذا استخدمت غرفة النوم الإضافية بعد الغداء؟ عليّ عندها أن أُجري بعض الاتصالات، وهكذا...». كانا، في خلال عطلة نهاية الأسبوع، قد سحبا طاولة الطعام إلى غرفة النوم الإضافيّة لاستخدامها مكتبًا. وقضى الاتفاق بأن يأخذ أحدهما المكتب المرتجل في الصباح، والآخر في فترة بعض الظهر. على أن يستلقي من ليس في الغرفة على الأريكة، ويستخدم طاولة القهوة أو يجلس إلى لوحة الفطور. أو حتى يعمل من السرير، إذا أحبّ.

«سأقوم هذا الصباح بمعالجة بعض الرسائل الإلكترونيّة. ويمكنني القيام بذلك من على الأريكة».

«هذا يناسبني».

«وأعتقد أنّني سأقوم بنزهة قرابة الظهر. بل وقد أحاول القيام بذلك كلّ يوم. وأنا أقول لكَ هذا لكي أقوم به في الواقع. لأكون تحت المحاسبة، وكلّ تلك النغمة».

«هاكِ إذًا ما سنفعله»، قال أوليڤر، وهو ينحني إلى الأمام. «سأستخدم غرفة النوم في النصف الأوّل من النهار، وأنت لكِ الأريكة. وسأحضّر

الغداء، عندما تذهبين في نزهتك. وبعدها، إذا كنتِ لا تمانعين، سأمضي، قرابة الخامسة، لممارسة رياضة الركض، وأنتِ تحضّرين العشاء؟».

قطّبت جبينها.

«حسنًا»، قال. «البدء في التحضير للعشاء، كأن تبدأي بإحماء الفرن».

«يمكنني فعل ذلك. مع أنّه سيكون عليك أن تعلّمني كيفية تشغيل الفرن».

«وأعتقد، من ثمّ، أنّه يمكننا الليلة أن نبدأ بمشاهدة برنامج من الأرض إلى القمر؟».

وهو برنامج كان يتابعه عن عمليّات الهبوط على القمر.

ابتسمت، «تبدو خطّة جيّدة».

سوّى أوليڤر جلسته على كرسيّه، وهو راضٍ.

لاحظت كيرا أمرًا لدى أوليڤر: يحتاج إلى خطّة موضوعة، وسيضعها إذا لم تكن هناك واحدة بالفعل. عليه أن يعرف ما الذي يحصل الآن وتاليًا وما بعد ذلك، وعلى ما يحصل أن يمتلك بنية خاصة به. وقد رأت المنطق في هذا في أيّام السبت الفارغة أو الأحد الكسولة، لكنّه يبدو مبالغًا فيه بالنسبة إلى بقية أيّام الأسبوع التي سيتمّ صرف معظمها في العمل.

وافترضت، مع ذلك، أن وجود بنية من نوع ما في أيّامهما في الحَجْر لا يمكن أن يكون بالأمر السيّئ.

غامرت كيرا بنظرة إلى شرفة سيّدة اليوغا.

كانت فارغة.

لقد رحلت.

عندما بلغت كيرا نهاية شارع هاركورت، رأت البوّابات عند زاوية ستيفنس

غرين المقابلة مغلقة. لم تتمكّن من قراءة المكتوب على لافتة النيون الأصفر المربوطة بشريط عند السياج، إلى أن عبرت الطريق وباتت واقفة قبالتها. الشعار بات مألوفًا الآن، وقد حزرت بالفعل ما فيها: المتنزّه مقفل بسبب كوڤيد-19.

لم يكن لذلك أيّ معنى- أليس هو متنزّهًا؟- غير أنّه لا يوجد من تشتكي له. شرعت، بدلًا من ذلك، في السير حول محيط السياج، وهي تلقي نظرة هنا وهناك على العشب الخالي، والمساحات المورقة وراءه. يبدو هادئًا ولكن لا يظهر أنّه كذلك؛ فهناك زعيق متواصل من الأصوات المتنافرة يأتي من الداخل. يظهر أن طيور البحر التي تُرهِب في العادة متسوّقي شارع غرافتون قد صادرت بالفعل المتنزّه.

انسّل ترام «لواس»* عابرًا وعلى متنه ثلاثة ركّاب فقط. ومرّ اثنان من رجال الشرطة بلباسهما الرسمي على درّاجتيهما، وهما بالكاد يسيران بسرعتها، ويتمايلان في شكل متعرّج ويتحادثان في شكل عاديّ كما لو أنّهما خارجان في جولة يوم أحد. أمّا هي، فواحدة من قلّة فقط من المشاة.

كان هناك أيضًا صوت أزيز مشؤوم لا يمكنها تحديده تمامًا، هادئ في البداية، ثمّ يتزايد حدّة باطّراد. اعتقدت أنّ إنذارًا انطلق في مكان ما، إلى أن شاهدت رجلًا، يقف على مسافة عشرين خطوة، يحرّك مجموعة من أجهزة التحكّم اليدويّة وهو ينظر إلى الأعلى. تتبعت نظره وشاهدت المسيّرة، وهي عبارة عن شيء صغير أسود يتحرّك بثبات عبر سماء منتصف النهار، فوق السطوح تمامًا، يلتقط صورًا جوّية للمدينة شبه المهجورة.

* نظام النقل العام في إيرلندا.

كانت كيرا قد تخيّلت الحصول على كوب من القهوة وشربه على مقعد عند بركة البط في المتنزّه، لكنّها وجدت الآن كم كانت مثل تلك الخطّة ساذجة: المتنزّه مقفل، ولا يوجد مكان تحصل منه على القهوة. فحتى متجر البقالة الصغير في أعلى شارع غرافتون، بالرغم من أنّه ما يزال مفتوحًا للأعمال الأساسية، وضع شارة خارج الخدمة على آلة قهوة الخدمة الذاتيّة.

سيكون عليها التفكير في شيء آخر تفعله في كلّ يوم، في مكان آخر للجلوس والتفكير. لأنّها تعرف أنّها تحتاج إلى ذلك، إلى وقتٍ للتحليل. فهي لم تعتد العيش مع شخص آخر أربعًا وعشرين ساعة في اليوم، كما إنّ كلّ شيء قد حصل بسرعة فائقة.

انفجرت الحياة فيها فجأة، ذلك ما يبدو عليه الأمر. جاءت إلى دبلن، وجدت أوليڤر، بدأت حالة طوارئ عالميّة غير مسبوقة، وانتقلت للعيش معه.

وذلك كلّه حصل في الشهر الماضي فقط.

في الليلة الماضية، وبعدما غفا أوليڤر واستدار مديرًا لها ظهره، تمدّدت مستيقظة لبعض الوقت في الظلمة، غير قادرة على تهدئة ذهنها، فيما كانت أفكارها تتسابق. لم يكن الأمر أنّها لا تريد أن تكون حيث هي، بل إنّها، على العكس، موجودة تمامًا حيث تريد أن تكون. فالأمور تسير بالنسبة إليها حتى أفضل ممّا كانت تأمل، وبسرعة.

لكن السرعة هي المشكلة بالذات. تبدو كما لو أنّها قوّة غير مرئيّة تمسك بكلا مرفقيها وتجرّها معها، أشبه بأولئك المتظاهرين الذين تشاهدهم على الأخبار، والشرطة، بتجهيزاتها المضادة للشغب، تجرّهم

بعيدًا وأطراف أصابع أقدامهم بالكاد تلامس الأرض. وليس الأمر أنها تُسحب إلى مكان لا تريد الذهاب إليه، لكنّه هكذا فحسب...

كلّ شيء يحدث بسرعة، وبسرعة كبرى.

تفكّر لو أمكنها أن تحصل على بعض من الوقت لنفسها، في الخارج، كلّ يوم، فسيكون لتلك الساعات فعل مطبّات السرعة، فتبطئ كلّ شيء.

ما يكفي لجعلها تشعر بأنّها تستعيد السيطرة من جديد.

ولكن، بالنسبة إلى اليوم، فعلى هذا أن يفي بالغرض.

دارت كيرا دورة واحدة حول سياج ستيفنس غرين ثمّ انطلقت عائدة إلى الشقّة.

سمعت الصوت حتى قبل أن تضع المفتاح في باب المدخل.

صوت ذكوريّ وغاضب ويمتلك تلك الخاصيّة المضخّمة، المنفصلة الصادرة عن مكبّر للصوت. لم تتمكّن من فهم أي كلمة، لكنها تمكّنت من أن تتبيّن الانفعال على الفور: إحباط.

وربما غضب.

هزّت كيرا المفاتيح، وأغلقت الباب وراءها بخبطة في محاولة للإعلان عن حضورها، لكن الصوت استمرّ، بلا انقطاع.

لا بدّ من أنّ أوليڤر يجري اتصالًا بالفيديو من الغرفة الإضافيّة، التي رأت بابها مفتوحًا. وهو ربّما لم يتوقّع عودتها بهذه السرعة. الصوت الآخر أكبر سنًّا، وسمعته، مع تقدّمها عبر الردهة، يقول، «اعتقدت أنّنا اتفقنا على أنك لن تخفي شيئًا عنّي».

توجّهت إلى باب الغرفة لإقفاله ومنح أوليڤر وهذا الرجل شكلًا ما

من أشكال الخصوصيّة. لكن يبدو أن أوليڤر ما يزال حتى غير مدرك بأنّها قد جاءت. كان جالسًا إلى مكتبهما المرتجل وظهره لها. استطاعت أن ترى شاشة حاسوبه المحمول مغطّاة بوجه رجل ذي شعر أبيض-رماديّ، ووجه أسمر مخطّط، وكاميرا الإنترنت خاصته موجّهة إلى تلك الزاوية غير الملائمة وغير المستحَبّة تحت الذقن مباشرة وصعودًا حتى الأنف.

كان الرجل يهزّ رأسه كما لو أنّه غير مصدّق، ووضعيّة أوليڤر - الكتفان هابطان، والرأس منحنٍ- تبدو كأنّها تخبر عن نوع من الخزي أو الهزيمة.

«لا يمكنك...» قال رجل الشاشة، ثمّ توقّف ليقطّب جبينه على شيء من فوق كتف أوليڤر.

عليها، أدركت كيرا بعد برهة.

التفّ أوليڤر وعلى وجهه سؤال.

«آسفة» حرّكت فمها كأنّها تتكلّم، وشدّت الباب بسرعة وأغلقته.

ولم تعد تسمع شيئًا.

خرج أوليڤر بعد خمس عشرة دقيقة.

كانت كيرا عند ذاك قد اتخذت قرارًا إجرائيًّا، وشرعت في إعداد الغداء، وهو، انسجامًا مع مقدرتها في الطبخ، خبز محمّص مع الدجاج والجبن جاهز لأن يوضع تحت الشوّاية، على أن يُقدّم مع طبق من البقايا المترهّلة لسلطة جاهزة كانت تقبع في البرّاد منذ يوم الجمعة. لكنّها بذلت جهدًا في مكان آخر، مجهّزة مكانين على لوحة الفطور، واستكملت ذلك بأوراق من ورق المطبخ المربعة مطويّة بإتقان وكوبين من الماء المثلّج موضوعين على واقيتين غير متناسقتين وجدتهما في أحد الأدراج.

«آسف على ذلك»، قال أوليڤر لمّا خرج وقد بدا خجولًا.

«أكلّ شيء على ما يرام؟».

«ليس حقًّا، لا». وشاهد الترتيب على لوحة الفطور. «ما هذا كلّه؟».

«حماسة اليوم الأوّل».

ابتسم ابتسامة خفيفة. «كم تعتقدين أنّه مضى علينا قبل أن نقف عند المنضدة، ونحن نأكل بذهن شارد، حفنات من رقائق الذرة الجافة من العلبة مباشرة؟».

«بحسب تخميني، منذ يوم الجمعة».

رفعت السندويشات إلى صينيّة الخَبز وزلقتها تحت الشوّاية.

«كيف كانت نزهتك؟».

«أقفلوا، لسبب ما، ستيفنس غرين، وذلك مزعج». واستدارت لتواجهه، وكتّفت يديها. «ماذا كان ذلك كلّه؟ من كان ذلك الشخص؟».

استدار أوليڤر وهو يمرّر يده عبر شعره.

«ذلك كان رئيسي»، قال متوجّهًا بكلامه لأرضيّة المطبخ. «وذلك كان بشأن...».

لو كان على كيرا أن تخمّن ما كان أوليڤر على وشك قوله، فسيكون لذلك علاقة بإخفاق ما في العمل. وهو لا يتحدّث كثيرًا عنه، لكنّه كان قد ألمح مرّة أو اثنتين إلى مشروع كبير على مقربة من أرصفة سيليكون دوكس، والذي تعتقد أنّه كلّ تلك المباني الزجاجية العصريّة ما بين النهر ومدخل نفق المرفأ، حيث تمتلك شركات التكنولوجيا الأميركية مقرّاتها الأوروبيّة الأكثر فخامة، وكلّها تنتصب فارغة الآن لأنّها أرسلت الآلاف من موظّفيها إلى منازلهم للعمل منها.

لكنّ ما قاله هو، «بسببكِ أنتِ».

لم يمكنها أن تتصوّر ما يعنيه ذلك.

«أنا؟».

«أتذكرين كيف قلت لك إن هذا المكان يأتي مع الوظيفة؟ إنّه، في الحقيقة، مكان إقامة للموظّفين، وليس لي». ورفع نظره بتمهّل، ونظر في عينيها. «وبالتالي، فأنا، من الناحية التقنية، الشخص الوحيد الذي يفترض به المكوث هنا».

استغرقها الأمر برهة لتستوعب.

«ورئيسك قد رآني للتوّ»، قالت وهي تفكّر بصوت مرتفع. «هنا. في خلال الحجر. ويعرف بالتالي أنّها ليست مجرّد زيارة».

«في الواقع لم يركِ، لكنّه عرف بوجود أحد هنا. سألني، وأنا، بطبيعة الحال، لم أكذب. لم أعتقد أنّه كان عليّ أن أفعل، لكن...». ونقل أوليڤر وزنه من قدم إلى أخرى. «قال إنّ هذا النوع من الأمور غير مسموح، ولا حتى الآن. ثمّ أنّه أوضح لي أنّ هذه الشقّة ليست الوحيدة التي استأجرتها الشركة في المجمّع. وتبيّن أنّها واحدة من اثنتين. ويوجد، على ما يبدو، في الثانية أحد الشركاء البارزين. وأوضح لي كينيث أنّ هذا الشخص، مهما يكن، لديه منظر يطلّ على مصطبتي. وبالتالي، أنا آسف، يا كيرا، لكن...».

راودتها عندها فكرتان.

الأولى هي أنّه من النادر أن يتلفّظ باسمها، وفي الواقع، إذا فكّرت في الأمر، كم هو عدد المرّات التي تتلفّظ هي باسمه؟ هناك شيء مهدّئ في سماع اسمها يخرج من فمه، بصوته. فهو يرسل نفحة من الدفء تتصاعد من عمق صدرها.

الأمر الذي يبعث على الدهشة.

أمّا الثانية، فهي أنّه عليها أن تغادر.

عليها أن تغادر.

وأغرقت تلك الفكرة جسمها كلّه بالحرارة، ذلك النوع من الحرارة المترافق مع الذعر الأعمى.

ومن مكان ما وراءها، أخذت تفوح في الهواء رائحة خفيفة من الخبز المحروق.

قالت، «هل يجب أن أرحل على الفور؟».

قطّب أوليڤر جبينه.

«يا إلهي، لا. لم أقصد...». جاء إليها وأخذ كلتا يديها بيديه. «لن تذهبي إلى أيّ مكان. فهم يتصرّفون بسخافة. بسخافة تامة. كلّ ما أقوله هو إنّني لا أعتقد أنّه يمكننا الجلوس في الخارج بعد الآن، لأنّه مهما كانت الشقّة التي يقيم فيها ذلك الوغد، فإنّها تطلّ بشكل واضح على مصطبتنا. وكنت قد أبلغت كينيث أنّك ستعودين اليوم إلى شقّتك».

«أوه». واسترخى كتفا كيرا، وقد تلاشى التوتّر، وها هي الآن مربكة لأنّها أخطأت إلى هذا الحدّ في فهم الأمر. وشرعت في الضحك. «أوه».

ضحك أوليڤر هو الآخر. «أنت فعلًا ذهبت مباشرة إلى سيناريو نهاية العالم، أليس كذلك؟». سحبها إلى قربه أكثر، وقبّلها بلطف. «لن تذهبي إلى أيّ مكان. لكنّك قد تضطرّين لإطفاء إنذار الحريق».

«اللعنة!».

لم تعد السندويشات قابلة للإنقاذ بعدما احترق أعلاها تمامًا، واعتقد أوليڤر أنّ ذلك مضحك وذكّرها بأنه هو من كان يفترض به تحضير الغداء اليوم، وقال إنّه ربّما عليه أن يفعل. وتركته يفعل، بعد احتجاج فاتر.

ولم يكن إلّا بعد ذلك، عندما أخذت حاسوبها المحمول إلى «المكتب» لفترة بعد الظهر، أن خطرت لها فكرة: الإطار الزمني غير متطابق.

قال أوليڤر إنّها عندما مضت لإغلاق باب غرفة النوم، رأى رئيسه أنّ شخصًا آخر موجود هناك وسأله إذا كان ذلك صحيحًا. وكان عندها أن بدأ الحديث عن إقامة الموظّفين وعن وجود الشريك البارز في شقّة أخرى.

لكنّ كيرا كانت، حتى قبل تقدّمها في الرواق، وقبل أن تصل إلى أيّ مكان قريب من المدخل، قد سمعت الرجل الآخر يرفع صوته.

اعتقدتُ أنّنا اتفقنا على أنّك لن تخفي شيئًا عنّي.

لن تخفي...

فعَمّ كان الحديث؟ ما الذي كان أوليڤر يخفيه عنه؟

وما الذي يخفيه الآن، عنها؟

قبل 35 يومًا

كان أوليڤر قد خرج للتوّ من الحمّام وجلس على الأريكة وهو يلتفّ بمنشفة لسماع الخطاب المباشر الذي يلقيه رئيس الوزراء.

صدح صوت ليو الثابت والمستوي من التلفاز، ربّما من كلّ أجهزة التلفاز، في كلّ مكان، في مختلف أنحاء البلاد.

«بدءًا من منتصف هذه الليلة ولفترة أسبوعين حتى أحد الفصح، 12 نيسان، على الجميع التزام منازلهم مهما تكن الظروف باستثناء الحالات التالية: للانتقال إلى العمل ومنه، غايات العمل، فقط عندما يكون العمل متعلّقًا بالصحّة أو بالرعاية الضروريّة، وغير ذلك من الخدمات الأساسيّة التي لا يمكن القيام بها من المنزل. لتسوّق الطعام أو المواد المنزليّة، أو لجلب وجبة طعام. للذهاب إلى المواعيد الطبّية أو جلب الدواء وغيره من اللوازم الصحّية. لأسباب عائلية حيويّة كرعاية الأطفال والكبار في السنّ، أو الأشخاص الضعفاء. للقيام بتمرين رياضيّ فرديّ قصير في شعاع كيلومترين من منازلكم. تُحظر كلّ التجمّعات العامة والخاصة لأيّ عدد من الناس، خارج مسكن واحد أو وحدة سكنيّة. وسيُحصر النقل العام كلّه بالعمّال الأساسيّين. ولن يُسمح، خارج النشاطات التي عدّدتها، بالتجوال، مهما يكن السبب، خارج شعاع الكيلومترين من منازلكم».

لم يستخدم رئيس الوزراء عبارة الحجر، لكن من الواضح أنّ ذلك كان هو المقصود. باختصار: على كلّ شخص أن يلزم منزله للأسبوعين التاليين.

في منزله الخاص.

لا يمكنه مقابلة أيّ شخص، في الداخل أو في الخارج، لا يقيم معه.

حدّق أوليڤر إلى شاشة التلفاز، وهو يهزّ رأسه غير مصدّق.

ذلك بالنسبة إليه مثاليّ للغاية، ويصل إلى حدّ السخافة. لو كانت قد أتيحت له فرصة تصميم مجموعة من الظروف، لما أمكنه الخروج بما هو أفضل من هذا.

سيطلب من كيرا أن تنتقل للإقامة معه، أو أن تبقى معه للأسبوعين المقبلين.

قال في نفسه: لنطرح الأمر عليها بهذا الشكل لعدم إخافتها.

بحسب القواعد، هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنهما فيها اللقاء. فلو بقيا على ما هما عليه الآن، يعيشان في منزلين منفصلين، لن يتمكّنا من اللقاء على الإطلاق.

لم يتّضح له إذا كان هذا موقفًا قانونيًا أو مجرّد نصيحة، لكنّ أوليڤر لا ينوي خرق أي قانون. لن يفعل ما يدفع عنصرًا من الشرطة إلى أن يفعل ما هو أكثر من النظر ناحيته. هناك عقوبات شديدة، وقد سبق له أن شاهد كثيرًا من الصور والفيديوهات المتداولة على الإنترنت لأشخاص اشتبه أشخاص آخرون بهم وبأنّهم انتهكوا القيود، وكان يمكن في كثير منها تحديد هويّة الأشخاص بوضوح. ولا يمكنه المخاطرة بذلك.

سيقول لها إنّه لا يمكنه المخاطرة بذلك بسبب إصابته- غير الحقيقيّة- بالربو؛ وإن للقواعد أسبابها وهو يريد التزامها.

لا يعرف لماذا قد ترفض، فيما هي، في أيّ حال، تقيم عمليًا في شقّته؛ ولا تذهب إلى مكانها إلّا للعمل. وهو لم يزر شقّتها بعد، لكنّه سيفعل

ذلك الليلة. بحسب ما أخبرته عنه، وما وجده عندما بحث في غوغل عن إعلانات الإيجار الراهنة للمجمّع، فإنّ شقتّه تبلغ ضعفي شقّتها- ولا يعتقد أنّ لديها شرفة أو مساحة خارجيّة خاصة.

إلّا، بالتأكيد، إذا لم ترد أن تأتي للإقامة معه. فهناك دومًا إمكانيّة في أن يكون قد أخطأ كليًا في قراءتها، أيًّا ما يعتقد أنّه حاصل ليس حاصلًا في الواقع، وأنّها لا تشعّر البتّة بما توحي به أعمالها.

لكنّه يشكّ في ذلك.

وبالتالي فإنّه يمكنهما، من الناحية النظريّة، أن يمكثا معًا كلّ الوقت.

وحدهما معًا.

لا يقابلان أحدًا آخر؛ لا زملاء، لا أصدقاء، لا عائلة. لأنّه لا يمكنهما رؤية أيّ منهم.

شعر بأمان نسبيّ لأنها انتقلت للتوّ إلى دبلن وعلى ما قالته بنفسها بأنها لم تتح لها الفرصة حتى للتعرّف على زملائها في العمل قبل أن يُطلب منهم جميعهم الذهاب والعمل من المنزل، لكنّ هذا سيكون مستوى مختلفًا تمامًا من الأمان.

فهي لا يمكنها أن تعرّفه إلى أحد، ولا يمكنها أيضًا أن تتوقّع منه أن يعرّفها على أحد. ولن يثير الريبة أبدًا أنّها لن تلتقي أصدقاءه، أو زملاءه، أو عائلته، أو أي شخص آخر يعرفه.

وقد تثبّت بالفعل من أنّها لا تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي، وبالتالي لا خطر من أن تلتقط صورًا مدموغة بالموقع الجغرافي لشقّته أو أي شيء من ذلك القبيل.

بل وربّما توجد هنا فرصة لتشجيعها على عدم إخبار أحد بهذا،

وبإبقائه سرًّا. لأنّ في الانتقال للإقامة مع شخص التقيته للتو بعضًا من الجنون، أليس كذلك؟

وهي، حقًّا، ستأتي للبقاء أسبوعين فقط، لاجتياز الحجر. وعندما يفكّر المرء في الأمر، فإنّه ما من حاجة لقول أيّ شيء لأيّ شخص.

قد تكون هذه فرصة. الفرصة التي كان ينتظرها.

لسنا سجناء القدر، صدح صوت فارادكار في شاشة التلفاز. لا يوجد قدر إلّا ذلك الذي نصنعه لأنفسنا.

اعتقدَ أن زعيم البلاد قد يكون اقتبس هذه الجملة من أفلام وهو يعلن عن الإجراءات الشديدة الجديدة للحدّ من انتشار الڤيروس القاتل- أهذا بالأمر الحكيم؟- لكن، وبغض النظر عن ذلك، وجد أوليڤر نفسه متّفقًا مع هذا الشعور للمرّة الأولى في حياته كلّها.

قد لا يكون عليه أن يبقى أسيرًا لقدره بعد الآن. وقد تكون حالة طوارئ عالمية على وشك تحريره منه.

ما يحصل لاحقًا يتوقّف على كلّ واحد منّا.

أسبوعان، فكّر أوليڤر. لو استطاع أن يقنع كيرا بأنّ هذه فكرة جيّدة، فسيكون لديه أسبوعان بالكامل.

حيث لا يمكن لأيّ شخص آخر أن يناقض أيًّا ممّا يقوله.

حيث يمكنه أن يكون معها كلّ الوقت ويكون أيًّا من يريده وهو يقوم بذلك. أن يكون الرجل الذي تريد هي أن تكون معه، أوليڤر الذي تعتقد أنّها تعرفه.

يمكنه أن يكونه، كلّيًا، نهائيًّا، ويترك كلّ ذواته الأخرى- مع أسمائها الأخرى، وأخطائها المظلمة- بعيدًا، وبعيدًا جدًّا وراءه.

قبل 29 يومًا

في لحظة كانت كيرا تغطّ في نوم عميق خالٍ من الأحلام، وفي اللحظة التالية استيقظت تمامًا على العالم يشتعل.

صفّارة إنذار تولول.

صاخبة للغاية بحيث أنّ ذروة كلّ تكرار للصفرة تبدو كأنّ شيئًا قد بلغ قناة أذنها ووخز ما هو موجود في آخر نهايتها، عميقًا في لبّ جمجمتها.

وهو هنا، ذلك الصخب الذي لا يتوقّف، معها، في هذه الغرفة الشديدة السواد.

لكنّها عندما استدارت لم تجد أوليڤر.

استغرق الأمر لحظة ليستوعب دماغ كيرا الصدمة وليجمع قطع الأحجية: انطلقت صفّارة إنذار الحريق في المبنى في وسط الليل، وأوليڤر ليس معها في السرير. كان نصف اللحاف خاصته مردودًا عليها، ولمّا وضعت يدها على الملاءة المكشوفة، لم تشعر فيها بأي دفء.

لكن صخب صفّارة الإنذار كان أكثر ضجيجًا من أفكارها، وبالتالي لا يمكنها التفكير بذلك الآن. كان لديها هدف واحد، وهو الذهاب إلى مكان لا يمكنها فيه سماع هذا الصوت المليء بالعذاب.

سحبت الأغطية بعيدًا في الوقت تمامًا الذي فُتح فيه باب غرفة النوم، وطرد وهج الضوء في البهو، سريعًا، معظم الظلمة. وقف أوليڤر في المدخل كالخيال، وقد حوّله ضوء البهو إلى ظلّ.

استطاعت رؤية ما يكفي لتعرف أنّه يرتدي ثيابه. سروالًا رياضيًّا

وتيشرت وهو ما يضعه عليه عندما ينهض في الصباح وقبل أن يرتدي ثيابه بالفعل. وهو لا يلبس في السرير إلّا سرواله القصير، وبالتالي فإنّه، أينما يحل، يكنْ في أكثر من رحلة ناعسة إلى الحمّام.

ما الذي كان يفعله؟

كان الباب المفتوح قد ضاعف حتى من ضجيج صفّارة الإنذار؛ لا بدّ من أنّ الإنذارات نفسها موجودة في الرواق. تناولت الجينز الذي كانت قد ارتدته البارحة وعلّقته الليلة الماضية على ظهر الكرسيّ، وحشرت قدميها العاريتين في حذائها الرياضيّ الذي كانت قد وضعته بترتيب على الأرض.

بالكاد أدركت أن أوليڤر لم يتحرّك وهي تقوم بذلك. بقي في المدخل، جامدًا لا يتحرّك، وقد شوّشت الظلمة تعابير وجهه، وهو على ما يبدو غير متأثّر بهذا الضجيج الثاقب للدماغ.

ثبت في وضعيّته حتى عندما بلغته، ولم يبذل أيّ جهد للابتعاد عن طريقها.

نادته باسمه، ولم يُبدِ أيّ ردّ فعل. خطر لها أنّه قد يكون يسير في نومه، أما الآن، وقد تكيّفت عيناها، فأصبح هناك ما يكفي من الضوء لترى أنّه مستيقظ ومتنبّه للغاية.

مستيقظ ومتنبّه ويسدّ عليها طريق الخروج من غرفة النوم.

«أوليڤر»، قالت من جديد.

ثمّ، كأنّه يخرج من حالة الذهول، هزّ برأسه وتنحّى جانبًا.

اندفعت وهي تتجاوزه إلى البهو والتقطت معطفها من المشبك عند الباب. مفاتيحها على طاولة البهو؛ دسّتها في جيبها. وفكّرت عندها،

هاتفي. قد يكون ذلك حريق فعليّ وفي تلك الحال يعلم اللّه كم سيبقون في الخارج. عليها أيضًا أن تأخذه معها. أين هو؟ وهي في العادة لا تجلبه معها إلى غرفة النوم، فاندفعت إلى غرفة الجلوس- الأنوار مضاءة هناك- وبحثت عنه.

إنّه على طاولة القهوة، بجانب هاتف أوليڤر، الذي كان في تلك اللحظة بالذات يضيء معلنًا عن وصول إشعار.

بالكاد ألقت نظرة عليه وهي تلتقط هاتفها، لكنّها تعتقد أنّها رسالة نصّية.

أضاءت لمستُها هاتفَها، وكانت الساعة فيه تشير إلى 4:01 فجرًا.

لماذا قد يبعث أحدهم برسالة إلى أوليڤر في الرابعة فجرًا؟

استدارت حول نفسها.

«إلى أين تذهبين؟». صاح أوليڤر من فوق الجلبة.

أشارت إلى الباب. «إلى الخارج!».

أخذ العالم كلّه يبدو كأنّه مؤلّف من الضجيج، ولم تعد كيرا تحتمل مزيدًا منه. أيًّا يكن الذي صمّم هذا الإنذار فإنّه قام بعمله على أكمل وجه. تحتاج إلى الابتعاد، إلى الخروج. لكنّها، وفيما شرعت في السير عبر البهو، شعرت بشدّ على ذراعها من ثمّ بجذب، بقوّة على درجة كافية من الحدّة لجعلها تستدير.

سحبها أوليڤر إلى الحمّام وأقفل الباب.

ومن حسن الحظ أنّ حدّة صوت الإنذار انخفضت بضع درجات. سمعته وهو يتكلّم، لكنّ هناك صوت أزيز بعيد يبدو كأنّه صادر من أذنيها.

«سينطفئ بعد لحظة»، قال وهو يضع يديه على كتفيها. «إنّه إنذار خاطئ. يحصل بشكل دائم. في كلّ مرّة يحرق فيها أحدهم عشاءه. اهدئي».

لكنّ لمسته لا تتطابق مع هذا الشعور. بدت مختلفة.

ليست لمسة طمأنة، بل لمسة تثبيت في المكان.

قالت، «ومن يصنع العشاء في الرابعة فجرًا؟».

«أو أنّه شخص مخمور يعود إلى المنزل ويشعل سيجارة في المصعد».

«يعود إلى البيت من أين؟ هناك حجْر».

ردّ على ذلك بهزّة من كتفيه. وهو واقف وظهره إلى الباب.

«أوليڤر»، قالت بصوت مستوٍ. «قد يكون حريقًا. أريد الذهاب إلى الخارج».

«لكن لا داعٍ لذلك».

«أوليڤر»، قالت مجدّدًا، وهي تزفر في هذه المرّة ضحكة عصبيّة، لأنّ هذا الوضع سخيف تمامًا، ومثير للقلق باطّراد في آن.

ما الذي يفعله بحق الجحيم؟

هرع ذهنها باتجاه أماكن مظلمة. فهو أطول منها بقدم، وأقوى منها، ويمنعها من الخروج من غرفة صغيرة في وسط الليل إبّان حريق محتمل. يثبّتها في مكانها. هاتفها معها ولكن...

شاهدته وهو ينتشه من يدها، ويرمي به على الجدار المبلّط. إنّهما في المكان الأصغر من الشقّة، عند نهاية البهو، فيما تزعق صفّارة الإنذار التي تصمّ الآذان. وحتى لو صرخت...

سحبت نفسها. لا. إنّها تبالغ فحسب في ردّ الفعل.

على مبالغته هو.

«لا أحتاج إلى سماع هذا الضجيج»، قالت وهي تتخلّص منه وتبسط يدها من حول جانبه لبلوغ مقبض الباب.

«سيتوقّف بعد برهة». وأعاد موضعة جسمه، معرقلًا طريقها من جديد.

«أنت لا تعرف ذلك».

«بل أعرف. فهو يحصل دائمًا».

«لكنّك انتقلت حديثًا إلى هنا».

«وهو، منذ أن فعلت، يحصل كلّ الوقت».

«حسنًا، حتى ذاك الحين...».

بسطت يدها من جديد، متملّصة، وأمسكت بمقبض الباب.

أمسك أوليڤر برسغها.

نظرت إلى أصابعه التي تحيط برسغها، ثمّ نظرت ببطء شديد، إلى وجهه.

«ما الذي تفعله؟».

مرّت لحظة مشحونة.

ثم أفلتها.

قال، «الشريك البارز في كي بي استوديوز. سيكون في الخارج أيضًا». كانت نبرته يائسة وعيناه تتلألآن، كأنّه على وشك البكاء. «إنّها الرابعة فجرًا. لا يمكن أن تكوني زائرة إذا كنت هنا في الرابعة فجرًا».

اندفعت الإجابات في حلق كيرا؛ سيكون الظلام مخيّمًا، ويمكننا البقاء بعيدًا عنه؛ يمكننا أن ننفصل عن بعضنا، وهو، في أيّ حال، لن

يتعرّف؛ ومن، بحق الجحيم، يبالي إذا كان البديل من ذلك هو إما أن تجنّ من هذا الصوت، وإما أن تشتعل حتى الموت في حريق؟. لكنّها بدلًا من أن تقول أيًّا منها، انتزعت يدها وحرّرتها واستدارت إلى خزانة الأدوية.

فتحتها وسحبت، بمزيد من الإهمال، رزمة الأقنعة التي جاء بها أوليڤر إلى المنزل قبل حوالى يومين، وسحبت معها أشياء أخرى أيضًا (عبوة جل الحلاقة، وعلبة اللصقات) تركتها تقع على الأرض.

وأسقطت معها كلّ الأقنعة التي تسرّبت من الرزمة باستثناء ذلك الذي تمسك به بيدها. ووضعت الرباطين المطاطيين حول أذنيها، وسحبت القماشة بقسوة إلى أن شعرت بأنّها استقرّت بشكل مريح على وجهها ثمّ صفقت باب الخزانة وعاودت إقفاله على سبيل الاحتياط.

لاحظت أن يديها ترتجفان.

«فكرة جيّدة»، قال أوليڤر، «لكنّك حقًّا لا تحتاجين إلى الخروج...».

«دعني أذهبْ». بدا ذلك أشبه بسجين يرجو سجّانه وهي قد تعمّدت ذلك تمامًا.

كان للكلمات تأثير فوريّ على أوليڤر. تلاشى شيء منه. ودلّى رأسه. وخطا جانبًا ليمنح كيرا ممرًّا مفتوحًا إلى الباب.

لم تضيّع أيّ وقت. فتحته. وبدا، وقد عادت صفّارة الإنذار للزعيق بكامل طاقتها، كما لو أنّ دماغها يحترق من الداخل مع كلّ عويل. ركضت عبر البهو، صوب باب المدخل.

لم تنظر لترى إذا كان يتبعها.

لا تبالي إذا فعل.

كانت الضوضاء، في الجانب الآخر من باب الشقّة، أكثر سوءًا، وصفّارة

الإنذار تزعق من كلّ وحدة مستقلّة انضمّت إلى الهجوم الذي تشنّه مكبّرات الصوت المثبتة في الممشى. إنّه نفق من التعذيب السمعي، ولا يمكن لكيرا الوصول إلى الخارج بما يكفي من السرعة. وعندما بلغت البوّابة المزدوجة لكمت زرّ اضغط للخروج ودفعت بنفسها خارجة إلى الليل.

كانت مجموعة صغيرة من المقيمين قد تجمّعت في الباحة. وقفوا على مسافات مختلفة بعضهم من بعض، محوّلين أوزان أجسامهم من قدم إلى قدم، وأيديهم مكتوفة على صدورهم. كان لكلّ منهم ذلك الوجه الشاحب، المنتفخ لشخص مستغرق في النوم تم إيقاظه فجأة، وكانوا يرتدون نوعًا من التركيبة بين البيجامات والملابس الخارجية، ويسترقون النظرات الخفيّة إلى جيرانهم. كانوا جميعهم قد حجروا معًا منذ فترة الآن، لكنّهم لم يروا بعضهم بعضًا على هذا الشكل، معًا في مجموعة، عن كثب. ووقف سكّان آخرون على شرفاتهم، يرتجفون بأكمامهم القصيرة، ويبدو عليهم الانزعاج.

ما من أحد غيرها يضع قناعًا. فسارعت كيرا إلى نزعه ودسّته في جيب معطفها. فهي ستكون أكثر بروزًا وهي تضعه.

صفّارة الإنذار تزعق هنا أيضًا، لكن بمستوى يمكن تحمّله أكثر بكثير. لا أثر لأي ألسنة لهب أو دخان. استطاعت أن ترى وحدات حمرًا شبيهة بالجرس خارج أبواب شرفات الجميع؛ وعلى كلّ منها ضوء صغير أزرق يومض. شعرت بالأسف الشديد على كلّ من يعيش في الجوار.

كانت امرأة تسير جيئة وذهابًا عند أحد مقاعد الباحة، وهي تصيح في هاتفها المحمول عن أنّه يحصل من جديد وكيف أنّ هذا الإزعاج غير مقبول على الإطلاق وكيف أنّ كلّ إنذار خاطئ سيجعلنا أقلّ شعورًا بالذعر عندما يحصل حريق فعليّ.

السكّان الآخرون صامتون في الغالب، حتى أنهم لا يتحدّثون بعضهم إلى بعض. فرك بعضهم أعينهم، وآخرون قلّبوها. وأشعل أحدهم سيجارة.

لم تشاهد أحدًا يمكنه أن يكون الشريك في شركة الهندسة الذي يبدو أنّ أوليڤر يعيش في الخوف منه، ولا يبدو أنّ هناك من يعيرها مستوى استثنائيًّا من الاهتمام.

أنزلت المرأة التي تتكلّم على الهاتف جهازها إلى عنقها وقالت، وهي لا تتوجّه بالحديث إلى أحد بالتحديد، «يقولون إنّه لا يمكنني إطفاؤه. يقولون لي بأن أنتظر وصول رجال الإطفاء».

انتشرت موجة من الضحك الساخر والتنهّدات عبر السكّان.

وزمجر أحدهم، «سنبقى هنا لسنوات».

بدأ صدغ كيرا الأيمن يطرق، نبضة متعارضة مع إيقاع عويل الصفّارة. وشعرت بها، وهي تقف في البرد، تنتشر عبر جبينها ونزولًا إلى عينها اليمنى، لكنّها لا تعرف إذا كان ذلك أخذ، في الواقع، يصير أكثر سوءًا أو أنّ تفكيرها بأنّه كذلك هو ما يجعلها تشعر بتلك الطريقة.

تريد أن تكون في السرير، في الظلمة، مع قرص مخدّر للألم «سولباديين». تريد ألّا تسمع ذلك الضجيج اللعين. وهي، في الوقت الراهن، ستكتفي بقرص بدلًا من اثنين.

عادت كيرا عبر الباب المزدوج الذي يقود إلى الرواق، ومن ثمّ عبر البابين المواجهين له مباشرة، وخرجت إلى الشارع.

في هذا الجانب من المبنى يبقي الليل كلّ شيء ساكنًا. الطرقات فارغة، والسماء كتلة مظلمة من غيمة بلا نجوم. هناك صفّ من الشرفات في المنازل المواجهة، تمامًا وراء القطاع الضيّق للمتنزّه غير المضاء؛ أحصت ثمانية أمكنها رؤية نوافذها من هناك من دون أيّ إشارة إلى

حياة. من المؤكّد، أصلًا، أنّها ستكون هذه حالتها في هذا الوقت من الليل، لكنّ هناك مستوى عميقًا من هذا السكون، نوعيّة مكثّفة لم تختبرها في أي مكان من قبل. كما لو أنّ المدينة اقتصرت على أجزاء عديمة الحياة، ألآجرّ والفولاذ والزجاج. فدفق الحياة الإنسانيّة الذي كان لولا ذلك يمرّ عبرها قد تباطأ إلى نضحٍ لم يعد يخلّف وراءه أثرًا في الليل.

إنّها فارغة، ذلك ما هي عليه.

كانت ما تزال تسمع صفّارة الإنذار، لكنّها لم تعد على هذا القدر الكبير من الصخب.

وعندها قال صوت، «يا إلهي، إنّه لأفضل كثيرًا هنا، أليس كذلك؟». واستدارت كيرا ووجدت نفسها وجهًا لوجه مع سيّدة اليوغا.

تعتقد أنّها هي، وما تبدو عليه عن قرب يتطابق مع ما بدت عليه المرأة من بعيد. شقراء، في أواخر ثلاثيناتها أو أوائل أربعيناتها، ذات جسم لا يمكن إلّا للنادي الرياضيّ أن يحافظ عليه. وهي، على عكس كيرا، لائقة الملبس- جينز، جورب، حذاء رياضيّ، وسترة صوفيّة كبيرة الحجم- ولا يحمل وجهها أيّ أثر للنوم.

كانت تبتسم في البداية، ثمّ أخذت الابتسامة تختفي وأدركت كيرا أنّها لم تُبدِ أيّ ردّ فعل على الإطلاق على وجود المرأة، ولم تتفوّه بعد بأي كلمة، واكتفت بالنظر إليها نظرة فارغة، وربّما آن الأوان...

«آسفة»، قالت كيرا باندفاع. «كأنّني على بعد أميال. أعتقد أنّني ما أزال شبه غافية. نعم. كان الأمر على درجة كبيرة من الصخب هناك، ولم أستطع التفكير».

«أنا لورا».

«كيرا».

«كنت أودّ مصافحتك، ولكن... يمكننا أن نصدم مرفقينا».

ظنّت كيرا أنّ المرأة الأخرى تمزح إلى أن رفعت ذراعها وعرّضتها للصدم.

سألتها لورا، «هل انتقلت إلى هنا للتو؟».

«أوه، أنا لا... أنا لا أقيم هنا. أنا أمكث مع صديق. في الوقت الحاضر. في خلال... كلّ هذا».

«أشبه برفيق حجْر؟».

لم تكن كيرا واثقة من أنّ هذا ليس تعبيرًا ملطّفًا، وأوحت ابتسامة لورا العارفة أنّه كذلك. فتمتمت، «شيء كهذا».

«كان يجب عليّ الحصول على واحد من هؤلاء. فأنا وحدي، وأكاد أُصاب ببعض الجنون». نظرت لورا إلى المبنى الذي وراءها وهي تدير جسمها مباشرة إلى ضوء الشارع الأقرب. أضاء ملامحها، بما في ذلك ندبة رفيعة بيضاء على امتداد أسفل عنقها. قطّبت جبينها بعض الشيء. «لا شكّ في أنّ صديقك من ذوي النوم العميق».

شعرت كيرا بموجة من الهلع لاحتمال أن تضطرّ للكلام معه، أن يكون عليها العودة إلى هناك، معه، بعد ذلك.

فقد جرّها إلى ذلك الحمّام ثمّ منعها من المغادرة.

أم أنّه أخفق جدًّا في محاولة إيصال وجهة نظره؟

ومن كان يبعث له برسالة نصّية في الرابعة فجرًا؟

التقطت كيرا، من فوق كتف لورا، ومضة نور: انعكاس على واحد من الأبواب الزجاجيّة وهو يترجّح فاتحًا.

خطا أوليڤر إلى الشارع، ناظرًا من حوله، باحثًا عنها.

لكنّه لمّا استدار ورآها، دار فجأة على عقبيه وعاد إلى الداخل.

ما...؟

استدارت لورا لتتبّع نظرة كيرا.

سألتها، «أكلّ شيء على ما يرام؟».

«بخير»، قالت كيرا بشرود.

«أردت أن...» شرعت لورا في الكلام، في اللحظة التي توقّف فيها عويل صفّارة الإنذار. «أوه»، وابتسمت. «حسنًا، ها نحن. هلّلويا».

«وأخيرًا». خطت كيرا خطوة صوب الأبواب. «أنا مصابة بصداع قويّ جدًّا. وأنا، بصراحة، لن أكون قادرة على تحمّل مزيد منه».

«لديّ باراسيتامول إذا كان في ذلك أيّ...»

«أوه لا. أشكرك». واستدارت كيرا وابتسمت بلباقة. «لديّ شيء».

«أمتأكّدة أنت؟ لديّ النوع الجيّد».

«لا، لا. حقًّا. في أي حال، أشكرك».

«أهو أوليڤر؟».

توقّفت كيرا.

من المؤكّد أنّها أخطأت السمع.

«عفوًا؟».

سألتها لورا، «أهو أولي؟ ذلك الذي تمكثين معه؟».

كانت المرأتان قد انتقلتا من موقعهما الأصلي. باتت لورا الآن محاطة بالظل، فيما كيرا تدرك بشكل مؤلم أنّ أنوار الشارع تضيئها بالكامل.

حاولت أن تحافظ على تعبير محايد تمامًا فيما حاولت أيضًا تصوّر ماذا، بحق الجحيم، عليها أن تقول.

من هي هذه المرأة؟

وكيف تعرف أوليڤر؟

«إذا احتجتِ إلى المساعدة»، قالت لورا عندها، «فأنا في الشقة رقم 14. في أيّ وقت، نهارًا أو ليلًا، دقّي الباب فحسب، أو رنّي الهاتف الداخلي، مفهوم؟».

رمشت كيرا بعينيها للمرأة الأخرى، وهي مشوّشة.

«إذا احتجتِ إلى أيّ شيء». وكانت لورا تحدّق إليها بإمعان، كما لو أنّها تحاول بصمت أن تخبرها شيئًا لا تستطيع قوله بصوت مرتفع. «أيّ شيء على الإطلاق».

وانتهى حديثهما عندها على نغمتين غريبتين.

وبدلًا من العودة إلى الداخل معها، بقيت لورا حيث هي تمامًا، في الشارع، وتمنّت لها ليلة طيّبة.

شعرت كيرا، وهي تسير مبتعدة، بعيني المرأة الأخرى على ظهرها، ومن ثمّ بشعور آخر، بإحساس، بأنّ شيئًا ما ليس على ما يرام.

هناك جرس إنذار آخر يرنّ الآن، واحد صامت، لكنّها لا تعرف ما الذي شغّله أو كيف توقفه.

في اللحظات التي سبقت انطلاق صفّارة الإنذار، كان أوليڤر يجلس على الأريكة في غرفة الجلوس، يقلّب على هاتفه بشرود صفحات كتاب إلكتروني. وبقي يجد نفسه ضائعًا في النصّ، ومضطرًّا إلى العودة ومعاودة

قراءة المقطع السابق أو الصفحة السابقة، ليجد نفسه ضائعًا بعد ذلك بعدّة أسطر.

لم يستطع أن يعير الكتاب أيّ انتباه.

فذهنه كان مشغولًا بأمور أخرى.

رجّ الهاتف في يده وومضت الرسالة النصّية التي كان ينتظرها على الشاشة. لكنّها احتوت على عكس ما كان يأمل أنّها ستفعل.

من: ريتش

لا أرى سبيلًا آخر الآن. خطير للغاية. اخرج من هناك.

كان أوليڤر يرمش بعينيه وهو يقرأ الكلمات عندما انطلق عويل يصمّ الآذان من كلّ الأنحاء: إنذار الحريق.

ما يعني...

أوقع الهاتف على الطاولة وقد ذعر، وهرع إلى البهو. أمكنه أن يرى من خلال الباب المفتوح أنّ كيرا قد أفاقت وهي تخرج من السرير، ترتدي ثيابًا، وتدسّ قدميها العاريتين في حذائها الرياضي.

لم يتحرّك، لم يعرف ما يفعل، لم يتمكّن من التفكير.

بدا كما لو أنّ كلمات ريتش كان لها عليه نوع من التأثير الذي يشلّ الحركة، مسدّس كلامي صاعق.

لا أرى سبيلًا آخر الآن. خطير للغاية. اخرج من هناك.

كان على ثقة من أنّ ريتش مخطئ.

لكنّ أوليڤر كان على القدر نفسه من الثقة بأنّه لا يمكن إقناع ريتش بذلك.

اندفعت كيرا وتجاوزته إلى غرفة الجلوس. لمسة جسدها عليه أيقظته من ذهوله، ونقلته إلى وضعيّة الحركة، ولحق بها. بدت محمومة، جاحظة العينين، وتفتّش عن هاتفها، كما تبيّن، وكان موضوعًا على طاولة القهوة غير بعيد عن هاتفه.

وفي الوقت الذي انحنت فيه لالتقاطه، حصل ما لم يكن في الحسبان: أضاء هاتفه برسالة ريتش النصّية. وهو لم يفتحها في الواقع، وها إن هاتفه ينبّهه إليها للمرّة الثانية.

اعتقد أوليڤر أنّ قلبه قد توقّف عمليًّا للحظة.

لكنّ كيرا اكتفت بالتقاط هاتفها وشرعت في العودة صوبه، صوب الباب. بدا كما لو أنّها لم تره.

«إلى أين تذهبين؟». صاح من فوق ضجيج صفّارة الإنذار.

أشارت إلى ورائه. «إلى الخارج!»

ثم اندفعت متجاوزة إيّاه للمرّة الثانية، إلى الرواق.

هذه هي المرّة الثالثة التي تنطلق فيها صفّارة الإنذار بالحريق منذ انتقاله إلى هنا، والثانية التي تنطلق وسط الليل. قام في المرّة الأولى بما يُفترض به فعله: ذهب إلى الخارج. وكذلك فعل الجميع؛ وسرعان ما امتلأ الباحة بالسكّان. كان قد اختبأ في الظلمة، خفيض الرأس، مدّعيًا أنّه مأخوذ بهاتفه. وكان قد تملّص من الدعوات إلى تبادل الأحاديث المهذّبة، وتجاهل فرصة التفاعل مع أيّ من جيرانه. لم يشأ التعرّف على أيّ منهم، ولم يرد بالتأكيد لأحدهم أن يتعرّف عليه.

مرّت خمس وأربعون دقيقة. وتبيّن أنّه كان إنذارًا خاطئًا.

كان قد انطلق في المرّة الثانية في خلال النهار، وتردّد بالتالي في

المغادرة. كان الباب المجاور له مخرجًا للحريق يفتح على الشارع؛ وما لم يكن الحريق في شقّته فإنّه لا يواجه أيّ خطر. وقدّر احتمالات ألّا يكون هناك أيّ حريق، وكان مصيبًا. إنذار خاطئ آخر. راقب الباحة عبر الستائر إلى أن شرع السكّان الذي يستطيعون تحمّل الصوت في العودة إلى الداخل وقلّب الآخرون أعينهم وكتفوا أيديهم ووضعوا هواتفهم على آذانهم، متّصلين على الأرجح بإدارة الشركة. ومضى عندها إلى الحمّام، حيث صفّارة الإنذار ليست على هذا القدر من الصخب، ووضع سمّاعتيه وانتظر.

لا حاجة إلى المخاطرة مرّة أخرى.

لكنّ كيرا لا تمتلك الدافع نفسه لحماية خصوصيّتها، لإخفاء وجهها. ولو أنّهما خرجا الآن، معًا، فسينتهي بها الأمر بالدردشة مع أيّ كان. مع الجميع. متفوّهة بشيء متهوّر. مشيرة إليه، داعية إيّاه للمجيء، ومعرّفة عنه.

لا يمكنه أن يدع ذلك يحدث.

انتظر أوليڤر، بعد مغادرة كيرا، أربع دقائق. خمس. ستّ... وواصلت صفّارة الإنذار العويل.

سحب الستائر في غرفة الجلوس، لكنّه لم يتمكّن من رؤية أيّ شيء في الباحة باستثناء السكّان المجمّعين فيها. جرّ الباب وفتحه ومدّ رأسه خارجًا، فلم يشم رائحة دخان ولم يرَ إشارة إلى حريق. تمعّن في الوجوه القريبة كفاية منه لكنّه لم يرصد شيئًا عليها في ما خلا الانزعاج.

إنذار خاطئ آخر، إذًا. كما اعتقد ذلك تمامًا.

عاد إلى الداخل.

هاتفه ما يزال موضوعًا على الطاولة. محا رسالة ريتش، معاودًا التأكّد من أنه لم يمحُ الرسالة بحدّ ذاتها فقط، بل أيضًا السلسلة الكاملة لاتصالاتهما الأخيرة. كان يعتقد أنّه بأمان في هذه الساعة من الليل، لكنّه لم يحتسب إنذار الحريق.

لا يعتقد أنّها رأت الرسالة، لكنّه لا يمكنه التأكّد. ماذا لو عادت وسألته عنها؟

لا أرى سبيلًا آخر الآن. خطير للغاية. اخرج من هناك.

كيف سيتمكّن من شرح ذلك؟

كان عندها أن أدرك أنّه لم يشاهد كيرا خارجًا، في الباحة. فخرج عائدًا إلى المصطبة، هذه المرّة حتى الدرابزين، بحثًا عنها، لكنّه لم يجد أيّ أثر لها.

أين هي؟

عاد إلى الداخل. وواصلت صفّارة الإنذار العويل. يعرف أنّ تلك مسألة نفسيّة بحت، لكنّها بدت أكثر ضجيجًا الآن مما كانت عليه أوّلًا عندما انطلقت.

إلى أين ذهبت، إذا لم يكن إلى الخارج؟

ربّما توخّت الحذر وتقف بعيدًا من أيّ شخص آخر، ربّما في زاوية في مكان ما.

أو ربّما تجري محادثة وتخبر أحد الجيران كلّ شيء عنه.

تمشّى في الرواق، راغبًا في أن تُطفأ صفّارة الإنذار اللعينة تلك. لو أنّها توقّفت الآن، فستعود إلى الداخل وسيتمكّن من الشروع في إصلاح فوضى هذه الليلة اللعينة...

لكن عويل صفّارة الإنذار استمرّ، من دون هوادة.

التقط في النهاية قناعًا عن أرضيّة الحمّام، ومفاتيحه عن طاولة الردهة، وخرج إلى الرواق. ارتفع عويل الصفّارة درجة أعلى. أسرع أوليڤر إلى البهو حيث رأى من خلال الأبواب الزجاجيّة السكّان محتشدين في الخارج في مجموعات صغيرة. وقد وقفوا على مسافات متباعدة بعضهم من بعض، وهم ينقلون أوزانهم من قدم إلى أخرى، وأيديهم معقودة على صدورهم. وكانت وجوه الجميع شاحبة ومنتفخة كوجه مستغرق في النوم تم إيقاظه فجأة، ويرتدون تركيبة ما من البيجامات والمعاطف الشتويّة.

إلّا أنّ أيًّا منهم لم يضع قناع الوجه.

سارع إلى نزع قناعه ودسّه في أحد جيوبه قبل أن يتمكّن أحد من الاستدارة والنظر- فوضع واحد فيما لا يفعل ذلك أيّ شخص آخر لا يمكن إلّا أن يلفت الانتباه، يجعله متميّزًا فحسب في وقت يحتاج فيه إلى الاندماج.

كيرا ليست بينهم.

استدار ونظر إلى البوّابات الرئيسيّة، تلك التي تؤدّي إلى الشارع. أيمكن أن تكون قد خرجت إلى هناك؟ ربّما فعلت لو أنّها في الواقع استمعت إليه، إذا اعتقدت أنّ الشريك الوهميّ البارز في شركته يشكّل تهديدًا.

مضى عبر البوّابات و...

رآها، واقفة في مكان بعيد قليلًا في الشارع.

شعر بالراحة، في البداية.

ثمّ رأى الشخص الآخر في العتمة، خيال بلا ملامح. امرأة. المرأة التي تتحدّث كيرا معها. ترتدي ملابس النهار، لكن لا بدّ من أنّها واحدة أخرى من السكّان، تحاول الفرار من عويل صفّارة الإنذار الذي لا هوادة فيه.

عثرت عينا كيرا عليه من فوق كتف هذه المرأة.

لكنّ المرأة استدارت في الوقت نفسه لترى ما الذي تنظر إليه كيرا، في حركة أضاءت وجهها بنور ضوء الشارع و...

تراجع أوليڤر بسرعة إلى عتمة المدخل، بعيدًا من الأنظار.

ما الذي...

غير ممكن.

ستكون تلك مصادفة خياليّة.

والمكان مظلم، إنّه منتصف الليل، وهو يعاني من الإجهاد، ولم يرها إلّا لجزء من الثانية...

لكن في الضوء الساطع. كما أنّه قد مضى عليه مستيقظًا حوالى الساعتين. وربّما لم تكن هذه مصادفة على الإطلاق.

المرأة ذات الندبة والسجائر. التي كان أوليڤر قد أخافها حتى الموت، عن غير قصد، خارج الأبواب الخلفيّة للوستبري، منذ ثلاثة أسابيع، عندما أخذ كيرا لتناول الكوكتيل.

تلك هي التي تتحدّث معها كيرا خارج المبنى الذي تقع فيه شقّته، بُعَيْدَ الرابعة فجرًا.

اليوم

«ميل ريڤر»، كرّر كارل. «يا للعنة. أتعتقدين أنّه واحد منهما؟».

رفعت لي يدها في إشارة توقّف.

«تراجع قليلًا، كارلي، يا فتى. ليست لدينا هويّة. فكلّ ما أقوله هو أنّ ذلك الاسم على المغلّف يتطابق مع اسم واحد من هذين الصبيّين، كما أنّه لم يُنشر اسماهما على العامة. فهما محميّان قانونيًّا، وما يزالان. وذلك يعود إلى، ماذا؟ 2003؟ إلى ما قبل تويتر وفيسبوك. قبل أن يشرع الناس في انتهاك أوامر المحكمة وهم جالسون على مؤخّراتهم يضغطون على أزرار هواتفهم. وبالتالي، وفي ما عدا الأصدقاء والعائلة والمدرسة، وربّما قلّة من الناس في المحلّة، فإن عامة الناس لا يعرفون، في الواقع، هذا الاسم. وأنا أعرفه فقط لأنني كنت أتولّى تنظيم السير في المأتم. لا يُفترض بي أن أعرفه. وأنا، من الناحية الرسميّة، لا أعرفه».

«بمن اتّصلتِ؟».

«بكبير المحقّقين في ذلك الوقت».

«وأكّد ذلك؟».

«نعم».

«اللعنة»، قال كارل من جديد. «أيمكن أن تكون مصادفة؟».

«بالتأكيد. لكنّني لن أقول إنه اسم شائع جدًّا يحمله إيرلندي في عشريناته، أليس كذلك؟».

هزّ كارل رأسه، غير مصدّق.

«وماذا نفعل إذًا بهذه المعلومة؟».

«سنكون على قدر كبير، وكبير جدًّا من الحذر حيالها»، قالت لي. «فكلّما زاد عدد الناس الذين نخبرهم، زادت حظوظ خروجها إلى العلن. ونحن لن نحاول أن نلتزم الصمت فحسب، حول احتمالية أن يكون هو الذي هناك، بل علينا أيضًا أن نحمي الاسم نفسه. لا أريد أن أكون المسؤولة عن وضع ذلك الاسم في الميدان العام». وعلكت شفتها وهي تفكّر. «دعنا نحتفظ بذلك الآن. سأبلّغ المفوّض عندما تسنح لي فرصة القيام بذلك شخصيًّا».

«أي واحد هو؟ 'أ' أو 'ب'؟».

«الاسم على المغلّف»، قالت لي بحدّة، «هو 'ب'».

«وأين هو 'أ' هذه الأيّام؟ أيمكن أن يكون...»

«انتحر في السجن».

«وكيف أنّ هذا الفتى...» وتوقّف كارل، ثمّ عاود. «وكيف أن الاسم على المغلّف لم يعد هناك؟».

«حصل على عقوبة أخفّ. وخرج عندما بلغ الثامنة عشرة».

«لا أذكر أنني سمعت أيّ شيء عن ذلك».

هزّت لي كتفيها. «لم يكن يُفترض بك أن تسمع».

«لكنّ تلك الشقّة جميلة»، قال كارل، «في مكان لطيف. أعني، عمّا نحن نتحدّث، ألفان في الشهر؟ وهو مهندس».

«أرجوك، قل لي إنك لست على وشك القول بأنّه لا يبدو أشبه بقاتل».

«لكنّه...».

«معظم الناس الذين يقومون بأعمال سيّئة يفعلون ذلك لأن تضافر الأحداث قد وضعهم في ذلك الموقف ودفعهم من بعدها للتصرّف، للقيام بأمر خارج عن المألوف. فكم من مرّة سمعنا، 'أوه، جوني خاصتي لن يفعل ذلك أبدًا، هذه ليست من شيمه، لا شك في أنّكم أخطأتم بالمنزل' أو، 'كنّا لسنوات من أفضل الأصدقاء أنا وهذا الشخص، أعرف أنّه ليس بقاتل!' نعم، لم تكن هذه من شيمه، ولم يكن بقاتل، إلى أن فعل ذلك. لا أحد منّا يعرف ما نحن قادرون عليه، في حال توفّرت الظروف المناسبة، أو غير المناسبة».

استغرب كارل. «أتقولين لي إنّك تعتقدين أنّه يمكنك قتل شخص ما؟».

«أنا، في الحقيقة، لا أخطّط لـ...»

«هذا يطمئن».

«... لكنّني لا أعرف ما سيحدث لي. كأن، تخيّل: تكون في أحد الأيّام خارج منزلك، تصعد إلى سيّارتك، وتدور والدتك من حول السيّارة للصعود إلى المقعد بجانبك».

«لا يمكنني ذلك»، قال كارل. «تعرفين أن نورا ستصرّ على أن تقود بنفسها».

«لكن قبل أن تتمكّن من ذلك، يصدمها بمقدّمة سيّارته، مراهق يهوى متعة القيادة، ويلصقها بجانب السيّارة، مباشرة أمام عينيك. ثمّ يشرع في الضحك على ذلك. يعتقد أنّ ذلك من أطرف الأمور على الإطلاق. ويمكنك أن تشاهده عبر الزجاج الأمامي، يبول على نفسه من شدّة الضحك. تصوّر

ذلك حقًّا. الغضب. السخط. الضحك. ويمكن ألّا تجد أحدًا في الجوار، فتحمل سلاحك وتجعل الأمر يبدو كأنّك أطلقت النار لدى اقترابه، في محاولة لاجتناب حصول ما حصل. فماذا ستفعل؟ أقصد، ربّما لم ترد قتله، لكن ألن تطلق رصاصتين شرعيّتين على خصيتيه؟ ألن تودّ أن تشاهد على وجهه الألم الذي تسبّب لك به للتوّ؟ ألن تريد أن تضع حدًّا لتلك الضحكة اللعينة؟».

صمت.

ثم قال كارل، «تبًّا، ذلك شرّير، يا لي. يا إلهي».

«كلّ ما أردتُ قوله هو أنّه يمكن للأطفال القتلة أن ينضجوا ويصيروا مهندسين يقيمون في شقق جميلة».

«هل أذتك نورا بشيء في يوم من الأيّام؟».

«تفريق الناس إلى أخيار وأشرار مجرّد فعل كسول».

«تحتاجين فعلًا إلى رفيق سكن».

«أيّتها المفتّشة؟». جاء الصوت الجديد من خارج السيّارة، فاستدارت لي صوبه، ورأت الشرطيّة كلير أوهرليهي، وهي واحدة من أفراد الشرطة تساعد في التحقيق من باب إلى باب، تقف على بعد خطوات قليلة وتنحني عند الخصر للتواصل بصريًّا. «أتسمحين بثانية؟».

«بالتأكيد». خرجت لي من السيّارة وكذلك فعل كارل، ودار من حول غطاء المحرّك للانضمام إلى المرأتين. «ماذا عندكِ؟».

«لدينا إحدى الساكنات التي تودّ التحدّث إليك وحدك فقط بوصفك 'الشرطيّة المسؤولة'. قد تكون معتوهة قليلًا، لكنّ هذا الشعور لم يراودني شخصيًّا. تدّعي أنّ لديها معلومات حسّاسة حول المقيم في الشقة رقم

1، ولن تتحدّث عنها إلّا مع الضابط الأعلى رتبة في الموقع. تبدو نافدة الصبر قليلًا ومتوتّرة. وهي في الشقة رقم 14».

تبادلت لي النظر مع كارل.

سألت كلير، «هل سبق أن تحدّثتِ معها؟».

«رفضت الإجابة عن أيّ سؤال من مجموعة الأسئلة. وقالت إنّها تحتاج إلى التحدّث معكِ أوّلًا».

في العادة، كانت لي في وضع كهذا سترسل شخصًا آخر للادّعاء بأنّه الأرفع رتبة في الموقع- فذلك، في النهاية، أشبه بأن تطلب الحديث مع مدير مؤسّسة ما- لكن وبالنظر إلى الاسم الذي على المغلّف...

قالت لكلير، «حسنًا. سأذهب». ثمّ قالت لكارل، «خذ هذا المغلّف إلى قسم الأدلّة، وتحقّق من غرفة الحوادث. هلّا فعلت؟ وأريد، بعدما يأتي الطبيب الشرعي ويرحل، جمع الكلّ هنا لأرى ماذا لدينا، فلنستعدّ إذًا للمضيّ في عملنا. وانتبه لصاحبنا المولج بكاميرات المراقبة، وابحث بالهاتف عن شخص ما في مقرّ كي بي استوديوز اللعينة تلك يعرف شيئًا. لدينا عائلة علينا إبلاغها ولا نملك معلومات موثوقة بعد عن العائلة التي يجب إبلاغها».

هزّ كارل برأسه. «جاهز على الفور».

«ولا تقل شيئًا عن...».

«أعرف، أعرف».

أعطت عندها إشارة إلى كلير لتسير في الطليعة، وتوجّهتا معًا إلى داخل الطوق، ووضعتا قناعي وجهيهما وهما تنطلقان.

تقع الشقة رقم 14 في جانب المجمّع المقابل للموقع- استدارتا

يسارًا في الردهة- في الطابق الأوّل. دخلنا مصعدًا يحمل لافتة مطبوعة بالخط العريض على ورقة قياس A4 تحذّر من الصعود إلّا لأسرة واحدة في كلّ مرّة.

عندما فتح الباب المطلّ على ممشى الطابق الأوّل، شعرت لي بالارتياح لاكتشاف أنّها لا يمكن أن ترصد أيّ رائحة كريهة. طلبت من كلير الانتظار عند المصاعد ومضت لتقرع باب الشقة رقم 14.

فُتح الباب بسرعة كبيرة أوحت بأن المرأة التي ظهرت في موضعه كانت تقف، منتظرة، عند مقلبه الآخر تمامًا.

إنّها شقراء ورشيقة بشكل يوحي بأنّها تعرف تمامًا نسبة الدهون في جسمها وتعمل بنشاط لإبقائها عند الحدّ الأدنى. وهي في أواخر ثلاثينيّاتها. ترتدي بنطالًا رياضيًّا فضفاضًا وقميصًا باليًا ذا ثقوب صغيرة في خياطة كتفيه. ألقت لي نظرة سريعة على ندبة رفيعة بيضاء تمامًا فوق ياقة القميص قبل أن تضع المرأة يدها عليه وتشدّ الياقة بشرود، فيما كانت تتفحّص البهو، يمينًا ثمّ شمالًا، كأنّها تخشى من أن يكون هناك شخص آخر يستمع إليهما.

«صباح الخير، أنا مفتّشة المباحث ليا ريوردان»، وأظهرت لها بطاقتها. «قالت زميلتي إنّك تمتلكين بعض المعلومات التي تريدين مشاطرتها معي».

«أيمكنكِ الدخول إلى الداخل؟ أنا في الحقيقة لا أريد التحدّث عن ذلك هنا في الخارج». تراجعت المرأة خطوة، فاتحة الباب على مصراعيه، كاشفة عن ردهة تبدو متطابقة مع تلك التي في الشقة رقم 1.

«لا يوجد أحد غيري. يمكننا أن نقف في طرفين متقابلين في غرفة الجلوس، وسأفتح النوافذ».

تردّدت لي. «ألديك شرفة؟».

هزّت المرأة برأسها إيجابًا.

«فلنتحدّث هناك إذًا. سنخفض صوتينا».

استدارت المرأة وشرعت في السير عبر الردهة. تبعتها لي إلى الداخل، تاركة الباب يترجّح مغلقًا وراءها.

لاحظت أنّه لا يقفل- لم تصدر تكّة من الآلية التي تنزلق إلى مكانها- ما يوحي بأنّ الباب في الرقم 1 قد يكون عانى من المصير نفسه. ولم يكن بالضرورة مفتوحًا عن قصد. ربّما ظنّ أحدهم أنّه أغلقه غير مدرك أنّه في الحقيقة لم يقفل.

هذه الشقّة هي صورة طبق الأصل عن الموقع، تقع فيها غرفة الجلوس إلى يمين الردهة. تفحّصت لي المكان بسرعة فيما أسرعت المرأة إلى طرفها الآخر، فإلى باب الشرفة.

كلّ شيء مشابه؛ المطبخ اللمّاع، نفسه والذي يشبه العيادة. الأريكة الجلديّة البنّية نفسها. وحتى الرسمة التجريديّة المطبوعة على الجدار هي نفسها تمامًا.

والغريب أنّ كلّ شيء آخر هو نفسه، أيضًا: الإحساس الفارغ، المجرّد. وعلى غرار الموقع، يبدو ذلك كأنّه بيت معروض للبيع استوطنه أحدهم لبضعة أيّام. يكاد لا يوجد شيء على منضدة المطبخ، لا أغراض شخصيّة، ولا زينة خارج تلك التي جاءت مع المكان.

سوى أن هذه لا تحتوي على ماكينة جورج كلوني للقهوة.

«أتقيمين هنا؟». سألتها لي وهي تخطو خارجًا.

الشرفة خالية. إطلالتها جميلة على الباحة وهناك ستار من الزجاج

المحجّر بين هذه والشرفة المجاورة، إلى اليسار. تكاد شجرة مورقة تحجب المنظر على مصطبة الشقة رقم 1، لكن عندما انحنت لي قليلًا، وجدت أنّ الرؤية واضحة.

«إنّها، آه، نوع من الإيجار للشركات». وكانت المرأة الشقراء قد مضت للوقوف في الطرف الأبعد من الشرفة، مضاعفة المسافة بينهما. «أقيم هنا لبضعة أسابيع فقط».

أنزلت لي قناع وجهها. «وأين تقيمين في العادة؟».

نقلت المرأة وزنها من قدم إلى قدم. «في دندروم Dundrum».

مكان يبعد نصف ساعة بالسيّارة تقريبًا.

«ولماذا أنتِ...؟».

«ذلك جزء مما أردت الحديث عنه معكِ».

«حسنًا إذًا». أخذت لي دفتر ملاحظاتها، وفتحته، وكبست على أسفل قلمها. «لماذا لا تشرعين بإعطائي اسمكِ؟».

«لورا مانّيكس. مع شدّة على النون وحرفي كاف وسين في الأخير».

مدّت المرأة يدها إلى جيبها الخلفي وأخرجت هاتفها وقد ألصقت على جانبه الخلفي واحدة من تلك المحافظ التي بحجم بطاقة الاعتماد. سحبت منها بطاقة صغيرة صفراء ورفعتها صوب لي لتتمكّن من قراءة ما عليها.

لاحظت لي الأظفار المقضومة والطلاء المتقشّر.

وبعدها...

أ و ص.

الاتحاد الوطني للصحافيين.

إنّها بطاقة صحافيّة.

أغلقت لي دفتر ملاحظاتها وقالت، «على كلّ التحقيقات الصحافيّة أن تمرّ عبر مكتب الإعلام، كما تعرفين ذلك جيّدًا».

وتحرّكت لتذهب.

مغامِرة لعينة.

«لا، لا، انتظري»، احتجّت لورا. «أرجوك! ليس... ليس ذلك».

ارتجف ذقنها؛ بدت كما لو أنّها على وشك البكاء. «لم أفعل شيئًا، مفهوم؟ أقسم. لكنّني أعتقد أنّ أيًّا يكن ما حصل هناك... أعتقد أنّه يمكن أن يكون خطأي».

قبل 28 يومًا

عندما استيقظ أوليڤر في صباح اليوم التالي، وجد الجانب الآخر من السرير خاليًا وباردًا. وهذا، بحدّ ذاته، ليس أمرًا غير معهود؛ فغالبًا ما تنهض كيرا قبله في أيّام الأسبوع. عادت إليه أحداث الليلة الماضية أشبه بزخّة رصاص: واحدة تلو أخرى في تتابع سريع، وكل واحدة منها تضاعف ألم الإصابة السابقة: انطلاق صفّارة الإنذار، إمكانية أن تكون قد رأت الرسالة النصّية من ريتش، وهو يحاول إبقاءها في الداخل، وهي تتحدّث إلى المرأة من الويستبري.

عندما عادت إلى الداخل، لم تتحدّث إليه على الإطلاق إلّا لتقول إنّها ستنام في غرفة النوم الثانية.

أذاه صوت القفل وهو يدور في بابها بعد ذلك بلحظة بقدر ما أذاه جذب الزجاج المسنّن على جلده قبل سنوات كثيرة. لكنّه لم يتمكّن من التركيز على ذلك لأنّه كان يفكّر في أنّ تلك المرأة التي كان قد تكلّم معها خارج باب الفندق قبل ذلك ببضعة أسابيع، صدف أنّها تقيم في المجمّع السكني نفسه في مدينة يسكنها نصف مليون نسمة، وبما يمكن أن ينتج عن ذلك من تداعيات.

كلّ مشكلة في وقتها.

لكنّه قلق الآن من أن يكون قد ارتكب خطأ في عدم التكلّم مع كيرا ليلة أمس، في محاولة لتفسير موقفه.

يمكن أن تكون قد استيقظت هذا الصباح وغادرت، ليس الشقّة فحسب، بل هو أيضًا...

حين سمع أوليڤر رنين الفولاذ على الخزف الصيني، آتيًا من غرفة الجلوس، تراخت عضلاته ارتياحًا.

إنّها ما تزال هنا.

وجدها جالسة على الأريكة، قريبة من باب الفناء المفتوح بضعة إنشات ليتيح دخول كلّ من نسيم الهواء المنعش والبارد والمقطع الصوتيّ للعصافير المغرّدة. ساقاها مطويّتان تحتها وكوب من القهوة يقبع على حضنها، وهاتفها على ذراع الكرسي يسهل الوصول إليه.

«صباح الخير».

استدارت ونظرت إليه، ووجهها خالٍ من التعبير. «صباح الخير».

جلس في الطرف المقابل من الأريكة.

سألها، «كم الساعة؟».

«باتت الثامنة للتوّ».

بدأ حديثه قائلًا: «انظري، بشأن الليلة الماضية...»

«ربّما كان ذلك غلطة».

لم يَبدُ من نبرة صوتها أنها غاضبة أو مستاءة، بل متعبة فحسب. لكنّه يعتقد أنّه اشتمّ فيها دعوة، كما لو أنّ هذا ليس تصريحًا تقريريًّا، بل اقتراح فحواه أنّه مدعوّ للمناقشة.

أو ربّما أنّها مجرّد تمنّيات من جهته.

«لا أعرف شيئًا عنك»، قالت كيرا، «إلّا ما هو في الوقت الحاضر. ماذا تحبّ. كيف أنت. كيف أنت معي مثلًا. بالنسبة إليّ، الحصول على هذا

الكمّ من المعلومات، في الظروف الطبيعيّة، قد يكون طبيعيًّا. أقصد، أنّنا تعارفنا منذ، ماذا؟ أشهر؟ لكن لا يوجد الآن أي مما هو طبيعيّ في هذا الشأن. نحن نعيش معًا أربعًا وعشرين ساعة في اليوم، سبعة أيّام في الأسبوع. لكنّني لم ألتقِ شخصًا واحدًا آخر يعرفك. لا عائلة، لا أصدقاء، لا زملاء! كنت أجلس هنا أفكّر فحسب، إذا كان عليّ أن أثبت أنّك من تقول إنّك هو...».

«لماذا ستحتاجين إلى فعل ذلك؟».

«أيّ دليل سأملك؟ يبدو الأمر، من جهة، أنّك هذا الرجل الغامض، لكنّك، من جهة أخرى، أقرب إنسان في العالم إليّ في الوقت الحاضر. كما لو أنّنا على هذا الطريق حيث هناك مسلكان يسيران في الاتجاه نفسه، أحدهما يسرّع كلّ شيء، والآخر يبطّئ كلّ شيء، ولديّ مقود في كلّ واحد منهما، وأنا عالقة. وفي الليلة الماضية... جعلتني أخاف، يا أوليڤر. جعلتني أشعر بالخوف...»، وعضّت على شفتها. «منك».

كلمات جعلت صدره يضيق ألمًا.

«لم أقصد ذلك»، قال. «لم أكن أفكّر... لا، كنت أفكّر، لكن في ما قلته لكينيث فحسب بأنّك قد انتقلت عائدة إلى شقّتك، وبما سيحصل إذا اكتشف أنّني كنت قد كذبت... وأنا كنت محقًّا، أليس كذلك. كان إنذارًا خاطئًا...»

«لا تفعل»، قالت بنبرة أسكتته على الفور.

مرّت لحظة.

«آسف»، قال عندها. «لكنْ لا يمكنني محو ذلك، وأنا لا أحاول تبريره. يمكنني أن أشرح ما كان يدور في خلدي وأعدك بألّا يتكرّر ذلك من جديد». توقّف أوليڤر لبرهة ليلتقط نفسًا عميقًا. «فأين يتركنا ذلك إذًا؟».

أشاحت بنظرها.

قال بتردّد، «تعرفين أنّه يمكنني قول الأمر نفسه عنك. فأنا لا أعرف إلّا ما هو في وقتك الحاضر».

«لكنّ الفارق هو أنّني أريد أن أعرف أكثر». ومطّت كيرا جسمها لوضع كوب القهوة على الطاولة، ثمّ استقرّت مرّة أخرى على الأريكة وكتفت ذراعيها في وضعيّة دفاعيّة. «لا يبدو أنّك مهتمّ على الإطلاق بما تبقّى منّي. ليس المقصود أنه يوجد ما هو مشوّق، أو مثير بشكل خاص، بل إنّه... شيء أودّ أن تسأل عنه».

هو لا يستطيع، بالتأكيد، أن يخبرها الحقيقة عن نفسه. وهي كلّما شاطرته مزيدًا، وجب أن يبادلها بالمثل، وأن يكذب لضمان هذه الصفقة.

لو أنّها شاركته تفاصيل عن عائلتها، فسيضطرّ للاعتراف بأنّه على اتصال مع فرد واحد فقط من أفراد عائلته. ولو أنّها استذكرت مغامرات من سنوات مراهقتها، فسيكون عليه أن يخفي أنّه ضيّع سنوات مراهقته كلّها. ولو أنّها عدّدت أحلامها، سيضطرّ إلى اختلاق سبب وجيه عن سبب عدم تجرّئه على امتلاك أيّ منها.

الأكاذيب غليظة مُهلهلة. خيوط دقيقة، أشبه بحزمات الأعصاب في الجسم. يسهل ليّها، يصعب التحكّم فيها، ويستحيل الإمساك بها.

وهو يحاول عدم التفوّه بمزيد من هذه الأكاذيب ما لم يكن للضرورة القصوى.

قال، «ماذا تريدينني أن أسأل؟».

«حسنًا...». علا وجهها طيف ابتسامة، فاسترخى شيء في داخله، ونفّس بعض الخوف من التجاويف المضغوطة في صدره. «أفترض أنّني كنت أنتظر الفرصة للشكوى من أنّ والدتي هي أسوأ شخص في العالم. أو من أنّ صديقتي المفضّلة طارت مغادرة إلى أستراليا، وتخلّت ببساطة

عنّي للمضيّ والحصول على وقت لعين ممتع للغاية، وأنا آخذ عليها أنّها لم تطلب منّي الذهاب معها، مع أنّني أعرف أنّني كنت سأقول لا. أو من عدم تأكّدي من أنّني أحب هذه الوظيفة، أو أريدها. لا أعرف ماذا أريد. وليست لديّ أيّ فكرة عن ماهيّة شغفي، وأخشى من أنّني لا أملك أي شغف». توقّفت لبرهة. «حسنًا، إذًا. فأنا أدرك أنّني أعطيك مبرّرات لعدم طرح أيّ أسئلة عليّ».

«لا، لا». ابتسم أوليڤر. «كلّها أمور جيّدة. أتطلّع كثيرًا إلى سماع مزيد عنها».

«سيكون عليك أن تحسّن أداءك أكثر بكثير للتظاهر بأنّك مهتم».

«أنا مهتمّ».

عادت الجدّية إلى تعابير وجهها. «ولماذا لا تسأل إذًا؟».

دومًا ما تكون النسخة عن الحقيقة هي الرهان الأكثر أمانًا.

قال، «أشعر بأنني لا أحتاج إلى معرفة ذلك كلّه الآن بالذات. أشعر نوعًا ما بأننا كالورقة البيضاء. لا أمتعة، ولا شيء يثقل علينا. لدينا تلك الروايات التي نخبرها لأنفسنا- وللناس الآخرين- عن أنفسنا، بالاستناد إلى ما حصل معنا في الماضي، أو ما فعلناه، أو القرارات التي اتخذناها، فتصير عندها مستقبلنا لمجرّد إخبارها. ذلك أشبه بـ...».

«نبوءة ذاتيّة التحقيق»، قالت مقترحة.

«نعم. نريد للأمور أن تكون مختلفة، لكنّنا نشرع في إخبار الشخص الآخر كيف كانت في الماضي، وذلك يدفعنا بشكل ما إلى أن نقتصر على كوننا ذلك الشخص من جديد... أفترض أنّ ما أقوله هو أنّني، ولمرّة، أودّ أن أبدأ شيئًا من الصفر. من دون أي روايات تحدّ من الاتجاه الذي يمكن لهذا الأمر أن يذهب إليه، وممّن يمكننا أن نكون».

«لست متأكّدة من أنّني أفهم»، قالت وهي تقطّب جبينها.

«ماذا لو كنتِ قلتِ لي إنّك خجولة؟ على سبيل المثال فحسب. ما كنتُ، بخلاف ذلك، لأعتقد أنّكِ كذلك، ليس بناءً على تصرّفاتكِ، بل على ما قلتِ إنّك عليه، وبالتالي هذا ما سأفكّر فيه الآن، وأعاملك بطريقة مختلفة. ربّما لم نكن لنفعل أشياء، أو نذهب إلى أمكنة، كنّا سنقوم بها أو نذهب إليها لولا ذلك، لأنّني أخشى أن أُشعركِ بعدم الراحة، لأنّك قلتِ لي إنّكِ خجولة. لكن ماذا لو لم تكوني كذلك حقًّا؟ ماذا لو كان ذلك شيئًا اعتقدتِه، خطأ، عن نفسك، أو جعلك شخص آخر تشعرين به، أو ظنّك خطأ أنّك عليه؟ أَوَلا يكون من الأفضل عندها أنّني لم أعرف، وأنّكِ لم تخبريني به؟».

أريد فقط فرصة لمحاولة إقناعك بمن أنا قبل أن تكتشفي ما قمت به، قبل أن تكتشفي ما يقولون إنّني هو.

«عندما تكون هناك، تعمل»، قالت كيرا وهي تشير إلى غرفة الجلوس، «فهل في الواقع تشاهد أو هل سبق أن شاهدت إعادات لحلقات قديمة من برنامج أوپرا؟».

ابتسم. «ساعات منها».

«اعتقدتُ ذلك».

«كيرا...». التقط نفسًا عميقًا. «انظري، الحقيقة هي في أنّه لا يوجد فعلًا من تقابلينه. ليس هنا في دبلن، في أيّ حال. عائلتي ليست هنا، وجميع الأشخاص في العمل أكبر منّي سنًّا، وهم متزوّجون ولديهم أولاد، ومملّون قليلًا، ولم تسنح لي الفرصة حقًّا بلقاء أحد آخر، فلم يمضِ عليّ هنا سوى بضعة أسابيع. وكيف تقابلين أشخاصًا إلّا من خلال العمل والمعهد وغيرهما؟ لم أذهب إلى المعهد هنا ولا أمارس الرياضة، وفي

الحقيقة، لا يمكننا الآن الذهاب إلى أيّ مكان أو القيام بأيّ شيء، أليس كذلك؟».

ابتسمت. «أنت محظوظ بأنّك التقيتني».

«أنا كذلك».

«وأنا في المركب نفسه»، قالت، «بطرائق كثيرة. أنت الشخص الوحيد الذي أعرفه هنا. وبالتالي أفهم ذلك كلّه. لكن... في الحقيقة، توجد أمور أريد أن أعرفها، أريدك أن تقولها لي».

«مثل ماذا؟».

حَبَسَ أنفاسه.

«كمثل من كان يبعث لك برسالة نصّية في الرابعة فجرًا؟».

«شقيقي»، قال. «ريتشارد، ريتش».

هزّت برأسها متفهّمة. «ذلك الذي في أستراليا. الفارق الزمني».

«كان وقت الغداء هناك».

«حسنًا، ولكن لماذا تنهض في وسط الليل من أجله؟ فقد كان مجرّد نصّ. وكنت ترتدي ثيابك؛ فأنت لم تهبّ فحسب من الفراش لأنّك سمعت الإشعار».

فكّر في أنّه يجب أن يعطيها شيئًا.

«لم أنهض من أجله. كنت قد نهضت بالفعل. وأنا في العادة أفعل، في تلك الساعة. فأنا لا أنام فعلًا». مُقرًّا بأنّ هذا يذكّره بواحد من تلك المشاهد في وثائقيّات الطبيعة التي تحذّر من التغيُّر المناخي: تفسّخ الجليد، جرف منه ينفصل فجأة عن نهر جليديّ ضخم، وانزلاقه المتواصل وهو يغرق ويختفي في البحر. شعر بأنّه أخفّ وزنًا، لكنّ ما قد حصل للتوّ أمر رهيب؛ لقد كشف سرًّا: «أنا مصاب بالأرق».

رفعت كيرا حاجبيها. اعتقدَ أن سمات وجهها تعبّر عن القلق أكثر منها عن الريبة، لكن لا يمكنه أن يكون متأكّدًا.

قال، «أحصل في ليلة جيّدة على نحو ساعتين من النوم. ثلاث ساعات تكون عظيمة. ثلاث ساعات تكون منعشة بشكل إيجابيّ. أمضي إلى السرير وأغفو، كالعادة، لكنّني أستيقظ، عند حدّ ما، وهذا كلّ شيء. لا يمكنني العودة إلى النوم، ولا يهمّ ما أفعل. وفي العادة عند الخامسة أو السادسة صباحًا- ويتوقّف ذلك على الفترة من السنة إذْ يبدو أنّ ذلك مرتبط بموعد بزوغ الضوء في الخارج- أتمكّن من أن أغفو لساعة أخرى أو اثنتين، إذا كنت محظوظًا، لكنّه ليس نومًا سليمًا. وهو بالتأكيد ليس من النوع المجدّد للقوّة. ثمّ أستيقظ، وأنهض، وأشعر بحالة مزرية مطلقة كلّ النهار، وهلمّ جرّا».

«أتستيقظ في كلّ ليلة؟».

«في معظم الليالي. أمكن، قبل أن تكوني هنا، أن أشعل الضوء وأقرأ كتابًا أو أشاهد شيئًا على هاتفي، لكنّني لا أريد أن أزعجك، ولذا...».

«لكن كيف يمكنك أن تعمل مع هذا القدر القليل من النوم؟».

هزّ كتفيه. «يعتاد المرء على ذلك».

«ألا يمكنك أن تأخذ شيئًا؟ حبوبًا منوّمة؟».

«آخذ، أحيانًا، شيئًا ما. مهدّئات. لكنّها قويّة جدًّا. وهي، في الأساس، تخدّرني. أحظى بليلة نوم عظيمة، ثمّ أصير بعدها كالسكران على مدى اليومين التاليين. وبالتالي أستخدمها بشكل متقطّع. أذهب من دونها بقدر ما يمكنني ثمّ عندما أصبح في خطر التعرّض لشيء مثل الهلوسات، أتناول واحدة. أفعل ذلك في العادة ليلة يوم جمعة، لأتمكّن من الاسترخاء في نهاية الأسبوع وأكون صالحًا للعمل يوم الاثنين. ذلك هو الشيء الوحيد الذي يناسبني. وكلّ الأشياء الأخرى أشبه بابتلاع حبوب النعناع».

«متى كانت المرّة الأخيرة التي أخذت فيها تلك الأشياء المهدّئة؟».

«في نهاية الأسبوع الذي تلى لقاءنا. وسيحين قريبًا موعد أخذها من جديد».

«لماذا لم تخبرني بذلك؟».

«أعتقد أنّني كنت مُحرَجًا».

«لماذا؟».

«لأنّه غريب».

«إنّه حالة طبّية».

تنهّد. «ومع ذلك...».

«أهناك شيء آخر يجب أن أعرفه وأنت محرج جدًّا لإخباري به؟».

تأمّلَ في السؤال.

ثم قال، «حسنًا... لا أريد أن أُصاب بالمرض».

انتظرت منه أن يقول مزيدًا، ولمّا لم يصدر منه شيء، ضحكت وقالت، «أوليڤر، لا أحد منّا يريد أن يُصاب بالمرض».

«أعني، أنّني لا أريد ذلك بالفعل. أكره المستشفيات. واجه ريتش بعض المشكلات الصحّية عندما كان أصغر سنًّا»- وهذه كذبة- «ولا أدري، لكنْ هناك أمر في شأن الرائحة... لا أريد حتى الذهاب إلى مستشفى للخضوع لفحص. وبالتالي سأفعل أيّ شيء لتحاشيها، بما في ذلك مسح زجاجات الحليب بمناديل رطبة مضادة للبكتيريا وتنفيذ قواعد التباعد الاعتباطيّة. وما ذلك لأنني مصاب بجنون الارتياب أو برهاب الجراثيم، بل لأنّني لا أريد بالفعل الاضطرار إلى دخول مستشفى. وهكذا... لا أريد أن أكون وغدًا تامًا، لكن ما كنت مُحرَجًا جدًّا في قوله هو أنّك، في الواقع،

تقيمين معي، وما تُصابين به سأصاب به أيضًا، لذا أريدك أن تكوني على هذه الدرجة من الحرص».

«كنت أتوخّى الحذر»، قالت مطمئِنةً. «أفعلُ ذلك. وماذا بالنسبة إلى الربو...».

كان قد نسي كلّيًا أنه يفترض به أن يكون مصابًا بالربو.

«نعم»، تنحنح. «نعم، ذلك أيضًا. تخلّصت منه في الغالب. لكنه متعلّق بالجهاز التنفّسي، وبالتالي...».

«في الواقع»، قالت كيرا، «راودتني فكرة أن علينا وضع الأقنعة عندما نأتي إلى هنا أو نذهب من هنا. أقصد داخل المجمّع. إلى أن نصبح في الخارج. كانت تلك خطّتي الجبانة لتفادي أن يراني ذلك الشخص من شركتك، لكن يمكن اعتباره مزيدًا من الحرص، صحيح؟».

كان ذلك مثاليًا، تمامًا.

والأكثر مثالية هو أنّها خرجت بالفكرة بنفسها.

«فكرة عظيمة»، قال.

«وبالحديث عن إرادة تفادي الموت الوشيك...». وأخذت نفسًا. «أوليڤر كاد أن يشب حريق في الليلة الماضية».

«لكن...».

«كاد فعلًا أن يكون هناك حريق. لا أبالي إذا كان الإنذار قد انطلق في كلّ ليلة من الأيام الخمسين الماضية. لم تكن لديك أيّ وسيلة لتعرف بالتأكيد أنّه لم يكن هناك حريق. إذا أردت أن تبقى في الداخل وتخاطر بحياتك فلن أمنعك، لكنّك حاولت أنت أن تمنعني أنا من المغادرة».

«لم يجدر بي ذلك».

«كفى هراء».

«فكّرتُ فحسب في أنّنا لو ذهبنا إلى الخارج، فسيكون هناك بكل تأكيد- الشريك البارز- و... صراحة، قد بدأت عملي للتوّ هناك. وكنت محظوظًا في الحصول على الوظيفة في المقام الأوّل. فالمدير هو والد الصديق المقرّب لشقيقي. ولا أريد أن أخيّب أمل أحد بعد أن منحوني الوظيفة كمعروف».

تمنّى لو أنّه استخدم عبارات مختلفة لإثبات وجهة النظر تلك، لكنْ بدا أنّ كيرا قد أخذتها على علّاتها بدلًا من سؤاله، لماذا قد يحتاج إلى هذا المعروف في المقام الأوّل.

سألت، «كيف هو شكل هذا الشخص، الشريك البارز؟».

استعرض أوليڤر ذهنيًّا كبار السنّ في المكتب، وانتقى أحدهم عشوائيًّا وبذل من ثمّ جهده لوصف شكله.

«لم أشاهد أحدًا في الخارج على هذه الهيئة...».

«ربّما كان في الباحة؟».

«ربّما».

«لماذا خرجتِ إلى الشارع؟».

«لماذا عاودتَ الدخول؟».

فكّر في أنّ سؤالها جيّد.

قال، «لم أشأ إزعاجك». هذا كلام سخيف وهو يعرف ذلك؛ حان وقت تغيير الموضوع. التقط ما يجب أن يكون قد بات الآن كوب القهوة البارد تمامًا، وكان قد شرب نصفه. «أتريدين كوبًا طازجًا؟».

«بالتأكيد».

وقف أوليڤر وسار نحو المطبخ، وهو يحرص على صياغة سؤاله التالي على أنّه فكرة لاحقة عابرة، ليست مهمّة على الإطلاق، بل مجرّد تساؤل...

«من كانت تلك المرأة التي كنت تتحدّثين معها؟».

«مجرّد واحدة من جيرانك».

«في أيّ شقّة تسكن؟».

«لا أعرف».

«عن ماذا كنتما تتحدّثان؟».

«عن مدى الضجيج. لماذا؟».

«مجرّد تساؤل. هل حصلتِ على اسمها؟».

بات في المطبخ الآن، قرب البرّاد، وظهره لها. أراد أن يكون قد بقي جالسًا قبالتها، يدرسها، مفتّشًا في وجهها عن أيّ بارقة ردّ فعل، لكنّه لا يريد كذلك أن يكون على هذا القدر من الوضوح، فاكتفى بنظرة سريعة فيما هو يفتح غطاء ماكينة القهوة.

استدارت صوب النافذة، ولم يستطع رؤية وجهها.

«لا»، قالت. «لا، لم أفعل».

عندما حان موعد نزهتها، وضعت كيرا قناعها الذي يُستخدم لمرّة واحدة قبل أن تغادر الشقّة. وسارت، ما بين باب أوليڤر والمدخل الرئيسي للكروسينغز، محنيّة الرأس، تاركة نصف ستارة من الشعر تسقط أمام وجهها. وما إن بلغت الشارع، وتحقّقت من عدم وجود أحد في الجوار، حتى وضعت القناع في جيبها.

لم ترد أن تخاطر بلقاء تلك المرأة لورا من جديد.

ليس قبل أن تقرّر ما الذي ستفعله في شأنها.

سارت كيرا باتّجاه القناة، سالكة طريقها المعتاد. ولو أنّها عبرتها واستمرّت في السير، لوصلت في النهاية إلى ستيفنس غرين، التي اعتادت أن تقوم بدورات من حولها فيما البوابات تبقى مقفلة.

لكنّها لم تعبر المياه اليوم.

بدلًا من ذلك، استدارت وتبعت القناة عائدة إلى شقّتها.

الجوّ حارّ وخانق في الداخل، وكانت موجة من الطقس المشمس قد سخّنت المكان وهي تبدو أشبه بمزحة كونيّة، بالنظر إلى أنّ الجميع محتجزون في منازلهم. وتنتشر في الهواء أيضًا رائحة فاسدة ضعيفة، كما لو أن شيئًا تُرك في القمامة أو أنّ بعضًا من الحليب تسرّب إلى داخل البرّاد.

فتحت كيرا النوافذ بأوسع ما يمكن وشرعت في البحث عن المصدر، لتجد في النهاية قشرة موز مهترئة مخبّأة تحت الكيس البلاستيكي لصندوق القمامة في المطبخ. وضعتها داخل الكيس، وعقدت أعلاه ورشّت المنضدة بمنظّف بعطر الأزهار لإزالة أي رائحة عالقة.

ثم أخذت هاتفها- هاتفها الآخر- من أحد الأدراج، ربطته بسلك الشحن واستخدمته للاتصال بشقيقتها. فتحت شيڤان الخط بسرعة كبيرة أوحت بأن الهاتف كان في يدها.

«كيرا»، قالت وهي تتنفّس الصعداء. «لقد أخذت أقلق».

«لم يمضِ علينا سوى بضعة أيّام».

«خمسة، بحسب إحصائي».

«أبلغتك أنّني سأتّصل عندما أستطيع. الأمور حافلة هنا وعندما أنهي نهاري أكون منهكة. وأواصل التفكير في أنّني سأتّصل بشيڤ عندما تكون لديّ الطاقة بالفعل للحديث معها...».

حصلت فترة من الصمت وكيرا تعرف السبب: شقيقتها الكبرى تقيّم إيجابيّات وسلبيّات أن تضغط عليها، وتطالب ببعض من الصدقية لتترافق مع ذلك العذر الواهي بشكل محرج، وهو ما يمكن أن يخاطر بإنهاء هذه المحادثة حتى قبل أن تبدأ.

واختارت شيڤان، في النهاية، الادّعاء بالتصديق، ونسيان الأمر.

ولطالما فعلت ذلك.

سألت، «إذًا، ماذا يحصل في المدينة الكبرى؟».

«ليس بكثير. أعمل وأغفو في أثناء مشاهدتي نتفليكس. شأني في ذلك شأن الجميع، على ما أفترض».

«وكيف هي دبلن؟».

«أشبه، في الوقت الراهن، بالمشهد الافتتاحي لما بعد نهاية العالم. أتعرفين كيف أنّه عندما أفاق سيليان مورفي في فيلم «28 Days Later» وكان الجميع قد غادروا لندن ما عداه؟ إنها كذلك. وكيف هو الوضع عندك؟».

«ليتني أعرف. فنحن بالكاد نغادر المنزل. پات هي التي تقوم بكل عمليّات التسوّق الغذائي. وفي الواقع، قد يكون هناك أموات أحياء في الخارج، على حدّ علمي». تتوقّف عن الكلام لبرهة. «وماذا عن عملك؟ أتحبّينه؟».

«لا بأس».

«وعلى ماذا يقوم؟».

تجهّمت كيرا. «على ماذا يقوم؟ لماذا تسألينني ذلك؟».

«ولماذا لا تجيبين؟».

وهكذا بات الآن دورها لتقرّر هل تضغط أو تدّعي.

واختارت كيرا، هي الأخرى، الادّعاء.

«يقوم في الوقت الراهن على وضع لوائح والنظر إلى جداول البيانات».

قالت شيڤان، «يبدو مملًّا نوعًا ما».

عرفت كيرا أنّ شقيقتها تحاول أن تلعب بأعصابها، لكنّها رفضت ابتلاع الطعم.

«إنّه كذلك»، قالت، «بعض الشيء».

«لماذا هربت إذًا إلى دبلن للقيام به؟».

«ألستُ محظوظة بأنّني فعلت؟ لم أكن لأحظى بعمل أذهب إليه لو بقيت في المنزل. الفندق مقفل».

«كنت ستحصلين على معاش طوارئ بسبب الوباء، أو مهما يكن اسمه، لو أنّك بقيت في المنزل».

«أفضّل أن أكون هنا».

«لماذا يراودني شعور بأنّك لا تخبرينني القصة الكاملة؟».

«لأنّ هذا هو شعورك دائمًا، لأنّك مصابة بجنون الارتياب». لا تريد كيرا الخوض في ذلك، من جديد، مع شقيقتها. «في أيّ حال، كيف أمّي؟».

«على حالها. أو هكذا قيل لي بما أنّه لا يمكننا زيارتها الآن. هناك محاولة لتزويدها بجهاز 'آيباد'، لنتمكّن من التواصل معها عبر فيستايم».

«أهي على علم بما يجري؟».

مرّت وقفة طويلة قبل أن تجيب شيڤان.

«تمرّ بأيّام جيّدة وسيّئة».

«وماذا عن...». لا تحبّ كيرا أن تفكّر بهذا الجزء. «الألم؟».

«يبقونها مستريحة. تنام كثيرًا».

«هل يعرفون كم...؟ حتى متى؟».

«لا».

وحلّ صمت طويل آخر.

عندها سألتها شيڤان، «ما الذي لا تخبرينني به؟».

بأنني قد أكون ورّطت نفسي في شيء ما هنا.

«لا شيء».

«أكلّ شيء بخير؟».

قد تكون الأمور بعيدة كلّ البعد عن الخير وأكثر من أي وقت مضى، وأنتِ وأنا نعرف أن ذلك يعني شيئًا.

«نعم، بخير».

«أمتأكّدة أنتِ؟».

لم أكن يومًا أقلّ تأكّدًا، في شأن كلّ شيء. لأنّني قد التقيت شخصًا صنع موقدًا من كلّ ما اعتقدت أنّني أعرفه وصبّ عليه وقودًا، وها أنا الآن أقف بقربه، حاملة عود ثقاب مشتعلًا.

ويكاد اللهب يبلغ أصابعي.

قالت شيڤان «أعتقد فعلًا أنّه يجب أن يكون هناك شخص في حياتك لا تكذبين عليه. ليس من الضروري أن يكون أنا، ولكن...».

هزّت كيرا برأسها، ناسية أنّه لا يمكن لشقيقتها أن تراها تفعل ذلك.

«شيڤ، أيمكنني أن أسألك شيئًا؟».

«فعلتِ ذلك للتوّ».

تخيّلت الابتسامة في صوت شقيقتها وهي تقول ذلك.

إنّها نكتة خاصة وُلدت قبل ذلك بسنوات في شارع باتريك في كورك، عندما وقف أمامهما عامل شنيع في- ما يُسمّى- مجال الخير، معترضًا طريقهما في ليلة عيد ميلاد مظلمة، باردة وممطرة، وقال، «أيمكنني أن أسألكما أيّتها السيدتان شيئًا؟». وردّت شيڤان، من دون تردّد، «لقد فعلتَ للتو»، دافعة بالرجل ما يكفي لتتمكّنا من التخلّص منه.

«أتعتقدين، يا شيف، أنّه يمكن للناس أن يتغيّروا؟ أن يتغيّروا فعلًا؟ في الجوهر؟».

تنهّدت شقيقتها بقوّة شديدة بدت كأنها ريح تعصف عبر الخط.

«ما الذي قد يعنيه 'في الجوهر'؟ كيف يبدو الشخص المتغيّر في الواقع؟ وكيف تعرفين إذا تغيّر؟».

«سيتصرّف بشكل مختلف. مختلف عمّا تتوقّعين منه أن يفعل».

«بناءً على ماذا؟».

«بناءً على الطريقة التي كان يتصرّف بها في الماضي».

«أعتقد أنّه يمكن للناس أن يغيّروا عاداتهم وسلوكهم»، قالت شيڤان بحذر، كما لو أنّها على المنصّة في قاعة المحكمة، تشهد لصالح الدفاع، وقد حاول المدّعي العام المرموق إيقاعها بأسئلته التي صاغها بمهارة. «وأحيانًا آراءهم ومعتقداتهم. الناس يتقدّمون في السنّ ويصيرون أكثر حكمة ويمتلكون مزيدًا من الخبرة، وذلك كلّه يُحَدِّثُ... لنقلْ نظام التشغيل المركزي لديهم. لأنّ كلّ ما يفعلونه قد تعلّموه في المقام الأوّل، صحيح؟ لا أحد يولد وهو كذا، أو كذا وكذا. وإذا استطعتِ، من الناحية النظريّة، أن تتعلّمي كيف تكونين بطريقة معيّنة، فإنّه يمكنك أن تنسيه أيضًا. لكّنه لا يمكنك، في الوقت نفسه، محو الماضي. يمكنك أن تحبسيه

في صندوق وتضعي ذلك الصندوق جانبًا، لكنْ لا يمكنك أن تجعليه يختفي». توقّفت بعض الشيء. «ألهذا علاقة بك؟ لأنّني أعتقد في شكل مطلق بأنّه يمكنك أن تتغيّري. وكانت مشكلتك على الدوام في أنّك لم تريدي ذلك؟».

أدارت كيرا عينيها.

إنّها المعزوفة القديمة نفسها.

التي سئمت من سماعها.

«عليّ أن أذهب، يا شيف. يجب أن أعمل. كنت في فترة استراحة فحسب».

«توخّي الحذر، مفهوم؟ يمكنني المجيء إلى عندك إذا احتجتني. هاتفيني فحسب وسأركب السيّارة منطلقةً إليكِ».

«لا يمكنك ذلك، في الواقع».

«راقبيهم يحاولون إيقافي».

ابتسمت كيرا لصورة شقيقتها وهي تخرق حاجز الشرطة في مكان ما على الطريق السريع، بأسلوب ثيلما ولويز.

وقالت لشقيقتها، «سأتّصل بك بعد بضعة أيّام».

«احرصي على ذلك».

قبل 26 يومًا

عندما اقترحت كيرا أن يتوجّها إلى متنزّه ميريون سكوير مع سلّة طعام، أشار أوليڤر إلى أنّ المكان، وفق خرائط غوغل، يقع من الناحية التقنيّة، على بعد ثلاثة كيلومترات من الكروسينغز.

لكنّه كان يكايدها فحسب. فبالكاد تزعج الشرطة نفسها مع المشاة، وهو أيضًا يريد الذهاب إلى هناك. إنّه يوم أحد جميل سماؤه زرقاء، ويزداد دفئًا. فقد قرّر الصيف أن يأتي باكرًا هذه السنة، على غير توقّع، في منتصف الربيع، وهو ما كانت، في السنة الماضية بالذات، لا تريده أن يحصل. إنّه ذلك النوع من الطقس الذي يجعلك ترغب في الجلوس على العشب الذي جُزّ حديثًا في الهواء الطلق، وترفع وجهك صوب الشمس.

غابت الحياة عن الشوارع التي تربط الكروسينغز بجسر پورتوبِلّو، لكنّهما كانا، مع بلوغهما القناة، كأنّهما انزلقا إلى عالم آخر. كانت المسالك عند ضفاف الماء تعجّ بالناس الذين يتنزّهون، صحبة حيواناتهم الأليفة، وفي كلّ مكان توجد فيه بقعة من العشب أو مكان للجلوس، وترجيح الرجلين فوق الماء. كانت أطراف باهتة ورؤوس تراجعت إلى الوراء جرّاء الضحك قد تجمّعت بالفعل حول أكداس من أكياس السوبرماركت المليئة بالعلب. وانتصبت المنازل المقابلة للقناة وأبوابها الأماميّة مفتوحة على مصراعيها، لتتيح لأصوات قليلة من راديو ليريك إف.إم.، أن تنساب خارجة في الهواء. جلس الجيران في المنزل المجاور على كراسي استرخاء على

العشب، وهم يتبادلون الأحاديث بعضهم مع بعض، بأصوات مرتفعة قليلًا، من فوق الجدران والأسيجة. وفي خارج أحد المنازل، كان ولدان يقضيان أسعد أوقاتهما مع مرشّة حديقة بسيطة، يروحان ويجيئان عبر سيلها العموديّ الرفيع، يتماديان في الصراخ والضحك. وفي منزل آخر، كان طعام يُطبخ على شوّاية وحيدة الاستعمال.

بدا كما لو أنّ الجميع تقريبًا شاهدوا نشرة الطقس، ورتّبوا مسبقًا حفلة في الحيّ مع احترام التباعد الاجتماعي.

كان على الزائر الغريب أن يعرف أين ينظر لإيجاد دليل إلى شيء خطأ، لكنّه موجود. فجميع الذين يدورون في المكان يفعلون ذلك بأسراب صغيرة، محصورة؛ واللافتات التي تتوسّل أنْ ساعدوا في وقف انتشار كوڤيد-19 مربوطة بشريط إلى كلّ ثاني عمود إنارة؛ وكلّما مرّت كيرا وأوليڤر بشخص آخر أو بزوجين يسيران في الاتجاه المقابل، يتنحّى واحد من الطرفين أو كلاهما جانبًا، عند طرف العشب، أو حتى على العشب أو على الطريق، وتفترّ ثغورهم عن ابتسامة ودّية فيما يحاولون بأدب التباعد ما أمكنهم ذلك.

عندما استدارا إلى شارع ليسون، وهو امتداد للمدينة تهيمن عليه مباني المكاتب والمدارس، وهو في أيّ حال يكون ساكنًا في يوم أحد، كان هناك عمق غير معهود لفراغه. إنّه الجمود. وفي الطرف المقابل، كانت بوّابات ستيفنس غرين ما تزال مقفلة. وفي الجانب الآخر من المتنزّه، يقف صفّ سيّارات التاكسي فارغًا. واختفت باصات السياحة ذات السقف المفتوح والعربات التي تجرّها الأحصنة والتي تقبع، في نهايات أسبوع ربيعيّة مشمسة كهذه، في انتظار السيّاح الحمقى في الجانب الشمالي الغربي.

وكان فندق شلبورن، وهو في العادة خليّة نشاط مع طوابير من السيّارات ذات الدفع الرباعي وبوّابين بالزيّ الرسمي يساعدون الضيوف الأثرياء على النزول منها أو الصعود إليها، قد أقفل. وشارع غرافتون، وهو واحد من أكثر شوارع التسوّق في العالم ازدحامًا، ومصيبة لحاملي أكياس التسوّق المترجّحة، وللجوّالة وللمرافق في الأزمنة العادية، فارغ، وهذا هو أكثر المناظر إثارة للقلق. إنّه أمر لم يُفترض أبدًا أن يُشاهد هكذا، كعندما تُضاء الأنوار في نادٍ ليلي في نهاية الليل.

لكن لا شيء من هذا أكثر غرابة من واقع أنّ أوليڤر يشاهد ذلك كلّه وكيرا إلى جانبه.

كان يسترق بين الفينة والفينة نظرة إليها، أو يشدّ على يدها، أو يرفع اليد التي يمسك بها إلى شفتيه ليطبع عليها قبلة خفيفة، ليثبت لنفسه أنّها موجودة هنا بالفعل.

ما تزال هنا، بالرغم من كلّ شيء.

لكن إلى متى؟

لم يكن هناك ما يشبه حصيرة نزهة في شقّة أوليڤر- أو حتى في شقّتها، لو كانا مستعدّين لسلوك مسار آخر- فاستلقيا على ظهريهما في المتنزّه على ملاءة سرير بيضاء خشيت كيرا من أنّها لن تتمكّن أبدًا من إزالة لطخات العشب عنها. لم تكن في حوزتها نظّارة شمسيّة، فوضعت ذراعها على جبهتها حامية عينيها من وهج الشمس. وهي تأمل في أن زجاجتها القديمة من مرطّب الجسم، الذي لا يحمل علامة تجاريّة، لم تكذب في شأن كونها عامل حماية رقم 30، لأنّ هذا هو كلّ ما تملكه كواقٍ من

الشمس. لم تكن تعتقد أنّه سيكون عليها أن تقلق في شأن مستلزمات أخذ حمّام شمس في المتنزّه عندما بدأ الحجر، لكن ها هما هنا الآن.

وباستثناء الضحك الشديد البعيد، وزعيق الولدين السعيد بين الحين والآخر، لم تستطع سماع أيّ شيء ما عدا تنفّس أوليڤر اللطيف وهو يغفو بقربها بعد غدائهما المؤلّف من الكربوهيدرات السكّريّة والكحول الفوّارة التي اشترياها من صالة طعام 'إم أند إس' شبه الفارغة في شارع غرافتون. وكانا قد عثرا على بقعة في الزاوية الجنوبيّة الغربيّة للمتنزّه، على مقربة من السور وقريبًا جدًّا من الطريق، لكن ضجيج حركة المرور اختفى فما من حركة سير تتسبّب به. إنّهما في وسط المدينة، لكن الموسيقا التصويرية ريفيّة شاعريّة.

همست، «للحجر منافعه».

تحرّك أوليڤر، رافعًا نفسه على مرفقيه للنظر من حول المتنزّه، فرأت جبهته وقد أُصيبت ببعض الاحمرار. فتّش بين بقايا كرتونة نزهتهما البلاستيكيّة إلى أن عثر على زجاجة الماء، ثمّ سوّى قعدته ليأخذ جرعة كبيرة.

جلست هي الأخرى.

بدت فسحة العشب حولهما، عند النظرة الأولى، مكتظّة بالمتسكّعين، لكنّ التدقيق عن كثب كشف عشرات الفئات المجتمعة التي تُبقي على مسافة معقولة بعضها من بعض. خرقت قلّة منهم قاعدة الأسرة الواحدة إلّا إذا كانوا يعيشون في منزل تمتلئ كلّ زاوية فيه بالأسرّة ذات الطابقين، لكن يصعب الانفعال حيال ذلك عندما يكونون جميعهم في الخارج، والخارج يبدو كما هو عليه اليوم: السماء أديم من الأزرق الغامق، والشمس تسطع بشكل شبه مباشر فوق الرؤوس.

«هذا غريب»، قال أوليڤر، «أليس كذلك؟ يبدو طبيعيًا لكن أيضًا... لا. كأننا في حلقة من 'المرآة السوداء' حيث قامت شركة حواسيب ما بمحاكاة للعالم، لكن كلّ شيء فيه كان خاطئًا قليلًا».

«لم يسبق لي أن شاهدت المرآة السوداء».

«أليس ذلك كلّه أشبه بالأشياء البائسة؟ العالم يسير في الاتجاه الخطأ...؟ لست متأكّدًا من أنّنا نحتاج فعلًا إلى مشاهدة ذلك النوع في الوقت الحاضر».

«وجهة نظر سليمة. سنضيفها إلى لائحة ما بعد».

لائحة ما بعد.

إنّه وعد للمستقبل، أُسقط عَرَضًا في الحديث. أخذته كيرا وأمسكته وأضافته إلى مجموعتها، إلى جانب شيء قاله عن منطقة رانيلاغ بأنّها مكان ممتع لهما ليقيما فيه، وكيف أنها ستحبّ زوجة شقيقه، نيكي، عندما سيتمكّنان من السفر من أستراليا إلى الديار.

مع أنّه لا يُفترض بها جمع هذه الأمور.

مع أن عليها أن تدمّر تلك التي لديها بالفعل، لأنّ ذلك ما سيحصل لهما في أيّ حال، في نهاية المطاف. ولماذا تعذّب نفسها حتى ذلك الوقت بادّعائها إمكانية وجود طريقة أخرى؟

لا يمكنكِ محو الماضي. يمكنكِ أن تحبسيه في صندوق وتضعي ذلك الصندوق جانبًا، لكن لا يمكنك أن تجعليه يختفي.

الصندوق هنا الآن، موجود بينهما على العشب.

لكنّ أوليڤر لا يعرف أنّه موجود وهي تعاند، مدّعية أنّها لا تراه.

سألها، «هل فكّرت في ما كنّا سنفعله لولا حصول ذلك كلّه؟ لولا وجود الوباء؟».

«لا».

هذا صحيح. فمجموعة الظروف هذه كانت قد أثبتت، بطرق كثيرة، أنّها مثاليّة بشكل خطير، بحيث أنّها لا تحبّ التفكير بما كان ليحصل لولا ذلك.

بما كان يجب أن يحصل.

«أحقًّا؟».

«لا»، وهزّت رأسها. «لماذا؟ هل كنت لتفعل؟».

«كلّ الوقت. في الواقع...». وأخذ هاتفه، ونقر على الشاشة بضع مرّات ثمّ رفعها صوبها. «أفعل أكثر من ذلك».

لم تستطع الرؤية عبر وهج الشمس على الشاشة، فأخذت الهاتف منه وجمعت يدها حوله إلى أن بات هناك ما يكفي من الظلّ لتتبيّن ما عليه. كان قد فتح تطبيق الملاحظات الخاصة به على لائحة، أو ما يبدو أنّه كذلك.

«ما هذا؟».

«أماكن سآخذك إليها. لاحقًا. أمور أريد القيام بها معك».

تمكّنت من قراءة البنود القليلة الأولى في اللائحة قبل أن تبدأ الكلمات في التشوّش.

سينما ستيلّا

تلّة كيلليني

تشابتر وان (طاولة رئيس الطبّاخين)

المعرض الوطني

لونغ روم*

شروق الشمس سانديكوف (سباحة؟)

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

لم تعرف حتى ما تقول، ولا حتى بمَ تشعر.

أذهلها أنّه يقرّ بذلك، أنّه سيريها مثل هذا الشيء. وتأثّرت من وضعه هذه اللائحة. ووجدت من الطريف أنّ كثيرًا من الأشياء فيها هي الأمور نفسها التي تظهر في برامج السيّاح، وأنّها لائحة مخصّصة لشخصين جديدين على دبلن، حريصين على استكشاف المدينة، لكنّهما يفتقران إلى معرفة حقيقيّة بالأمكنة التي عليهما الذهاب إليها. وقد أصيبت بالخوف من أنّها تريد، هي أيضًا، القيام بكل ذلك، معه، وبأنّه يمكنها بالفعل أن تتخيّل وهما يجوبان الشوارع، اليد باليد، على غرار ما فعلاه في وقت سابق اليوم لكن مع عودة الحياة الطبيعية وانتفاء أيّ ممّا يخافان منه.

باستثناء الأمور التي لن تنتفي أبدًا.

شعرت كيرا بشعلة حرارة فجائيّة في وجنتيها. وجهه على بعد إنشات قليلة من وجهها؛ ولا سبيل أبدًا لإخفاء ردّ الفعل. جهدت لإبقاء تعابيرها حيادية وهي تشعر بموجة تلو الموجة من المشاعر تهبّ صعودًا وتتحطّم عليها، تسحبها إلى تحتها وترفعها إلى السطح، وتصيبها بالدوار والضياع، وقد جفّ حلقها.

قال، «هذا ليس على اللائحة، لكن هناك فندقًا في كيّارني حيث تستيقظين وأنت تنظرين تمامًا إلى البحيرات، وإلى الجبال وراءها، ولا تستطيعين رؤية أيّ شيء باستثناء الأخضر والأزرق. فكّرتُ في أنّه يمكننا

* القاعة المستطيلة في مكتبة دبلن الوطنية.

الذهاب إلى هناك ما إن نتمكّن من زيارة الأمكنة من جديد. لمجرّد ألّا نرى المدينة لفترة».

لم يكن يُفترض الذهاب إلى هذا الحدّ.

أمّا وقد حصل الآن، فهي لا تريد العودة.

وفي الحقيقة، ما الذي تعتقد أنّه كان سيحصل؟ ألا يوجد جزء منها أراد ذلك على الدوام، بالرغم من تكلفته؟ ألم تكن تكذب على نفسها بقدر ما كانت تكذب عليه؟

«أنا أيضًا أريد القيام بكل هذه الأشياء معك».

إنّها الحقيقة.

مرّر إصبعه على طول ساعدها، رابطًا نمشها بخطّ غير مرئي.

أضافت، «باستثناء الجزء المتعلّق بالسباحة. لأنّني حتمًا سأغرق».

«سأنقذك».

هزّت برأسها، «سأعفيك من الإزعاج».

«ألا تُجيدين السباحة؟».

«أفضّل أن أعتبر نفسي غارقة جيّدة».

ضحك.

أضافت، «لكنّني أشتاق إلى الماء، أعني، النظر إليه. كنت أراه من شقّتي في كورك. الميناء. أو بالأحرى، المصبّ. لا أدري، فربّما هما الأمر عينه. وأنا، في أيّ حال، لم أدرك كم كنت أحبّ رؤيته إلى أن غادرت. أشعر بأنّني محاطة باليابسة من كلّ الجهات هنا».

حقيقة أخرى.

«أكره أن أفسد عليكِ الأمر، لكنّنا على الشاطئ».

صفعته على ساعده مداعبة. «نحن على مقربة من نهر. وأنا أتحدّث عن عدم رؤية أيّ شيء سوى الماء حتى الأفق. الشواطئ موجودة على مسافة تفوق بكثير مسافة الكيلومترين المسموح بها».

«لا بدّ أنّ هناك مكانًا آخر، مكانًا أكثر قربًا. هيّا بنا». تحرّك أوليڤر للنهوض، «لنرحل».

على مسافة أقل من ربع ساعة عن الخَضار الزاهي لمتنزّه ميريون سكوير والاحمرار الباهت للمنازل الجورجيّة المستقلّة التي تحيط به، يوجد موقع صناعيّ، مستقبليّ الشكل، مهرجان من الفضّة والرماديّ والأزرق: رصيف القناة الكبرى. لم تكن كيرا قد زارت المكان من قبل، وهو لا يشبه على الإطلاق ما توقّعته من اسمه.

مربع متلألئ من المياه يمتدّ صوب البحر، تشرف عليه صناديق ذات واجهات زجاجيّة: كتل سكنيّة ومبانٍ مكتبيّة. كلّ شيء ملس وجديد، من الحجارة أو الفولاذ أو الزجاج. والبحر الواسع في ما وراء نهر ليفي يحجب رؤيته صفّ من المباني في المسافة الوسطى، لكنّها تمكّنت من رؤية دواخين پولبَغ ترتفع وراءه في السماء، ويوجد هنا أكثر ممّا يكفي من المياه لتسكين روحها.

«شكرًا»، قالت لأوليڤر. «هذا جميل».

ابتسم، «ليس هذا هو المكان».

قادها متجاوزَين الماء فإلى شارع ضيّق، هو كناية عن فتحة بين صناديق الزجاج والفولاذ. مرّا قريبًا من المطاعم المغلقة، ومن أحد المصارف، ومن عدد كبير من أبواب المكاتب الداكنة. توجد هنا أيضًا جيوب من الحياة الطبيعيّة: مراهقون بلباس السباحة يغطسون ببهجة

في الماء، واثنان على لوحتي تزلّج ينزلقان بشكل متقاطع على البلاط الناعم للساحة الرئيسيّة، وزوجان يخرجان من متجر للبقالة ومعهما قهوة جاهزة.

لم يكن لديها أيّ فكرة عن المكان الذي يأخذها إليه إلى أن خرجا، في النهاية، عند الطرف الآخر وتبعته على طول الطريق...

لقد جاء بها إلى النهر، إلى امتداد له لم يسبق لها أن رأته.

إلى يسارها، ارتفعت الانحناءة البيضاء لجسر صموئيل بيكيت إلى السماء أشبه بطائر يحلّق. شاهدت في البعيد، عبر كابلات الشدّ فيه، مزيدًا من معالم دبلن المألوفة: مقرّ الجمارك، ورأس القمّة المستدقّة للبرج يخرق السماء. وعلى بعد خطوات منهما كان هناك بذّة غطس، بحسب ما ورد في لافتتها. ولولا ذلك لما كانت لديها أيّ فكرة عمّا هي.

تطلّعت نحو أوليڤر الذي كان يراقبها وهي تنظر. «هذا هو...»

«ليس ذلك بعد. لكن إذا تبعتِني فحسب...».

شدّ برفق على اليد التي يمسكها واستدارا في الاتجاه الآخر، إلى اليمين، ليتمكّنا من رؤية ذلك معًا.

كان هناك سفينة حربيّة راسية على بعد خطوات تمامًا، وعلى متنها ثلاثة أشخاص يرتدون عدّة كاملة واقية من الخطر البيولوجي- بدلات عمل، قفّازات، قبّعات مجهّزة بحاجب بلاستيكي وأقنعة للتنفّس- يستخدمون آلات الرشّ التي على ظهورهم لرشّ المساحات بما يجب أن يكون معقّمًا. وعلى مقربة من السفينة خيمة واسعة باللون الأخضر البحري محاطة بسياج معدنيّ. تفيد اللافتات بأنها مركز **إحالة الزبائن للفحص** وتشير إلى المدخل من هنا وتحذّر من أنّه **للإحالة فقط ممنوع الدخول**. وعلى

السياج قماش أسود مصنوع من القنّب مربوط إلى الداخل: ستائر مرتجلة لحماية الخصوصيّة. وهناك درج متحرّك يربط السفينة بالبرّ كُتب عليه إل إي صموئيل بيكيت.

وقف كلاهما، فاغري الفم، مذهولين.

كانت كيرا، منذ بدء الحجْر، تتسمّر على الأخبار. وموعدها في الساعة التي يكون فيها أوليڤر في الخارج يمارس رياضة الركض، فتشاهدها وحدها. تبدأ النشرة في الغالب بالأعداد، وهي فقرة سيئة. لكنّ الأعداد ليست الجزء الأسوأ، لأنّها أكثر مما يمكن استيعابه لمقارنتها بما تمثّله من معاناة إنسانيّة. إنّها التفاصيل وراء العناوين، الجمل المحشوّة بكلمات تعرفها، لكنّها، عندما توضع معًا، تكون غير منطقيّة، هي التي تخنقها.

مثال على ذلك، كيف حُوِّل مركز مؤتمرات في وسط نيويورك إلى مستشفى ميداني يتّسع لألف ومئتي سرير مع نبتات مزروعة في أوعية بالقرب من كلّ سرير لأنّه كان يفترض بالمركز أن يستضيف معرض الزهور العالمي. أو كيف، عندما يتوفّى أحدهم من هذا الشيء في مستشفى إيرلندي، يجب أن يبقى في الملابس التي كان يرتديها، وعلى وجهه قناع بالرغم من أنّه توقّف عن التنفّس، ولا يوضع في كيس واحد مقفل للجثث بل في كيسين، لن يُفتح أيّ منهما بعد ذلك أبدًا. وكيف أنّ سفينة راسية في كورك جُهِّزت لتصبح مشرحة مرتجلة إذا دعت الحاجة.

لكن كلّ تلك الأشياء على التلفاز، كانت بأمان في الجانب الآخر من الشاشة، في بداية الأمسيات التي تقضيها مع أوليڤر على الأريكة متعانقين يشاهدان البرامج التلفزيونيّة التي لا تعرف أنّ هذا آتٍ، وهي

كناية عن كبسولات زمنيّة لما هو قبل، محكمة الإقفال، وهما آمنان وبخير ويروق لهما ذلك إلى حدّ ما. لكنّ خروجها إلى العالم، ورؤية ذلك بأمّ العين، أمامها مباشرة، هو أمر آخر تمامًا. نظرت إلى الأجسام التي بلا وجوه تتحرّك بعتادها الواقي من الخطر البيولوجي ويبدو أنّ ما تنظّفه بذلك الرشّ الكيميائي يمثّل كلّ شيء جيّد في شأن هذا النهار.

«لم أعرف أن هذه كانت هنا»، قال أوليڤر. «لو لم تكن، لأمكنك أن تري بعيدًا حتى المرفأ، إلى مصبّ النهر، وأفقًا من الماء، كما قلتِ تمامًا. ربّما لو سرنا بعيدًا بعض الشيء، يمكننا...».

«أريد العودة إلى المنزل فحسب».

لم يجادل. اعتصر يدها واستدارا سائرين على الطريق التي جاءا منها، بصمت في الغالب، إلى أن عادا إلى جانب القناة نفسها، راجعين إلى داخل السراب.

ما يزال الناس يتسكّعون عند الماء، وقد أضاءت عليهم شمس بعد الظهر. انسابت الموسيقا من النوافذ المفتوحة. أزهار الكرز الزهريّة المتفتحّة كالفشار على أشجار تتمايل بلطف مع النسيم.

لكن ذلك كلّه يبدو الآن كأنه لعبة ادّعاء.

عندما عادا إلى الكروسينغز، وقع نظر كيرا على علب البريد. كان مغلّف رقيق كريميّ اللون يبرز من درفة علبة الشقة رقم 1.

«أوليڤر»، قالت وهي تشير بإصبعها. «انظر».

تبع وجهتها، وتجهّم.

قال، «ربّما بريد دعائيّ، أو لائحة طعام».

سحب المغلّف من الدرفة ونظر إليه لبرهة، وهو يطرف عينيه

بسرعة. هناك شيء مكتوب بخطّ اليد على وجه المغلّف- اسم، لا يمكن أن يكون أيّ شيء أكثر- لكن عندما تقدّمت كيرا خطوة منه في محاولة لرؤية ذلك بنفسها، استدار أوليڤر فجأة ودسّ المغلّف في علبة البريد المجاورة لعلبته، تلك التابعة للشقّة رقم اثنين.

«ماذا فيه؟».

وكان جواب أوليڤر، «لم يكن لي». إنه جواب لا يجيب عن سؤالها على الإطلاق. وهو ما ستفكّر به بعد ذلك.

اليوم

وقفت لي في ناحية المطبخ من لوحة الفطور ودفتر ملاحظاتها مفتوح أمامها وفي يدها قلم. ووقف كارل في مدخل الباب الذي يربط غرفة الجلوس بالردهة، مستندًا إلى الإطار، ومكتوف اليدين. أما لورا مانّيكس، فقد جلست على أبعد مقعد في الأريكة، وهي تتمايل بعض الشيء إلى الأمام وإلى الخلف، وتفرك يديها في حضنها، ورأسها إلى أسفل.

كان باب الشرفة مفتوحًا كلّيًا وقد وضع كلّ من لي وكارل قناعيهما. لم يكن ذلك مثاليًّا، ولكن لا يمكنهما إجراء هذا الحديث في أيّ مكان يمكن لأحدهم استراق السمع إليه.

«حسنًا»، قالت لي للورا. «أخبريه بما قلته لي».

لم يكن لديها أيّ فكرة عن المدى الذي ستتعاون به هذه المرأة. ففي خلال الدقائق العشر التي صرفاها لوحدهما معًا، بانتظار أن تعثر الشرطيّة كلير أوهرليهي على كارل وتأتي به إليهما، ترجّحت لورا بين نوبات من الامتعاض المغرور والتوتّر الهشّ. وكانت نبرتها، عندما تتكلّم مزيجًا من هذا وذاك.

«أنا صحافيّة. وأنا في الوقت الراهن كبيرة المنتجين في برنامج ذا جايسن دينين شو. وكنت سابقًا محرّرة التحقيقات في ذا بايبر.آي.إي.».

استقبل كارل هذا الخبر بهزّة من رأسه جعلت لي، التي تعرفه بما يكفي، تدرك أنّه ليس غاضبًا، بل مخيَّب فحسب.

قالت لي، «أخبريه عن سبب وجودك هنا، فيما تملكين منزلًا في دندروم».

خفضت لورا نظرها إلى يديها، وتمتمت شيئًا.

«حاولي التحدّث بصوت مسموع».

«قلت»- وانقلبت إلى حالة الامتعاض- «أنا هنا بسبب قضيّة ميل ريڤر».

تبادلت لي وكارل النظر.

قال كارل، «أسهبي».

«إنّها قصّة طويلة».

«أوه، هل تحتاجين للذهاب إلى مكان ما؟ نعتذر منك، ولكن لدينا شخص يتعفّن تحت وسنقّدر لك فعلًا إذا أمكنك أن تخصّصينا ببضع دقائق من وقتك».

حدّقت لورا إليه. «كنت يومها أعمل في صحيفة تريبيون. عندما حصل ذلك. جلّ ما كنّا نعرفه هو الاسمين اللذين كانا سرًّا مكشوفًا. ومنذ بضعة أشهر، خرجت مجموعة منّا لشرب الكحول وطرح أحدهم الموضوع. قال أحد الفتية، وهو مراسل في مجال الجرائم، إنّه سمع أن سانت لدجر كان في لندن، ويستمتع بحياته؛ صديقة حميمة، وظيفة جيّدة، وكلّ ذلك. وفكّرت: حسنًا، ذلك هو تمامًا نوع الظلم الذي يريد مستمعونا أن يعرفوا عنه...»

تمتم كارل، «تعنين، أن يستفظعوه بلا داعٍ».

«... وهكذا شرعت في القيام ببعض التنقيب. وتصوّرت أنّه لو وجدت شيئًا ملموسًا، فسيمكنني أن أستخدمه في البرنامج، إضافة إلى إمكانية وضع تقرير في شأنه». وتوقّفت لبرهة. «ولن أصفه بأنّه بلا داعٍ، أيّها المفتّش. فهو مُدان بالقتل».

«وقد قضى محكوميّته. وأنا رقيب محقّق».

تعرف لي أن كارل حين صحّح لها فهذا يعني أن لورا ليست قطعًا على لائحته الخاصة بالمرغوب فيهم.

وتابع، «لا يمكنك الإفادة عن اسمه، أو المخاطرة بالتعريف عنه بأيّ طريقة من الطرق. وبالتالي بماذا تنفعك كتابة التحقيق؟».

«يمكنني تبديل التفاصيل الدالّة. ويبقى هناك كثير للكتابة عنه. فقد كانت هناك قضيّة في العام الماضي، مع مراهقَيْن- لم يمكن ذكر اسميهما وأمكن مع ذلك كتابة مساحات واسعة على أعمدة الصحف، أليس كذلك؟».

أعمدة صحافية، مقالات طويلة، عناوين الصفحات الأولى على مدى أسابيع. وكانت لي قد لاحظت يومها أن تسمية المتّهمَيْن- وهما مدانان الآن بالقتل- الفتى «أ» والفتى «ب»، لم تؤدِّ إلّا إلى مضاعفة شهيّة الناس إلى المعلومات، لأنّه من دون اسميهما ووجهيهما، ومن دون تفاصيل عن حياتيهما اليوميتين أو هواياتهما أو خلفيّة عائلتيهما، كانت قد نُزعت عنهما طبيعتاهما منذ البداية ورُفعا على الفور إلى مرتبة القتلة الأشرار المجانين.

تمامًا كما حدث في السنة الماضية، حين تبخّر على الفور الرعب الذي لا وجه له واستمرّ لعقدين، وأثاره القاتل المتسلسل المعروف بـرجل العدم، من جرّاء الكشف عن اسمه الحقيقي: جيم.

قالت لورا، «حصلت على معلومة بأنّ خطبًا قد حصل بالفعل في لندن، وكان سانت لدجر في طريقه إلى دبلن، للعمل في شركة يملكها صديق للعائلة. وكلّ ما حصلت عليه كان اسم الشركة، لكنّ ذلك كان أكثر من كافٍ للعثور عليه».

كانت هذه هي النقطة التي أوقفتها لي عندها، عندما تحدّثت لورا عن هذا للمرّة الأولى، على الشرفة، ومن حينها والسؤال التالي ينتظر على لسانها بصبر:

«كيف؟».

هزّت لورا كتفيها. «لديّ وسائلي».

لم تقل لي وكارل شيئًا، واكتفيا بالانتظار.

«حسنًا. استخدمت الـ'وايباك ماشين' (أرشيف الإنترنت)».

قال كارل، «يا للعنة، ما هذه الآن؟».

«وايباك ماشين». ولفظت لورا كلّ مقطع صوتي بوضوح كما لو أنّها تتحدّث مع شخص ما يزال يتعلّم الإنكليزيّة. «إنّه أرشيف على الإنترنت يلتقط صورًا للمواقع الإلكترونيّة ويخزّنها. يمكنك كتابة أيّ عنوان موقع إلكتروني لتجد كيف كانت الصفحة تبدو، لنقل، في الثاني عشر من كانون الثاني 1999 أو في السادس عشر من أيلول 2012. هذا إذا كان الأرشيف قد التَقَط له صورة. وبالتأكيد، فإنّك كلّما ابتعدت أكثر في الزمن عثرت على ما هو أقل. وعندما تعود كثيراً إلى الوراء، لن تعثر إلّا على المواقع الكبرى. لكنّه كان يحتوي على لقطة لصفحة «قابلوا فريقنا» في كي بي استوديوز، تعود لما قبل نحو شهرين، وتمكّنتُ بالتالي من مقارنة تلك اللقطة مع الموقع الراهن وتحديد الموظّفين الجدد. كان هناك اثنان. لا صور، ولا سيرة حياة تُذكر- كان من الواضح أنّهما عضوان جديدان في الفريق- لكنّ واحدًا منهما كان يحمل اسمًا سويديًّا وكان قد عمل أخيرًا في دبي، والآخر كان اسمه أوليڤر كينيدي وسبق له أن عمل في لندن. لم يكن الأمر على درجة كبرى من التعقيد».

«لكن كيف عرفتِ أنّه هو؟ ذلك الأوليڤر الذي كنت تبحثين عنه؟».

«تلك كانت مهمّتي التالية. فكما سبق وقلت لم تكن توجد صورة له على موقع الشركة، ولا تواصل اجتماعي على الإطلاق، لا شيء- وهو ما اعتبرته بأنّه مزيد من التأكيد. كان عليّ أن ألقي عليه نظرة شخصيَّة. قمتُ ببعض المحاولات المختلفة، إلّا أنّ الصبر هو الذي أدّى فعله في النهاية. جلستُ عند نافذة المقهى التي تقع مباشرة قبالة المبنى وراقبت كلّ الداخلين إليه والخارجين منه. وبعد ذلك بنحو ثلاثة أيّام، شاهدتُ شخصًا أمكن أن يكون سانت لدجر- العمر المناسب واللون المناسب- يخرج برفقة المدير الإداري لكي بي استوديوز الذي تعرّفت عليه من صورته على الموقع الإلكتروني. ولمّا نظرت عن كثب، عرفتُ. كان هو. من دون شكّ».

«كيف استطعت أن...».

«من الأذنين»، قالت لورا. «لا تتغيّران مع العمر. يمكنك دومًا التأكد من خلال مقارنة الآذان. وهو ينتحل اسم أوليڤر كينيدي. وكينيدي كان اسم والدة سانت لدجر وهي عزباء. أقصد، بربّي. كأنّه كان يريدني أن أعثر عليه».

شتم كارل بصوت خافت.

سألتها لي، «وكيف عرفت، في المقام الأوّل، ما تبدو عليه الأذنان؟ ماذا كنت تملكين لمقارنتهما به؟».

«صور. من نشرة المدرسة الابتدائيّة».

«ومن أين، بحقّ الجحيم، حصلت عليها؟».

«لنكتفِ بالقول إنّها من المصدر نفسه الذي حصلت منه على المعلومة».

«ومن أين ذلك؟».

«لا يمكنني الكشف عن مصادري. ولن أفعل».

«فلنعد إلى ذلك لاحقًا». وكانت لي تجهد لإبقاء صوتها مستويًا؛ وقد أخذ صبرها ينفد. «حصلتِ، إذًا، على معلومة بأنّ سانت لدجر يعود إلى دبلن للعمل في كي بي استوديوز. واكتشفتِ أن شخصًا بالعمر المناسب تقريبًا يستخدم اسم أوليڤر كينيدي، وهو اسم أمّه وهي عزباء، وشرع بعد ذلك بوقت قصير بالعمل في كي بي استوديوز. وشاهدتِ شخصًا يخرج من المكتب ومطابقًا للصورة التي لديك عن أوليڤر سانت لدجر، قبل سبعة عشر عامًا. أذلك صحيح؟».

هزّت لورا برأسها. «نعم».

«لكن، كيف انتهى بك الأمر هنا؟ في المبنى الذي يسكن فيه؟».

«تبعته، فحسب. فهو لا يقود سيّارة، ويذهب سيرًا على الأقدام إلى كلّ الأمكنة. تحقّقت من المكان على الإنترنت، لمجرّد رؤية إذا كانت توجد شقّة للبيع أو أي شيء من هذا القبيل لأتمكّن من الدخول إليها، وإلقاء نظرة، وظهر أمامي هذا الإعلان. إيجار قصير الأمد».

«قصدتُ، ما كنتِ تخطّطين لفعله؟».

«جمع مزيد من المعلومات. وربّما التقرّب منه، في مآل الأمر».

«هل فعلتِ؟».

أشاحت لورا بنظرها. «لا. لكنّني تحدّثت مع صديقته الحميمة».

ظنّت لي، لوهلة، أنّها أخطأت السمع. نظرت إلى كارل الذي قال، «صديقته الحميمة؟».

«نعم. صديقته الحميمة. اسمها كيرا».

لم تتمكّن لورا من إخفاء لمحة الانتصار على وجهها؛ فمن الواضح أنّها تستمتع بإخبارهما شيئًا لم يكونا يعرفانه بالفعل.

سألها كارل، «وهل جاءت معه إلى هنا من لندن؟».

«لا أعرف. غير أنّ لكنتها كانت إيرلنديّة. كورك، على ما أظنّ».

«وما كان أبرز ما في ذلك الحديث؟».

«حديثان، بالمثنّى. كان هناك حديثان».

«هل أخبرتها بمن تكونين؟».

«بالكاد. فما كان الحديث الثاني ليحصل لو كنت قد فعلت».

«وماذا عن اسم عائلتها؟».

«لم أحصل عليه».

«أكانت تعرف عن ماضيه؟».

مرّت برهة.

قالت لورا بعدها، «لا أعرف. فكّرت في أنّه عليّ أن أحذّرها، إذا لم تكن تعلم. لكنّني حافظت على الغموض. أخبرتها أنّني عرفت بأنّه قام بأمر سيّئ وأن اسم عائلته ليس كينيدي. وقالت...». هزّة كتفين أخرى. «في الواقع، لم تقل كثيرًا».

احمرّ وجه كارل قليلًا.

«حسنًا إذًا. في ملخّص الأمر: أنتِ، الغريبة تمامًا، تتوجّهين إلى هذه المرأة وتقولين، هاي، أعرف أنّ فتاكِ قد ارتكب فعلًا سيّئًا، وأنّ اسم عائلته ليس بالفعل ما يقول إنه هو، وكان ردّ فعلها 'ليس كثيرًا'؟».

«تصوّرت أنّها كانت تحميه».

تمعّنت لي في ذلك، وتركته يتفاعل في ذهنها. فإمّا هذه الفتاة الغامضة كانت على علاقة بقاتل مُدان وكانت تحميه من لورا، وإما... لويس لاين* هذه حصلت على أوليڤر الخطأ.

---

* صديقة سوبرمان.

سأل كارل لورا، «متى كانت المرّة الأخيرة التي شاهدتِ فيها هذه المرأة».

«ربّما... منذ ثلاثة أسابيع؟».

«هل كانا يقيمان معًا؟».

«يمكن».

«إذًا»، قالت لي، «أنتِ في الواقع لم تتحدّثي معه، لكن يُحتمل أن هذه المرأة، كيرا، نقلت حديثكما...».

«بعثتُ له بملاحظة. وضعتها في علبة بريده. شارحة فيها أنّني لم أرد فضحه بالضرورة...».

شخر كارل.

«... لكنّني أردت الحديث معه. الاستماع إلى وجهة نظره. لكنّني لم أتلقّ أيّ جواب». كتفت يديها، واستجمعت شجاعتها. «انظر، لم أكن مخطئة. أعرف أنّه كان هو. ولم أقم بأيّ عمل خاطئ هنا. لم أكن أضايقهما...».

«إيه، نعم»، تمتم كارل.

«... ولم يكن يسعني، قانونيًا، أن أكشف عن اسمه أو مكانه. ربّما كان اعتقاده أنّه على وشك أن يُفضَح هو سبب قيامه بما قام به».

«تبدين قاطعة جدًّا في شأنه»، قال كارل بصوت خالٍ من التعبير.

حدّقت إليه لورا. «لم أقم بأيّ أمر خطأ. إذا لم يستطع التعايش مع نفسه فهذا ليس خطئي».

«عثرنا على مغلّف»، قالت لي. «في علبة بريد الشقة رقم 1 موجّه إلى أوليڤر سانت لدجر. أهو منكِ؟».

هزّت لورا برأسها إيجابًا.

«ماذا سنجد فيه عندما نفتحه؟».

«مجرّد رسالة تشرح أنّني لا أحاول فضحه، بل أحاول أن أتحدّث معه فحسب». واتّسعت عيناها. «أتقولين إنّه لم يتلقّه؟».

«عندما تحدّثتِ معي في المرّة الأولى، قبل أن ينضمّ زميلي هنا إلينا، أشرتِ إلى أنّك لم تدخلي أبدًا الشقة رقم 1».

«ولماذا كنت سأدخل؟».

«إذًا، لم تدخلي؟».

«لا».

كانت لي تدوّن الملاحظات فيما لورا تتحدّث؛ وها هي الآن تضع قلمها جانبًا بحركة مسرحيّة. أمسكت بمقدّمة قناعها وسحبته لبضع ثوانٍ عن وجهها، لإدخال بعض الهواء الذي تنشّقته، ولترطيب شفتيها لأنّها في كلّ مرّة تتحدّث فيها لفترة طويلة جدًّا، والقناع موضوع، ينتهي بها الأمر وهي تشعر كأنّها كانت ممدّدة، ووجهها إلى الأسفل، في رمل الصحراء. ثمّ أفلتته، وثبّتته في مكانه، والتقطت قلمها من جديد.

«هاكِ ما سنفعله، يا لورا. ذلك كلّه كان مثيرًا جدًّا للاهتمام. بل وأخّاذ أحيانًا. لكنّني سأطلب منك أن تعاودي إخبارنا إيّاه منذ البداية، ولكن مع فارق بسيط فحسب».

بدت لورا مرتبكة.

«هذه المرّة»، قالت لي، «ستخبرينا الحقيقة».

قبل 26 يومًا

كان قلبه يضرب بسرعة كبيرة جدًّا إلى درجة خشي معها من أن تراه كيرا ينبض عبر جلد عنقه. لا شك في أنها ترى شيئًا لأنّها، ما إن دخلا الشقّة واستدارت لتنظر إليه، حتى قطّبت جبينها وسألته إنْ كان بخير.

بدا صوتها متباعدًا بشكل غريب، مكتومًا، كما لو أنّهما تحت الماء.

أو أنّه هو فقط تحت الماء.

أبلغته أنّه يتعرّق. فتمتم شيئًا عن الحرّ وعن السير بعيدًا بعد الشرب مع الغداء. اختفت كيرا بحثًا عن مرطّب للبشرة قالت إنّها ستضعه على وجهه، وعن قرصي باراسيتامول لألم الرأس الذي قال كذبًا إنه أُصيب به.

حاول جهده، في نصف الدقيقة التي غابت فيها، أن يستجمع نفسه، راشقًا وجهه بملء راحتيه بالماء البارد من فوق المغسلة، ومتسائلًا ماذا عليه، بحق الجحيم، أن يفعل.

قرّر أنّه يحتاج إلى معرفة ما في داخل ذلك المغلّف.

تلك هي الأولوية.

لمّا عادت كيرا، قال باندفاع، «لنجلب طعامًا جاهزًا للعشاء»، وأتبع ذلك بابتسامة لتلطيف الفظاظة، «لا أشعر برغبة في الطبخ».

أمكنها أن تعرض الطبخ بنفسها- أو تحاول ذلك. أمكنها القول إنّ الحرّ شديد لتناول الطعام الحار، كما كانت والدته تفعل عندما كان وشقيقه صغيرين جدًّا. لكنّها فعلت شيئًا آخر لا يتوافق مع مخطّطه: اقترحت أن يقوما بتحميل تطبيق لتوصيل طلبات الطعام.

«نعم»، قال بالتباس. ناولته كيرا أنبوب شيء ما وحلّ ببطء الغطاء وشمّ المعجون الأبيض بداخله فيما حاول جاهدًا الخروج بمبرّر لاعتبار ذلك فكرة سيّئة. «لكنّ المشكلة معهم»، وكان عليه أن يتوقّف للعق شفتيه، إذ إن فمه جافًا جدًا، «هي في أن الإيركود* خاصتي لا يظهر على نظامهم، وبالتالي يضلّ السائقون دومًا طريقهم. ففي المرّتين اللتين جرّبت ذلك فيهما، توجّب عليّ أن أرشدهم إلى هنا قبل أن أتناول طعامًا باردًا ومبلّلًا. ماذا بالنسبة إلى جورجيز؟». وهو مطعم كانا قد ذهبا إليه مرّة، مصادفة، في الليلة التي سبقت إصدار الأمر للمطاعم بإقفال قاعاتها الداخليّة. «إنّهم يحضّرون الطعام الجاهز الآن. أستطيع أن أذهب وأجلبه».

بدت كيرا متشكّكة. «اعتقدتُ أنّك لم تكن تشعر...».

«سأكون بخير»، قال مقاطعًا إيّاها، ثمّ أَسِفَ لذلك. والتقط قرصَي الباراسيتامول اللذين كانت قد وضعتهما له على المنضدة. «بعدهما، سأشعر بأنني بخير».

نظرا إلى لائحة الطعام على الإنترنت ثمّ اتّصل أوليڤر بالمطعم لوضع الطلبيّة. وعندما سألوه عن رقم الهاتف أعطاهم رقمه لكن مع تبديل موضع آخر رقمين، كعادته؛ فهو لا يعطي أيّ معلومات شخصيّة إلّا عند الضرورة القصوى. لكن القلق أصابه من أنّ كيرا قد تكون لاحظت، لكنّها لم تقل شيئًا.

أبلغه جورجيز أن الطعام سيكون جاهزًا بعد خمس وأربعين دقيقة.

قال لكيرا، بعدما أنهى الاتصال، «خمس عشرة دقيقة. قد يكون عليّ أن أتوجّه إلى هناك الآن».

«أتريدني أن آتي؟».

---

* رمز تحديد الموقع.

«لا». وتنحنح. «أقصد، آه، لا حاجة. لا فائدة من ذهاب كلينا. علينا تقليل الاتصال وكل ذلك، أليس كذلك؟».

«من المؤسف أنّنا لا نستطيع تناول الطعام في الخارج»، قالت وهي تنظر بحزن إلى المصطبة. «والطقس ما يزال على هذه الدرجة من الحرارة».

كان ذلك المغلّف قد أوصل باليد إلى مبنى مأمون، كما تبيّن أنّ امرأة ظنّ أنّه التقاها مصادفة خارج أحد الفنادق، منذ بضعة أسابيع، تقيم هنا أيضًا. وهما قطعًا لن يخرجا من جديد إلى تلك المصطبة، لا الآن ولا لاحقًا.

«أعتقد أنّني نلت كفايتي من الحرّ ليوم واحد»، قال وهو يشير إلى جبهته. كان يشعر بأنّ جلد بشرته ساخن ومشدود. تحقّق من أنّه يحمل مفاتيحه ومحفظته، واستدار ليغادر. «أعود قريبًا».

وضع قناع الوجه قبل توجّهه إلى الممشى.

أدرك أوليڤر، بُعَيْدَ انتقاله إلى الكروسينغز، أنه لم يتسلّم مفتاح علبة البريد. وفي اليوم التالي في العمل، سأل عنه لويز، مديرة المكتب التي كانت مكلّفة بالإشراف على سكن الموظّفين، غير أنّها لم تكن تمتلك أيّ فكرة عن مكان المفتاح. لكن كان معها مفاتيح شقّة كي بي استوديوز الأخرى التي قالت إنّه ما من أحد يستخدمها في ذلك الوقت. سحبت مفتاح علبة بريدها من مجموعة المفاتيح وسلّمته إيّاه، قائلة وهي تهزّ كتفيها، «أعتقد أنّها كلّها ذاتها في ذلك المكان».

فكّر يومها أنّها طريقة سهلة ليتعرّض الناس لسرقة ممتلكاتهم، وسجّل ملاحظة ذهنيّة بألّا يطلب تسليم أيّ شيء له وهو يقيم هناك. وها هو

اليوم يأمل في أن تكون محقّة- وفي أنّ جاره في الشقّة المجاورة لن تتملّكه رغبة ملحّة مفاجئة في التحقّق من بريده في ذلك الوقت المتأخّر من يوم الأحد.

وجد أوليڤر البهو فارغًا إلّا من بعض المقيمين في الباحة مستفيدين ما أمكن من شمس المساء. وما من أحد منهم ينظر ناحيته.

كان مدركًا لكاميرا المراقبة الواسعة البؤرة المعلّقة خلفه، فأدار جسمه إلى زاوية أَمِلَ في أنّها ستخفي كونه يفتح العلبة «الخطأ».

دسّ المفتاح الصغير في قفل العلبة المخصّصة للشقّة رقم اثنين، حابسًا أنفاسه...

تكّة.

دار بسهولة.

أنزل أوليڤر الدرفة.

كان المغلّف موضوعًا على بطنه فوق بطاقة بريديّة تُعلن عن عروض لوجبات طعام في مخبز محلّي للبيتزا.

سمح لنفسه بثانية من خداع الذات، بلحظة من الأمل في أنّ كلّ شيء ليس على وشك الانهيار، وبأنّ هذه لن تكون بداية لنهاية أخرى أيضًا.

أوليڤر سانت لدجر.

مكتوبة بخط اليد بالحبر الأزرق وبأحرف متّصلة.

ربّما هو خطّ امرأة.

بدا المغلّف بريئًا، خطره غير مرئيّ، لكن يُحتمل أن تكون تداعياته كارثيّة. إنّها شظيّة من الغرافيت مقذوفة من مفاعل في انفجار نوويّ.

جمّده الخوف في مكانه، واقفًا أمام علبة بريد ليست له، ممسكًا بمغلّف يحمل اسمه الحقيقيّ، في مكان شبه عام.

طرق قلبه بشدّة في صدره.

ارتجفت الورقة في يده.

وعندها شرع عدّاد غايغر في رأسه بالصفير، بصخب وبدويّ ثاقب، مرّة، اثنتين، ثمّ مرّات عدّة بتتابع سريع، وبما أنّه لم يتحرّك، على الرغم من ذلك، شرع يصرخ بصفير متواصل مرتفع النبرة...

أقحم أوليڤر المغلّف في أحد جيوب جينزه، أقفل علبة البريد وغادر المبنى.

كان نيسان بالكاد قد بدأ، وكان هناك سديم كسول في الهواء ربطه بأمسيات الصيف.

إنه يفكّر الآن بأمسية واحدة بنوع خاص، عندما كان في لندن، في تموز الفائت.

كانت مجموعة منهم قد تجمهرت حول طاولة نزهة في مهرجان شاحنات الطعام في شورديتش، تحت مظلّة من أضواء الزينة المعلّقة فوق رؤوسهم. وأخذت اللمبات تزداد سطوعًا كلّما هبطت الشمس قليلًا في السماء.

فكّر في اللحظة بالذات التي أدرك فيها أن لوسي، الجالسة بقربه، كانت قد دلّت ساعدها بلا تكلّف حول فخذه، وكيف أنّه انتظرها لتدرك ذلك وتسحبه، لكنّها لم تفعل، واستدارت، بدلًا من ذلك، والتقت عيناها بعينيه، وأبلغته بصمت أنّها تعرف أنّ ساعدها هناك، وأنّها كانت قد تقصّدت وضعه، وأنها قامت بذلك لأنها تريده بطريقة لا تريد فيها الآخرين.

كان قد شعر عندها بأنّ قلبه أخذ يتمدّد في صدره، وليس من النوع الذي كان معتادًا عليه. ليس النوع الحارق، الخطير، المذعور الذي ضيّق مجرى هوائه وضَيَّقَ عليه الخِناق، بل وهج دافئ من السعادة، من الانتماء، من الأمان.

لكنّه لم يكن يعرف، حتى تلك اللحظة، أنّ كلّ شيء كان، بالفعل، قد أخذ في الانهيار.

وها إنّ ذلك يحصل الآن من جديد.

مع كيرا، التي تجعله يشعر بذلك كلّ الوقت.

بل وأكثر من ذلك.

سار أوليڤر في اتّجاه جورجيز والمغلّف محشور في جيبه الخلفي، مدركًا ذلك تمامًا، وكأن للمغلّف نبض هو الآخر. توقّف، في منتصف الطريق إلى هناك، في موقف فارغ للسيّارات كان مقهى مجاور قد نقل إليه طاولتي نزهة. وكان المقهى قد أقفل منذ بداية الحجْر، والمكان كلّه في الظلّ. مضى أوليڤر إلى الطاولة الأبعد عن الشارع وجلس وظهره إليه.

سحب المغلّف وفتحه.

كان في داخله قطعة ورق وحيدة: ورقة بحجم A4، مطويّة أفقيًّا إلى ثلاث طيّات.

التقط نفسًا عميقًا وفتحها...

وطرفت عيناه دهشة، لأن الورقة كانت فارغة تمامًا.

قلَبها، وتحقّق من خلفيّتها. ولم يجد شيئًا فيها. عاد إلى المغلّف ونظر في داخله، وتطلّع تحت الغطاء. ما من شيء هناك أيضًا. لماذا، يا ترى، يرسل له أحدهم...

وأدرك أنّه للتحقّق ممّا إذا كان هو حقًّا.

ما يعني أنّه قد ارتكب للتوّ خطأً فادحًا.

لكان من الممكن إبطال مفعول هذا التهديد. فهو يرى ذلك كلّ الوقت: سكّان آخرون يتلقّون بريدًا بالغلط، وهم يتركون تلك المغلّفات والطرود فوق علب البريد وقد كتبوا عليها أمورًا مثل ليس في هذا العنوان أو يُعاد إلى المرسِل. وكلّ ما كان عليه فعله هو القيام بالأمر نفسه، إلّا أنّه لم يكن عليه حتى أن يكتب أيّ شيء. فمجرّد الاكتفاء بترك المغلّف هناك سيعني أنّه ليس هو، وأن ذلك ليس اسمه، وهو لم يكن يعرف إلى من كان موجّهًا في غياب رقم الشقّة عليه. ربّما كان أشخاص آخرون رأوا المغلّف بالتأكيد وهم يأخذون بريدهم الخاص، لكنّ اسمه لم يكن مدرجًا في المجال العام. كان من غير القانونيّ إدراجه هناك. وكلّ ما كان عليه فعله هو ترك الشخص الذي ظنّ أنّه يعرفه يدرك أنّه كان مخطئًا.

لكنّه بدلًا من ذلك، قد ابتلع الطعم.

وبأخذه المغلّف، قد أكّد لمن كان قد أرسله أنّ بحثه قد قاده إلى المكان الصحيح.

وأنّه أوليڤر سانت لدجر، الفتى «ب» في قضيّة ميل ريڤر، الفتى القاتل السيّئ السمعة.

جعّد الورقة وتركها تسقط.

وضع رأسه بين يديه، وبكى.

قبل 23 يومًا

كان أوليڤر، صباح يوم أمس، يقوم بما قال لها إنّه يُسمّى تصفّح المشؤوم- يستعرض عشوائيًا الموضوعات الإخباريّة السيّئة على هاتفه- عندما وقع على مقالة ذكرت أنّ أفلامًا مثل العدوى (*Contagion*) وتفشّي الوباء (*Outbreak*)، وهما فيلما تشويق عن الڤيروس عُرِضا قبل سنوات، قد أخذا يحتلّان بسرعة صاروخية رأس قوائم البثّ التدفّقي ولوائح الإيجار في كلّ أنحاء العالم. ولمّا قالت له كيرا إنّها لم تشاهد العدوى من قبل، فرقع أوليڤر إصبعيه وقال، «وهكذا نكون قد رتّبنا برنامج الليلة». وها إنّها تتذكّر الآن مشهدًا منه وهي تترك شمس منتصف النهار المشرقة وراءها وتدلف إلى المدخل الفاغر فاه لمركز التسوّق في ستيڤنز غرين. كانت قد فوجئت لرؤيته مفتوحًا؛ فعلى حدّ علمها، كان يُفترض بمراكز التسوّق أن تكون مقفلة.

في المرّة الأخيرة التي كانت فيها هنا، كان المدخل مكان تجمّع يعجّ بالحركة، وبسَيْلٍ دائم من المتسوّقين الداخلين إليه والخارجين منه؛ وها هي اليوم وحدها فقط ويتأكّد الحارس الأمني من أنّها، ما إن تصبح في الداخل، ستستخدم معقِّم اليدين وتتبع نظام الاتجاه الواحد المطبّق حديثًا.

اجتازت كيرا عتمة المدخل، لتخرج منه إلى فناء ضخم من الزجاج والضوء والعوارض الحديديّة البيضاء. اصطفّت واجهات المحلّات على مستوى الشرفة التي ترتفع طابقين من فوقها. وبالرغم من أنّها لم تتمكّن

من رؤية كلّ زاوية على الفور، كان واضحًا أنّ المكان مقفر، والأنوار مطفأة، والستائر مسدلة. دعساتها تصرّ على الأرضيّة المشمّعة، وتتردّد في الأنحاء أصداء الموسيقا المنبعثة في الخلفيّة من مكبّرات للصوت غير مرئيّة.

كانت كلّ المتاجر في الطابق الأرضيّ مقفلة أيضًا، ويُمنع الوصول إلى المستويات الأعلى، وقد أُغلق الدرج بالحبال وأُقفل المصعد. نبّهت لافتة بخط اليد إلى أنّ الحمّامات العامة مقفلة، ما جعلها تشعر على الفور بأنّها تحتاج إلى استخدامها. وأخذت تتساءل لماذا يا ترى هذا المكان مفتوح، لتجد عندما استدارت من حول إحدى الزوايا: أنّ متاجر دانس ستورز التي تستأجر إحدى المساحات مفتوحة أيضًا.

شعرت كيرا بالجذل، وكادت تشعر بالبهجة، لفكرة تمكّنها من التجوال في أنحاء المتجر، ولاحتمال تسوّقها أشياء ليست للأكل، أو حتى الاكتفاء بالنظر إليها، بما أنّها غير قادرة على الشراء. توجّهت مباشرة إلى الباب حيث تقف موظّفتان تضعان واقيات الوجه البلاستيكية والقفّازات المطّاطية، والتوتّر يعلو تعابير وجهيهما. دلّاها إلى صفّ صغير في الداخل ينتظر بصبر أمام سلّم النزول المتحرّك.

«البقالة»، قالت إحدى المرأتين عندما شاهدت حيرة كيرا.

لا تحتاج إلى شراء أيّ طعام، ولا يحبّ أوليڤر أن يسمع أنّها قامت برحلة أخرى، غير ضروريّة، وحدها. ولكنّها فكّرت في أنّها هنا الآن، ولو إنّها نزلت لإلقاء نظرة والتجوّل في المكان، فمن سيعرف؟

التحقت بالطابور، متأكّدة من الوقوف تمامًا على الشريط الأصفر الملصق بالأرضيّة. ما من أحد آخر في الطابور يضع قناعًا، فلم تخرج قناعها من جيبها. هناك طاولة صغيرة عند الباب تقدّم للزبائن قفّازات

نايلون مجانيّة- من النوع الشفّاف، الرخيص، المتهدّل والتي من المؤكّد أنّ ارتداءها يسبّب إزعاجًا كبيرًا- لكنْ لا يبدو أنّ أحدًا قَبِلَ العرض.

صاحت امرأة، من ورائها، «سيّدي؟ سيّدي؟».

ولمّا استدارت كيرا، شاهدت رجلًا طويل القامة يرتدي معطفًا من القماش الخشن يسير إلى المتجر من دون أن يتوقّف، تاركًا الموظّفتين تحدّقان إلى مؤخّرة رأسه بنظرات غادرة.

كان يضع سمّاعتي أذن مانعتين للضجيج، وقناعًا للوجه من النوع الصلب والمخدّد الذي كانت رأت العمّال على التلفاز يضعونه وهم ينزعون الطلاء الذي يحتوي على الرصاص، أو وهم يعملون في سحابات من الغبار. وكان كلّ جزء من جسده يبثّ مزيجًا من الاعتزاز بالنفس ونفاد الصبر. تجاهل المرأتين، وقد بدا أنّه لم يسمعهما تناديانه وهو يضع هاتين السمّاعتين. لكن لا عذر له في عدم رؤية الطابور المنتظر للنزول إلى الطابق السفلي، وهو الآن قد تجاوزه من دون اكتراث.

وفيما كانت كيرا تشاهد هذا الرجل المقنّع يُنظَر إليه بازدراء محض من كلّ من يقف بصبر، على مسافة مترين من الآخر، على الشرائط الصفر، لم تستطع الامتناع عن ملاحظة غرابة المشهد، وماذا كانت ستفعل حياله قبل شهر من الآن. اليوم هو الثامن من نيسان. وكانت، في الثامن من آذار ما تزال على بعد أربع وعشرين ساعة من موعدها الأوّل مع أوليڤر، في تلك الليلة التي انتهى بهما الأمر فيها في الوستبري.

وهي لا تعرف ما هو أكثر إثارة للرعب: أهو ما طرأ من تغيّر على الأمور في هذه الفترة الزمنيّة الوجيزة، أم كيف أنّه استغرق الناس فترة قصيرة من الوقت للتأقلم مع هذا الوضع.

كم تأقلمت بسهولة، مع وضعها.

وعندما جاء دورها، خطت كيرا إلى الدرج الكهربائي، وهي منفعلة كالأطفال لتمكّنها من التجوّل وحدها في متجر البقالة.

لكنّ هذا الشعور تبخّر سريعًا. فبالرغم من أنّ المتجر يتحكّم بعدد الزبائن، سُمح لعدد كافٍ منهم بخلق صخب وبدا أن قاعدة «تسوّق وحدك»، غير مطبّقة هنا. بل وهناك حتى بعض العائلات بأكملها: أزواج من الأهل ومعهم أولاد بأحجام مختلفة يمسكون بأيديهم الصغيرة، يتحرّكون كالقوافل في مختلف الأجنحة. وتخنق عربات التسوّق حركة المرور في المساحات المفتوحة، وبدت كلّ صناديق الدفع غارقة في الطوابير. وكان أحد الموظّفين يبذل جهده لرشّ ومسح شاشة الخدمة الذاتية للدفع بعد كلّ استخدام، لكنّ نسبة الشاشات إلى الزبائن تجعل الأمر يبدو كأنّه لعبة خاسرة.

كانت كيرا قد غادرت للتوّ الدرج الكهربائي عندما بدأت تشعر بأول موجة من عدم الارتياح. وكان الأمر، في البداية، أشبه بقطار بعيد يقترب: نبض آخذ في التسارع، وعَرَق فجائيّ بارد، عند أسفل ظهرها.

لكنّها تعرف ما يعنيه ذلك بالضبط. ربّما مرّ وقت طويل عليه، لكنّ الشعور واضح.

ستصاب بنوبة هلع.

أخذت كيرا نَفَسًا عميقًا، وأخبرت نفسها أنّها بخير، وكرّرت ذلك. انحرفت إلى قسم المنتجات الطازجة، غير متأكّدة ممّا تبحث عنه، أو إلى أين تتّجه، حتى أنّها نسيت الآن لماذا جاءت إلى هنا في الأساس. لا يمكنها أن تحصل على شيء تأخذه معها إلى البيت من دون أن تكشف لأوليڤر أنّها كانت قد ذهبت إلى مكان ما، لكنّها كانت، في الوقت نفسه، تخشى من اتهامها بأنّها سارقة سلع إذا دخلت ثمّ خرجت من دون أن تشتري شيئًا.

من سيزعج نفسه بالقيام بأمر كهذا والأمور على ما هي عليه؟ وهي متأكّدة من أنّ أمن المتجر سيعتقد أن وحدهم سارقي السلع سيفُعلون.

وهو ما جعل قلبها يخفق بسرعة أكبر.

قرّرت أن تشتري زجاجة نبيذ. شيئًا يمكنها أن تدّعي، لدى عودتها إلى الشقّة، أنّها اشترته من متجر محلّي. توجّهت صوب قسم بيع الخمور، أو أقلّه حيث تعتقد أنّها يجب أن تكون، مدّعية أنّها لا تشعر بالطرق المتسارع في صدرها.

توقفّت امرأة معها سلّة أمامها مباشرة، مُجبِرة كيرا على التوقّف هي الأخرى، ومدّت يدها لتنتزع شيئًا من الرف المجاور لكيرا. أطلقت هذه الحركة سحابة من العطر السقيم في الهواء ولمّا أدارت كيرا رأسها بعيدًا لتفادي التنفّس، رأت...

لمحة من وجه مألوف في آخر الجناح، وهي تخطو بعيدًا عن الأنظار.

«عفوًا»، قالت صاحبة العطر الرخيص بحدّة.

ابتعدت كيرا عن طريقها واصطدمت بشرود بمقدّمة عربة تسوّق شخص آخر.

فقدت توازنها، كما لو أنّ رأسها ليس مرتبطًا تمامًا بجسمها. حتى إنّ المتجر بدا أكثر اكتظاظًا الآن، أجسام وأنفاس تحيط بها من كلّ جانب. رأت أشخاصًا يلمسون أشياء، ينادون بعضهم بعضًا عبر الأجنحة، يتلامسون في أثناء مرورهم.

وفجأة لم يعد عندها نقص في الهواء فحسب، بل في المجال أيضًا، لا مجال على الإطلاق، بل أشخاص آخرون فحسب، وأنفساهم الحارة المليئة بالجراثيم وبالخطر الذي يطفو منها ويلتصق ببشرة كيرا، وهي تعرف- وهي متأكّدة- من أنّها إذا لم تخرج من هناك في اللحظات القليلة التالية، سيُغمى عليها.

انحرفت يمينًا، ثمّ يسارًا، وهي تبحث يائسة عن إشارة تدلّ إلى الدرج الكهربائي، أو تأمل في أن تقع عينها على واحد سينقلها من هنا وإلى الهواء الطلق في الخارج.

لم تتمكّن من العثور على أيّ منهما.

طغت غشاوة رماديّة على بصرها من كلّ جانب وأخذ صدرها يضيق.

اقترب أحدهم منها، قريبًا جدًّا، حتى أصبح لصيقًا بها. أرادت كيرا دفعه بعيدًا وكادت تفعل إلى أن لمحت البذّة السوداء للمتجر، ومن فوقها لمعان قناع الوجه البلاستيكي.

«هل أنت بخير، يا حبّي؟». كانت امرأة ذات حاجبين داكنين للغاية وشفتين دبقتين بالأحمر الزاهي تحملق إلى وجهها من خلال البلاستيك. «هل أنت على ما يرام؟».

استطاعت كيرا الشعور بالناس يتفرّجون.

«كيف يمكنني...» فمها جاف ولسانها غير متعاون. وحاولت من جديد. «كيف سبيلي إلى الخارج؟».

«من هنا».

إنّه صوت جديد، صوت امرأة، من جانبها الأيسر.

صوت مألوف.

صوت غير مرحّب به.

لكنّ كيرا لا تمتلك القوّة للاحتجاج. فجلّ ما تريد فعله هو الخروج. وما إن تفعل ذلك، ستقلق حينها في شأن الابتعاد. خضعت للمرأة غير المرئيّة التي تقدّم المساعدة، وركّزت على الأرضيّة وهي تتغيّر تحت قدميها.

مطّاط له تأثير الرخام، وقد خدّشته آثار الأحذية.

الأخاديد الباردة لدرجة السلّم الكهربائي.

سجّادة أرض خشنة مع كتابة لم تستطع قراءتها لأنّها مقلوبة رأسًا على عقب.

شعرت كأنها شبه ثملة، من النوع الذي تعرف عنده أنك لا تسير بخطّ مستقيم كما لو أنّك ثقيل جدًّا على كلّ قدم، كما لو أنّ الإرادة المجرّدة لإيمانك ستكون كافية لاستقرارك لكنّها في الواقع تجعل كلّ شيء أكثر سوءًا.

أدراج من الحجر. إسمنت رمادي. ضوء مختلف...

إنهما في الخارج.

الهواء المنعش بارد ومرحِّب ومغيِّر. أغمضت كيرا عينيها وتجرّعت منه ملء رئتيها.

وعندما فتحتهما من جديد، شاهدت شارع كينغ ستريت وهو شبه مقفر. كانت فاعلة الخير المحتملة قد قادتها إلى واحد من المقاعد خارج مسرح غيتي Gaiety وهي الآن تشدّ بها بلطف، مشجّعة إيّاها على الجلوس.

«إمنحي نفسك دقيقة»، قالت. «خذي بضعة أنفاس عميقة».

كانت كيرا تسرع في العودة إلى طبيعتها، في الشعور بأنّها بحالة ممتازة، وأعقب ذلك موجة من الإحراج الحار الذي يصيب بالحكّة.

«هاكِ». وظهرت قنّينة ماء قبالة وجهها. «سبق لي أن شربت بعضًا منها لكنّك إذا لم تمانعي، فلا أمانع... وهاك، في الواقع. لديّ محارم رطبة مضادة للبكتيريا. دعيني أنظّف عنقها لك».

ولمّا عاودت القنّينة الظهور، أخذتها كيرا وجرعتها.

وقالت عندها، «أشكرك».

«هل حصل ذلك معك من قبل؟».

عندها فقط استدارت كيرا ونظرت مباشرة إلى المرأة الأخرى وتأكّدت من شكوكها.

إنّها لورا التي تجلس بجانبها.

ماذا تفعل هنا بحق الجحيم؟

أكانت تتبعها؟

«أوه»، قالت كيرا، مدّعية بأنّها لم تتعرّف عليها إلّا الآن. «مرحبًا من جديد». ثمّ قالت، وهي تدّعي الغباء، «أكان ذلك ما كان؟ نوبة هلع؟».

«هل حصلت فجأة، مع اللهاث، والشعور بالغثيان؟». وهزّت لورا برأسها عندما فعلت كيرا ذلك. «يبدو ذلك صحيحًا لي. ماذا حصل؟».

«لا أدري، شعرت فحسب... برهاب الأماكن المغلقة».

«وأنا أشعر بالأمر نفسه الآن في أي مكان غير مقفرٍ. فأنا مصابة تمامًا بجنون الارتياب من التقاط هذا الشيء. كيف كان وجع رأسك، في النهاية؟».

تطلّب كيرا ثانية لتتذكّر ردّ فعلها الجسمانيّ على إنذار الحريق.

«أوه. بخير».

«أنظري، آه...». وتنحنحت لورا. «هناك أمر أردت أن أقوله لك. كنت سأقوله في تلك الليلة لكن...». وحوّلت وزنها. «لا أعلم بالفعل كيف أقول ذلك، وبالتالي سأقوله كما هو، هل توافقين؟».

تهيّأت كيرا.

«أعلم أنّ الذي تقيمين معه هو أوليڤر. وأعرف أنه ربما كان هناك سبب وجيه لِمَ لم تكوني تريدين تأكيد ذلك لي في تلك الليلة. سأفهم إذا كنت تحاولين حمايته. إلّا أنّ ما أريد التأكّد منه هو إذا كنت لا تعلمين ما قد يكون عليه ذلك السبب الوجيه، إذا كنت لا تحاولين حمايته، إذا لم تكوني تعرفين من هو، فعندها...». توقّفت لورا. «هل أخبرَكِ عن المغلّف الذي وجده؟ ذلك الذي يحمل اسمه الحقيقي؟».

اندفع الدم إلى أذني كيرا فيما بذلت جهدها لتبدو مرتبكة للغاية.

«إنه ليس كينيدي»، تابعت لورا. «وأنا صحافيّة. وآمل...»

«يجب أن أذهب»، قالت كيرا باندفاع.

لم تكن واثقة بقدرة ركبتيها على حملها، لكنّها وقفت على الرغم من ذلك. تركت القنّينة تفلت من يدها وتنبّهت بضبابية للطخة الماء البارد التي بلّلت أسفل ساق جينزها اليمنى.

سارت مبتعدة ثلاث خطوات قبل أن تستدير وتواجه لورا.

«لا أعلم ما هذا أو ما خطبك، لكنّني وأوليڤر يعرف أحدنا الآخر مذ كنّا في المدرسة الابتدائيّة وبالتالي فإنّ أيًّا ما يتعلّق به الأمر أو من يتعلّق به، لا علاقة له البتّة بنا».

ثمّ استدارت وسارت مبتعدة، بسرعة، تكاد تكون ركضًا. وهي تشعر كأنّ قلبها على وشك أن ينفجر خارجًا من صدرها.

وهي تفكّر، هذه الفاجرة اللعينة ستخرّب كلّ شيء.

كان أوليڤر يخطو جيئة وذهابًا على أرضيّة غرفة الجلوس، وهو يتدرّب في رأسه على جملته الافتتاحيّة.

هناك أمر أحتاج فعلًا إلى إخبارِكِ به.

كان قد اتّخذ قراره.

لم يتّخذه الآن، بل إنّه في الحقيقة، إذا صدق مع نفسه، كان قد اتّخذه منذ ليل الأحد، بعد بضع ساعات من فتحه المغلّف.

سيخبر كيرا بالحقيقة.

ليس بالحقيقة كلّها. بل بمعظمها. فهناك بعض الأمور التي لا يستطيع المجاهرة بها، أمور لا يمكنه حمل نفسه على استدعائها إلى مقدّمة ذهنه، ناهيك بزرعها إلى الأبد في ذهن شخص آخر.

فما يهمّ فعلًا هي الخطوط العريضة، وقضت خطّته بأن يطلعها عليها ما إن تعود من مشوارها.

لا يريد القيام بذلك. فكل ساعة يتمكّن من قضائها مع كيرا، وفي كلّ دقيقة ما تزال تعتقد فيها أنّه أوليڤر الذي تعتقد أنّها تعرفه، هي بمنزلة مخدّر جيّد يصعب عليه الإقلاع عنه. لكنّ عليه أن يفعل ذلك، لأنّه يعرف أيضًا أنّه مخدّر سيقتله في النهاية.

لا يمكنه الاستمرار على هذا المنوال، مع كلّ الأسرار والأكاذيب والاختباء.

لا يمكنه تحمّل هذا النوع من الشعور، كما لو أنّه يحبس أنفاسه باستمرار، منتظرًا ما لا مفرّ منه، خائفًا من لحظة البوح المحتومة.

عليه أن يخبرها.

وعندها... حسنًا، فليحصل ما يحصل.

كان قد فكّر في أنّ توقيت لقائهما كان هبة من الكون للتعويض عن كلّ ما كان قد أخذه منه في الماضي: قبل أيّام من وباء عالمي لا يحصل إلّا مرّة في العمر وغيّر العالم بأسره في غضون أسابيع، وأجبر الناس على

اتّخاذ قرارات لا سابقة لها، كمثل أن تقرّر ماذا تفعل عندما لاح الحجر الصحّي في الأفق وكانت الوسيلة الوحيدة للاستمرار في رؤية الرجل الذي كنت قد التقيت به للتوّ هي في الانتقال فحسب للإقامة معه. وهناك واقع أنّ كيرا لا تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي، وكانت قد انتقلت إلى المدينة للتوّ، واتّفقت معه على أنّ هذه كانت فرصة فريدة.

فرصة لها لرعاية شيء حقيقي في بيئة واقية، بعيدًا من نظر العائلة والأصدقاء وتأثيرهم.

وفرصة له ليظهر لشخصٍ، ما في قلبه الآن، وسيبقى، على الدوام، قبل أن يكتشف ما كان قد فعله من دون سابق تصوّر وتصميم قبل سبع عشرة سنة.

كانت أوّل إشارة إلى وجود مشكلة قد ظهرت بعد أقل من ثمانٍ وأربعين ساعة على انتقالها إلى شقّته، في صباح يوم الاثنين الأول ذلك، عندما اتّصل كينيث ليحذّره من أن صديقة لزوجته قد انتقلت للإقامة في الشقّة الأخرى التي كانت كي بي استوديوز تستأجرها في المجمّع. كانت المرأة ممرّضة أقامت مع والديها العجوزين اللذين أرادا عزل نفسيهما، وكانت الشقّة فارغة، وهكذا... والمشكلة هي في أن أليسون، زوجة كينيث، كانت تكره أوليڤر كرهًا مطلقًا وتكره فكرة قيام زوجها بأيّ شيء لمساعدته. لم تكن تعرف أنّه كان قد عاد إلى دبلن، والأقل منه أنّه يعمل في شركة العائلة التي تدفع عنه إيجار المكان الذي يقيم فيه، وكان كينيث يصرّ على عدم اكتشافها ذلك.

لكنّ ذلك جعل أوليڤر يقلق على الفور في شأن أمر آخر: اكتشاف كينيث أن كيرا كانت تقيم معه.

لا بدّ من أنّ أليسون قد أخبرت صديقة العائلة بمكان شقّة كي بي

استوديوز الثانية، واستطاعت الأخيرة أن تخبر أليسون عرضًا بأنّها شاهدت ثنائيًّا على مصطبتها، وأليسون تخبر كينيث الذي قد يظنّ عندها- وله في ذلك ما يبرّره- أنّ أوليڤر يستغلّ لطفه وهو الذي قام بكثير لأجله، بل وربّما أنّه سيعترف لها بهويّة الشخص الآخر من الثنائيّ، وعندها سيكون أوليڤر في مشكلة حقيقيّة، بلا مأوى وعاطلًا عن العمل.

كان يفكّر في كيفيّة حماية نفسه من ذلك السيناريو، عندما وجد نفسه، بعد ذلك بساعات فحسب، مجبرًا على شرح أمر آخر.

كان، منذ مغادرته لندن، يعقد جلساته الشهريّة مع دان، طبيبه النفسي، عبر تطبيق «زوم»، وكان لديه جلسة مقرّرة ليوم الاثنين الذي أعقب انتقال كيرا. وسأل إذا كان يمكن نقل الموعد إلى الظهر، ليتوافق ذلك مع الساعة التي قالت كيرا أنّها ستذهب فيها للمشي. لكنّها كانت قد عادت في وقت أبكر من المتوقّع، وسمعت دان يوبّخ أوليڤر لأنّه لم يخبره قبل الآن أنّه في علاقة، وهو خبر لم يُسرّ دان لسماعه بعد الانهيار في لندن.

وربما كان أوليڤر، في ظروف أخرى، سيشعر ببعض الفخر لأناقة الحلّ الذي ابتدعه. فدان تحوّل إلى كينيث، وتحاشي الخروج على الشرفة قتل عصفورين بكذبة واحدة، لكنّه جعله يشعر بالغثيان. وتمدّد، في تلك الليلة، في السرير وتساءل كيف يمكن المرء أن يعيش حياته وهو يقلق من أنّ كلّ أمر صغير يشكّل الحلقة الأولى في سلسلة من الأحداث الكارثيّة.

وكانت هناك أيضًا المرأة من الويستبري، تلك التي كانت قد أعطته سيجارة، والتي تبيّن أنّها لا تقيم هنا فحسب، بل تتحدّث مع كيرا أيضًا، واستطاع، منذ ليل الأحد، إضافة مسألة المغلّف إلى اللائحة.

بات ذلك كلّه أكثر مما يمكن تحمّله. كان رصيده من الأكاذيب قد بلغ حدّه الأقصى.

وقد كره كلّيًا إخبار كيرا بها.

وهو سيتوقّف عن ذلك الآن.

عندما سمع أوليڤر مفاتيحها تجلجل في الممشى خارجًا، توقّف عن الخطو واستدار لمواجهة باب المدخل، وهو على استعداد لمواجهتها.

فرك يديه الدبقتين على فخذيه، وأخذ نفسًا عميقًا. وقد أبت ساقه اليمنى التوقّف عن الارتجاف.

فكّر في أنّه سيقبّلها ويحتضنها. لدقيقة واحدة إضافيّة فقط.

ثمّ سيخبرها بكلّ شيء.

تقريبًا كلّ شيء. الخطوط العريضة. هذا إذا تمكّن من إخراج أيّ كلمات من وراء الغصّة في حلقه.

هناك أمر أحتاج فعلًا إلى إخبارِكِ به.

فكّر في أنّه سيبدأ بذلك.

لكن عندما دخلت إلى غرفة الجلوس كانت هي من قالت له تلك الكلمات.

اتّخذت قرارها في خلال عودتها إلى المنزل: ستخبر أوليڤر عن لورا.

كانت قد نجحت في إخفاء ما قالته لورا ليلة الإنذار بالحريق. لكن، وبما أنّ المرأة اللعينة تبدو مصمّمة على المواجهة، وبما أنّه يمكنها إخبار أوليڤر بأنّها كانت قد واجهت كيرا بالفعل...

فسيعرف عندها أنّ كيرا كانت تكذب عليه، وستكون هذه الخاتمة.

لكنّ كيرا تحتاج إلى مزيد من الوقت معه بوصفها المرأة التي يعتقد أنّها هي، ولذا فعليها هي أن تبادر أوّلًا.

دخلت إلى الشقّة واضعة مفاتيحها على طاولة الردهة فيما ترجّح الباب مقفلًا وراءها.

المكان هادئ وباب غرفة النوم الثانية مغلق؛ وافترضت أنّ أوليڤر في الداخل ما يزال يعمل.

فكّرت في أنّ الخيار الأسلم هو التظاهر بالغباء؛ إخباره بما قالته لورا لها للتو، وسؤاله ماذا يعني ذلك بحق الجحيم.

وإخباره بما قالته للورا للتوّ، يجعل الأمر كأنّ غريزتها الأولى قضت بحمايته، بل وحتى بالكذب من أجله، وبالتالي- وهذا هو المرجوّ- إعادة تأكيد صدقيتها.

والمشكلة هي في أنّها لا تملك أيّ فكرة على الإطلاق كيف سيكون ردّ فعله.

تحرّكت عيناها سريعًا صوب المفاتيح. يمكن لمفتاح باب المدخل أن يخدش أحدًا، لكن...

ما الذي تفعله؟

هذا أوليڤر، بحقّ السماء. فهو لن يؤذيها.

لكنّه أيضًا أوليڤر.

انتزعت كيرا سترتها عنها وعلّقتها على واحد من المشابك في الردهة. توقّفت للحظة لتنحني وتسند رأسها إلى قماش الكمّ الناعم المألوف، وأغمضت عينيها وهي تستجمع شجاعتها لقول الأمور التي تعرف أنّه يجب عليها قولها له.

إنّها الحقيقة فحسب. ويجب أن يكون ذلك سهلًا بناءً على نجاحها الكبير في إخباره الأكاذيب.

توجّهت كيرا إلى باب غرفة الجلوس...

حبست أنفاسها في حلقها.

أوليڤر موجود هنا تمامًا، واقف في وسط الغرفة، ويظهر أنّه ينتظر، ويبدو عليه التوتّر وعدم الارتياح.

أرادت أن تسأله ما الخطب لكنّها خافت من أنّها إذا لم تدفع بتلك الكلمات من فمها على الفور، فلن تتلفّظ بها أبدًا. قالت بدلًا من ذلك:

«أوليڤر، هناك أمر أحتاج فعلًا إلى إخبارك به».

خطوة واحدة من على الحافة، وها إنّها في سقوط حرّ. فات الأوان على تبديل الاتجاه، أو تبديل رأيها. وجلّ ما يمكنها فعله هو التأكد من عدم الاصطدام بشيء في الطريق إلى الأسفل، وأن تحظى بأفضل هبوط ممكن.

حتى ولو كانت الحظوظ في النجاة من الارتطام ضعيفة بشكل هائل.

«هل يمكننا الجلوس؟».

هزّ أوليڤر برأسه موافقًا، وتحرّك للجلوس على الأريكة. وجلست بقربه، ثمّ أخذت يده بيدها.

إنّها باردة ودبقة.

وفكّرت في أن يدها ربّما كانت كذلك، أيضًا.

«إذًا»، شرعت في القول. «أنا... أنا لم أكن صادقة تمامًا معك».

إنّه متصلّب بقربها، يكاد لا يتنفّس، يراقبها بعينين لا تطرفان. ينظر

إليها بالطريقة نفسها التي تتخيّل أنّه ينظر بها إلى أخطر حيوان مفترس يخشى من أن ينقضّ عليه فجأة وينشب أنيابه في عنقه.

«حصل أمر اليوم»، قالت. «للتوّ. في المدينة، في سيري. وهو ما يجعلني أعتقد أنّه عليّ أن أخبرك بالأمر الآخر الذي حصل لأنّه... حسنًا، ربّما تعرف ما يعنيه كلّ ذلك ويمكنك أن تشرحه لي». شدّت على يده. «كان الأمر الأول ليلة الإنذار بالحريق. المرأة التي كنت أتحدّث معها في الخارج. سألتني أمرًا غريبًا...».

شدّ على يدها بالطريقة ذاتها التي تفعلها شقيقتها إبّان الإقلاع والهبوط لأنها مسافرة مريعة دائمة الذعر.

«... ولم أخبرك ذلك حينها، لأنّك كنت في حالة ذعر من أن يعرف ذلك الشخص من المؤسسة أنّني كنت هنا، وكانت أمور كثيرة تحصل معنا في تلك الليلة ولم أشأ أن أضيف إليها. ولنكن صريحين، فأنا لم أكن أريد الاستماع لك وأنت تواصل الحديث عن ذلك، وبالتالي...».

«ماذا قالت؟».

إنّها المرّة الأولى التي يتحدّث فيها منذ مجيئها.

«حسنًا...». وابتلعت كيرا ريقها بصعوبة. «سألتني إذا كنت قد انتقلت إلى هنا حديثًا، وقلت لها إنّني لا أقيم هنا بالفعل، وإنّني أمكث مع صديق، وقالت عندها، 'أهو أوليڤر؟' كنت أعلم أنّك لا تعرف أحدًا هنا، ثمّ أخذت أفكّر، يا للّعنة، ربّما تدّعي الإقامة بمفردها وهي في الواقع زوجة ذلك الشريك الأساسيّ أو ما شابه وهي تحاول الإيقاع بي، فلم أقل شيئًا. ثمّ قالت، 'أهو أوللي؟'، وهو ما جعلني أصاب بمزيد من

التشوّش لأنّه لم يسبق لك أبدًا أن أشرت إلى أحد يدعوك كذلك... ثمّ قالت شيئًا عن كيف يمكنني... يمكنني أن أطلب مساعدتها في حال احتجت إلى المساعدة؟».

أخذ يشدّ على يدها بقوّة كبيرة بحيث بدأت تتألّم.

عندما تحدّث كاد صوته لا يعلو فوق الهمسة.

«وماذا قلتِ؟».

«لا شيء في ذلك الشأن. اعتقدت أنّها معتوهة».

«أقالت لك اسمها؟».

«ليس في تلك الليلة»، كذبت كيرا. «لكنّها فعلت ذلك اليوم. إنّه لورا». توقّفت، خفضت نظرها إلى يدها التي في يده. «إنّك، آه، تؤلمني نوعًا ما. قليلًا».

سحب يده كأنّ يدها من نار.

«آسف»، قال. «إذًا... التقيتها من جديد اليوم، هذه المرأة لورا؟».

وافقت كيرا بهزّة من رأسها. «كنت في ستيڤنز غرين»- فليفترض إنّها الساحة- «واتّجهتْ مباشرة صوبي. قالت إنّها تعرف أنّني أقيم معك أنت- أوليڤر- وإنّها تعرف بوجود سبب وجيه قد يدفعني إلى عدم الرغبة في تأكيد ذلك، وشيء عن أنّني أريد حمايتك. قالت إنّها تعرف أنّ اسم عائلتك ليس كينيدي، وإنّها صحافيّة».

امتقع وجهه بشكل لم يسبق لها أن رأته هكذا.

«من هي، يا أوليڤر؟». وابتلعت ريقها بقوّة. «ومن أنت؟».

اليوم

«إنّها تكذب»، قالت لي.

خرجت وكارل إلى الممشى، تاركيْن لورا مانّيكس وحدها في شقّتها، وهي ما تزال مصرّة على أنّ كلّ ما قالته لهما هو الحقيقة. ولو صحّ حدس لي، فإنّ لورا تعمد جاهدة، وبلا جدوى، إلى محو صور مسرح الجريمة من هاتفها.

تابعت، «أقلّه بالإغفال. لماذا تفترض أنّه انتحار؟ نحن لا نعرف بعد ما فعله، وكلّ ما تعتقده هي، هو أنّه ممدّد في الطابق الأسفل في بركة من الدم مع سكّين في قلبه».

أدلى كارل بدلوه، «أو متدلٍّ من السقف ببزّة مطّاطية».

«أتعرف، أعتقد أنّه قد طفح بي الكيل اليوم من ألعابك الجنسيّة...».

أنهى كارل كلامه مبتسمًا، «هي جملة لم يسبق لي أن سمعتها من قبل».

«كارل»، قالت محذّرة.

«حسنًا، حسنًا». وكتّف يديه. «فماذا إذًا؟ أتعتقدين أنّها كانت قد دخلت المكان؟».

«أعرف أنّها فعلت. أقصد، هل هي تتوقّع فعلًا أن نصدّق أنّها تقوم بهذا التلصّص الفائق والاستطلاع الهراء؛ تتقفّى كالكلب البوليسي آثار هذا الفتى حتى شِقّته، ثمّ لا تكلّف نفسها عناء الذهاب من أحد طرفي المبنى إلى الطرف الآخر بعد غيابه، صورةً وصوتًا، على مدى أسبوعين؟ وتتجاهل

الرائحة الآتية من صوبه في البهو؟». قالت لي ساخرة. وأضافت: «هناك أمر لا تخبرنا به. فالأحجية تفتقر إلى قطعة كبيرة. تقول إنّها تفعل ذلك لبرنامج في الراديو، وإنّها قد تحصل على شيء من ذلك في المستقبل، لكن من الذي يموّل، في غضون ذلك، حملة الصيد هذه؟ من الذي يدفع لها للإقامة في مكان كهذا؟ ولأجل غير محدّد؟ فيما هي تقيم على بعد نصف ساعة منه؟ ولماذا ما تزال هنا، وهي لم ترَه على مدى أسبوعين؟».

قطّب كارل جبينه. «لماذا ما تزال هنا؟».

«تخميني هو أنها تريد أن تحظى بمقعد في الصفّ الأول. ولهذا السبب تحدّثت معنا. أراهن أنّنا ضمنّا دورَيْ بطولة 'في روايتها النهائيّة'، التي ستتوفّر قريبًا في سلّة البضائع القريبة منك».

«هذا يناسبني»، قال كارل. «خطوة إضافيّة أقرب إلى برنامج كرايم كول Crimecall».

«دع عنك، يا كارل، فلن يدَعوك أبدًا تصل إليه».

«لكنّني أملك الوجه المناسب لذلك».

«للتعليق الصوتي، أليس كذلك؟ لأنّ ذلك هو كلّ ما يتركوننا، نحن أصحاب الرتب الصغيرة، نفعل هناك: الحديث إلى عامة الشعب عبر صور كاميرات المراقبة».

«لكنْ، يمكن للفتى أن يحلم، ألا يمكن له ذلك؟».

«المشكلة هي...».

«إنّني بهيّ الطلعة إلى حدّ أنني ألهيهم عنه. الجمال لعنة».

«... لو أنّها ذهبت إلى هناك والتقطت صورًا، فما الذي يمكننا فعله حيال ذلك؟ لا يمكن اعتبارك متدخّلًا في مسرح الجريمة قبل أن يكون

قد اعتُبر مسرح جريمة، وبالتالي لا يمكننا أن نأخذ عليها ذلك. ولا يُعتبر الأمر تعدّيًا على ممتلكات الآخرين في غياب القصد، ولا يمكننا اتهامها بالسرقة إلّا إذا أخذت شيئًا يخصّه عندما غادرت، وهي ربّما فعلت ذلك، لكن...». وتنهّدت لي. «ربّما عرقلت التحقيق. فهي لم تخبر أحدًا عن الجثّة وقد كذبت علينا».

اقترح كارل، «وماذا عن التسبّب بتأخير توقيف الجاني؟ فهذا لا يتطلّب مذكّرة، وهو المفضّل لديّ».

«لن يسمحوا لك مطلقًا بالاشتراك في برنامج كرايم كول إذا أخذت تدور وتتفوّه بتفاهات كهذه يا كارل. ومن هو الجاني؟ ليست لدينا جريمة بعد، أتذكر؟».

«وماذا لو كنّا؟».

«عندها نعتقلها. لكن حتى ذلك الحين... ربّما استطعت إقناع المفوّض بتعيين هذا الموقع بوصفه مسرحًا ثانويًّا للجريمة. وعندها، يمكننا على الأقلّ تفتيشه».

«ومضايقتها».

«سببان وجيهان».

«في غضون ذلك»، قال كارل، «عندي لكِ أخبار جيّدة».

«وانتظرتَ حتى الآن للإفصاح عنها؟».

«تحدّثت مع المدير الإداري لكي بي استوديوز، كينيث بالف. يمكنك أن تري ما فعله هناك. لكن خذي هذا: إنّ نجله، واسمه أيضًا كينيث ويُكنّى كِنْ، هو من أقرب أصدقاء ريتشارد سانت لدجر، شقيق أوليڤر الأكبر. فهما صديقان منذ المدرسة، وكلٌّ من العائلتين تعرف الأخرى. وريتشارد يقيم الآن في أستراليا وكِنْ في تورونتو. وكينيث- ركّزي معي

هنا- يعرف القصّة كلّها، أو يعتقد أنّه يفعل، لأنّه أخذ يتحدّث باستمرار عن مدى كفاءة أوليڤر كشخص وكيف أنّه ارتكب خطأً وهو صغير، وما إلى ذلك. وقال إنّ الأمر كان مجرّد 'أولاد يتصرّفون كالأولاد'. أيّ نوع من الأولاد المختلّين يعرف؟ في أي حال...»

«هكذا، إنّه هو إذًا؟». قاطعته لي. «هذا الأوليڤر سانت لدجر؟».

«إنّه الفتى الذي كان يعيش في تلك الشقة، بلى».

«هل حصلت على...».

«نعم حصلت على رقم الشقيق».

«وبالتفكير حقًّا، أنّك بدأت نهارك عاريًا ومكبّلًا».

«كنتِ، إذًا، تفكّرين بذلك، أليس كذلك؟».

«هل بالف الأب موجود هنا في دبلن؟ أيمكنه أن يتعرّف على الجثّة؟».

«يقيم في دالكي. وهو سيتصّل بالشقيق». لا بدّ من أنّ وجه لي أوحى بالقلق لأنّ كارل أضاف سريعًا، «لا عليك، فقد أوضحت أنّنا لا نعرف بعد هويّة الموجود هناك. وقلت له إنّني سأعاود الاتصال به عندما أعرف».

«لا أريد أن يتلقّى الشقيق اتّصالًا من أيّ شخص آخر، أوّلًا».

«لا أعتقد بأنّ بالف سيذيع الخبر. بدا متخوّفًا جدًّا من أن تكتشف زوجته أنّه يوظّف قاتل أطفال مدانًا، فضلًا عن أنّه منحه أيضًا مكانًا يقيم فيه».

«هل سألت بالف لماذا لم يفتقده غيابَه أحد؟».

«أخذ عطلة غير مدفوعة منذ نحو أسبوعين. وهو ما كانت المؤسّسة

تشجّع عليه للمساعدة في النفقات العامة في الوقت الذي توقّفت فيه أعمال البناء. كان يُفترض به العودة يوم الثلاثاء».

«أما كان ليتّصل به لولا ذلك؟ على وسائل التواصل الاجتماعي؟».

«على ما يبدو لا. كان هذا الشخص يصنع معروفًا مع صديق ابنه. وفي ما عدا ذلك... لا أعتقد أنّهما كانا صديقين حميمين».

فُتح الباب المؤدّي إلى بيت الدرج، في المقابل تمامًا، وخرج منه الشرطي دكلان كايسي.

قال للي، «أنهى الطبيب الشرعي مسحه الأوّلي للمسرح، وسأل إذا كنت تريدين القيام بجولة على المكان قبل أن يشرعوا في رفع الجثّة؟».

قالت، «أريد ذلك». ثمّ قالت لكارل، «خذ بصمات لويس لاين، أيمكنك ذلك؟ وكلّ شيء آخر يمكنك استحصاله منها. قد تعترف بأنّها التقطت صورًا. بل وحتى تعطيك إيّاها. فقد سبق وحصلت أمور غريبة».

«أخرجتِ الأمر من سياقه»، قال، «لكن هل يُفتَرض بي أن أعرف من هي لويس لاين؟».

«حقًّا، يا كارل؟». وتوقّفت لي قليلًا. «كانت مضيفة برنامج كرايم كول».

قطّب دكلان جبينه على هذا، وأشارت لي بهزّة من رأسها بأنّ عليه أن يعود وينزل الدرج قبل أن يصحّح لها ويخرّب الأمر.

استدار ومضى، وتبعته.

كان توم سيرسون، نائب الطبيب الشرعي، في انتظارها في البهو إلى جانب صديقتها القديمة، الرائحة النتنة.

كان يرتدي بِزّة الطب الشرعي الكاملة، وهي عبارة عن مئزر أبيض

وحيد الاستخدام، قفّازات، وقناع، ويحمل واحدة أخرى لها، وهي ما تزال مطويّة ومغلّفة بالبلاستيك.

أخذتها بيد فيما انتزعت قناع وجهها بالأخرى.

«لي»، قال توم بابتسامة في صوته. «مضى زمن طويل منذ التقينا».

إنّه رجل قصير القامة ذو بطن منفوخ بعض الشيء، فكانت البِزّة مشدودة عند وسطه وفضفاضة ومرتخية في كلّ مكان آخر.

«أعرف. كيف الأحوال؟».

«آه، كما تعلمين». ووضع يديه على بطنه وترجّح بعض الشيء على كعبيه. «لا يسعني التذمّر».

مزّقت لي الحزمة البلاستيكية وفتحتها وشرعت في سحب محتوياتها.

قالت له، «وصلتَ إلى هنا في وقت قياسي. أكنتَ في مكان قريب؟».

«دونّيبروك. أمكنني المجيء بالدرّاجة». وأومأ توم برأسه في اتجاه الشقة رقم 1. «هل دخلتِها؟».

«نعم، لسوء الحظّ».

«لا بدّ لي من القول إن الوضع بغيض بالتأكيد في الداخل».

«واحد من ضمن العشرة الأول عندي. ربّما الخمسة الأول، مع اليرقات».

استدار توم ليأخذ عبوة صغيرة من مرهم Vicks VapoRub من فوق علب البريد.

«لا عيب في ذلك»، قال وهو يرفع العبوة. «فأنا أفضّل إنهاء الأمر

بنفسي، لكنّني معتاد على الأمر. وأنا أفضّل بالأحرى أن تتمكّني من التركيز. اعتبري الأمر وسيلة تعليميّة».

«هاي، إذا كانت جيّدة بما يكفي لكلاريس...». وانحنت لي لتتمكّن من الدخول في المئزر. «ماذا تعتقد أن لدينا هنا؟».

«أتحبّين الأحاجي يا لي؟».

رفعت أحد حاجبيها. «أحاجي؟».

«هناك واحدة كالتالي»، قال توم. «أوى رجل إلى سريره في قصره في جبال الألب الفرنسية في عزّ الشتاء، تاركًا النوافذ مفتوحة. وعُثر عليه في اليوم التالي ميتًا مصابًا بجرح طعنة في القلب، مع كوب من المياه الدامية على منضدة السرير بقربه. فكيف مات؟».

فيما هو يتحدّث، رفعت لي سحّاب المئزر صعودًا حتى عنقها، وأخذت مرهم الڤيكس من توم ودهنت كتلة كبيرة منه على شفتها العليا. ثمّ وضعت نقطة في داخل كلّ فتحة من فتحتي أنفها على سبيل الاحتياط.

بدأت تشعر باللذعة على الفور، ما جعل عينيها تدمعان. لكنّ النعناع كان يشعرها، حتى في التنفّس الضحل، كأنّه يشقّ سبيله بلطف إلى دماغها.

وأملت في أن تبقى تشعر بذلك عندما يدخلان إلى الشقّة.

قالت، «أفترضُ أنّه لو كانت هناك بندقيّة تحت سريره، أو قاتل متسلسل ينتظر في الخارج...؟».

«ثقي بأنك قد زُوِدّتِ بكل التفاصيل ذات الصلة».

وضعت لي القفّازين في يديها، ووضعت قناع وجه أكبر حجمًا وأشدّ صلابة.

«قطعة جليد»، قالت. «أمسكها عبر النافذة. طعن نفسه بها، ثمّ دسّها بعد ذلك في الكوب. ذابت. النهاية».

تجعّدت عينا توم من فوق قناعه؛ إنّه يبتسم.

«أحسنتِ صنعًا!».

«لماذا، بحق الجحيم، تسألني عن الأحاجي، يا توم؟».

«لأنّه»، قال وهو يدلّ عبر الممشى، «لدينا واحدة جيّدة تنتظرنا في الداخل».

قبل 23 يومًا

لا يريد أن يخيفها، أو يغضبها، مع أنّ تفادي الاثنين معًا ليس مؤكّدًا.

ما يهمّ الآن هو أن تدعه يخبرها الحقيقة، أن تبقى ما يكفي من الوقت لسماعها. يريدها أن تعرف أنّه لا يشكّل خطرًا ماديًّا، وأنّ الأمور التي يتحدّث عنها حدثت منذ ماضٍ بعيد جدًّا، وأنها منفصلة إلى حدٍّ كبير عن الرجل الذي هو عليه اليوم بحيث أنها يمكن أن تكون قد حصلت في كوكب آخر. ولمضاعفة حظوظ أن تصدّق ذلك، نهض وتحرّك صوب المطبخ، ووقف بجانب لوحة الفطور، تاركًا مسافة فسيحة بينه وبين المكان الذي كانت ما تزال جالسة فيه، على الأريكة.

«أنا من تعتقدين أنّني هو، يا كيرا»، قال. «أقسم لك بذلك. لكنني منذ زمن بعيد، وبعيد جدًّا، عندما كنت صغيرًا جدًّا، عندما كنت مجرّد ولد، كنت قد تورّطت في أمر... أشعر حياله بالأسف العميق، والعميق جدًّا. ما كان يجدر بي فعله. وأتمنّى، مذّاك، في كلّ لحظة ألّا أكون قد فعلته».

خاطر بنظرة إلى وجهها. كانت تجلس ساكنة تمامًا، وعيناها تطرفان بسرعة.

تابع، «الشيء الأهمّ هو أن تعرفي أنّني لن أؤذيك أبدًا». ارتفع حاجباها قليلًا، وفكّر أن ذلك كان من الدهشة. «لن أقوى على ذلك. هذا ليس أنا. وليس من كنت أيضًا، لكنْ أن يفهم الناس ذلك...». وأخذ نفسًا عميقًا. «الأمر الثاني الذي أريدك أن تعرفيه هو أنّ ما بيننا، أنا وأنت، كان

حقيقيًّا. إنّه حقيقي». ارتجفت يداه أكثر من ذي قبل؛ فدسّهما في جيبيه في محاولة لإخفاء ارتجافهما. «اسمعي، سأبوح لك بالأمر، هل توافقين؟ ما من طريقة سهلة لقول هذا...».

لكنّه لم يعلم من أين يبدأ.

ممّا جرى؟ أم ممّا يقول الناس إنه جرى؟ من دوره في ذلك، أم من النتيجة؟

«هل سبق لكِ...؟». كان عليه أن يتوقّف هنا ويلعق شفتيه؛ فقد خلا فمه فجأة حتى من مسحة رطوبة. «هل سبق لك أن سمعتِ بقضيّة ميل ريڤر؟».

صمتٌ مطبق، كما لو أنّ كليهما قد انتقلا إلى فضاء فارغ لا هواء فيه.

قالت بهدوء وبطء شديدين، وهي تمطّ حرف العلّة، «لا...؟».

جيّد، فكّر. ذلك جيّد. صفحة بيضاء.

في وسعه السيطرة على السياق الذي يقدّم فيه المعلومات ذات الصلة، والمضيّ قدمًا حتى الصدمة الكبرى.

«جرى ذلك في العام 2003»، قال. قد يكون عُمْر كيرا حينها ثمانية أعوام، وتقيم في آيل أوف مان. أضاف: «في كيلدار. كانت ميل ريڤر هذه المنطقة السكنيّة- بمئات ومئات من المنازل- التي شُيّدت خارج بالتيمور تمامًا، على ضفّتي النهر. كان هناك...».

توقّف أوليڤر. لم يكن مضطرًّا لقول ذلك جهارًا، ولم يضطرّ في حياته كلّها أن يشرح لأيّ يكن ما جرى معه. فهم كانوا دومًا يعلمون بالفعل. إمّا لأنّ ذلك كان سبب لقائهم، كما في حالة دان، وإمّا لأنّهم كانوا يطلبون

منه أجوبة بعدما كان شخص آخر قد أخبرهم، كما في حالة لوسي، في لندن، منذ بضعة أشهر فحسب.

وهو يرى الآن أنّه ليس متأكّدًا من أنّه يستطيع ذلك.

قال، «كانت قد جرت عمليّة قتل لصبيّ في العاشرة من العمر».

العاشرة.

كلّما تقدّم في السنّ باتت الواقعة أشدّ سوءًا.

وكلّما قطرَت هولًا، باتت القطرات أثقل.

«و...» وأخذ نفسًا عميقًا آخر، وهو يشعر بأن قلبه على وشك الانفجار في تجويف صدره، وتساءل إذا كان ذلك شبيهًا بالنوبة القلبيّة، وإذا كان على وشك الإصابة بواحدة. «وقد أُدين بها صبيّان آخران، بعمر الثانية عشرة».

لم يستطع النظر إليها.

نظر إلى الأرضيّة.

غشت عينيه دموعٌ لم يكن يعرف أنّه يذرفها، وأخذت تسيل على خدّيه.

وعندما تلفّظ أخيرًا بالكلمات التي تهمّ، بات صوته بالكاد همسة.

«وأنا... أنا كنت واحدًا منهما».

قبل 78 يومًا

كانتا قد التقتا في الشارع خارجًا، وقد وصلت كيرا أوّلًا، وتعانقتا قبل أن تندفعا عبر بوّابات المطعم الدوّارة وتنضمّا إلى الطابور للفت انتباه عامل الاستقبال. كان قد قادهما إلى طاولة لأربعة أشخاص داخل النافذة تمامًا توفّر منظرًا لا يُحجب لساحة إيمت، ونظرة عن قرب إلى رجل يتحدّث بحماسة على هاتفه، فيما يحفر أيضًا أنفه بإصبعه، وهو جالس إلى واحدة من طاولات الخارج.

«انظري إليه»، قالت شيڤان، وهي تنقر بمفصل إصبعها على النافذة للفت انتباهه. «يقوم بعمليّة الحفر بنفسه. ما تريدين رؤيته تمامًا مع غدائك». وعندما رمته بنظرة اشمئزاز رماها بنظرة مماثلة، لكنه توقّف أيضًا - لحسن الحظّ- عن النقر.

وفيما هما تخلعان معطفيهما الشتويّين وتجلسان إلى الطاولة، انتظرت كيرا، وهي تعضّ على لسانها، بانتظار اللحظة الممكنة للسؤال عن الشيء الوحيد الذي يطرح نفسه على ذهن أيّ منهما.

«إذًا؟ ماذا قال الطبيب؟».

تمنّت، لمّا رأت عيني شقيقتها تلمعان، لو أنّها انتظرت قليلًا.

«سينقلونها إلى دار للرعاية».

كانت كيرا تتوقّع ذلك- هذا ما كانت كلتاهما تتوقّعانه، منذ أشهر- مع ذلك، نزل عليهما ضربة موجعة.

امتصّت كيرا الصدمة بصمت ثمّ قالت، «وما كان ردّ فعل أمّي؟».

«لم تكن موجودة. كنّا أنا والدكتور كورّيغان فحسب. قال إنّهم سيخبرونها أنّها ستذهب لقضاء فترة استراحة، وذلك ما سوف نقوله لها أيضًا، بالرغم من أنّنا نعرف بأنها لن تعاود الخروج».

«لماذا؟».

«لأنّ الأمور تتمّ بهذا الشكل. يجب مدّ الناس بالأمل، حتى في غياب أيّ أمل».

غرقتا في الصمت.

تألّم قلب كيرا على شيڤان. فهي كانت على الدوام الأكثر قربًا من والدتهما- ويمكنها، لأنها أكبر سنًّا، أن تتذكّر كيف كانت من قبل، بشهادة الجميع، إنسانةً مختلفةً تمامًا، مُحبّة وطريفة وكلّها حياة- وحتى في الوقت الحاضر، بعد رحيلها، ستبقى لكيرا شقيقتها الكبرى، ولن يسبقها أحد في سلسلة الأجيال. ما من فرد في العائلة أكبر سنًّا وأشدّ حكمة يمكنها أن تلجأ إليه، وتعتمد عليه، وتطلب منه المساعدة. فهي ستكون بمنزلة النقطة في آخر جملة عائلتهم.

وهي ستكون أيضًا حرف البداية في مطلع جملتها- زوجها پات، الذي تعتقد كيرا في سرّها أنّه مملّ بشكل غير معقول، يعبد شيڤان وولديهما، ليلي وديڤيد- لكنّ ذلك لن ينفع كثيرًا في التخفيف من الخسارة.

مدّت كيرا يدها عبر الطاولة وأخذت بيد شقيقتها. «آسفة، يا شيڤ».

شهقت، وابتسمت قليلًا، بحزن. «هذا يحصل لك أيضًا، كما تعرفين».

«أعرف، لكنّني... لم أعرف المرأة نفسها التي تعرفينها. أو، على الأقل لا أستطيع تذكّرها».

«ماتت تلك المرأة منذ سبعة عشر عامًا». مسحت شيڤان دمعة،

وهي تحافظ على سلامة تبرّج عينيها. «ستكون هذه ميتتها الثانية. أو ربّما الثالثة، بعد...».

وصمتت.

لن تتلفّظ باسمه. وهو ما لا يفعلونه مطلقًا.

قالت شيڤان، «على الأقل، في هذه المرّة، سنتمكّن من الحداد».

«هل قالوا كم سيطول الأمر؟».

«ما يُراوح بين شهر وستّة أشهر، بحسب أفضل تخميناته».

«اللعنة».

«نعم. إنّه كذلك».

اعتصرت كيرا يد شقيقتها قبل أن تفلتها.

اعتدلت شيڤان في جلستها، واستجمعت نفسها، وحوّلت انتباهها إلى قائمة الطعام- يعلم اللّه لماذا، فهما تلتقيان هنا مرّة في الشهر وتطلبان دومًا الشيء نفسه: كلوب سندويش، عدد اثنين، مع البطاطا المقليّة، وكوبين من الكوكا، وبعد ذلك إبريق شاي للاثنتين. عندما ظهر النادل وشرع في سرد الأطباق الخاصة، جاء دور شعيرة أخرى: أسكتته شيڤان بيدها وقالت، «نعرف ما سنطلب، شكرًا».

سألتها كيرا، بعد ذهابه، «هل تفكّرين فيه، يا شيڤ؟».

«ماذا؟».

كيرا غير متأكّدة ممّا تسمّيه. واستقرّت على، «حينذاك. ذلك اليوم».

«يا للعنة، ولماذا أفعل ذلك؟».

التقطت شقيقتها إبريق الماء وصبّت كوبين. تركتها كيرا تأخذ رشفة،

وراقبتها وهي تبتلعها، وتأكّدت من قيامها بذلك حتى لا تبدأ بالاختناق عندما تقول، «كنت أفكّر، في الآونة الأخيرة، في أوليڤر سانت لدجر».

تجمّدت شيڤان في مكانها، ثمّ رفعت رأسها وحملقت إلى كيرا، بدم بارد.

قالت، «لا أريد سماع ذلك الاسم».

«إنّه في الخارج، في مكان ما...».

«قلت إنّني لا أريد...».

«... يعيش حياته على طبيعته، ويقوم بكلّ الأمور...».

«يتصنّع التصرّف طبيعيًّا، يتصنّع».

«ولا يضايقك ذلك؟».

«لا يؤثّر فيّ بأي شيء، لأنّني أرفض أن أدع ذلك المختلّ يأخذ ولو ذرّة واحدة من الأكسيجين في حياتي. وهذا هو سبب رفضي الخوض في هذا الحديث. فلنتكلّم عن شيء آخر».

«هل أخبراك ما جرى بالفعل؟».

«شيء آخر، آخر». ثمّ عبست شيڤان، «من تقصدين بِـ 'أخبراك'؟».

«أمّي وأبي».

«حقًّا؟ المرأة التي لم تتلفّظ باسمه لما يقارب العشرين عامًا والرجل الذي كان مصدومًا من ذلك كلّه بحيث أنّه ربط حبلًا على عمود الدرابزين خارج غرفتي وأنا طفلة؟ آه نعم. كنّا نتحدّث عن ذلك كلّ الوقت. كانت، كما أذكر، أحاديث حميمة بجانب الموقد».

«أستطيع الاستغناء عن السخرية، يا شيڤ».

«وأستطيع الاستغناء عن كلّ هذا الحديث». وجلست شقيقتها، وكتّفت ذراعيها. «ما سبب هذا؟ ما الذي يجري؟».

«المسألة... هي في أنّني أعرف فقط بما هو موجود على الإنترنت. وهو ما كان قد ذُكر حينها».

«إذًا؟».

«هذا ما كان قد أُخبر للناس»، قالت كيرا. ”لكنّه كان شقيقي. إذا كنت أيضًا تعرفين ما كان قد نُشر فحسب، ولم تخبرك الوالدة بأيّ شيء، فعندها... يكون الوقت قد نفد على طرح الأسئلة، أليس كذلك؟».

«أن تطرحي أسئلة على الوالدة؟ لا تتجرّأين على القيام بذلك».

«لم أكن...»

«نعرف ما جرى».

«بشكل عام، نعم، لكنّني أقصد، مثل...». وبحثت كيرا عن الكلمات المناسبة. «كلّ شاردة وواردة».

«كلّ شاردة وواردة؟». كرّرت شيڤان ذلك بصوت مرتفع بما يكفي ليدير بعض الأشخاص الجالسين إلى الطاولات المحيطة رؤوسهم. «لقد مات، يا كيرا. وما من شيْ سيغيّر ذلك. لا نستطيع إعادته. ولماذا حتى... ما خطبك؟».

شاهدت كيرا، من فوق كتف شقيقتها، النادلة تستدير صوب طاولتهما والعبوس يعلو وجهها.

«الناس ينظرون، يا شيڤ».

«ما الجديد، إذًا؟». واستدارت شيڤان لترمي أقرب الناس إليها- وهما ثنائي في منتصف العمر على بعد طاولتين منها- بنظرة ملؤها الشر.

«أذكر أمرًا واحدًا»، قالت كيرا. «منذ ذلك الوقت».

«أمرًا واحدًا فقط؟ أوَلست محظوظة؟».

«أذكر أمّي تقول، مرارًا وتكرارًا، إنّه لا يمكن أن يجري بالطريقة التي قالوا إنه جرى فيها».

لم يحظَ هذا كلّه إلّا بحركة امتعاض من عيني شيڤان.

«اسمعي، يا شيف، أنا لا أحاول هنا مضايقة أحد. بل العكس تمامًا. ماذا لو استطعنا أن نحصل على شيء للوالدة؛ معلومات ما، أمور تجعلها تشعر بحال أفضل؟ من شأنها أن تمنحها بعضًا من السلام قبل أن ترحل؟».

سخرت شيڤان من ذلك. «مثل ماذا؟».

«ما جرى بالفعل».

«نعرف ما...».

«ربّما نعرف»، قالت كيرا. «وربّما لا نعرف. كان بعد الظهر ذاك قد عذّب المرأة على مدى سنين. وهي بعد مضيّ كلّ تلك السنين، لا تستطيع فهم ما جرى لابنها. فالرواية الرسميّة، ما قاله ذلك المحقّق في المحكمة، لم يُجب عن أسئلتها. وما كتبته الصحف، قالت فيه ما جرى قبل، وما عُثِرَ عليه بعد، وإن الصبيين قدّما روايتين متعارضتين عمّا جرى من قبل ومن بعد. ولكن ذلك كلّ ما في الأمر».

«لأنّه ما من أحد أراد التفاصيل المروّعة عمّا فعله صبيّان بصبيّ آخر، لأنّهما كانا طبيعيّين، على عكسك، كما يظهر. وأنت مخطئة في أنّه لا يجيب عن أسئلة الوالدة. المشكلة هي في أنّها لم تحصل على أجوبة أحبّتها».

مرّت لحظة.

«أعرف عمّا تبحثين»، قالت عندها شيڤان، وقد باتت نبرة صوتها لطيفة. «صدّقيني، لقد فعلت ذلك بنفسي. لكنّك تبحثين عن شيء غير موجود. نعم، تعارضت روايتاهما. لكنهما كانا في الثانية عشرة. كانا في ورطة أكبر حتى ممّا عرفاه. لكنّ نهاية الروايتين كانت ذاتها بالضبط: القتل. ذلك ما يهمّ. وليس التفاصيل المروّعة».

«لم يكن ذلك ما...».

«لا يمكنك إعادته من بين الأموات، يا كيرا. واصنعي لي معروفًا: كفّي عن التظاهر بأنّ ذلك يتعلّق بالوالدة».

وصل نادل ومعه الكولا، وقد ارتفع حاجباه قليلًا وبدا أنّه التقط نهاية ما قالته شيڤان. وأعلنت بعد مغادرته، أنّها أمضت فترة الصباح تعاين مرافق النفايات البيولوجيّة الخطرة في مستشفى بون سيكور- تعمل شيڤان في إدارة النفايات الطبّية- ومن المرجّح أنّ يديها لن تتضرّرا إذا غسلتهما مرّة أخرى قبل وصول الطعام.

«وعندما أعود»، قالت، «نتكلّم عن شيء آخر».

فيما سارت شيڤان صوب الحمّامات، استدارت كيرا للنظر من النافذة.

كان حافر أنفه يحصي النقود المعدنيّة ليعطي إكرامية للنادل باليد ذاتها التي كان يحفر بها.

ما يُراوح بين شهر وستّة أشهر.

وهذا بالكاد يكون وقتًا على الإطلاق. ومن شبه المؤكّد أنّه لا يكفي للوصول إلى حقيقة ما حصل في ذلك اليوم في ميل ريڤر. تلك الدقائق الخمس، أو العشر، قبل سبعة عشر عامًا التي ستسرق منها شقيقًا، وتسرق

من والدها إرادة الحياة، وتسرق، بحسب شيڤان، الأم التي كانت كيرا لتحظى بها لولا ذلك.

لكن عليها أن تحاول.

شيڤان محقّة: تريد كيرا أن تتمكّن من إدخال ذهن أمّها في شكل من أشكال الراحة قبل أن ترحل، لكنّها تحتاج هي الأخرى إلى الحقيقة، من أجلها.

والمسألة هي... كيف الحصول عليها؟

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

قبل 23 يومًا

تجرّأ على النظر إليها، رغبةً منه في العثور على عينيها، فتلتقيهما عيناه ويستخدمهما ليظهر لها أنّه ما يزال هو، ما يزال أوليڤر، الرجل الذي تعرفه. ذلك الذي يشعر كأنّ قلبه كبير جدًّا على صدره في كلّ مرّة ينظر إليها، ويعتقد أنّه يمكن أن يكون واقعًا في حبّها، ولا يريد ما هو أكثر من أن تبقى، لأنّها الشيء الوحيد الذي استطاع بحق إزالة الألم.

لكنّ عينيّ كيرا في حضنها. وهي ما تزال أشبه بتمثال من الرخام، وبلونه أيضًا، وقد انسحب الدم من وجهها.

«كان مجرّد يوم عادي...». لا يوجد ما يفعله الآن سوى المتابعة، أن يُخرج كلّ ذلك بسرعة قبل أن تغادر، أن يحاول الشرح قبل أن تصل فرصته الأخيرة في ذلك إلى نهاية مفاجئة. «كنت أسير عائدًا من المدرسة إلى المنزل مع صبيّ آخر من صفّي، شاين، و... كان ذلك كلّه بسبب أمر غبّي للغاية. وكنّا غبيين. لكن، وفي دقائق معدودة فقط، خرج كلّ شيء عن السيطرة».

رفّ بعينيه حابسًا دموعه، وهو يفكّر بذلك.

وقد أمضى الأعوام السبعة عشر الأخيرة محاولًا ألّا يفعل.

قال، «كان هناك ذلك الصبيّ، في الصفّ الرابع. يصغرنا بنحو سنتين- كنّا في السادس- وكان يقيم بجوار شاين- عشنا جميعنا في ميل ريڤر- وكان يلحق بنا أحيانًا إلى المنزل، يطرح علينا الأسئلة ويحاول أن يرافقنا. كان مزعجًا لكنّني... أعتقد أنّه أراد أن يتسكّع معنا فحسب.

كان الصبيّ الوحيد في عائلته ولم أشاهده في المكان مع أي فتى من المنطقة».

سيكون عليه أن يقول اسمه. لا يمكنه رواية القصّة جيّدًا من دونه، فأخذ نفسًا عميقًا ولفظه بالرغم من أنّه شعر بالكلمات كأنّها أشياء حادة ومسنّنة تجزّ وجنتيه من الداخل.

«پول كَلِّهِرْ. كان... كان في العاشرة».

ما تزال كيرا جالسة، لكنّه رأى أن كتفيها أخذتا ترتجفان من الصدمة، أو حتى ربّما من الخوف. ففكرة أنّها ستكون خائفة منه جسديًّا جعلت صدره ينقبض.

لكن فات الأوان على التوقّف الآن.

ولم يعد أمامه أيّ خيار إلّا الاستمرار.

«وهكذا، في ذلك اليوم بالذات، كان پول يلحق بنا إلى المنزل، شأنه دائمًا، لكنّه كان أكثر إزعاجًا ممّا هو في العادة، ينادينا باسمينا، المرّة، تلو المرّة. ثمّ إنّه... ولسبب من الأسباب، ربّما لأنّنا كنّا نتجاهله كلّيًّا، شرع في رمي أشياء علينا. حصى. لم يصبنا معظمها، لكن بعضها أصاب حقيبتينا المدرسيّتين، ثمّ تلقّى شاين واحدة على مؤخّرة رأسه تمامًا. واستدار صوب پول، واعتقدت أنّه كان سيصيح فيه أو ما شابه، لكنّه قال بدلًا من ذلك، ’حسنًا، لا بأس. يمكنك المجيء معنا. نحن متوجّهان إلى المياه لرمي الحجارة على سطحها‘. ثمّ رمقني بتلك النظرة، على غرار... عليك أن تحذو حذوي. ثمّ شرع في الركض. وتبعه پول. وأنا أيضًا».

حاول أوليڤر أن يأخذ نفسًا عميقًا آخر، بالرغم من شعوره بأنّه غير مثمر، وبالرغم من شعوره بأنّ مجاري الهواء لديه مقفلة وبأنّ كلّ ما

لديه هو ذلك الموجود في رئتيه مهما يكن عدد الدقائق التي سيتطلّبها لتفريغه.

وتابع، «كانت البلدة مبنيّة على ضفّة النهر، ومن هنا أخذت اسمها. كانت المنازل تنحدر قليلًا إلى الماء، وللوصول إليها كان لا بُدّ من تسلّق بعض الأشجار... «وبالتالي ما إن أصبحنا، نحن الثلاثة، هناك، حتى بتنا محجوبين إلى درجة كبيرة عن الأنظار. عندها...». وابتلع ريقه. «كان عندها أن...».

وها إنّ كيرا ترفع في النهاية رأسها.

«كان عندها أن بدأ شاين فحسب، يبرح پول ضربًا. تلك هي العبارة الوحيدة التي يمكنني استخدامها لوصف ذلك. كان شاين قد أعاد سنته، وكان عمره عندها قرابة الثالثة عشرة، وكان پول صغيرًا بالنسبة إلى عمره... لا أذكر كلّ شيء، لكنّني أذكر شاين شامخًا فوق پول، وپول يرفع رأسه للنظر إليه»- تحشرج صوته- «مثل... مثل...»

استطاع رؤيته الآن، كما لو أنّهم جميعهم هنا، في هذه الغرفة.

عينا پول، لا تتوسّلان، بل تتساءلان.

لماذا تفعل هذا بي؟

أخذ أوليڤر الآن يصارع الإجهاش بالبكاء، لكن لا فائدة من محاولة وقفه، عليه فقط أن يُخرج ما تبقّى ليستطيع التحدّث مع كيرا، محاولًا تقييم الأضرار، ومحاولًا الشروع في إصلاح الأمور.

سيفعل أيّ شيء لإصلاح هذا.

للاحتفاظ بها.

للإبقاء عليهما.

«لم أتدخّل في البداية. وقفت هناك فحسب. لكنّ شاين كان عندها كأنّه يقول هيّا، وكان پول يتلوّى، محاولًا الإفلات، وشرع عند ذلك الحدّ في البكاء، فذهبت و...» - وهنا تحشرج صوته من جديد، وارتفعت نبرته - «لم أتدخّل، بل شاركت. أمسكته، من ذراعيه. وثبّته في مكانه، ليتمكّن شاين من الاستمرار... ليتمكّن شاين...».

أشاحت كيرا بنظرها؛ لم يعد في وسعها النظر إليه أكثر ولا يستطيع لومها.

ابتلع ريقه بقوّة، مرّتين، محاولًا إجبار العقدة في حلقه على الابتعاد ليتمكّن من إخراج الجزء الأخير من الرعب.

الجزء الأسوأ.

قبل 78 يومًا

كيف تعثر على شخص لا يريد أن يُعثر عليه؟

استهلكت كيرا شريط البحث في كلّ شبكة تواصل اجتماعي، وفي كلِّ محرّكات البحث في مواقع الأخبار والإنترنت التي فكّرت فيها، بلا طائل، فلجأت إلى طبع السؤال التالي في غوغل.

كيف تعثر على شخص لا يريد أن يُعثر عليه؟

ظهرت لائحة في أعلى صفحات النتائج، لمحة عن موضوع رابطه موجود في الأسفل.

1 - الاسم الكامل، الكنية، اسم العائلة.

2 - اليوم/المدينة/مسقط الرأس.

3 - المدينة الأخيرة المعروفة/ المدينة الراهنة/الولاية.

4 - اسم المدرسة الثانوية و/أو المعهد.

كان من الواضح أن ذلك موجّه لمن يريدون العثور على أميركيين لا يريدون أن يُعثر عليهم، ولمن يستطيعون الوصول إلى أمور مثل المعلومات المتعلّقة بالإحصاء السكّاني وقواعد البيانات الحكوميّة.

وبالتالي، كان ذلك، بالنسبة إليها، عديم الجدوى تمامًا.

همّت كيرا بإقفال النافذة- وهي تجلس إلى مكتبها والكلوب

سندويش الذي تناولته مع شيڤان يثقل على معدتها- عندما شاهدت البندين التاليين على اللائحة وتوقّفت.

5 - أرباب العمل السابقين والحاليّين.

6 - الأصدقاء وأفراد العائلة.

الأصدقاء وأفراد العائلة.

أما كان لأوليڤر شقيق أكبر منه سنًّا؟ لا بدّ من أنّه كان في عمر شيڤان... لكن ما كان اسمه؟

أوليڤر و... أوليڤر و... أوليڤر و...

ريتشارد.

ريتشارد سانت لدجر. طبعت هذا الاسم مرفقًا بـ «إيرلندا» في شريط البحث في غوغل وضغطت على زر الدخول.

كانت النتيجة الأولى هي حساب على إنستغرام.

تحقّقت كيرا من خلوّ المكان قبل أن تلتقط هاتفها عن المكتب وتفتح التطبيق. فالتصفّح فيه أسهل من التصفّح على شاشة الحاسوب.

وشرعت في تصفّح مشاركاته.

لا تمتلك إلّا ذاكرة خافتة للغاية عن شكل أوليڤر، ناهيك بشقيقه، وبالتالي لا يستطيع من خلال النظر إليه فحسب أن تقول إذا كان هو المقصود.

ريتشارد سانت لدجر هذا يقيم في أستراليا، مع زوجته وولديه الصغيرين. يبدو أنّه يقضي وقتًا طويلًا على الشاطئ وفي الوقوف أمام

المرايا في النادي الرياضي. لكنْ توجد صورة حديثة لكعكة ذكرى الميلاد الواحد والثلاثين (العمر الصحيح) وعلمٌ بثلاثة ألوان في سيرته الذاتية (وهو إذًا إيرلنديّ) والمرّة الوحيدة التي كانت قد التقت بواحد من عائلة سانت لدجر كانت منذ سبع عشرة سنة، ويمكن بالتالي أن يكون هو.

تساءلت لماذا لم يغيّر اسمه، لكن لماذا يقوم بذلك؟ فهو لم يفعل شيئًا، والقانون يحمي اسم شقيقه.

ومع ذلك...

واصلت التصفّح، وهي تحرص على عدم النقر مرّتين على أيّ صورة- لو أنّ هذا هو ريتشارد الصحيح، فمن المؤكّد أنّه سيعرف اسمها- إلى أن بلغت واحدة التُقطت في مكان يشبه إلى حدّ كبير الديار. صورة لريتشارد وظهره إلى درابزين زجاجي بعلوّ الخصر، وقد أشاح برأسه بعيدًا من العدسة وهو يتطلّع إلى منظر عام للندن وراءه. وجاء في دمغة الموقع، «سكاي غاردن»، التي تعرف كيرا أنّها تقع في قمّة ناطحة سحاب تُعرف باسم ووكي توكي.

عكس الزجاج ساقَي المصوّر، وقد حدّقت كيرا إليهما لبضع ثوانٍ، متسائلة إذا كانت تنظر إلى سروال أوليڤر القصير، ورَبْلَتَي ساقيه العضليّتين وفردتي حذائه الرياضي البيضوي. ثمّ لمست الصورة بإصبعها ووجدت على الساقين الدمغة التالية @balfeyboi91.

تبعتها إلى الحساب المطابق لها: كِنْ بالف Ken Balfe، وسيرته الذاتية تحمل أيضًا العلم المثلّث الألوان.

كِنْ بالف.

وضعت كيرا هاتفها على المكتب وعادت إلى حاسوبها، وفتحت

الفيسبوك. سبق أن كانت قد سجّلت دخولها. طبعت Ken Balfe في شريط البحث، وعثرت بسهولة على الملفّ الشخصيّ المطابق.

لا يوجد دليل إلى أنّه كان ناشطًا على الموقع في الآونة الأخيرة؛ وتعود آخر مشاركة له إلى ما يقارب العام. لكنّ القسم المتعلّق بالتعريف عنه «About» يحتوي على كثير من المعلومات المفيدة، وأبرزها أنّه تلقّى علومه الثانويّة في مدرسة سانت كولومباس الرسميّة في ناس، كو. كيلدار.

شكرته بصمت على تعبئة هذه المعلومات.

كانت المدارس الابتدائيّة في المنطقة منفصلة بحسب الجنس، لكن الثانويّة منها كانت مختلطة. وسانت كولومباس هي المدرسة التي ارتادتها شيڤان على مدى سنتين، وكان يُفترض بكيرا أن تذهب إليها إلى أن غادروا المنطقة بعد شهر على وفاة والدها، عندما أعلنت والدتها أنّها لا تتحمّل المكوث في المكان للحظة واحدة أكثر، وهي تختنق بالذكريات. وبالتالي فإنّه من المعقول جدًّا أن يكون كِنْ بالف وريتشارد سانت لدجر صديقين منذ أيّام المدرسة، منذ ما قبل حصول كلّ شيء.

ما يعني أنّه لا بدّ من أنّ كِنْ يعرف أخبار أوليڤر.

ما يعني أنّه يعرف مكانه الآن.

لكن بماذا تفيدها هذه المعلومات؟ ما الذي يُفترض أن تفعله بها؟ أن تبعث إليه برسالة تسأله فيها إذا أمكن أن يتكرّم ويعطيها معلومات عن طريقة الاتصال بالشقيق الأصغر لشقيقه، الولد القاتل المُدان؟

لا تستطيع القيام بذلك كما لا تستطيع بعث رسالة على إنستغرام إلى ريتشارد سانت لدجر تطرح فيها نسخة عن السؤال نفسه.

كيف تعثر على شخص لا يريد أن يُعثر عليه؟

لكن ذلك ليس في الحقيقة السؤال الصحيح، فكّرت كيرا الآن. ما يُفترض أن تسأل نفسها حقًّا هو: كيف تعثر على ولد أُدين بالقتل وقد أضحى الآن رجلًا بالغًا، والقانون يحمي اسمه؟

لا تعرف كيرا إلّا عن قضيّة واحدة أدين بها أولاد صغار بتهمة القتل؛ كانت قد حصلت في إنكلترا قبل أن تولد. بات هؤلاء الأولاد الآن رجالًا يعيشون بهويّات مستعارة، وستبقى سرّيةُ هويّتهم مكفولة مدى العمر. ولأن أسماءهم سبق أن نُشرت فقد توجّب التخلّص منها فورًا بعد المحاكمة.

فيما كانت تتفحّص ملخّص القضيّة على ويكيبيديا، بحثًا عن أيّ تفاصيل يمكن أن تساعدها في بحثها، واظبت على تجاهل كلّ شظايا الهول التي تقفز خارجة منها أشبه بنصال السكاكين الوامضة.

... كشف غطاءه مرّات عدّة من خلال نشر هويّته الحقيقيّة...

... في حوزته صور اعتداء على أطفال...

... عاد إلى السجن...

ربّما هذه غلطة.

ربّما ليس عليها البحث عن أوليڤر سانت لدجر.

ماذا لو عثرت عليه، وحملته بطريقة ما على الكلام، وماذا لو أنّ ما يقوله سيؤدّي إلى أن يصبح كلّ شيء أكثر سوءًا فحسب؟

أخذت كيرا واحدًا من الإنكليزيّين اللذين لم يعاودا الارتكاب ووضعت اسمه الأصلي في خانة البحث في فيسبوك، لمجرّد أن ترى ماذا سيظهر. توجد حفنة من ملفّات التعريف تتطابق مع الاسم تمامًا، لكن لا يمكن بالطبع أن يكون هو أيًّا منها. شعرت بغصّة من التعاطف مع هؤلاء الرجال وتساءلت لماذا يا تُرى لا يستخدمون أسماء مستعارة أو أيّ شيء

من هذا القبيل. حرّكت الصفحة إلى أسفل إلى أن رأت أن النتائج تحتوي على إحدى المجموعات.

العدالة، لا الحماية! كانت تحتوي على نحو ثمانية آلاف عضو.

شعرت كيرا بشيء يدفعها إلى الاستدارة والتأكّد من عدم وقوف أحد صامتًا وراءها، ناظرًا من فوق كتفها. فهي في مكتب صغير مفتوح، لكنّ الطاولة الأخرى الوحيدة المشغولة تقع في الطرف الأبعد من الغرفة. ويجب أن تكون بمأمن.

حرّكت الفأرة. تكّة.

لا تحتاج كيرا إلّا لصرف بضع ثوانٍ على مجموعة العدالة، لا الحماية! للتأكّد من ماهيّتها، أو بتحديد أكبر، لمن هي مخصّصة من مقتضّي لوحة المفاتيح. هدف اللعبة، كما يبدو، فضح الهويّات المحميّة للمجرمين المدانين التي قرّرت المجموعة، لاعبةً دور القاضي والمحلّفين، أنّه يجب فضحها.

يُفترض بكل مشاركة أن تشكّل معلومة، وهناك المئات منها. يبدو أنّها تتّبع نموذجًا موحّدًا: صورة سيّئة لأحدهم وهي، إمّا مشوّشة بسبب حركة الكاميرا وإمّا مأخوذة من بعيد جدًّا فلا تلتقط أيّ تفاصيل، مقرونة بكلام يزعم أن هذا فلان الفلاني (جريمة قتل من الدرجة الأولى، برستون، 2004) في سوبرماركت ويتروز في شاتهام واي؛ أو زوجتي وأنا التقينا فلان الفلاني في سينما وورلد، بلفاست، الليلة الماضية- إنه هو مئة في المئة وعرف أنني أنظر لكنّني اكتفيت بالتحديق إليه وإبعاده، وقد كتبها أشخاص يختبئون وراء صورة بيضاء واسم مستخدم مبهم في ملف التعريف. وتحت كلّ واحدة سلسلة من عشرات التعليقات، يبدو معظمها إمّا موجزات خياليّة للإصابات التي سيلحقونها بالمجرم، لو أتيحت لهم

الفرصة، وإمّا أعضاء مدفوع لهم أجرهم بالكامل في كتائب الغضب يروّجون هراء خاطئًا عن قانون البلاد.

إنّها حفرة قاذورات، شعرت كيرا بالسقم لمجرّد النظر إليها. ثمّ إنّها تبدو مركّزةً كثيرًا على المملكة المتّحدة، ومن غير المرجّح بالتالي أن تفيدها بشيء.

لكنّه توجد في أعلى الصفحة خانة فارغة ودعوة للبحث في المجموعة.

طبعت أوليڤر سانت لدجر وضغطت مفتاح الدخول، وحبست أنفاسها...

تطابق.

قبل 23 يومًا

«استمرّ ذلك لفترة»، تابع أوليڤر. «لا أدري إلى متى. ثمّ توقّف شاين، وبدا كأنّه يرى پول للمرّة الأولى، كما يجب، كما لو أنّه لم يدرك حتى ما كان يقوم به، كما لو أنّه كان في حالة من الشرود، وكان الدم يغطّي كافة أنحاء پول وقد أصيب بهذا الجرح». ورسم أوليڤر بإصبعه خطًّا عبر حاجبه الأيمن. «هناك كثير من الدم. أذكر أن إحدى عينيه كانت تمتلئ به.... كان ذلك مرعبًا. لكنّ ما لم ندركه هو أنّه كان مجرّد جرح صغير نزف كثيرًا وبدا أسوأ بكثير ممّا كان عليه في الواقع. ذعرنا. كان لدينا في ذلك الصباح صفّ تمارين رياضيّة، وكانت ثيابي في حقيبتي- أخرجت تي-شرت، تلك التي عليها شعار ناسا، وأعطيتها لپول ليضعها على جبينه، في محاولة لوقف الدم، لكنّه استمرّ فحسب... استمرّ في النزف. وعندها تبادلتُ وشاين النظرات، وكان عندها... كان عندها...».

جاءت البقيّة بسرعة، بعجل.

وفكّر، على وشك الانتهاء.

«... قال شاين لپول، 'سنغسل الدم في النهر'. وعندها عرفت ما سيحصل، ما كان قد قرّر القيام به. شعر جزء مني بأن الفكرة جيّدة، وبأن ذلك ما علينا فعله، ما عليّ القيام به الآن، لمساعدة شاين، لحمايته، ولمنعه من الوقوع في ورطة. لكن جزئي الآخر كان، في الوقت نفسه، ينظر إلى پول، المغطّى بالدم، ويقول: 'حسنًا'، ويتبع شاين بإذعان نزولًا إلى المياه. أراد ذلك الجزء منّي أن يصرخ، 'ما الذي أنت فاعله بحق

الجحيم؟ اهرب. اهرب بعيدًا'. لكنّني لم أفعل. لم أقل شيئًا. وبدلًا من ذلك... تبعتهما إلى المياه وساعدت شاين في دفع پول إليها وساعدته في تثبيته فيها».

نَفَس أخير، ثلاث كلمات إضافيّة، وسيكون قد قال كلّ شيء.

شَهَقَ وبان الألم من حركة صدره.

«إلى... إلى أن غرق».

صمت.

لم تقل كيرا شيئًا، وبقيت تحدّق بذهول عبر زجاج أبواب المصطبة.

لم يتحمّل أوليڤر بقاء الكلمات التي قالها للتوّ معلّقة في الهواء لفترة أطول، فتابع.

«جاءت الشرطة في تلك الليلة إلى منازلنا. كان شاين قد طلع برواية قال إنّ على كلينا أن نتمسّك بها، وتمثّلت في الأساس بأننا شاهدنا پول في طريقنا إلى المنزل، لكنّه ركض في اتجاه النهر، ونحن اكتفينا بمتابعة طريقنا. لكنّ أشخاصًا عدّة كانوا قد رأونا معه- كان يرتدي تلك السترة المميّزة، تلك التي باللون الأحمر الزاهي- ولم يتوافق ما رأوه مع ما كنّا قد قلناه، وعندما عثروا عليه... عثروا أيضًا على التي-شرت».

توقّف هنا، متذكّرًا اللحظة بيقين مطلق بأنّه ما من سبيل للتخلّص من هذا؛ من أنّهما كانا قد ارتكبا فعلًا فظيعًا أدى حرفيًّا إلى إنهاء حياةٍ واحدة، ومجازيًّا إلى إنهاء حياة اثنين آخرين: تلك التي كان يُفترض به وبشاين أن يحظيا بها.

«بعد ذلك، حصل كلّ شيء بسرعة فعليّة. اتُّهمنا وأُرسلنا إلى أوبرستاون، وهي مركز احتجاز للأحداث. خضعنا للمحاكمة. وكان على هويّتينا أن تبقيا سرّيتين، فصرنا الفتى أ والفتى ب. وثَبُتت إدانتنا، لكنّنا

حصلنا على أحكام مختلفة استنادًا إلى مدى... تورّطنا. خرجتُ في ذكرى مولدي الثامنة عشرة وشاين... حسنًا شاين انتحر في ذكرى مولده. كان ما يزال لديه، عند هذا الحدّ، خمس عشرة سنة أخرى يقضيها في السجن».

رفعت كيرا أخيرًا رأسها.

لم يتردّد أوليڤر، لم يخاطر بفقدان فرصته، لم ينتظر حتى لتفسير النظرة على وجهها، الطريقة التي تتداعى فيها ملامحها...

«أنا لست من نسل الشيطان يا كيرا. لستُ وحشًا مختلًّا. كنت، لخمس دقائق، مجرّد فتى فقد صوابه اللعين. فتى كان، وهو في طريق العودة من المدرسة إلى المنزل، بعد ظهر أحد الأيّام، ارتكب غلطة حمقاء، غلطة رهيبة لأنّه لم يشأ أن يبدو كالجبان أمام صديقه الأكبر سنًّا والأكثر طولًا. كنت في الثانية عشرة. ولا يمكنني محو ذلك، فقمت بثاني أفضل شيء: من تلك اللحظة وصاعدًا، مذّاك، وأنا أحاول التعويض عن ذلك. قمت بكل أمر افتُرض بي القيام به. تحمّلت عقابي. كنت سجينًا مثاليًّا. خضعت لكل العلاجات، وانصعت للقواعد. وكنت أفعل كلّ ما يُطلب منّي، وأكثر. ولم أقم، منذ اليوم الذي أطلق فيه سراحي، حتى برمي نفايات في الطريق. لكن لا يهمّ ما أقوم به لأنّ كلّ ما يفكّر فيه أيّ شخص، كلّ ما يهتمّ له أيّ شخص، هو ما كنت قد فعلته».

اقترب منها أكثر.

خطوة، خطوتان.

«ثمّ التقيتكِ. وأنتِ أحببتني. وعندما أكون معك، أشعر... أشعر أنّني أنا، الأنا التي كان عليّ أن أكونها، الأنا التي كنتها حقًّا، التي أنا. وبالرغم من أنّني عرفت أنّ ذلك لا يمكن أن يدوم، وعرفت أنّك ستكتشفينني في مآل الأمر، ظللت على رغبتي في الاحتفاظ بذاك الشعور، لذا ظللتُ أراكِ.

وترافق ذلك عندها، وبما لا يُصدَّق، مع وباء عالمي لعين. وسمعنا بأنّه سيكون حجر، وأنت تقيمين في هذه الشقّة الصغيرة، تعملين من المنزل، وكنتِ قد انتقلتِ للتوّ إلى دبلن، ولا تعرفين أحدًا و...» -هزّ رأسه غير مصدّق- «أنت حتى لا تستخدمين وسائل التواصل الاجتماعي، ففكّرت في نفسي، سآخذ هذين الأسبوعين فحسب. ولن أخبرها إلّا بعد أسبوعين آخرين. وأملت، وأملت يائسًا، بأنّه في الوقت الذي تظهر فيه الحقيقة، تكونين قد رأيتِ منّي ما يكفي لتعرفي أنّ هذا هو أنا، الآن، هنا».

توقّف أوليڤر، وحبس أنفاسه. طالما أنّها ما تزال هنا، طالما أنّها مستعدّة للاستماع إليه...

لكن كيرا نهضت عندها وركضت خارجة من الغرفة، إلى الحمّام.

وأخذت تتقيّأ.

قبل 78 يومًا

لمعلوماتكم، أوليڤر (أوللي) سانت لدجر عاد إلى إيرلندا - كي بي استوديوز دبلن.

المدعوّة «جاين سميث»، التي لا تمتلك صورة في ملف التعريف الخاص بها، نشرت ذلك قبل أسبوع في مشاركة لها في مجموعة العدالة، لا الحماية!

راوحت التعليقات على ذلك بين نصحها بإعادة نشر ذلك وفق الصيغة المقرّرة، أو بالتعبير عن الحيرة، لأنّ ما من أحد يعرف من هو أوليڤر سانت لدجر. وطلب بعض الأعضاء معرفة اسم الضحيّة أو تفاصيل أخرى ليتمكّنوا من تحديد القضيّة. لكن «جاين» لم تعاود الردّ على أسئلتهم. وعندما بحثت كيرا ضمن المجموعة، لم تتمكّن من العثور على أي مشاركة أخرى لهذه المستخدمة.

بحثت، اعتمادًا على حدسها، عن أوليڤر (أوللي) سانت لدجر دبلن في فيسبوك كلّه، لكنّها قامت بتصفية النتائج بحيث حصرتها بالإشارة إليه في المجموعات. وتبيّن أنّ «جاين سميث» نشرت المشاركة نفسها في ثمانية أماكن أخرى على الأقل، بما في ذلك منظمة لحقوق الضحايا ومجموعة مهووسة بالجرائم الإيرلنديّة الحقيقيّة.

وقد حُدّد ملف التعريف بها على أنّه شخصيّ، لكنّ غياب الصورة في ملف التعريف يوحي بأنّه لن يوجد كثير من المعلومات المفيدة هناك في أيّ حال. وأيًّا من تكن، فإنّها أرادت فعلًا أن يقوم أحد ما بشيء

في شأن عودة أوليڤر سانت لدجر المفترضة إلى دبلن، بالرغم من أنّها، إذا استثنينا بعض المشاركات المغفّلة في فيسبوك، لم تكن، كما يبدو، مستعدّة للقيام بأيّ شيء حيال ذلك بنفسها.

كي بي استوديوز.

عندما بحثت كيرا عن ذلك في غوغل، وجدت موقعًا إلكترونيًّا لمؤسّسة مهندسين مركزها في أپّر باغوت ستريت، دبلن 4. وفي صفحة قابلوا فريقنا، نبذة موجزة عن المدعو أوليڤر كينيدي، من دون صورة شخصيّة.

أوليڤر كينيدي

بكالوريوس العلوم بمرتبة شرف في تقنيّة الهندسة

تخرّج أوليڤر في جامعة نيوكاسل في العام 2013 حائزًا بكالوريوس العلوم بمرتبة شرف من الدرجة الأولى في تقنية الهندسة، وانضمّ إلينا في العام 2020 من «إم پي كيو MPQ» للهندسة في لندن. جلب معه شغفًا بالتصميم المستدام، وميلًا للابتكار، وخبرة واسعة في المشاريع الكبيرة والصغيرة.

تجمّد الدم في عروق كيرا. فهي تعرف، عقليًا، أن أيًّا من هذا لا يُعدّ كثيرًا. هناك شخص اسمه أوليڤر، قد يكون في سنّ أوليڤر سانت لدجر نفسه، وكان يعمل في المدينة ذاتها التي زارها ريتشارد لدجر منذ بضعة أشهر. وإن يكن؟

لكن حدسيًا...

كان لديها مجرّد شعور بأنّه هو.

ذلك الأوليڤر.

ألقت كيرا نظرة على النافذة الأخرى التي كانت فتحتها على شاشتها، تلك التي تُظهر أنّ هناك سبع عشرة رسالة إلكترونيّة غير مفتوحة وأنّه لم يعد هناك إلّا ساعتين من يوم العمل لحلّ أيّ أزمة تحتويها.

ذلك ما عليها أن تفعله، لأنّ هذا سخيف. ما الذي تعتقد أن تحقّقه هذه المطاردة التي لا طائل منها؟ إنّها تترك مخيّلتها تذهب بها بعيدًا. وتُلهي نفسها عن واقع الوضع وهو أن والدتها تنازع، وقريبًا لن يبقى سواها، هي وشيڤان، وما من «حقيقة» ستغيّر ذلك.

إنّه ليس هو.

وحتى لو كان، كيف تستطيع تأكيد ذلك؟

بريد إلكتروني آخر يطنّ في صندوق الوارد.

نظرت كيرا إلى الطابع الزمني. بعد خمس دقائق ستكتمل الساعة.

وفكّرت في أنّها ستمنح نفسها تلك الدقائق الخمس. خمس دقائق إضافية فحسب، وستتوقّف بعدها.

عادت إلى فيسبوك للبحث عن أوليڤر كينيدي، لكن لم يبد أنّ ملفّات التعريف التي وجدتها كانت للشخص نفسه. لم تتطابق مع التفاصيل الصغيرة التي تملكها؛ نيوكاسل، لندن، دبلن. عادت إلى إنستغرام على هاتفها وقامت بالأمر نفسه، وأيضًا بلا طائل.

راودتها فكرة. عادت إلى ريتشارد سانت لدجر على إنستغرام وشرعت في تصفّح لائحة الأشخاص الذين يتابعهم.

لا وجود لأوليڤر كينيدي، لكن يوجد أشخاص من آل كينيدي.

كثيرون منهم، في الواقع.

انتقت واحدًا عشوائيًّا- موريس- وفتّشت في صوره، متوقّفة عند صورة لميناء سيدني تعود إلى تشرين الثاني الماضي. ولا تحمل الصورة تفسيرًا أو هاشتاغ، لكنّ هناك تعليقًا واحدًا.

ك. ميارا: يا لك من محظوظ، هل أنت في عطلة؟

موريس كينيدي: في زيارة للعائلة!

عائلة؟

فار الأدرينالين في عروق كيرا.

فتحت حساب ريتشارد في إنستغرام على شاشة حاسوبها، وعادت بالصفحات إلى تشرين الثاني وشرعت منهجيًّا بمقارنة الحسابين. إنها لا تملك أيّ فكرة عن شكل موريس، لكن بالنظر إلى مهاراته في وسائط التواصل الاجتماعي وهوايته في التقاط الصور غير المفلترة، خمّنت أنّه كبير السنّ. ولا يظهر أيّ شخص يشبه ذلك في صور ريتشارد. كما أنّ موريس لا ينشر صور أشخاص على الإطلاق، بل مناظر طبيعيّة ذات إطار سيّئ وأشياء عشوائيّة في إنارة خفيضة فحسب.

أفضل ما يمكنها أن تأمل العثور عليه هو أمور مشتركة، شيء يُظهر أن الرجلين كانا في المكان ذاته في التوقيت نفسه.

وهو ما فعلته.

نشر موريس كينيدي، في 7 تشرين الثاني الماضي مجموعة من السيّارات القديمة وظهر في خلفيّتها شاطئ رملي واسع وسماء غائمة.

وفي 8 تشرين الثاني، نشر ريتشارد سانت لدجر صورة له واقفًا بجانب إحدى تلك السيّارات.

كان ريتشارد هو العائلة التي يزورها موريس. فآل سانت لدجر على قرابة مع آل كينيدي. وقد يكون كينيدي اسم عائلة والدة أوليڤر سانت لدجر وهي عزباء، ما سيجعل اختياره بوصفه اسم عائلته الجديد أمرًا معقولًا تمامًا.

عادت كيرا إلى السيرة الذاتية على صفحة كي بي استوديوز وحدّقت إلى النصّ في سيرة أوليڤر كينيدي إلى أن تشوّش.

يمكن أن يكون هو بالفعل. الشخص الوحيد المتبقّي الذي يعرف فعلًا ما جرى في ذلك اليوم من العام 2003.

الشخص الذي يُحتمل أن يزوّدها بالأجوبة التي تسعى إليها.

لكن كيف يُفترض أن تطرح عليه أسئلتها؟

اليوم

«حاولي ألّا تفكّري في هذا الشأن»، قال توم في أذن لي بصوت كَبَتَه قناعه والطبقة الورقيّة من مئزره الطبّي. «خذي أنفاسًا هادئة، وركّزي على الساحة. لن نبقى هناك طويلًا. هل أنت جاهزة؟».

هزّت لي برأسها.

«لنذهب إذًا».

استدار توم وخطا فوق عتبة الشقة رقم 1، وتبعته.

كانت سلسلة من صفائح الخطو قد وُضعت في البهو؛ تنقّلا بحذر من واحدة إلى أخرى، كما لو أنّهما يسيران على صخور عبر نهر سريع الجريان.

أنبأت أصوات، وضجيج حفيف من غرفة الجلوس لي بأنّ عناصر الأدلّة الجنائيّة ما يزالون يعملون في الغرف الأخرى. ومع بلوغهما الحمّام توهّج مدخل الباب التالي المفتوح بوميض فلاش آلة تصوير.

«من بعدِك»، قال توم، ملوّحًا بيده. «توجّهي إلى الزاوية البعيدة، إلى يمينك».

حين دخلت الحمّام، رأت انعكاس صورتيهما في مرآة الجدار فوق المغسلة: رائدي فضاء أرضيّين ببِزّتيّ فضاء غير ملائمتين، ولا يظهر منهما إلّا مساحة الإنشين من البشرة بين أعلى قناع الوجه وغطاء رأس المئزر.

ليس هناك خطر التقاط أيّ شيء لدى السير في مسرح جريمة، ذلك مؤكّد.

مضت إلى صفيحة الخطو التي وجّهها توم إليها ثمّ استدارت بحرص في المكان، معدّلة قدميها المغطّاتين إلى أن باتت في مواجهة الجثّة.

كانت الجثّة في الوضعيّة ذاتها التي كانت عليها لدى زيارتها السابقة، لكنّ المساحات من حولها- الجدار المبلّط، المغسلة، المرآة، ما تبقّى من الزجاج- كانت متّسخة بلطخات من الغبار الأسود المستخدم في رفع البصمات. نُصِبَ ضوء كشّاف محمول في الزاوية المقابلة لمكان وقوف لي، في خطّ قطري مع الجثّة، وبصيلاته البيضاء الساطعة موجّهة إليها من فوق. وكان أحدهم قد جمع حُبيبات زجاج الأمان.

أخذ توم موقعه على بُعد حوالى قدمين، أقرب إلى المتوفّى، وبينهما الضوء المحمول وتجهيزات الحمّام. لم يكن هناك متّسع لشخص آخر يدخل الغرفة من دون الإخلال بالجثّة أو بالمساحة من حولها مباشرة.

بدا المكان كحمّام بخار رهيب عليك أن ترتدي فيه، لا ثيابك الخاصة فحسب، بل طبقات منها أيضًا. شعرت لي بحُبيبة عرق ساخنة تنزلق على عمودها الفقري وتقبع عند أسفل ظهرها.

«هل أنتِ بخير؟». سألها توم.

«نعم. لا». ولوحّت بيدها ذات القفّاز. «فلننتهِ من الأمر».

استدار صوب الجثّة قائلًا: «تعرفين أنّ كلّ شيء أوّلي في هذه المرحلة. ذكرٌ قوقازي (أبيض)، في أواخر العشرينات، طوله حوالى 183 سنتيمترًا. متوفٍّ، بحسب أفضل تقديراتي، منذ حوالى الأسبوعين. لا ذباب لأنّ الشقّة محكمة الإقفال في وجه العوامل الطبيعيّة وهو ما أعتقد أنّك توافقين معي على أنّنا ممتنّون له جميعنا اليوم. المتوفّى مستلقٍ، ووجهه إلى أسفل عند بقايا باب الدوش مع وجود بعض الشظايا على ثيابه

وشعره، ما يوحي بأنّ سقوطه عبر الزجاج هو الذي أدّى إلى تحطّمه، ولديه جرح على صدغه الأيسر».

أشار توم بإصبعه إلى الرأس، ثمّ إلى اللطخة البنّية على جدار الحمّام الذي أضيفت إليه قطعة صغيرة من الشريط الأصفر مكتوب عليها رقم، وقد أُلصقت بجانبها منذ رأت المكان في آخر مرّة وقال: «ويتطابق هذا مع لطخة الدم هذه هنا، ما يشير إلى أنّ هذه هي النقطة التي اصطدم بها رأسه فور ارتطامه بباب الحمّام».

بدا كأنّ الرائحة الكريهة قد تكثّفت كثيرًا إلى درجةٍ اتّخذت معها شكلًا صلبًا، وأنّ هذا الشكل يلتفّ حول عنق لي أشبه بأَصَلَة قاتلة، تنزلق وتشدّ، مضيّقة قصبتها الهوائية بشكل خطر.

«حادث؟». سألت، وهي تقتصد بكلماتها لتفادي دخول الأَصَلَة إلى الداخل.

أجاب: «يمكن أن تكون السقطة كذلك، لكنّني لا أعتقد أنّ ذلك أدّى إلى مقتله. ففروة الرأس تتمزّق بسهولة وتنزف كثيرًا، ويمكن بالتالي أن تبدو التمزّقات أسوأ بكثير ممّا هي عليه فعلًا. أثرها في الغالب جماليّ. سيكون عليّ، بالتأكيد، أن أنتظر قيامنا بالتشريح لإثبات ذلك، لكنّني سأُفاجأ بالعثور على كسر في الجمجمة. كان عليه بالفعل أن يصدم نفسه بقوّة على الجدار، بقوّة كبيرة جدًّا ليتعرّض لإصابة قاتلة في الرأس و» -مدّ توم ذراعيه- «لا يمكنك ترجيح هرٍّ هنا. لن يتوفّر لك المجال للحصول على الزخم الكافي لذلك، كما أنّ الاصطدام بلوحٍ من الزجاج يمكن أن يبطئك». وتوقّف قليلًا. «لنحْكِ عن سبب سقوطه. هل نظرتِ في خزانة الأدوية عندما كنتِ هنا من قبل؟».

هزّت لي برأسها. «يوجد فيها روهيبنول».

«سأقول إنّ لديه وصفة طبّية بها. نحن نعرفها بسبب استخداماتها الشائنة، لكنّها، في الأساس، مسكّن يُستخدم لعلاج أمور مثل الأرق المزمن. لكنّني، في حال أنه كان قد تناوله، -وعلينا أن ننتظر تحليل السموم لتأكيد ذلك- مرتبك حيال سبب وجوده هنا في المقام الأوّل، وهو ما يزال مرتديًا معظم ثيابه، ويدور في المكان. المغلّفات في الخزانة تظهر أن هناك أقراصًا ناقصة. وبالتالي فإنّه يُفترض أن يكون قد سبق له أن تناولها من قبل. كان عليه أن يعرف أنّه يجب أن يكون في السرير عندما يبتلعها».

«الملاءات»، قالت لي. «كانت مردودة من طرف واحد. وبالتالي، فإنّه ربّما كان في السرير...».

«أعتقد ذلك، نعم. ومن ثمّ نهض لسبب من الأسباب. بالرغم من أنّه لم يكن يرتدي ثياب النوم، لكنّ ذلك ليس بذي صلة. في أيّ حال...»- غمزها توم- «هل أنت على استعداد للأحجية؟».

أنا على وشك الاستعداد لإطلاق قذيفة من القيء، فكّرت لي. وأودّ، بدلًا من ذلك، القفز إلى الجزء الذي نغادر فيه مهرجان النتانة هذا.

لكنّها قالت، «هيّا».

«أين الدم؟ أيمكنك رؤية أيّ دم؟ ما خلا لطختنا الصغيرة هنا على الجدار».

لم تكن لي تنظر. كانت تدّعي بأن كلّ المساحة إلى يمين توم كانت منقّطة، وبأنه لا يمكنها رؤية ما يوجد هناك، ولا تستطيع رؤية تبدّل اللون، والوجه المنتفخ، والجلد المنزلق و...

بلعت ريقها بقوّة وأخذت نفسًا عميقًا، محاولة التقاط كلّ آخر جزيء متبقٍّ من رائحة نعناع VaporRub.

قالت، «لماذا لا تقول لي إذا كان هناك دم أم لا، وسأصدّقك؟».

«لا يوجد دم، يا لي. فحتى أصغر جروح فروة الرأس وأكثرها ضحالة تنزف بغزارة. ففروة الرأس تطفح بالأوعية الدمويّة. ومع ذلك، لا دم، باستثناء صدمتنا بالجدار هناك. لا يوجد أي دم على الأرضيّة...».

«كيف تقول ذلك؟ فهناك تلك... الأشياء الموحلة».

«ذلك ليس دمًا، وقد جاء من بعد. يبدو كأنّ هناك هالة من النظافة حول الرأس والجذع. كان هناك دم، بوجود تمزّق كهذا في فروة الرأس. وبالتالي، أين ذهب؟».

حاولت لي التفكير، لكن أفكارها عادت فورًا إلى الرائحة، وطغيانها بشكل لا يُعقل بحيث أنّها لو حشرت عبوة مفتوحة كاملة في كلّ فتحة أنف فستبقى تشمّ تلك الرائحة اللعينة. تستطيع الشعور بها. فهي ليست معلّقة في الهواء فحسب، بل متشبّثة به، وبكلّ شيء آخر أيضًا. وهي في اللحظة التي تصل فيها إلى بيتها الليلة ستحرق كلّ ما ترتديه. وسيكون عليها أن تغتسل...

«الماء»، قالت. «غُسل الدم».

«نعم!» بدا توم مسرورًا بشكل مفرط في هذا الشأن. «لأنّ...؟».

«مرشّة الدوش كانت تعمل».

«أعتقد...» -وانغمس توم هنا في لحظة توقّف دراميّة- «أنّه قد يكون مات غرقًا».

خفضت لي نظرها إلى الجثّة، وندمت على ذلك على الفور، وأشاحت بنظرها من جديد.

«هو ماذا الآن؟».

«لا يتطلّب الموت غرقًا الغوص، كما ترين. يحتاج الأمر فقط إلى استنشاق ما يكفي من السائل وأن يصل إلى الرئتين. إذًا، من الناحية النظريّة، لو أنّ صاحبنا هنا كان قد تناول مهدّئًا ثمّ نهض من السرير، وتعثّر هنا- ربّما احتاج إلى استخدام المرحاض- ووقع عبر باب الحمّام، وسقط كما هو الآن وفمه وأنفه على البلاط- وتمامًا، إذا أمكنني القول، في الفجوة الصغيرة التي تشكّلها بالوعة التصريف حيث يتّجه الماء إلى التجمّع- وكانت المرشّة شغّالة... حسنًا، ربّما كان مصعوقًا قليلًا من جرّاء الضربة على رأسه، أو أنّ الروهيبنول كان بدأ يعطي مفعوله، أو كلا الأمرين، وسقط فاقدًا الوعي بهذه الوضعيّة، ما يعني بالتأكيد أنّه واصل التنفّس، وغرق في إنشين من الماء في حمّامه». توقّف توم قليلًا. «ولهذا لا أفهم حقًّا لماذا يمضي الناس للقفز بالمظلّة أو القفز بالحبل المطّاطي وكلّ تلك الترّهات. من السهل جدًّا الموت. لماذا نحاول أن نجعله يحدث؟».

«ولماذا كانت المرشّة تعمل في المقام الأوّل؟».

«سؤال جيّد. يمكن ببساطة أن يكون صدم الذراع في خلال سقوطه أو لدى محاولته معاودة النهوض. تلك الأشياء...» -أشار إلى مقبض المرشّة- «كلّ ما يحتاجه الأمر هو القليل من القوّة وستشرع المياه في الانسياب. ويمكن أن يكون قد خطّط للاستحمام وأساء تقدير السرعة التي سيبدأ فيها المسكّن مفعوله. لكنّ هذا ليس سؤالك الأهم، يا لي».

رفعت حاجبيها، «أليس كذلك؟».

«السؤال الأهم هو: من أغلق الماء؟».

قالت، «ربّما لدينا مشكلة مع ذلك».

«أوه؟ كيف ذلك؟».

«توجد امرأة هنا كان تزعجنا إلى حدّ لعين منذ بدء الحجر؛ تشتكي من الضجيج، تشي بجيرانها، وغير ذلك... وعندما اتصلت في هذا الصباح، اعتقد رجال المخفر أنّ في الأمر مزيدًا من الشكاوى، فأرسلوا مجنّدَين جديدَين. قال أحدهما أنّه أغلق الصنبور الذي كان ينقّط».

هزّ توم رأسه مرّتين، وهو يفكّر في ذلك. «لا أستطيع استبعاد أنّه لم يغلق الماء بنفسه في آخر خلجات الوعي. لكنّني أشكّ، بأيّ حال، في وجود شيء له قيمة الدليل على المقبض».

«ما الذي يحملك على قول ذلك؟».

شبك توم يديه معًا، ووضعهما على بطنه. تحبّ لي الفتى، لكنّها تتمنّى لو أنّه يخفف قليلًا من روتين محقّق العهد الذهبي.

قال، «نُظّف المكان كلّه، بحسب أقوال رفاقك في الأدلّة الجنائيّة. ومُسح كلّ مكان في الشقّة؛ عمل دقيق. ولم يعثروا بعد ولو على بصمة واحدة. وتلك هي بالتالي أحجيتك الحقيقيّة. لماذا ينظّف أحدهم الشقّة بعد حادث؟ ولماذا يا تُرى لم يتّصلوا طلبًا للمساعدة؟».

قبل 23 يومًا

لم تقفل باب الحمّام، ولم يشأ أوليڤر أن يتوجّه إلى هناك ويلقي بظلّه عليها وهي معتلّة، فانتظر عند مدخل باب غرفة الجلوس فيما هي تتقيّأ.

قال، «آسف جدًّا، يا كيرا. أعرف أنّ تلك مجرّد كلمات، لكنّني آسف. آسف جدًّا أنّني تسببت لك بهذا».

عاودت بعد فترة الوقوف على رجليها، ورشّت على وجهها بعض الماء، ولاقت عينيه عبر انعكاس صورته في المرآة فوق المغسلة.

بدت، عندما استدارت لمواجهته، شاحبة ومكسورة.

«إذًا، من هي لورا؟». قالت.

«لا أدري. لا أعرفها. لكنّني أفترض أنّها اكتشفت مكاني وتحاول الوصول إليّ... لتكتب عنّي، على ما أظنّ».

«لكنّك قلت أنّكما كنتما الصبيّ أ والصبيّ ب. لا يمكنها الإفادة عن اسميكما».

«لا، لكن... ما يزال يمكنها أن تتسبّب بمشكلة». وتوقّف قليلًا. «وقد تسبّبت بها بالفعل».

ساد صمت لم يجرؤ على كسره، لأنّه ليس متأكّدًا تمامًا مما يحصل هنا.

كيرا ما تزال هنا. ولم يكن يتوقّع ذلك.

وهي تطرح أسئلة، الأمر الذي... لا يعرف كيف يفسّر ذلك. لكنّه سيتركها تتحكّم بالدقائق القليلة التالية. يمكنهما المضيّ وفق وتيرتها.

يعرف أنّ هناك كثيرًا لتستوعبه.

سألته، «كيف حصلتَ على ندبتك؟ حقًّا؟».

«في غرفة الترفيه في أوبرستاون».

«ماذا جرى؟».

ها هي الآن تلفّ نفسها بذراعيها؛ تبدو، حرفيًّا، كأنّها تتمالك نفسها. يريد الوصول إليها، يريد أن يمسك بها، يريد أن يقول لها بأن كلّ شيء سيكون بخير.

لكنّه لا يستطيع. فهو لا يعرف إذا كان كلّ شيء سيكون بخير.

قال، «شاين فعل ذلك بي».

رمشت بعينيها. «ماذا؟».

«كان قد مضى علينا عندها بضع سنوات في السجن، وكان على درجة كبيرة من الاضطراب العقلي. فقد انهار عندما كنّا في ذلك المكان، ولم يتمكّن من التأقلم. و... أنحى باللائمة عليّ. لأنّني، على ما أفترض، لم أتمسّك بالرواية».

ما تزال كيرا تبدو أكثر شحوبًا.

«ماذا حصل في لندن؟».

أجاب أوليڤر، «التقيت إحداهنّ... لوسي، وكانت متهوّرة. أعني، لم أخبرها بالحقيقة لأنها كذلك... لا يمكن للصحافيّين أن يطبعوا اسمي أو يظهروا وجهي، لكنّ ذلك لا يعني أنّه لا يوجد أناس لن يعرفوني، ولن يتعرّفوا عليّ، ويهرولوا إلى فيسبوك أو تويتر ليخبروا الجميع كيف أبدو اليوم ومن أنا. أشخاص كنت معهم في المدرسة الابتدائيّة، جيران قدامى، بل وحتى أقارب. وما من أحد، باستثناء شقيقي، يتحدّث معي فعلًا الآن.

ولذا يجب عليّ بالحرص. لا أنشر شيئًا على الإنترنت. لكن لوسي نشرت قصصًا في إنستغرام وأنا في الخلفيّة، ولم أكن أعلم. وهناك، كما تعلمين، كلّ تلك المنتديات، التي يظن فيها أولئك المختلّون، أولئك المقتصّون الحمقى الذين يعتقدون أنّه يتوقّف عليهم أن يكونوا القاضي وهيئة المستشارين، بالإضافة إلى منظومة السجون...». هزّ رأسه بغضب من ذكريات قديمة وأضاف، «بشكل من الأشكال لاقت صورة من إنستغرام لوسي طريقها إلى هناك، إلى واحد من تلك المنتديات. لم يمكنهم بالطبع تأكيد أنّه أنا، وكيف سيعرفون؟ فلا يوجد ما يقارنونها به. لكن ذلك لم يوقفهم عن المحاولة. كان لديهم اسم لوسي- من الحساب- وشرعوا يبعثون لها برسائل، طارحين عليها أسئلة، وأخذت هي من بعدها تطرح عليّ أسئلة...». تنهّد. «كان عليّ أن أغادر، لمنع الأمور من التفجّر فعلًا».

شرعت كيرا بالبكاء.

«وأنا سيكون عليّ ذلك، أيضًا»، قالت بصوت مرتجف. «الآن، لا أستطيع البقاء».

تقدّم أوليڤر صوبها خطوة، ثمّ أخرى عندما لم تتفاعل مع الأولى.

رفع يديه كما لو أنّه يشير إلى أنّه يأتي بسلام. فرفعت يديها لتقول له ألّا يقترب أكثر.

توقّف. «أيمكنني الإمساك بيدك؟».

هزّت برأسها لكنّها لم تتحرّك، ولم تقاوم عندما مدّ يده وأمسك بيدها. ضغطها على صدره، على قلبه.

«هذا أنا»، قال. «هنا، الآن. وليس ذلك الصبيّ، ذلك الولد، الذي كان غبيًّا وقاسيًا وارتكب خطأ رهيبًا، رهيبًا حتى أنه لا يمكنه محوه مطلقًا، ولا يمكنه أن يتأسّف بما يكفي عليه، ولا يمكنه التراجع عنه لكن...».

«لماذا ارتكبته؟».

«كيرا، أنت تعرفينني. أنا من تعتقدين أنّني هو، من كنته في تلك الأسابيع القليلة الماضية. هذا! أنا. أنا الحقيقي. وأردتكِ أن تري ذلك، أن تعرفي ذلك، قبل كلّ هذه...».

أشاحت برأسها بعيدًا، وخطت خطوة إلى الوراء.

«لماذا فعلت ذلك حينها؟ لماذا لم تضع حدًّا لذلك؟ لماذا لم تنقذه؟».

إنّها تبكي بشدّة أكثر الآن، ووجنتاها تتوهّجان بالدموع.

«لا أعرف»، قال أوليڤر. «لا أعرف حقًّا. فكّرت في ذلك مرارًا كثيرة جدًّا... وعلى مدى سنين كثيرة. كنت أفكّر بذلك كلّ الوقت، لكنّني لا أستطيع تفسيره. حصل فحسب، لم أكن أفكّر... قال لي معالج نفسيّ مرّة إنك عندما تكون في ذلك العمر فأنت لا تملك شعورًا بالديمومة. من الصعب عليك أن تفكّر عقلانيًّا بالأبد. أنت تدرك الفارق بين الصحّ والخطأ، وتدرك، نوعًا ما، أنّ لأفعالك عواقبَ، لكنك لا تستطيع أن تقبل فعلًا بأنك لا تستطيع محو العواقب. هذا ليس بعذر، لكن... بدا ذلك منطقيًّا لي. وأمور كهذه، يا كيرا، لا تتعلّق بالخير والشرّ. لم أكن مختلًّا عقليًّا متدرّبًا. الأمور تحصل، سلسلة من الأمور، وهي التي أوجدت تلك اللحظة في الزمن عندما اتّخذنا، شاين وأنا، قرارًا ما كان علينا اتّخاذه. أتعرفين ماذا؟ ذلك يحصل كلّ الوقت. أما في حالتنا، فإنّ أغبى أمر قمنا به كان له أسوأ العواقب التي يمكن تصوّرها».

بدأت كيرا تتحرّك صوب باب غرفة النوم. «يجب أن أذهب».

«أرجوك لا تفعلي، ابقي من أجل...»

رشقته بالقول، «لا يمكنك أن تطلب منّي أيّ شيء».

ذهبت إلى غرفة النوم، ورفعت حقيبتها إلى السرير وشرعت في رمي أغراضها فيها.

راقبها، وهو مغلوب على أمره، واقفًا عند الباب.

«أين ستذهبين؟».

«سأعود إلى مكاني»، قالت.

«إلى متى؟».

«يا للعنة، لا أعرف، يا أوليڤر».

«أحاول أن أفهم...».

قالت حانقة، «قلتَ لي للتوّ إنّك قتلت طفلًا». خرج ذلك منها كصرخة بدا أن قوّتها أصابتها، حتى هي، بالدهشة.

هزّ برأسه، مقرًّا بهذا.

«عندما كنتُ طفلًا»، قال بهدوء.

جمّدها ذلك في مكانها للحظة، وازداد الأمل في قلبه.

لكنّها استدارت وأقفلت سحّاب الحقيبة. رفعتها بمقبضها، ووضعت إطاراتها على الأرض. استدارت وانتظرته حتى يتنحّى جانبًا لتتمكّن من الخروج من الغرفة من دون أن تضطرّ إلى لمسه.

«آسف»، قال من جديد. «لا أعرف...».

اندفعت وتخطّته وغادرت.

قبل 64 يومًا

كان الرجل، الذي اعتقدت كيرا أنّه قد يكون أوليڤر سانت لدجر، يعمل في الطابق الرابع من مبنى جديد لمّاع للمكاتب يشرف على كلّ المباني القديمة الأصغر في باغوت ستريت أپّر- بحسب ما استطاعت استخلاصه من منظر الشارع في غوغل. وكانت مؤسّسة الوكلاء العقاريّين المكلّفة بالعثور على مستأجرين لهذه المباني قد أنتجت شريط فيديو يُظهر المبنى من الداخل، ونشرته على موقعها الإلكتروني. يوجد في الداخل مكاتب مكعّبة من الزجاج في الطوابق الأربعة، ومكتب استقبال كبير بما يكفي ليتّسع لثلاثة من حرّاس البوّابات في البهو، وأبواب دوّارة إلكترونيّة تحمي المدخل إلى الأدراج والمصعد.

لا يمكنك الدخول والتجوّل في المكان.

وهي تحتاج إلى سبب لوجودها هناك.

تصوّرت أنّ الادّعاء بكونها زبونة سيكون الطريقة الأسهل لاكتشاف أمرها؛ فهي لا تمتلك أيّ فكرة عمّا تقوله أو تسأل عنه. وحتى لو تمكّنت من الحفاظ على نوع من الادّعاء، فما هي الحظوظ في أن تختار الشركة أوليڤر كينيدي للقائها؟ إذ يبدو، بحسب الموقع الإلكتروني، أنّه موظّف صغير.

كانت قد فكّرت في تقمّص شخصيّة ساعٍ يوصل شيئًا يجب التوقيع على استلامه، لكن، وفي شكل شبه فوري، كشفت تلك الخطة عن نفسها بأنّها تحتوي على ثغرتين. قد يصرّ أحد موظّفي الاستقبال الثلاثة على

أخذه منها، وحتى لو سمحوا لها بالصعود لتسليم الطرد شخصيًّا، فما الذي يمكن أن يحتويه بحيث لا يشغّل المستلم على الفور أجراس الإنذار؟ فلو أنّ أوليڤر كينيدي كان أوليڤر سانت لدجر، فسيكون قد أمضى حياته كراشد يحمي هويّته الحقيقيّة. وأيّ شخص غيره سيعتبر الأمر التباسًا أو خطأً، أمّا هو، فلن يفعل. وسيكون عندها في حالة من التأهّب الشديد.

وبقدر ما أمكن لكيرا أن ترى، فقد تركها هذا أمام خيار واحد: التقدّم بطلب للحصول على وظيفة هناك.

الدخول بحجّة مقابلة عمل.

كان رابط «انضمّوا إلى فريقنا»، على موقع كي بي استوديوز، قد أفضى إلى إعلانين عن وظيفتين شاغرتين، إحداهما كانت وظيفة مدير مبتدئ للمكتب. أنشأت كيرا حسابًا جديدًا على Gmail باسم مستعار وأرسلت منه نبذة عن سيرتها الذاتيّة. كان قد مرّ أسبوع وكانت أعصابها تستنزف أكثر فأكثر مع مرور كلّ يوم. فما هذا الذي تفعله بحقّ الجحيم؟ وهل فكّرت كيف سينتهي ذلك؟ خطّتها كانت: المضيّ إلى هذا الشخص والقول، هاي. هل أنت أوليڤر سانت لدجر؟ عظيم. أتمانع في أن تخبرني ما حصل بالضبط بعد ظهر اليوم الذي قتلت فيه پول كللهر؟ لكن عندما وصلتها رسالة إلى صندوق الوارد تدعوها إلى إجراء مقابلة، وجدت أنّه لم يتبّق لها من الأعصاب إلّا ما يكفي للموافقة.

وها هي الآن جالسة في البهو على مقعد مبطّن، تنظر إلى مكتب الاستقبال الضخم، وتفرك باطن يديها المعرّقتين على بنطالها المصنوع من البولْيستر، وتفكّر بأنّه لا مجال على الإطلاق في أن تتمكّن من القيام بهذا.

هل تستطيع؟

كانت قد وصلت مبكرةً عشر دقائق وطُلب منها أن تجلس وتنتظر.

سيأتي أحد ويرافقك، قال لها موظّف الاستقبال. وكانت كيرا، للحظة جامحة عابرة، قد تصوّرت أنّ ذلك الشخص سيكون أوليڤر سانت لدجر، وإن كان يصعب ذلك. ولم تستطع، بالإضافة إلى الاحتمالات الهائلة، أن تبني بالفعل صورة ذهنية لوجهه.

كانت والدتها، حتى وقت حصول الجريمة، قد احتفظت بكلّ شيء: كلّ تقرير مدرسي، وكلّ قلم تلوين، وكلّ تذكار. وتوقّفت بعد ذلك، ليس عن الإضافة إلى مجموعتها فحسب، بل عن النظر إليها أيضًا. كان هناك عشرات من علب الأحذية المغبّرة وصفائح البسكويت المنبعجة مكوّمة في العلّية، وكانت كيرا قد قضت في الأسبوع الأخير يومًا وهي تفتّش فيها. فكّرت في احتمالات أن تكون أمّها أرشفت، مصادفةً، صورة لقاتل المستقبل، وكانت محقّة.

كانت المدرسة الوطنية للصبية في ميل ريڤر تصدر في نهاية كلّ سنة دراسيّة نشرة على ورق مصقول، وقد احتفظت والدتها بها كلّها. ولم يكن هناك كلام تفسيري للصور التي تتضمّنها، ولم يكن بالتالي منها فائدة. إلّا أنّ النشرات تضمّنت أيضًا مجموعات من اللقطات لأنشطة مختلف فرق المدرسة الرياضيّة، وكانت مفيدة. كان أوليڤر سانت لدجر، ابن الثانية عشرة، قد لعب الرُغبي. وكانت هناك صورتان له ملوّنتان بالكامل في النشرة التي أُرسلت إلى المنزل في حزيران 2003. أظهرته إحداها يركض بالطابة، وقد تشوّشت ملامحه بفعل الحركة، لكنّه كان يقف في الثانية ويداه على وركيه، ويظهر بوضوح تام.

كانت كيرا قد حدّقت إلى الصورة لساعات، وهي تدرسها بكل تفاصيلها، ثمّ قطعتها ودسّتها في جيب سرّي في محفظتها، التي كانت الآن عند قدميها.

لكنّها لم تمتلك أيّ فكرة إذا كانت ستتمكّن الآن من مطابقتها مع صورة الرجل البالغ.

أو ماذا ستفعل إذا تمكّنت من ذلك.

«كيرا مورفي؟». ظهرت أمامها امرأة شابة، نحيفة، شقراء بثوب ضيّق أسود.

ولأن كيرا لا تعلم إلى أيّ مدى يمكنها أن تجيد الكذب، فإنّها تحوّطت في رهاناتها. كانت قد احتفظت باسمها الأوّل لكنّها تبنّت اسمًا ثانيًا مزوّرًا: مورفي، وهو اسم عائلة شخص من كلّ اثنين على هذه الجزيرة، وبدا أنّه خيار سليم. وكانت قد اتّخذت المقاربة ذاتها مع سيرتها الذاتيّة، معدّدة وظائفها الحقيقيّة حتى الأخيرة منها- متخصّصة في خدمة الزبائن في بلو وايف، والتي تُترجم تقريبًا بأنّها موظّفة ثانويّة في مركز اتصالات لصالح شركة رحلات بحريّة- لكنّها زعمت أنها ما تزال تعمل فيها، وأنّه توصيف عمله الراهن، فيما كانت، في الحقيقة، تعمل منذ نحو ستّة أشهر في تنظيم أنشطة سلسلة فنادق. ولم تكلّف نفسها عناء اختلاق أيّ دراسة جامعيّة.

«نكاد نكون جاهزين لكِ»، قالت الشقراء. «لو جئتِ معي، فسأصطحبك إلى فوق».

وقفت كيرا، جمعت أغراضها، وشرعت في اللحاق بالشقراء إلى مجموعة المصاعد، محاوِلةً تجاهل ضربات قلبها العاصفة في صدرها، والتي كانت تدوّي، إلى درجة خشيت معها من دخول المصعد وإقفال بابه لكي لا تتمكّن المرأة الأخرى من سماع ضرباته أيضًا.

«لا تتوتّري»، قالت المرأة. «فهو لطيف جدًّا».

«هو؟».

فتح باب المصعد، وولجتا إليه.

«كينيث بالف». وضغطت الشقراء على زرّ الطابق الرابع. «إنّه المدير الإداريّ. ويحبّ أن يجري المقابلات بنفسه، حتى بالنسبة إلى موظّفي الإدارة».

كينيث بالف.

كي بي استوديوز.

ارتخت ركبتا كيرا وهبط جسمها إلى جانب المصعد.

لماذا، بحقّ الجحيم، لم تربط الأمور بعضها ببعض من قبل؟

لأنّها كانت منشغلة جدًّا بالتركيز على أوليڤر سانت لدجر. وهو، بكلّ تأكيد، يعمل هنا، ويبدو أنّ صديق شقيقه يملك المكان.

قطّبت الشقراء حاجبيها. «هل أنت بخير؟».

«نعم، بخير، شكرًا». ابتسمت كيرا ابتسامة ضعيفة. «علاقتي مع المصاعد ليست على ما يرام».

«أوه، كان عليكِ أن تقولي».

«لا، لا. لا بأس».

«في أيّ حال، نكاد نصل».

أشارت رنّة إلى أنّهما قد وصلتا.

انزلق الباب وفُتح ليكشف عن منطقة استقبال أخرى تقع خارج باب من زجاج مزدوج نُقش عليه كي بي استوديوز بحروف مذهّبة. كان هناك أريكتان رماديّتان موضوعتان على شكل زاوية حول طاولة قهوة تناثرت عليها منشورات مصقولة، فيما برّاد ماء يكركر في إحدى الزوايا إلى جانب نموذج مصغّر لمبنى مكاتب. وبدت أشجاره المنمنمة أشبه بكرات قطنيّة ناعمة رُشّت بالطلاء الأخضر.

«اجلسي»، قالت الشقراء. «سأبلغه أنّك هنا».

امتثلت كيرا وراقبتها تختفي عبر الباب الزجاجي. استطاعت أن ترى في ما وراءه ما يشي بأنّه مساحة مكتبيّة مفتوحة، وأناسًا يدورون في المكان. وهي أبعد من أن تتمكّن من التمعّن بوجوههم كما يجب، لكن...

وقعت عيناها على صورة مؤطّرة معلّقة على الجدار قرب الباب.

إنّها صورة رجل في أواخر خمسيناته، وأوائل ستّيناته، وجهه على بعض من احمرار، يبتسم، ويستلم قطعة من الزجاج المنفوخ من امرأة في ثوب سهرة برّاق. ويبدو تمامًا كما كان يمكن أن يبدو كن بالف الذي وجدته على إنستغرام بعد بضعة عقود من الزمن.

لا شكّ في أنّ الرجل الذي سيجري معها المقابلة هو كينيث بالف الأب. لم يكن مراهقًا وقت الجريمة، بل رجل بالغ. رجل راشد كان ابنه المراهق صديقًا لشقيق أحد القاتلين.

فكّرت في أنّ ذلك ما سيجعله، في أغلب الظنّ، قادرًا على تذكّر الأشياء منذ ذلك الزمن. بما في ذلك الشخصيّات الثانويّة، كأفراد العائلة الآخرين، على سبيل المثال.

ومن الممكن أن يتذكّرها هي.

لا يمكنها أن تخاطر بمقابلته. عليها أن تخرج من هنا.

التقطت كيرا حقيبتها وهمّت بالمغادرة، في الوقت الذي أدركت فيه أنّ الباب الزجاجي للمكتب يتمايل فاتحًا وراءها. حبست أنفاسها، واعتقدت أنّ المرأة الشقراء جاءت لاصطحابها، وانتظرت مناداتها باسمها.

لكن، ما من منادٍ.

لا يمكنها المخاطرة بانتظار المصعد، فشرعت، بدلًا من ذلك،

بالهرولة نزولًا على الدرج. اندفع الدم في أذنيها، وأجفلتها طرقة كعبيها الجليّة على الرخام. بلغت سفرة الدرج الأولى واستدارت للشروع في نزول الدرج التالي...

حينذاك رأته.

كان يقف عند أعلى الدرج، ناظرًا إلى الهاتف في يده. طويل القامة، بعمرها نفسه، تقريبًا. لا مفتول العضلات ولا ليّنها، بل متين، عريض المنكبين. شعره داكن، كثيف وفوضويّ، بطريقة توحي بأنه اعتنى بنفشه ليبدو كذلك.

أوليڤر سانت لدجر.

إنّه هو.

إنه هو، إنه هو، إنه هو، إنه هو، إنه هو.

تعرف ذلك بالتأكيد، حتى لو أنّها لا تستطيع، في الوقت نفسه، تصديقه حقًّا.

سمعت، من دون أن ترى، باب المكتب المزدوج ينزلق فاتحًا من جديد، وصوت نسائيّ يقول، «كيرا...؟ أوه»، ثمّ، وبعد لحظة، «أوليڤر، هل صادفتَ امرأة هنا عندما خرجْتَ؟ شعرها بنّي، وترتدي بذلة سوداء؟».

شرع أوليڤر يرفع رأسه، ونظره يرتفع عن هاتفه.

دفعت كيرا بنفسها إلى الأمام، وكادت تخطئ الدرجة الأولى، واستعادت توازنها بشكل أخرق واندفعت بعيدًا عن الأنظار، وكعباها يطرقان بصخب، كلّ المسافة إلى أسفل الدرج.

قبل 22 يومًا

استفاق أوليڤر على الأريكة، وشَعَرَ على الفور بقرصة ألم في عضلة متصلّبة في عنقه. شعر بثقلٍ وخشونة في لسانه، وبقلقٍ وفراغ في داخله. كانت مجموعة من عبوات الجعّة المنبعجة الفارغة قابعة على طاولة القهوة، والضوء في الغرفة أوحى بالصباح المبكر.

ثم سمع الصوت الذي أيقظه: كان هاتفه يرنّ.

فكّر في أنّها كيرا واندفع يبحث عنه يائسًا، مطاردًا الصوت قبل أن يتوقّف، وهو يطرق الوسادات و...

يرسل هاتفه طائرًا على الأرض.

فكّر في أنّه يريد أن يسمع صوتها فحسب. ولا يهمّه حتى ما تقوله.

لكنّ المتّصل كان كِنْ ب.

«كينيث» قال بصوت أثقله النوم.

«ها أنت حيّ إذًا. هذه هي المرّة الثالثة التي أحاول فيها الاتصال بك».

رفع أوليڤر الهاتف عن أذنه ليتحقّق من الشاشة: إنّها تعجّ بالإشعارات بمكالمات فائتة ونصوص غير مقروءة.

سأله كينيث، «هل أنت بخير؟».

«نعم، أنا آه... أعتقد أنّني بالغت في الأمر ليلة أمس».

«لوحدك في المنزل؟».

«أفرطت في شرب الجعّة»، قال أوليڤر. «كان عليّ التوقّف وأنا في البداية. ذلك كلّ شيء».

صمت.

سأله كينيث، «هل أنت متماسك كما يجب هناك».

حمل أوليڤر نفسه على الابتسام، بحيث يسمع الرجل الآخر ذلك في صوته. «نعم، أنا بخير. شكرًا».

«هل اطّلعت على البريد الإلكتروني الذي أرسلناه أمس؟ يبدو أن هذا الحجر سيُمدّد ثلاثة أسابيع أخرى، وتناهى إليّ أنّه قد يستمرّ طوال الصيف. لدينا مشاريع تترنّح على الحافة يمينًا ويسارًا، وهناك شائعة بأنّ غوغل ستنسحب من 'مكتب الفرز'، المبنى الجديد عند أرصفة الميناء، ولو أنها انسحبت فسيثير انسحابها نزوحًا جماعيًّا. نحن بخير في الوقت الراهن، على المدى القصير، لكنّنا لمجرّد سدّ بضع الفجوات في المستقبل القريب نقترح على الجميع عطلة أسبوعين غير مدفوعة، إذا أرادوا ذلك...».

«سآخذها»، قال أوليڤر. فهو لا يمكنه التركيز على العمل في الوقت الراهن، وليس في حالة تسمح له بذلك.

«أمتأكّد أنت؟». سأله كينيث. «قلت غير مدفوعة. سمعت ذلك الجزء، أليس كذلك؟».

«نعم، لا بأس. ومتى تبدأ؟».

ضحك كينيث. «حسنًا، أيّها المتحمّس للعمل. يوم الاثنين عطلة المصارف فما رأيك بأن نقول يوم الثلاثاء؟».

«عظيم».

«اصنع لي معروفًا فحسب وابعث برسالة إلكترونية إلى لويز، أتفعل؟ أبقها على اطّلاع».

«سأفعل».

مشكلة واحدة أقلّ يتعامل معها.

«وأخبرني إن احتجت إلى أيّ شيء. أعرف أنّك بمفردك هناك...».

«لا بأس»، كرّر أوليڤر القول. ثمّ، تحسّبًا أنّه بدا غير ممتنّ بالنسبة إلى كينيث، أضاف، «شكرًا».

«انتبه لنفسك، يا أوللي».

أوللي.

تمكّن أوليڤر من إقفال الخط تمامًا قبل أن يتكسّر شيء في صدره.

الوحيدون الذين ينادونه بهذا الاسم هم أولئك الذين عرفوه منذ ذلك الوقت، منذ ما قبل.

وفي هذه الأيّام، بات الأمر حكرًا على كينيث وريتش فحسب.

تعوّد أن يشعره ذلك بالراحة، أن يشعره بالأمان. أن يتمكّن أشخاص من معرفة الحقيقة كاملة عمّن هو، ويستمرّون مع ذلك بمشاركته في حياتهم، ويستمرّون في محبّته واستحسانه. لكن ذلك يشعره الآن بأنّه محاصر، رجل سجنته إلى الأبد أفعال ارتكبها بنفسه وهو طفل.

أمور قام بها من دون تفكير، بنت اللحظة.

أمور كان يتمنّى في كلّ لحظة من بعدها لو أمكنه التراجع عنها.

ترك أوليڤر الهاتف يسقط على الأرض، وتكوّر على الأريكة وشرع بالبكاء.

اختلج جسمه بالنحيب؛ وفقد الإحساس بالمدّة الزمنيّة التي استغرقها ذلك. بكى حتى شعر بالفراغ، إلى أن توسّل إليه صدره أن يتوقّف.

إلى أن خيّم الظلام في الخارج.

اليوم

هناك مقهى صغير، بحجم الكوخ، في المتنزّه الصغير المقابل للكروسينغز. وهو، تماشيًا مع القيود المفروضة، لا يقدّم إلّا خدمة الطلبيّات الجاهزة من كوّة صغيرة مفتوحة عند الجانب. لكنّ لي أبرزت بطاقتها لتتمكّن من الدخول إلى المكان ومن ثمّ إلى مرحاض بحجم الخزانة مخصّص للزبائن. لمّا ناولها النادل المفاتيح، وجدت لي أنها تستطيع أن تدلّ إلى اللحظة بالضبط التي شمّ فيها رائحة الموت عليها: تداعت ابتسامته، وحلّت محلّها ومضة من الارتباك، تبعها سريعًا انكماش في الأنف وإقفال للفم بشكل مطبق.

«سيستغرق الأمر دقيقة فقط»، قالت له لي، وهي تبتسم بعذوبة.

أنزلت، في الحمّام، غطاء كرسيّ المرحاض وأفرغت أغراضها. كانت، بعد جولتها في المسرح، قد مضت تستجدي المساهمات. تمكّنت من توفير تي-شرت نظيفة من التي تنتجها الشرطة، بقياس كبير جدًّا 3XL، لكنّها تفضّل أن ترتديها كفستان بدلًا من الإبقاء على تي-شرتها. وها هي قد استبدلتهما، وربطت عقدة في حاشية التي-شرت، ثمّ حشرتها داخل سروالها لأنّه لا يُفترض بمفتّشة المباحث أن تظهر بثياب الفتيات المراهقات اللواتي يرتدين ثياب صديقاتهن المقرّبات. كانت قد نشلت رباطًا مطّاطيًّا سميكًا من حافلة الأدلّة الجنائيّة؛ واستخدمته الآن لجمع شعرها في عقدة في قمّة رأسها، بعيدًا من وجهها وخارج متناول فتحتي أنفها. كما نشلت رزمة رعاية

أخرجتها الشرطيّة أوهرليهي من علبة قفازات في سيّارة دوريّتها وهو ما سيشكّل نعمة الإنقاذ لها.

كانت رزمة الرعاية عبارة عن حقيبة صغيرة ذات سحّاب، من الحجم الذي يقدّمونه لك في المطارات، وتحتوي على شامبو؛ جلّ للحمّام؛ بخّاخ يحتوي على مزيل للرائحة نسائي، بالحجم المستخدم في السفر؛ أنبوب صغير يحتوي على معجون أسنان مع فرشاة؛ فوطتين صحّيتين؛ رزمة بحجم الجَيْب من المناديل المضادة للبكتيريا؛ ولوح شوكولا ملفوف بورقة مذهّبة. وكانت الشرطيّة أوهرليهي قد شرحت بأنها تصنعها بنفسها، وبأنها تحتفظ دومًا ببعضها في سيّارتها، وبخاصة في دواماتها الليليّة، لأنّ تلك هي الفترة التي تتجّه فيها للقاء الأشخاص الأكثر عرضة للخطر.

وما جرى اليوم بالضبط أنّها وفّرت الإحراج على مفتّشة مباحث تفوح منها رائحة من كان يرقص رقصة هادئة مع جثّة متعفّنة.

سجّلت لي في ذهنها أن تدعو أوهرليهي إلى احتساء كأس.

و/أو تمنحها قسيمة حسم في محلّات بوتس.

نظّفت أسنانها- لا خسارة في ذلك- ورشّت مزيل الرائحة في كلّ مكان، بما في ذلك فوق شعرها. اعتصرت نصف عبوة جل الحمّام في راحة يدها، وأضافت الماء لتحصل على الرغوة ثمّ دهنتها على كلّ وجهها وعنقها وساعديها. ندمت على ارتدائها التي-شرت التي بات عليها الآن حرف داكن من الرطوبة حول قبّتها. كان عليها، حقًّا، أن تبدأ بهذا الجزء أوّلًا. جفّفت نفسها بكمشة من ورق الحمّام الذي سرعان ما تكتّل والتصق، وأكلت نصف لوح الشوكولا لأنّها لم تكن بعد قد تناولت أيّ طعام اليوم.

لمّا انتهت لي، أنبأتها المرآة الصغيرة فوق المغسلة بأنّ مظهرها مريع للغاية، لكن، على الأقل، لم تعد الرائحة تفوح منها.

أو، في الواقع، لا، إذ تفوح منها رائحة أشياء كثيرة- Fresh Cotton، Eucalyptus Revive، Zesty Blast- لكن، على الأقل، ليس لأيّ منها رائحة التحلّل المتقدّم.

حشرت تي-شرتها في سلّة المهملات بجانب المغسلة، وهمّت بالمغادرة، ثمّ شعرت بالسوء وعادت لتربط عقدة في رأس كيس القمامة حتى لا تنبعث رائحة التي-شرت الكريهة خارج الحمّام.

حاولت ألّا تفكّر كم كانت الأمور لتسوء لو أنّها لم تكن ترتدي عدّة الوقاية كلّها هناك. قال توم إنّه لم يشمّ أيّ رائحة تنبعث منها عندما خلعا بزّتيهما، لكنّها ما كانت لتثق بأنف ذلك الرجل لأنّه مهما يكن فإنه ربّما اكتوى منذ زمن بعيد.

عندما عاودت تسليم المفاتيح إلى النادل، حرصت على تجاهل الطريقة التي جحظت بها عيناه وهو ينظر إلى حالتها. اشترت كوبي كاپوتشينو لتأخذهما معها إلى الجانب الآخر من الشارع، بدافع من الشعور بالذنب أكثر منه أيّ شيء آخر.

كان كارل ينتظرها بجانب السيّارة ممسكًا بحاسوب محمول رفعه عندما رآها تقترب. فكّرت للحظة أنّه ربّما كان يخص لورا مانّيكس، وكانت على وشك تهنئته على فعل العجائب في الشقّة رقم 14، فيما كانت هي في الشقة رقم 1، لكنّه قال، عندما بلغته، «شريط المراقبة فيه». ثمّ، «يا للعنة، ما الذي حلّ بكِ؟».

«أعتقد أنّه بدأ منذ عشرين عامًا عندما فكّرتُ، أتعلمين ماذا؟ أعتقد أنني سأتقدّم بطلب الانضمام إلى الشرطة». ورفعت لي القهوة. «أجاهز أنت لجولة جديدة؟».

«ما أريده فعلًا هو بعض الطعام».

«معي في جيبي نصف لوح من الشوكولا».

«منذ متى؟ لأنّه لو كان معك في الجولة على مسرح الجريمة، فلا، لا بأس».

«هل أصابك حظّ معها فوق؟».

«لا حظّ على الإطلاق»، قال كارل. «انغلقت على نفسها بعد مغادرتك، ورفضت التفوّه بأي مزيد. لكنّني بحثت في غوغل عن لويس لاين. ليست مقدّمة سابقة لبرنامج Crimecall ولا شيء من ذلك».

«حظيتَ إذًا بنصف ساعة منتجة، أذلك ما تقوله لي؟».

«كيف كان مسرح الجريمة؟».

«أسوأ من ذي قبل. لكن إليك هذا: يعتقد توم سيرسون أنّ الفتى قد يكون غرق».

«غرق؟ اعتقدتُ أنّك قلتِ إنّه كان على أرضيّة الحمّام؟».

«وهو كذلك. يعتقد توم أنّ المرشّة كانت تعمل وأنّ نحو إنشين من المياه تجمّعت في المنخفض حول البالوعة. الفتى كان غائبًا عن الوعي لكنّه يتنفّس، ووجهه إلى الأسفل، واستنشق ما يكفي منها ليغرق».

«يا إلهي»، قال كارل. «يا لها من طريقة للموت».

«وهناك مزيد: أوقف أحدهم الماء. يمكن أن يكون هو، وربّما لم يكن. لكن إليك المفارقة الحقيقيّة: نُظّفت الشقّة بأكملها».

«تبًّا. أتعتقدين أنّه يمكن أن تكون...؟».

«أعتقد»، قالت لي. «لنشاهد شريط المراقبة هذا».

استقرّا في السيّارة في الوضعين السابقين: الأبواب مفتوحة، كارل في مقعد الراكب ولي وراء المقود، وكوبا القهوة على لوحة القيادة.

وازن كارل الحاسوب على ركبتيه، فتح الغطاء وشغّله. «يقول السيّد إنستَشام إن الأيقونة يجب أن تكون هنا على سطح المكتب...». وحرّك سبابته عبر اللوحة.

«السيّد من؟».

«وكنت تسخرين منّي لأنني لم أستوعب لويس لاين؟ إنه الفتى في شركة إدارة الملكيّة. رجل حساب إنستغرام السخيف. إذًا، كيف سنقوم بهذا؟».

«بأسرع طريقة ممكنة. ماذا لدينا؟».

«آه... تسع عمليّات بثّ مختلفة، كما يبدو».

«أعتقد أنّ البهو هو رهاننا الأفضل»، قالت لي. «لنبدأ من هناك ونشقّ طريقنا رجوعًا بدءًا من هذا الصباح».

«لديّ تلك الموجّهة إلى الداخل والموجّهة إلى الخارج».

«إلى الداخل، من فضلك».

«ذلك ما كانت قد...».

«إياك حتى أن تجرؤ».

بعد بضع نقرات وضغطات وضع كارل الحاسوب في زاوية يمكنهما منها المشاهدة معًا.

بدأ عرض فيديو ملوّن عالي الجودة بسرعة كبيرة وملء الشاشة. إنّه بث كاميرا البهو المركّزة فوق البوّابات الأماميّة، تُظهر البوّابات المؤدّية إلى الخارج، إلى الباحة، وعلب البريد.

ارتشفا قهوتيهما وشاهدا السكّان يأتون ويذهبون، وكان مسار نور الشمس على الأرض- إضافة إلى الساعة في أسفل الزاوية اليمنى للشاشة- يرصد الأيام فيما الفيديو يشتغل.

إنّها عمليّة بطيئة، وقد فرغت القهوة قبل وقت طويل من رؤيتهما أيّ ما يثير الاهتمام، منذ ما قبل خمسة أيّام.

«هنا»، قالت لي، مشيرة بإصبعها. «شغّل إلى الأمام بالسرعة العاديّة».

شاهدا دخول شخصيّة مألوفة إطار الصورة.

«حسنًا، حسنًا، حسنًا»، قال كارل. «من لدينا هنا؟».

إنّها لورا مانّيكس واقفة في البهو في الكروسينغز، تنظر عبر البوّابات الرئيسيّة.

قامت بذلك لفترة، كما لو أنّها تنتظر شخصًا لم يأتِ. ثمّ استدارت، ودسّت، بسرعة كبيرة، شيئًا في علبة بريد الشقة رقم 1.

تحرّكت خارج اللقطة، صوب المصاعد عائدة، ربّما، إلى الطابق العلويّ.

«هاك مغلّفنا»، قالت لي. «كم كانت الساعة عندها؟».

«آه... الحادية عشرة والربع تقريبًا. يوم الاثنين الماضي. لم تحسن إخفاء وجهها عن كاميرا المراقبة، أليس كذلك؟ وقفت قبالة الكاميرا لنتأكّد من أنّنا نرى ذلك».

هزّت لي كتفيها. «ربّما لم تكن تعلم بوجودها».

«هناك كاميرا كبيرة في السقف».

«هناك عدسة واسعة البؤرة قياسيّة على السقف»، صحّحت له لي. «في الزاوية، وماذا بعد؟ لا يفكّر الناس بكاميرا المراقبة في أماكن كهذه، في البهو والمصاعد. وإذا لم تكن تقوم بأيّ عمل خاطئ، فلن تفكّر في ذلك كلّه، أليس كذلك؟». أومأت برأسها صوب الحاسوب. «شغّل».

نقر كارل على أحد المفاتيح.

«تذكّري»، قال، «ما تزال أمامنا ثمان وأربعون ساعة إضافيّة».

كان عليهما أن يسرّعا الشريط عبر خمس أخرى منها قبل أن يشاهدا لورا مانّيكس من جديد: خارجة من الرواق من اتجاه الشقة رقم 1، لتعود وتعبره، بعد ذلك بلحظات.

«حسنًا، حسنًا...» شرع كارل بالقول.

«واحدة كانت كافية. توقّف هنا ودعنا نشاهد بالسرعة العاديّة».

شاهدا الأحداث بالترتيب الزمني، حيث كانت لورا مانّيكس قد مضت عبر الرواق إلى الشقة رقم 1 ولم تعد إلّا بعد حوالى ربع ساعة. لم يبدُ أنّها تحمل شيئًا، لكن كان معها حقيبة يد صغيرة معلّقة بسلسال يتدلّى بشكل مائل على صدرها، كما لو أنّها في طريقها إلى مكان ما.

وكما في السابق، عندما تحرّكت خارج اللقطة، لم يكن ذلك للخروج من البوّابات الأماميّة أو التوجّه إلى الباحة، بل للعودة صوب المصعد الذي يصعد بها إلى جانب سكنها من المبنى.

سألت لي، «أكان ذلك يوم الاثنين صباحًا؟ العاشرة أو ما شابه؟».

«التاسعة واثنتان وخمسون، تحديدًا. وعندما تعود إلى البهو، سيكون صاحبنا قد مات بالتأكيد، أليس كذلك؟».

«أتوجد زاوية أخرى؟ واحدة نستطيع منها رؤية باب الشقة رقم 1؟».

ضغط كارل على بضعة مفاتيح ومرّر سبابته على لوحة التتبّع.

«ها نحن ذا. مخرج الحريق في نهاية الرواق».

كانت الكاميرا، هذه المرّة، موضوعة في زاوية السقف فوق مخرج الحريق المؤدّي إلى الخارج، وعلى بعد بضع أقدام فقط من الشقة رقم 1. الباب في حدّ ذاته خارج زاوية الرؤية ويوجد تحت خط رؤية الكاميرا، لكنّ أيًّا من يدخل الشقّة أو يخرج منها سيكون مرئيًّا بوضوح.

«عار على الأيّام السبعة»، قالت لي. «عندما يكون لدينا لقطة جيّدة عن ذلك».

«ها هي».

شاهدا معًا فيما لورا مانّيكس تذهب إلى باب الشقة رقم 1، تتردّد لحظة أو اثنتين، ثمّ تدلف إلى الداخل.

«تلك الكاذبة الصغيرة العاهرة»، قال كارل.

تنهّدت لي بقوّة. فقد أخذت تشعر بعبء النهار- وهذه القضيّة- بالرغم من أنّه لم يمضِ عليها سوى بضع ساعات في كلّ منهما.

«لكنّها لم تقتله»، قالت. «كان عندها ميتًا بالفعل».

«كيف تعرفين أنّها ليست زيارتها الثانية؟ ألا يعود القتلة المتسلسلون دومًا إلى مسرح الجريمة؟».

«كم هي حالات القَتَلَة المتسلسلين التي عملت عليها، يا كارلي؟ لا شكّ في أنّها كانت في أيّام عطلتي».

«صفر-فاصلة-صفر-صفر»، قال، وهو ينقر على صدغه، «لأنّهم لم يصلوا معي مطلقًا إلى الجزء المتسلسل».

شخرت لي. وقالت عندها، «لا أعتقد أن لورا مانّيكس قاتلة متسلسلة. وهل رأيت كيف أنّها دفعت بالباب لفتحه؟ كما قلتُ، إلّا إذا كانت قد تعاطت شيئًا... فنحن لا نستطيع حتى اتهامها بالسرقة. وأشكّ في أنّه كان لديها كذلك الوقت الكافي لمسح السطوح، ولم يكن معها ما تفعل به ذلك. ولو أنّها فعلت ذلك في زيارة سابقة، فلماذا تعود الآن وتخاطر بترك أثر ما؟».

«ولماذا تضع الرسالة في علبة البريد لو أنّها رأت للتوّ جثّته هناك؟».

استدارت لي صوب كارل، رافعة حاجبيها. «نعم»، قالت. «سؤال ممتاز يا كارل».

«أختارُ أن أتجاهل نبرتك المتفاجئة».

«لماذا فعلتْ ذلك؟».

«حسنًا»، قال، «قالت لنا إن ما في داخلها رسالة حبّ حول كيف أنّها لن تقوم بأيّ أمر سيّئ، ولن تسمّيه، وهلمّ جرّا- لكن ماذا لو كانت قد تركت رسائل سابقة ليست على هذا القدر من اللطف، حين لم يجب، مضت لتفقّد الشقّة، ووجدته ميتًا، وكان ردّ فعلها، 'آخ، لقد أفسدتِ الأمر هنا'، فكتبت رسالة لطيفة تعرف أنّه لن يحصل عليها أبدًا، لكنّنا سنجدها، ونستبعدها عندها بوصفها مصدر أيّ قلق في حياته، لأنّ رسالتها له كانت على قدر كبير من اللطف».

وعندما انتهى، أدار كفيّه بحركة مبالغة.

«فخور بنفسك يا كارل؟».

«فخور بالفعل»، قال. «فخور جدًا».

«لعلمك، أعتقد أنّك قد تكون على حقّ».

شاهدا ما تبقّى من فيديو المراقبة لكنّهما لم يجدا شيئًا آخر مثيرًا للاهتمام. وباستثناء لورا مانّيكس، لم يبدُ أنّ أحدًا دخل الشقة رقم 1 أو غادرها في أيّ وقت في خلال الأيّام السبعة الأخيرة.

أقفل كارل الحاسوب المحمول وجلسا في صمت مؤنس لنصف دقيقة، يهضمان كلّ شيء.

سألت لي، «كيف عثَرَتْ عليه؟ من كان مُخبِرها السرّي؟ ذلك ما أريد أن أعرفه. أوه». تذكّرَت الشوكولا فسحبته من جيبها، وتجهّمت حيال

المادة اللزجة التي شعرت بأنّها تخور تحت أصابعها عبر الغلاف المعدنيّ. لوّحت به لكارل. «آسفة. ربّما أردتَ أن...».

«أعطني إيّاه. طعمه سيبقى ذاته وهو ينزل».

عادا مجدّدًا إلى الصمت، أو ما يشبه الصمت، لأن كارل يحدث صوتًا وهو يمضغ، حتى عندما لا يكون هناك كثير لمضغه.

ثمّ طرأ أمر للي.

«أيّهما شقّة كي بي استوديوز الأخرى؟».

قال كارل شيئًا يشبه، «ماذا؟». شوّهه فمه المليء بالطعام.

«أيّهما شقّة كي بي استوديوز الأخرى؟». كرّرت لي القول. «إنّهم يستأجرون اثنتين، أتذكر؟ أيّهما الأخرى؟ أيّ رقم؟».

«لا أعرف، لماذا؟».

«لأنّها مملوكة من كلب جار صديق شقيق أوليڤر سانت لدجر أو مهما يكن. معرفة تعود، ربّما، لسنوات. بل وربّما...؟». وانتظرت ليستوعب كارل ذلك.

فأنهاه بالقول، «وصولًا إلى 2003. يا للفتاة الذكيّة».

«هل حصلنا على شيء من الجولات بين الشقق؟».

«أستطيع أن أتحقّق».

«لماذا لا تعاود الاتصال بصديقك كينيث بالف؟ اسأله، سيكون ذلك أسرع».

مسح كارل أصابعه الدبقة على سرواله، وقالت لي بسخرية، «سنحلّ تاليًا قضيّة السبب في بقائك أعزبَ». فردّ عليها كارل، «وبعد ذلك سنبحث سبب بقائك عزباء»، قبل أن يأخذ هاتفه من جيبه، وينقر على الشاشة ويضعه على أذنه.

كان صوت الآلة مرتفعًا بما فيه الكفاية لتسمع لي من دون اللجوء إلى خيار التحدّث عبر المذياع.

«ألو، نعم؟».

«سيّد بالف، أنا الرقيب المحقّق كارل كونيللي من جديد. لا مزيد من الأخبار، بل مجرّد سؤال لك، إذا كنت لا تمانع».

«أوه، لا بأس».

«قيل لنا إن كي بي استوديوز تستأجر شقّتين في الكروسينغز. نعرف أن إحداهما هي الشقة رقم 1. هل تعرف رقم الثانية؟».

«الرقم 14»، أجاب كينيث. «لكن الموجود هناك في هذا الوقت ليس أحد موظّفينا، إنّها صديقة للعائلة. حسنًا، صديقة زوجتي، في الحقيقة. إنّها ممرّضة، لكنّها تقيم مع والديها العجوزين اللذين يُفترض أنّهما عزلا نفسيهما، فعرضنا عليها أن تقيم هنا لأن الشقّة فارغة في أيّ حال. في الواقع إن زوجتي هي التي عرضت، وأنا أنفّذ ما يُطلب منّي. زوجة سعيدة تعني حياة سعيدة، تعرف ذلك بنفسك».

ابتسم كارل للي.

حرّكت فمها لتشتمه بلا صوت.

«هل يمكن أن تعرف اسمها؟». سأله كارل.

سُمع صوت خشخشة في الطرف الآخر من الخط.

«دعني أسأل زوجتي، إنّها في الغرفة الأخرى. لكنّني أعتقد أنها قالت إن اسمها لورا...».

قبل 61 يومًا

كانت كيرا تحلم بميل ريفر. فهي لا تمتلك كثيرًا من الذكريات الواضحة عن المكان لكنّ عقلها الباطني يملأ التفاصيل، جاعلًا من النهر جدولًا مائيًّا متدفّقًا أكثر منه شيئًا آخر، ومبطّنًا مجراه بالحصى الصغيرة، ومزيلًا الأشجار عن ضفّتيه، بحيث يمكنك أن ترى المياه من العقار، ويمكنك أن ترى من خلال المياه مباشرة الأطراف البيضاء القابعة...

هاتفها يرنّ.

وفي غشاوة شبه النوم، مدّت كيرا يدها إلى منضدة السرير لتتناول الهاتف الذي تشحنه دومًا طوال الليل، لكن لا وجود للهاتف ولا للمنضدة.

حين فتحت عينيها، وقعتا على مشهد غير مألوف: غرفة جلوس صغيرة ملأى بالأثاث غير المتناسق، جدران بيض قذرة تحتاج إلى طبقة جديدة من الطلاء، ونور الشمس يتدفّق عبر ستائر رقيقة كالورق. بدا أنّها مستلقية في وسط سرير ذي ملاءات لم تتعرّف إليها، الأمر الذي لا معنى له إلّا أن... فارقتها الدرجة الأخيرة من النوم مثل انقشاع الغيوم في السماء، وتذكّرت.

لم تكن تستطيع تحمّل نفقة الإقامة في فندق والاستمرار في دفع إيجار منزلها، فعثرت على بديل أرخص عبر «Airbnb». كان المالك لطيفًا بشكل مفاجئ، سعيدًا بتلقّي دفعات نقديّة وبتأجير المكان من أسبوع إلى أسبوع؛ واستنتجت أنّه لم يكن الموسم، وهو ربّما كان سعيدًا بأيّ مستوى من مستويات الإشغال. ثمّ إنها استلمت المفتاح واكتشفت

الحقيقة: كانت الصور على موقع الإنترنت قد التُقطت من زوايا جيدة للغاية وكان ذلك الشخص محظوظًا على الإطلاق بالحصول على من يدفع أيّ مبلغ من المال للإقامة هناك.

كان الرنين آتيًا من المطبخ الصغير، المنزوي بعيدًا في الجانب الآخر من الغرفة. رمت كيرا الأغطية إلى الخلف، وهرعت صوب الصوت لتجد هاتفها يهتزّ بغضب على سطح منضدة الفورمايكا.

شيڤ، قالت الشاشة.

تبًّا.

عرفت كيرا أنّه سيكون عليها، عاجلًا أم آجلًا، أن تبرّر خيارها لشقيقتها، لكنّها كانت تأمل أكثر بالشقّ المتعلّق بِـ«آجلًا».

«ألو؟». خرج صوتها أجشَّ وجافًّا. حاولت من جديد، وكانت النتيجة أفضل قليلًا. «ألو؟».

«آه، أنت حيّة إذًا»، قالت شيڤان بحدّة. إنّها في الخارج، واستطاعت كيرا أن تسمع صوت حركة السير وخفق الهواء. «انهضي ودعيني أدخل. أنا في الأسفل. هل جرس بيتك معطّل أم ماذا؟ فأنا أضغط عليه منذ دهور».

لم تستطع كيرا أن تفكّر بأي يوم أحد آخر ظهرت فيه شقيقتها، من دون أن تعلمها، عند باب مدخلها، لكنّها فعلت ذلك بالتأكيد اليوم. لا شكّ في أنّ المرأة تمتلك حاسة سادسة.

«لست هناك»، قالت كيرا. «أيفترض بي أن أكون؟».

«وأين أنت، بحقّ الجحيم؟».

«في دبلن».

«في دبلن؟».

«لديّ مقابلة عمل».

«مقابلة عمل؟».

«أستكتفين بتكرار كلّ ما أقوله، يا شيڤ؟».

«نعم، إلى أن تقولي لي ما الذي يجري بحق الجحيم».

«حظيتُ بفرصة»، قالت كيرا بتمعّن كانت قد تدرّبت عليه لكنّها تحتاج إلى تفادي أن يبدو كذلك. «لدينا ملكيّة جديدة ستفتتح هنا في الصيف وكانوا يبحثون عن شخص من منظّمي المناسبات ليكون ضمن فريق الافتتاح. تقدّمت بطلب منذ أشهر. وكنت، في الحقيقة، قد نسيت أمره إلى أن بعثوا إليّ ببريد إلكتروني في الأسبوع الماضي. لا أستطيع أن أرى نفسي أقبل بالوظيفة، ليس الآن على الخصوص، بسبب الوالدة. لكنّني تصوّرت أنني أستطيع مع ذلك أن أمضي قُدُمًا، من أجل تحصيل خبرة. المقابلة هي أوّل شيء سأجريه صباح الغد، لكنّني جئت أمس من أجل، كما تعرفين...».

«استغلال الحسم الذي يحصل عليه الموظّفون؟».

لا يصبح ذلك نافذًا إلّا بعد أن تكون قد عملت في الشركة على مدى اثني عشر شهرًا. وما دام ذلك هو تفسير سهل، قالت كيرا، «تمامًا. نعم».

مرّت لحظة.

«هل أنت متأكّدة من الجزء المتعلّق بعدم القبول بالوظيفة؟». سألتها شيڤان. «بسبب الوالدة وغير ذلك...».

«أنا متأكّدة»، قالت كيرا. «ولكن، لماذا كنت تريدين زيارتي؟».

«لأنّني ارتكبت خطأ شرب ليتر من القهوة قبل أن أخرج للمشي».

«اذهبي واشتري قهوة أخرى عند الزاوية، ميلليز. يمكنك استخدام المرحاض هناك».

«أعتقد أنّه سيكون عليّ ذلك. الوضع حرج».

أنهت كيرا المكالمة، وشعرت على الفور بالذنب لأنّها كذبت على شقيقتها. تمنّت لو كانت تستطيع إخبارها الحقيقة، وأن الحقيقة هي التي في صدد ملاحقتها.

لكنّ شيڤان لا تريد حتى أن تسمع اسم أوليڤر سانت لدجر، ناهيك بأن كيرا كانت تؤدّي دور المحقّق على الإنترنت وقد انتقلت الآن، مؤقّتًا، إلى مدينة أخرى لترى إذا كان في الإمكان أن تلتقيه عرضًا أو عن قصد، وتطرح عليه الأسئلة عن ذلك النهار، ذلك الذي أحدث صدعًا في قلب العائلة.

لتكتشف هول ذلك النهار الكامل، مهما يكن.

فربما تتمكّن عائلتها- أو من تبقّى منها- من أن تنعم ببعض السلام.

لكن تبيّن أن الكذب صعب. فقد أبلغت رئيسها في العمل أنّها تحتاج إلى بضعة أيّام، عطلة شخصيّة، بسبب حالة والدتها الصحّية المتدهورة، وها هي تقول لشيڤان إنّها جاءت إلى دبلن من أجل مقابلة عمل لا وجود لها. وهي حتى لم تقارب أوليڤر سانت لدجر بعد، وتشعر بوجود خيوط عدّة تتمسّك بها، وتحتفظ بها في رأسها مباشرة.

لن تتمكّن من القيام بهذا. فهي لم تُخلق لهذا النوع من الأمور.

عادت كيرا إلى الغرفة الرئيسيّة وإلى تشكيلة من الحاجيات الموضوعة على الأريكة. كانت قد وضّبت حقيبة لليلة واحدة فقط لكنّ العودة إلى كورك للإتيان بمزيد من الحاجيات غير واردة؛ فهناك كلفة

بطاقة قطار أخرى، إضافة إلى أنّها متيقّنة في الأساس، وبشكل مطلق، بأنّها إذا غادرت دبلن الآن، فلن تعود أبدًا.

وهي بالكاد تجرّأت على البقاء.

وتعرف أنّها لا تملك ما يكفي للسفر عائدة إلى هنا من جديد.

وعليها بالتالي أن تمضي للتسوّق بميزانيّة محدودة للغاية. وكان متجر پنيز الضخم في شارع أوكونل قد وفّر ثيابًا إضافيّة وأدوات زينة ودفتر ملاحظات. وقد أخذت دفتر الملاحظات الآن وفتحته على صفحة جديدة ودوّنت لائحة بالنقاط الرئيسيّة التي قالتها لشيڤان.

من باب الاحتياط.

كان عليها أن تذهب إلى مكان آخر للعثور على الأشياء الأخرى التي تحتاج إليها؛ إلى مكتبة Eason's للحصول على الشريط الأزرق وآلة التغليف. إلى متجر Three في شارع غرافتون لخطّ هاتفها المسبق الدفع. وإلى متجر القرطاسيّة قرب مكتب أوليڤر لطباعة بطاقة التعريف الجديدة بها.

كان هناك فتى في حوالى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة يعمل على الصندوق في ذلك الوقت. سلّمها المغلّف ببطء شديد، محدّقًا إليها وقد علت وجهه نظرة غريبة. قالت كيرا، «إنّها من أجل حفلة تنكّريّة»، وقد حاول عند هذا الحدّ- وفَشِلَ- في التصرّف كأنّه لا يملك أيّ فكرة عمّا تشير إليه.

توجّهت من ثمّ إلى متاجر خيريّة في شارع ساوث غرايت جورج لشيء لم تكن تدري أنّها ستحتاج إليه.

تصادف أنّها كانت تمرّ في المكان في طريق العودة من شارع أوكونل عندما رأته في الواجهة يقوم بترتيب فنّي كجزء من عرض في

موضوع موحّد. يبدو أن طفحًا من التبرّعات في موضوع الفضاء جرى في الآونة الأخيرة، وكان المتجر ينتهز الفرصة. كان هناك صاروخ ساترن 5 من الليغو، وقد انتصب بالفعل بجانب علبته الأصليّة؛ بالإضافة إلى كدسة من سِيَر حياة روّاد الفضاء؛ وملاءة، وكوب، وتي-شيرت تحمل شعار ناسا، وحقيبة قماشية صغيرة، يظهر عليها مكّوك فضاء يطير من فوق ناطحات السحاب، كانت ممهورة بشعار، «إنترپيد». وقد تبيّن، بعدما بحثت كيرا عنه في غوغل في هاتفها، أنّه متحف على حاملة طائرات في نيويورك.

لم تعرف كيرا أيّ شيء على الإطلاق عمّن هو أوليڤر سانت لدجر الآن، وعرفت قليلًا جدًّا فقط عمّن كانه فيما مضى. وسيكون عليها أن تخمّن إذا كانت تريد وضع لائحة بالأشياء التي تهمّه، ولا تستطيع التخمين بالفعل إلّا بشيئين. الرُغبي، بناءً على صورة تعود إلى ما يقارب العقدين في نشرة المدرسة، وسيكون عليها أن تفترض، أنّ مركز الاحتجاز في أوبرستاون لم يوفّر فرصًا كثيرة لممارسته. والفضاء، بناءً على التي-شيرت التي كان يرتديها يوم ارتكاب الجريمة، تلك التي انتهى بها الأمر وقد تلطّخت بدم شخص آخر.

ليس مرجّحًا أن يكون أيّ من هذين الشيئين ما يزال يؤدّي أيّ نوع من الأدوار في حياة أوليڤر سانت لودجر. لكنّ ذلك كان كلّ ما لديها، وهي لا إلمام لها البتّة بالرُغبي. وتستطيع على الأقل تلفيق مسألة الفضاء؛ أن تقرأ بضع صفحات في ويكيبيديا، وتعاود مشاهدة أپوللو 13.

ولا يعني مجرّد أنّك تهتمّ بذلك، أن تعرف كلّ تفضيل عنه؛ ليس عليك أن تكون استحواذيًّا. تستطيع أن تكون ذلك النوع من الأشخاص الذي يهتمّ بما فيه الكفاية ليشتري لنفسه تذكارًا بعد قيامه بزيارة أحد المتاحف.

شيء عمليّ، يسهل حمله، يُعرض من دون أن يبدو صارخًا.

على أمل أن يشكّل منطلقًا للمحادثة.

أعدّت كيرا لنفسها كوبًا من الشاي، والتقطت أحد مشترياتها: الصحيفة التي ابتاعتها أمس ولم تستطع قراءتها بسبب النعاس. فتحتها الآن، من فوق كدسة من الأشياء الموجودة على الأريكة، وتفحّصت عنوان الصفحة الأولى:

تأكيد أوّل إصابة إيرلندية بڤيروس كورونا.

قبل 21 يومًا

حمل أوليڤر نفسه على النهوض من الأريكة ومضى إلى المطبخ حيث وقف إلى المجلى وشرب أكوابًا عدّة من الماء من دون أن يشعل أيّ ضوء. معدته تزمجر وتضطرب، لكنّه يفتقر إلى أيّ شهيّة. ملأ كوب الماء من جديد، ومضى إلى الحمّام لتناول أحد الأقراص.

ثم توقّف للحظة في الحمّام، أمام الخزانة، ممسكًا بيده رزمة الأقراص.

الأقراص فتّاكة ومميتة، إذا لم تلتزم بمقدار الجرعة. إنّها ما يجب عليك القيام به عندما تنفد كلّ الخيارات الأخرى، لأنّها قويّة للغاية. ولهذا فهو لا يتناولها إلّا مرّة في الشهر، ولا يتخطّى مقدار الجرعة مطلقًا.

بدأ الآن يحصي الأقراص: سبعة عشر في الرزمتين.

لم يعرف كم مضى عليه من الوقت، لكن...

أعاد أوليڤر دسّها في خزانة الأدوية وأقفل بابها بحزم. ليس ذلك خيارًا. لم يجرّبها بالقدر الكافي، لكنه سُرّ عندما لم تجدِ نفعًا. حلّ دائم لمشكلة مؤقّتة، ذلك ما يقوله دان في العادة قبل أن يضيف، هذه أيضًا ستمرّ.

لكن، هل تمرّ فعلًا؟

ذهب إلى غرفة النوم ووجد السرير مرتّبًا، الأمر الذي لم يستطع استيعابه في البداية. لكنّه عاد وتذكّر: لم يدخل إلى هنا منذ صباح الأربعاء، وصباح الأربعاء كانت كيرا ما تزال هنا. لا بدّ من أنّها رتّبته. مدّ يديه عبر الملاءات محاولًا استشعار أثرٍ لحضورها الآخذ في التحلّل. لا يوجد شيء هناك.

تسلّق السرير، وطوى نفسه تحت الملاءة، متخيّلًا أنّه يشعر بذراعيها تطوّقانه بشدّة وتحفظانه، وحَلُمَ بنهر بارد وبعينيّ صبيّ صغير تنظران إليه، وتطرحان عليه السؤال نفسه المرّة تلو المرّة.

لماذا تفعل بي هذا؟

اليوم، كما بالأمس لم يعرف أوليڤر.

أجبر نفسه، في يوم السبت، على الخروج من السرير وجال في المطبخ بحثًا عمّا يأكله، ليس لأنّه جائع بل لأنّه لم يعد يستطيع أن يتحمّل الكركرة المتواصلة لعصائر معدته. وجد علبة مفتوحة من حبوب الإفطار وشرع في تناولها جافة بقبضة يده، وهو واقف. وفي كلّ مرّة كانت دفعة من السكّر تبلغ مجرى دمه، كان مزيد ومزيد من البيئة المحيطة به يخرج من ضباب إرهاقه ويأخذ شكلًا صلبًا.

الستائر مقفلة، بالرغم من أنّه منتصف بعد الظهر. والمطبخ مليء بكؤوس الماء الذي لم يُشرب بالكامل، وبقايا غداء منذ يوم الأربعاء؟ هل كان ذلك موجودًا هنا منذ الأربعاء؟ والهواء عفن ورائحته غريبة، أشبه برائحة الحليب الفاسد. عليه أن يقوم بالتنظيف، لكنّه يشعر بثقل في أطرافه. وكلّ ما يريده هو العودة إلى السرير.

غير أنّ ما يريده في الحقيقة هو التحدّث مع كيرا، لكنّ ذلك ليس خيارًا.

إلّا إذا استطاع أن يقنعها بالعودة، وبالاستماع له لبضع دقائق فحسب. أن تدعه يشرح ما في نفسه بعدما تكون الصدمة قد انحسرت الآن بشكل من الأشكال. من الطبيعيّ أن يكون ذلك ردّ فعلها، وما كان ليتوقّع أيّ شيء آخر. لكن ربّما الآن، بعد مرور بضعة أيّام، وقد أخذ الاعتراف بعض الوقت ليفقد حدّته المشحونة...

هاتفه. أين هو؟

دفع جانبًا بمخلّفات سطح العمل في المطبخ، باحثًا عنه، إلى أن عثر عليه تحت كتيّب إرشادات أصدرته الحكومة حول كوفيد-19، وكان مظلمًا وبطّاريته منتهية. وبحث مرّة أخرى ليعثر في مآل الأمر على الشاحن؛ عاد إلى غرفة النوم ووصله بالكهرباء قرب السرير.

ماذا يفترض به أن يقول لها؟ أيّ كلمات يمكن أن تقنعها بالعودة والحديث معه؟

عند صوت الطنين الذي يشير إلى أنّ الهاتف تلقّى ما يكفي من الشحن لإعادة الطاقة إليه وتشغيله، التقطه وشرع في طباعة رسالة نصيّة لكيرا. خاض في عدد من المسوّدات والحذف، لكنّه استقرّ في النهاية على: أعرف أن الأمر انتهى لكنّني لا أريده أن ينتهي بهذه الطريقة. أيمكننا أن نتحدّث؟ يمكننا أن نلتقي في مكان عام إذا كنت تفضّلين.

انتظر الإشعار باستلام الرسالة، لكنّه لم يأتِ.

مرّت دقيقة.

اثنتان.

تساءل، هل حظرته، أم أن هاتفها مطفأ فحسب؟ غامر بالاتصال بها وحصل على جوابه: انتقل فورًا إلى المجيب الآلي.

لم يترك رسالة. وتقلّب بدلًا من ذلك، ودلف تحت الملاءات، وأغمض عينيه، وهو يطلب يائسًا أن يأتيه النوم وينقذه من عذاب أفكاره، من حقيقة هذا الوضع، وما قد يعنيه بالنسبة إلى مستقبله، ومن تحسّره.

غفا في النهاية.

وحلّ الظلام من جديد.

صوت رنين عدواني وإلكتروني، وفي غير محلّه.

انتفض أوليڤر مستيقظًا، جلس في الظلمة وفكّر، هاتفي. لكنّه ليس هاتفه، إنّه الجرس يخرج صوته بتدافع من جهاز الاتصال الداخلي في البهو.

أحدهم هنا.

أربكه الضوء. كم الساعة الآن؟ أي يوم؟ شعر بأنّه مترنّح ومشوّش، وبأنّه انتُزع من زمن ورُمِيَ به في زمن آخر.

هل جاء كينيث؟ يشكّ في ذلك. وهو ما يعني، في الحقيقة، أنّها قد تكون فحسب...

قفز أوليڤر من السرير، لكن جسمه لم يكن مستعدًّا لذلك، فتعثّر وسقط بقوّة على باب خزانة الثياب، ما سبّب ألمًا حادًّا منبعثًا من مرفقه الأيسر في كلّ الاتجاهات.

رنّ جرس الاتصال الداخلي من جديد.

جاهد للوقوف على قدميه، وهرع خارجًا إلى البهو.

إنّها هي.

استطاع رؤيتها على شاشة الفيديو المربّعة الصغيرة.

«كيرا»، قال، ضاغطًا على زرّ فتح البوّابة، غير عابئ بأنّ اسمها خرج من فمه وهو يبدو ممتنًّا بشكل مثير للشفقة، ومفعمًا بالأمل اليائس.

صوتها يخرج بشكل معدنيّ من مكبّر الصوت: «أيمكنني الدخول؟».

«بالتأكيد. بالتأكيد. بالتأكيد».

غابت عن النظر على شاشة الفيديو، وسُمع صوت تكّة فيما فتحت البوّابة الخارجيّة.

مضى أوليڤر ليفتح باب مدخله ووقف عند عتبته، وهو يمسك به بإحدى يديه مفتوحًا، ويقف في مواجهة الممشى. حاول وهو ينتظر، أن يُعيد اليقظة إلى وجهه وقد فركه.

ما الذي سيقوله لها؟ ما الذي ستقوله له؟ لم يظهر على وجهها أي تلميح وهي تدور عند منعطف الممشى، أقلّه إلى أن بلغته، وقطّبت جبينها قلقًا.

سألته، «هل أنت بخير؟».

فكّر في أنّ ذلك واعد. في أنّها تهتمّ.

«أنا لم أنم كما يجب»، قال وقد شعر بثقل في لسانه.

«منذ رأيتك فيها آخر مرّة، بحسب ما تبدو عليه الأمور».

«نعم، حسنًا». وابتلع بصعوبة. «هل ستدخلين؟».

«كنت أنوي ذلك. علينا أن نتكلّم، لكن...». وتردّدت. «لا أعتقد أنّك في أي حالة مناسبة لذلك، في الوقت الحاضر».

«أنا بخير»، قال محتجًّا.

«يمكنني أن أرى أنّك لست كذلك. تبدو في حالة يُرثى لها، وحدقتا عينيك بحجم الصحن». توقّفت لبرهة. «هل كنت تشرب؟».

هزّ برأسه، لا. «أحتاج إلى النوم فحسب. لكنّني بخير في الوقت الراهن. ادخلي...».

«تحتاج لذلك بالتأكيد».

«أرجوكِ».

مرّت برهة.

«انظر»، قالت عندها، «لماذا لا تذهب إلى السرير، وتحظى بليلة نوم جيّدة؟ سأعود في الغد، ويمكننا عندها أن نتكلّم».

أصابته لطافة صوتها في الصميم. هو لا يستحقّ ذلك. هو لا يستحقّها.

«حسنًا»، قال، «لكن هل ستبقين؟».

استغرقها ما بدا أنّه دهر حتى تقرّر.

«حسنًا، لكن لأتأكّد أنّك ستأخذ قسطًا من الراحة. وسأكون على الأريكة».

دخلا، وأغلق الباب وراءهما.

«ما هذه الرائحة؟». قالت وهي تجعّد أنفها.

كلّ ما استطاع أن يشمّه كان هي، الشيء الذي تضعه في شعرها وله رائحة البحر والأيّام المشمسة. فكّر في ذلك اليوم في المتنزّه، وهي ممدّدة بجانبه، لا يشاهدان شيئًا إلّا السماء الزرقاء ولا يسمعان شيئًا إلّا خفقات قلبيهما.

قادته بلطف إلى غرفة النوم، وأشارت إليه بالصعود إلى السرير.

«هل عدتِ؟». قال. «أيمكنكِ بأيّ حال أن تحبّيني؟».

لم تتكلّم، وأغمض عينيه قبل أن يتمكّن من رؤية الجواب على محيّاها.

سمع الستارة تنزل، وكعبي حذائها وهي تعبر الأرضيّة، والتكّة الناعمة لباب غرفة النوم وهي تغلقه بهدوء وتقول، «سنتحدّث في الصباح، مفهوم؟».

قبل 56 يومًا

«تفضّلي»، كانت أوّل كلمة يقولها لها على الإطلاق. إنّه وقت الغداء يوم الجمعة، وهو اليوم الخامس الذي تتبع فيه أوليڤر إلى «تسكو» المقابل لمبنى مكتبه، وهي ترجّح على ذراعها الحقيبة القماشية التي تحمل رسم مكّوك الفضاء، وتدّعي أنّها مجرّد موظّفة مكتبٍ أخرى تشتري أيضًا وجبة غداء تفتقر إلى المخيّلة. إلّا أنّها فقدت أثره اليوم في مكان ما في الداخل، ثمّ إنّها كانت قد التقطت، وهي مشتّتة الذهن، قنّينة ماء من النوع الذي أضيفت إليه نكهة فاكهة ذات حلاوة سقيمة. ولا تستطيع أن تتحمّل إنفاق المال على التفاصيل؛ فهذه ستكون في الواقع غداءها. ثمّ إنّها توقّفت عند كومة من بيض الفصح (الفصح؟ بالفعل؟)، متسائلة إذا كان يمكن أن تزعج نفسها بالعودة وإبدالها. وكان عندها أن رفعت نظرها وشاهدته، واقفًا على بعد أقل من خطوتين، مفسحًا لها في المجال للانضمام إلى الطابور أمامه.

لم يسبق أن اقتربت منه إلى هذا الحدّ، ولم تتمكّن أبدًا من النظر إليه مباشرة. لم يسبق لها أن شعرت بحضوره قبل الآن.

فكّرت في أنّه لن يمكنها القيام بذلك. فهي غير قادرة عليه.

علت وجهه نظرة غريبة. تكان تكون مترقّبة. كما لو أنّه... يتحدّاها؟ هل يعرف من هي؟ يعرف ما تخطّط لفعله؟ تشعر كما لو أنّ دافعها الحقيقي معروض بشكل سافر، ومكتوب في كلّ أنحاء وجهها. لو أمكنها أن تتماسك فحسب، وتخصّص دقيقة واحدة لتتحضّر...

فكّرت في أنّها ستعود من جديد، يوم الاثنين.

ستكون عندها أكثر استعدادًا.

«لا بأس»، قالت وهي تشرع في الاستدارة. «أدركت للتوّ أنّني حصلت على القنّينة الخطأ».

استدارت كيرا وتوجّهت عائدة إلى البرّادات، وهي تشعر بعينيه تلاحقانها وهي تبتعد.

وبخفقات قلبها تنبض بالوعد.

أخذت وقتها في إبدال الماء، ثمّ سارت إلى آخر خلفيّة المتجر، وتظاهرت بالبحث عن شيء ما، قبل أن تذهب إلى الصندوق وتعاود الانضمام إلى الطابور أمامه.

ذهب منذ وقت طويل.

وشعرت أخيرًا بأنها تستطيع التنفّس من جديد.

حين خرجت سمعت صوتًا يقول، «حقيبة جميلة».

إنّه هو. واقف عند المدخل، وينظر إليها مباشرة. كان السندويش الذي ابتاعه للتوّ مدسوسًا تحت إبطه، وقد أخذ في الانسحاق تحت الضغط. تعلو وجهه تلاميح ابتسامة مشوبة بأمر آخر لم تستطع تبيّنه بسهولة.

توقّفت، «ما...؟».

«حقيبتك»، قال، مشيرًا إلى الحقيبة القماشية التي تحمل شعار ناسا.

اعتبرت ذلك علامة.

فبسبب القيود المفروضة على التقارير الصحافيّة، كانت التفاصيل في المقالات التي عثرت عليها شحيحة، لكنّها خصّصت كلّها عمودًا للإشارة

إلى واقع أن الصبيّ «ب» كان قد خبّأ تي-شيرت ملطخةً بالدماء تحمل شعار ناسا في كيس للقمامة داخل جعبة تحت سريره. كانت جدّته قد اشترته له. وقد حاجّ فريقه القانوني بأن ذلك يثبت أنّه لم يكن يريد أن يؤذي پول كللهر، وأنّه لم يكن يريد ذلك، لكن بعدما فعل شاين ما فعله، جاء أوليڤر لمساعدة الصبيّ.

«شكرًا»، قالت. «إنّه من الإنترپيد. إنّه متحف في...»

وأكمل، «نيويورك. هو ذلك الموجود على حاملة طائرات، أليس كذلك؟ هل زرتِه؟».

كان ذلك منذ سبع عشرة سنة، كان طفلًا، وهو ربّما لم يكن حتى يحب أمور الفضاء. ربّما كانت جدّته تلعب لعبة التخمين. لكنّ ذلك هو كلّ ما لديها، ثمّ إنّها، لمّا شاهدت الحقيبة القماشية في واجهة المتجر الخيري...

لكن تبيّن أنّه كان يحبّ (أمور الفضاء).

وما يزال.

«نعم»، قالت. «مرّة واحدة».

لا يمكن أن يكون قد زار المكان، وما كان ليزوره. كانت قد تحقّقت: لم يكن مكّوك الفضاء المعروض هناك قد أضيف حتى العام 2012، وهي تفترض أنّه لا يمكن أن يكون قد سافر إلى الولايات المتحدة منذ خروجه من أوبر ستاون، لأنّه سيكون عليه أن يعلن لدوائر الهجرة عن أنّه كان مدانًا. وبالنسبة إلى الطيران المباشر من إيرلندا، فإن على ذلك أن يحصل في المطار من هذه الجهة؛ فلأميركا مراقبون من وزارة الداخليّة في دبلن وشانّون. وما كان حتى ليصعد إلى الطائرة.

وسيكون من السهل جدًّا أن تخطئ في ذكرياتها عن زيارة واحدة قامت بها منذ فترة من الزمن.

سألها، «هل استمتعتِ؟».

تردّدت كيرا. إنّها اللحظة. اللحظة التي عليها فيها أن تتّخذ خيارها.

يعتقد الناس أن القرارات التي تتّخذها والتي تغيّر مسار حياتك هي القرارات الكبرى؛ عروض الزواج؛ الانتقال من منزل لآخر، طلبات التوظيف. لكنّها تعرف أنّ القرارات الصغيرة، اللحظات الخاطفة، هي التي تحدّد مسار حياتك فعليًا.

لحظات كهذه.

وهي تريد الحقيقة عمّا كان قد جرى في ذلك اليوم، من أجل والدتها قبل أن ينفد وقتها. فهي لم تعد أبدًا كما كانت بعد ذلك اليوم المشؤوم، بعد الطرقة على الباب التي كشفت عن رجلين غريبين في الخارج بلباس الشرطة، أحدهما ببزّة داكنة، وكلاهما يبدوان متأسّفين وجدّيين.

أخشى أنّنا نحتاج إلى طرح بعض الأسئلة عليك.

حطّم ذلك شيئًا في روح أمّها لن يمكن إصلاحه أبدًا، وقد أخذ من يومها يزداد تحطّمًا.

يتعلّق الأمر بصبيّ محلّي مفقود. پول كللهر.

لكن كيرا تريد الحقيقة أيضًا لنفسه.

ربما كان الأمر لا يزعج شيڤان- أو ربّما كانت شقيقتها تحسن الادعاء بأنّه لا يزعجها- لكن بالنسبة إلى كيرا، فإن عدم المعرفة هو معاناة. كان لكلا الصبيّين رواية مختلفة؛ وفي كلّ رواية كان الآخر هو زعيم العصابة، القاتل الحقيقي، البذرة السيّئة التي بدأت ذلك كلّه. وكان للشرطة رواية ثالثة: لا يهمّ من كان البادئ، لأن كليهما أسهم في موت الصبي.

هل شاين موجود؟ أيمكنك الطلب منه النزول؟

نظر المحلّفون في كلّ شيء- السرعة التي تراجع فيها أوليڤر عن أكاذيبه، دموع العذاب التي ذرفها في التحقيقات، تي-شيرت الناسا الملطّخة بالدم- وقرّروا أنّ ما حصل إنّما حصل لأنّ شاين تولّى القيادة. وربّما ساعد في ذلك واقع أنّ عائلتها أقامت في منزل في ميل ريڤر مخصّص للحالات الاجتماعيّة، وأنّ والدها كان واحدًا من العاطلين عن العمل منذ فترة طويلة، وأنّه، قبل أن يحدث أيّ من هذا، كان شاين قد كافح للتركيز في المدرسة وقد تم تأخيره سنة. وفي غضون ذلك، شغلت عائلة أوليڤر واحدًا من ستّة منازل منفصلة فقط، تقع عند زاوية العقار وتضمّ هكتارًا إضافيًّا، ووالداه طبيبان وكان كاهن الرعيّة أحد الذين أوصوا به. بل إنّه بدا أيضًا بمظهر أفضل؛ نظيف، مرتّب، ووسيم بالمقارنة مع بدانة شاين الشاحبة وحَبّ الشباب الأحمر الغاضب الذي يبدو كأنّه مرشوش على وجهه. حَكَمَ القاضي على شاين بعقوبة لا تقلّ عن عشرين سنة، ووعد أوليڤر بالخروج عندما يبلغ الثامنة عشرة، أي بعد أقلّ من خمس سنوات وفق عمره عندها.

استطاعَتْ كيرا أن تتذكّر الجمود الغريب الذي خيّم على المنزل بعد ساعات من الحكم، وكيف كانت مستلقية على السرير القابل للطيّ في غرفة شيڤان لأنّها، وعلى مدى أشهر، كانت تعجز عن النوم في غرفة وحدها، وهي تعرف أن كلتيهما مستيقظتان تمامًا، وتحدّقان إلى الظلمة.

سألتْ شقيقتَها، «ماذا حصل؟».

«شقيقك قتل أحدهم»، جاءها الردّ الصريح.

من يومها وكيرا تشعر، كلّما اقترب منها أحد، بشيء يضيّق الخناق في داخلها، شيء حاد وخطر، أشبه بمصيدة الدببة. وهي تخشى من أن

يكون شيء في روحها يتربّص بها، جزء منها مجهول حتى لنفسها، شريط شائك مظلم في حمضها النوويّ يمكنه أن يجعل أمورًا مروّعة تحصل إذا سنحت الفرصة.

كيف لها أن تتأكّد من أنّها ليست مثله؟

احتفظت على هاتفها بلقطة هي كناية عن اقتباس يُفترض بأنّه لأبراهام لينكولن: الانضباط يعني أن تختار بين ما تريده الآن وبين ما تريده أكثر ما يكون. ربّما صحّ ذلك، لكنّ الانضباط لم يكن مشكلتها على الإطلاق. بل إنّ الخوف هو ما تتصارع معه وتعتقد أنّ الشجاعة هي أن تختار بين ما تريده الآن وما تريده أكثر ما يكون، لأنّ ما تريده الآن هو أن تبتعد، أن تقفل الموضوع، أن تصدّ الأبواب، أن تنسحب. أن تبقى في المكان الذي تشعر فيه بالسلامة والأمان. وهو، في هذه اللحظة ليس في أي مكان قريب من دبلن، أو كي بي استوديوز، أو أوليڤر سانت لدجر.

لكنّها تحتاج إلى معرفة ما حصل في ذلك اليوم.

ما حصل بالضبط.

من كان شاين عندها وما كان. من وما قد يكونه الآن، لو أنّه كان قد عاش.

وهنا فرصتها.

«نعم»، قالت. «لكنّه ليس بجودة مركز كينيدي للفضاء».

قبل 18 يومًا

عندما استيقظ أوليڤر، كانت غرفة النوم مضاءة بشمس الصباح الباكر، وكان هناك شيء مختلف في شأنها. رفع نفسه على مرفقيه، ونظر من حوله. فكّر في أنّها كانت أكثر فوضى في الليلة الماضية؛ لم تعد هناك الآن ملابس مرميّة على الأرض. وأصبح الهواء خاليًا من أيّ رائحة وقد فُتحت النافذة واستطاع سماع زقزقة العصافير في الخارج. كان شاكرًا لكوب الماء الذي وجده على طاولة السرير وتجرّعه بنهم، محاولًا طرد الجفاف اللاذع الذي يغلّف حلقه.

أصوات في المطبخ: مياه جارية، مضخّة آلة القهوة، رنين ملعقة في داخل كوب.

إذًا أمضتْ الليلة الماضية هنا. الليلة بطولها.

أمِلَ في أن تكون تلك إشارة طيّبة.

ارتدى أوليڤر ثيابًا جديدة، وهو يدرك تمام الإدراك أنّه لولا ذلك لكان سيرتدي الثياب نفسها لليوم الرابع على التوالي. أجفله الألم في مرفقه وتذكّر، بتشوّش، أنّه كان قد صدمه بشيء في الليلة الماضية.

نظّف أسنانه بسرعة ورشق وجهه بالماء في الحمّام قبل أن يذهب إلى الغرفة الرئيسيّة للقائها.

«صباح الخير»، قال.

«صباح الخير».

كانت جالسة على الأريكة، تشرب قهوتها. بل كانت جاثمة عليها بالفعل، وظهرها منتصب كالشيش. بدت مشدودة ومتأهّبة.

لم يكن متأكّدًا إذا كانت هناك مشكلة، أم لا، في أن يجلس بقربها، فتحوّط وجلس على الأريكة، لكن في الجهة المقابلة تاركًا مساحة كبيرة بينهما.

سألته، «كيف تشعر؟».

«لا بأس».

«هل نمت؟».

فكّر، ليس تمامًا. كان قد تقلّب واستدار، وتمدّد مستيقظًا في الظلمة، بالرغم من أن كلّ جزء منه كان مثقلًا بالإرهاق، وكانت عيناه تخزانه وصدغاه يخفقان. ومع أنّ كلّ ما كان يريد القيام به هو الخلود إلى النوم، فإن جسمه، لسبب من الأسباب، لم يكن يسمح له بذلك.

«حصلت على قليل منه»، قال. «حظيت بإغفاءة. أين ذهبتِ في خلال نهاية الأسبوع؟».

«إلى البيت. وأين كان يمكنني الذهاب غير ذلك؟ تذكّر أنّه يوجد حَجْر».

ليس متأكّدًا من أنّه يتذكّر مع كلّ الأمور التي تحصل.

سألها، «كم الساعة؟».

انحنت لتنقر على هاتفها، مضيئة الشاشة.

«السابعة والخامسة والثلاثون»، قالت. «يوم اثنين الفصح».

كان قد نسي ذلك أيضًا.

هناك جزء منه يودّ الاستمرار على ما هما عليه. يتحدّثان كما لو أنّهما معلّقان في وهم.

لكن على جزء أكبر منه أن يطرح السؤال. عليه أن يعرف:

«هل عدتِ؟».

لم تجب على الفور. بل انحنت وتنهّدت: «في الحقيقة لا أعلم ما أنا، يا أوليڤر».

خاطر بالاقتراب أكثر.

«أعرف أنني لا أستطيع قول ذلك كفاية، لكنّني آسف. لم أرد أن أكذب عليك، لكنّني لم أجد طريقة أخرى. لو أخبرتك منذ البداية، لو عرفتِ...».

«هل ستؤذيني؟».

تراجع كما لو أنّها صفعته. «ماذا؟».

«لا يمكنك لومي على السؤال».

«كيرا، لن... أبدًا...».

«لكن كيف لي أن أعرف؟ لا أعلم ما أنت قادر عليه، أليس كذلك؟ وكنت أقيم معك ولم يعرف أحد مطلقًا أنّني كنت هنا. اللهمّ إلّا بالنسبة إلى صحافيّة، كما تبيّن. وبالمناسبة، ماذا بشأنها؟ ما الذي نحن فاعلان؟».

بعثت عبارة «نحن» ببالون من الأمل يرتفع في قلبه، لكنّ تَذَكُّر لورا ثقبه على الفور.

قال، «لا يمكنها، قانونًا، طبع اسمي».

«وماذا عن صورتك؟».

هزّ برأسه، «هويّتي هي المحميّة؛ وبالتالي فإن أيًّا ما يؤدّي إلى كشفها...».

هزّت كيرا رأسها ببطء، كما لو أنّها تفكّر بهذا.

«أعرف أنّه يصعب كثيرًا استيعاب ذلك»، قال أوليڤر. «أريدك أن

تعرفي - وأنا ربّما الشخص الوحيد في كلّ البلاد الذي يمكنه قول هذا- أنّ هذين الأسبوعين الأخيرين... كانا الأسعد في حياتي».

صمت.

حبس أوليڤر أنفاسه.

وفي النهاية قالت كيرا بلطف، «وفي حياتي أيضًا. لكنّني الآن... لا أعرف الآن ما أفعل، أو أفكّر».

«ليس عليك أن تسامحيني»، قال. «اعرفي ذلك. وكونك معي لا يعني التغاضي عمّا فعلته. لن آخذ الأمر على ذلك المحمل. تعرفين أنني لا أتغاضى عنه، بل على العكس من ذلك. لكنّه حصل منذ زمن بعيد. وأنا أتحمّل مسؤوليّته- وقد تحمّلت المسؤولية، وأمضيت فترة عقوبتي. وأعيش، في كلّ يوم، مع الندم على بعد الظهر ذلك، وسأظلّ أعيشه حتى يوم مماتي. لكنّ ذلك لا يغيّر ما لدينا، ما كان لدينا في تلك الأسابيع القليلة الماضية. عندما كنتِ هنا، تلك الليلة الأولى التي أتيتِ فيها، شعرتُ...». عادت الغصّة إلى حلقه. حاول ابتلاعها وفشل. «أريد الشعور بذلك من جديد، يا كيرا. أتمنّى لو نستطيع. أخبريني ماذا عليّ أن أفعل. أخبريني ماذا تريدين أن تسمعي منّي حتى تبقي».

نظرتْ إليه عندها بطريقة ذكّرته بذلك اليوم الأوّل عند القناة، بالليلة الأولى هنا في هذه الغرفة، وبكل الصباحات من بعدها...

اقترب منها.

أخذها بين ذراعيه، ضغط وجنته على وجنتها، ووضع رأسه على كتفها.

وبأعجوبة، تركته يفعل.

شعر، ببطء ولكن بتأكيد، أنّها تركت جسمها يسترخي في جسمه، وشعر بذراعيها تحيطانه، وشعر بضغط يدها على ظهره.

كان خائفًا جدًّا من أن يتحرّك، حتى لا يتوقّف ذلك، ويختفي.

وعندما تحدّثت كان صوتها مكبوتًا على صدره.

«لا أعرف ماذا أفعل».

همس، «ألا نستطيع تلمّس طريقنا عبر هذا؟».

كادت هزّة رأسها تكون غير ملحوظة.

تجرّأ على إيجاد شفتيها بشفتيه. تردّدت في البداية ثمّ تجاوبت، وشدّته نحوها، وبادلته القبلة.

إنّه يوم غريب بالنسبة إليهما يدور كلٌّ منهما حول الآخر كأنهما يمشيان على بيض، غير متأكّدين ممّا يشعران به في كلّ لحظة، قلقين من ألّا يكون الشعور هو ذاته.

كان خائفًا كثيرًا من أن يسألها إذا كانت ستبقى في تلك الليلة، خائفًا من أن تفكّر في أنْ عودتها كانت غلطة، وأنّه لا يمكنها أن تكون معه، وأنّها لا تطيق حتى النظر إليه. وكانت أحيانًا تستدير نحوه وتشهق كما لو أنّها على وشك أن تقول شيئًا، ثمّ تبدّل رأيها.

وكان أوليڤر يحاول، طوال الوقت، أن يتجاهل مشكلته الأكثر إلحاحًا. فهو لم يحظَ بليلة نوم كما يجب على امتداد خمسة أيّام. وكان ذلك يؤثّر عليه سلبًا.

استطاع أن يشعر بنفسه ينتقل إلى المرحلة الأكثر خطورة، تلك التي يحاول في العادة تحاشيها: عندما تشرع قوى غير مرئيّة في إلغاء نسيج

الواقع، عندما يبدأ بسماع ورؤية أشياء ليست موجودة في الحقيقة. ثمّ هناك الأوقات التي قيل له إنّها تدعى النوم المصغّر *microsleep* - عندما يغفو بشكل لاإرادي، ولبضع لحظات في كلّ مرّة- وهو ما يؤشّر في العادة إلى أنّه أخذ يبلغ نهاية الخط، وأنّه يمتحن حدود قدرته، وإذا لم يتصرّف بسرعة فقد تسوء الأمور كثيرًا.

لا يريد الآن أن ينسحب إلى النوم، لأنه في اليوم الذي عادت فيه كيرا، أصبحت الأمور بينهما حسّاسة للغاية ودقيقة. لكنّه إذا لم ينم، يمكن أن يخرّب كلّ شيء عن غير قصد. وهكذا، بعدما أخذت الشمس تنسحب من السماء، اعترف لها بأنّ عليه أن يتناول واحدًا من أقراصه.

«أوه»، قالت، وقد بدت خائبة الأمل. «أيجب أن أغادر؟ يمكنني العودة...».

«لا. لا. يمكنك البقاء. أقصد، إذا أردتِ ذلك».

«ماذا يحصل عندما تتناول قرصًا؟».

«أتعطّل». وابتسم. «ذلك ما في الأمر».

«وستكون، إذًا، بخير تمامًا في الغد؟».

«سأكون مترنّحًا قليلًا»، قال. «لكنني سأشعر مئة في المئة بأنّني أقلّ من شبيه الزومبي».

ابتسمت له الآن، للمرّة الأولى منذ كشف الحقيقة، وبدا الأمر كأنّه مِبْرَدٌ مغروس في صدره.

أخذ يدها. «شكرًا، على عودتك، ولأنّك ما تزالين هنا». انحنى وقبّلها، قبلة خفيفة ولكن طويلة، على الوجنة.

عندما تراجع، رأى أن عينيها مغرورقتان بالدموع.

«كيرا...» شرع في القول.

«آسفة»، قالت وهي تمسحها. «أنا أيضًا لم أنم فعلًا في الأيّام القليلة الماضية. أعتقد أنّ باستطاعتي أن أحظى أنا الأخرى بليلة نوم جيّدة».

لوّح بيده، مشيرًا إلى غرفة النوم. «لا أمانع إذا نمت على السرير. يمكنني النوم هنا».

«لا، لا. لا عليك». أمسكت يده، وشدّت عليها. «أتريد أن تتناول الطعام أوّلًا أم...».

«من الأفضل ألّا أفعل».

«يمكنني أن أطلب شيئًا. أو أهرع إلى جورجيز».

قال، «مفاتيحك ما تزال على طاولة البهو».

«شكرًا. سأحاول أن أكون هادئة».

«لا داعي حقًّا. يمكنك أن تقيمي حفلة صاخبة هنا ولن أسمعها. فهذه الأشياء تسقطني تمامًا بالضربة القاضية».

مضى أوليڤر إلى المطبخ ليصبّ كوبًا من الماء على المجلى، ثمّ إلى الحمّام ليتناول قرصًا. ووفق تجربته، تحتاج هذه الحبوب إلى بضع دقائق- ربّما ما يصل إلى عشر- لتعطي مفعولها، ومن المستحسن عند هذا الحدّ أن يأوي الشخص إلى السرير لأنّ المرحلة الثانية تهبط كالستارة، كغرض ثقيل الوزن من علوّ كبير.

وإذا كان واقفًا، فسيسقط، أينما يكن.

يا اللّه، كما هو جاهز لذلك، لهذه الغيبوبة المباركة. يريد أن يكفّ

عن هذا الشعور الفظيع الذي يعيشه. يريد أن يستيقظ في الغد وهو يشعر بالراحة وبالحيويّة ومستعدًّا للشروع في بناء حياة مع كيرا، وأن يبدأ أخيرًا ما تبقّى من حياته، حياته الما بعد.

ابتلع قرصًا.

عاد إلى غرفة النوم، خلع حذاءه وجوربه. ثمّ، ومن دون أن يكلّف نفسه عناء التعامل مع الباقي، سحب الملاءات وصعد إلى السرير. سمع باب غرفة النوم يقفل مع تكّة خفيفة ومن ثمّ صوت التلفاز الخافت.

أغمض عينيه.

وعاود فتحهما.

لديه من هذه الزاوية خطّ رؤية إلى الردهة. حقيبة كيرا موضوعة على الأرض، وهي حقيبة كبيرة من الجلد الأسود، تلك التي لها حمّالتان ولا تقفل من فوق. وهي في العادة تُسقطها على أرضيّة غرفة النوم، لكنّها لم تطأها بقدمها منذ عودتها.

كان ما استرعى انتباهه هو ما يمكنه أن يراه يبرز منها: دفتر ملاحظات مولسكين كبير أسود، تبرز منه زاوية منديل ورقيّ.

يحمل المنديل شعار سايدكار بار مطبوعًا عليه.

إنّها تلك الحانة في وستبوري، التي كانت مكان موعدهما الأوّل. هل أخذته من الحانة في الليلة التي ذهبا فيها إليها، للاحتفاظ به كذكرى؟

كانت فكرةُ أنها اعتقدت في كلّ تلك الفترة من يومها- في الحقيقة بضعة أسابيع فقط، لكنّها تبدو سنوات في زمن الحَجْر- أنّ ما بينهما، في طريقه إلى أن يصير شيئًا، هي ما قد ملأه بدفء ناعس.

رفع رأسه، حبس أنفاسه، واستمع.

باب البرّاد يُفتح ويُغلق؛ كيرا في المطبخ.

دفع أوليڤر بأغطيته، ونهض ومضى إلى الحقيبة. شعر ببعض الدوار، فأبقى يديه ممدودتين للاستناد بهما إلى الجدار، إذا دعت الحاجة إلى ذلك. وهو لا يخطّط للتطفّل، بل يريد أن يعرف بشكل مؤكّد. يريد أن يتمكّن من أخذ وعد كيرا بالحبّ معه إلى السرير، لضخّه في أحلامه. إذا كانت ما تزال تحتفظ بالمنديل، حتى بعد يوم الأربعاء، وإذا كانت تحمله معها...

يجب أن يكون ذلك علامة جيّدة، أليس كذلك؟

انحنى ليلتقط المنديل، وسحبه.

هناك شيء مكتوب عليه. يبدو أنّها ملاحظات، بالقلم الأزرق.

فرنش 75

حانة نيويورك- ما من لافتة/باب سرّي

طفل وحيد

طرفت عيناه وتحيّر. يبدو أنّها لائحة بأمور تحدّثا فيها تلك الليلة، لكن...

لماذا تدوّن هذه الأمور؟

فكّر أنّها ربّما تحتفظ بمذكّراتها، وتدوّن ملاحظات تساعدها على تذكّر الأشياء إلى أن تسنح لها الفرصة للكتابة عنها، لاحقًا.

انحرفت عيناه عن المنديل في يده إلى دفتر الملاحظات في الحقيبة.

ومن بعدها إلى باب غرفة الجلوس المقفل.

تناول دفتر الملاحظات.

كان مظهره المنتفخ والمجعّد يدل على استخدامه الكثيف. فتحه وقلّب صفحاته. كلّ صفحة ملأى بخطّ يد كيرا.

توقّف عشوائيًّا عند واحدة.

مكاكيك الفضاء

تشالنجر- 86/1/28، عطل في حلقة العزل (باردة)، انفجار لدى تزايد السرعة

كولومبيا- 03/2/1، إصابة في الرغوة العازلة/تضرّر الغطاء العازل للحرارة، احتراق في أثناء العودة

أتلانتس- مركز كينيدي للفضاء في فلوريدا

ديسكوڤري- سميثونيان، فرجينيا

إنديڤور- مركز العلوم في كاليفورنيا

إنتربرايز- إنتربيد، نيويورك (المركبة الاختباريّة)

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

لم يعد يستطيع القول إذا كان التلفاز ما يزال شغّالًا في الغرفة المجاورة، لأنّه لم يعد يستطيع سماع أيّ شيء من فوق التدفّق المدوّي للدم في أذنيه.

قلب الصفحة ووجد قصاصة مربعة من النصّ المطبوع ملصقة عليها. كانت الورقة مصقولة وناعمة، كما لو أنّها من إحدى المجلّات. بدا كما لو أنّها اقتطعت من إحدى المقابلات؛ هناك سؤال مطبوع في الأعلى بالحرف الأسود ومن ثمّ الإجابة المتعلّقة به في الأسفل.

ما هي نصيحتك الأولى لزيارة مركز كينيدي للفضاء؟

لا تفوّت أتلانتس! أحبّ الطريقة التي تُكشف لك فيها من دون توقّع، كالمفاجأة. تدخل إلى تلك الغرفة الشاسعة المعتمة لتشاهد فيلمًا عن برنامج المكّوك، وتعتقد أنّك ستنتقل بعد ذلك إلى غرفة أخرى لتشاهد المكّوك، لكن عندها، في النهاية تمامًا، تختفي الشاشة نفسها في السقف وتجد نفسك تنظر مباشرة إلى أتلانتس، وعنبر الشحن مفتوح بزاوية معيّنة بحيث يبدو في الواقع كأنّه يطير في الفضاء! وبعدما استكشفت كلّ المعروضات في القاعة الرئيسيّة، عدت وشاهدت المجموعة التالية من الناس تتفاجأ بالمكّوك.

قلب صفحة أخرى.

2020 - ترك أيل (كورك)

2017 - التخرجّ من سوانسي

2002 - الانتقال إلى آيل أوف مان (7)

انتقل إلى الغلاف الأخير، حيث كانت ورقة بقياس A4 مطويّة وملصقة عند أحد الطرفين القصيرين. فتحها، وقلب دفتر الملاحظات ليتمكّن من قراءة ما عليها. يبدو أنّها صورة شاشة لملفّ تعريف في لينكدإن لامرأة تدعى كيرا وايز تقيم في دبلن وتعمل في شركة سيروس، لكن صورة التعريف المرافقة هي لشخص آخر.

كان هناك غشاوة تتدحرج الآن من كلّ أطراف دماغه، فتجعل كلّ

شيء غائمًا، مغلقة كلّ الممرّات إلى الخارج، قاطعة كلّ مسارات أفكاره قبل أن تتمكّن حتى من الرسوّ.

إنّه شعور مألوف، يعرف أنّه كيميائيّ.

لا يمكن وقفه.

يعرف هذا، ويريد مع ذلك أن يصدّه، أن يترك مسافة صغيرة صافية في الوسط ليتمكّن من التفكير بشكل سويّ، ليتمكّن من الاستنتاج...

دفتر الملاحظات هذا.

أشياء قالتها له، لكنّها دوّنتها.

مع تواريخ يبدو...

يبدو أنّها احتاجت إلى تذكّرها.

ليست يوميّات، بل...

ورأى، من خلال الغشاوة، كلمتين تبرزان بوضوح.

رواية للتغطية.

احتاجت كيرا إلى رواية للتغطية.

نظر من جديد إلى باب غرفة الجلوس وتساءل من- ماذا- في الحقيقة موجود هناك.

كانت الغشاوة تزداد كثافة، وتدور، وتسيطر. تعثّر قليلًا، واضطرّ إلى مدّ يديه وإسناد كلتا راحتيه إلى الجدار لتمالك نفسه.

إنّها، في النهاية، صحافيّة. تلك ما هي كيرا. ما يجب أن تكون. إنّه التفسير الوحيد.

ما يعني أنّه لا يستطيع أن ينام.

لا يستطيع.

لا.

استدار أوليڤر وسار متعثّرًا إلى الحمّام، وهو يشعر بأنّه مصاب بالدوار، ثمل. وعندما خفض نظره بدت الأرضيّة بعيدة جدًّا تحت قدميه الحافيتين. وهي تتحرّك، والعروق الرخاميّة الشاحبة على البلاط تتحوّل وتدور كالدوّامة...

سقط على ركبتيه، ووضع رأسه فوق المرحاض وغرز إصبعه في حلقه. فات الأوان على وقف مفعول الدواء، لكنّه ربّما تمكّن من تأخيره قليلًا. ما يكفي من الوقت ليفكّر.

ما يكفي ليتصوّر ما يحتاج إلى فعله.

معها.

لكنّ الغشاوة تدور كالدوّامة مشوّشة ذهنه، تشدّ بجفنيه نزولًا. استطاع أن يراها مقبلة نحوه على موجة سوداء.

ماء بارد. يمكنه إبقاء نفسه مستيقظًا بالماء البارد.

رفع أوليڤر نفسه وخطا إلى الدوش- احترق مرفقه بألم جديد؛ من المؤكّد أنّه صدمه- وشدّ ذراع الدوش إلى أن شعر بما يشبه الأمطار الموسمية من النقاط تضرب بشرته. لكنّ الحرارة مضبوطة على مستواها المعتاد- ساخنة وتصير أكثر سخونة- وتجعله يزداد رغبة في النوم. أدار القرص إلى الجهة التي اعتقد أنها ستجعل المياه باردة، لكنّها لا تبرد. لم يحصل أيّ تغيير.

بدأ يشعر كأن يديه منفصلتان عن جسمه، كأنّه يشاهد يدي أحد غيره تتحرّكان، وليست لهما على ما يبدو أيّ سيطرة.

فكّر بالمغسلة. يوجد ماء بارد في المغسلة.

خرج متعثّرًا من الدوش، فصدم جسمه بحوض البورسلان وتفادى بالكاد صدم رأسه بالمرآة المعلّقة فوقه.

فتح الحنفيّة. باردة كالجليد.

حاول ملء يديه المضمومتين بما يكفي ليرشق وجهه.

«أوليڤر؟».

إنّها تقف عند الباب، تحدّق إليه. وهو لا يذكر حتى أنّه استدار.

«ما المشكلة؟». سألته. «ماذا تفعل؟».

بدت كلماتها مشوّهة، كما لو أنّ تقني مونتاج غير مرئي أبطأ سرعة الصوت.

«من أنتِ؟». قال باصقًا من خلال أسنانه.

نظر من حوله بحثًا عن دفتر الملاحظات والمنديل، لكنّه لا يستطيع رؤيتهما.

لا يستطيع أن يتذكّر ما فعله بهما.

«أوليڤر، هل أخذت قرصك؟ أعتقد أنّ عليك أن تكون في...».

شعر بنفسه يتهاوى، وحاول أن يتقدّم خطوة لتثبيت نفسه، مادًّا يده إلى باب الحمّام الذي يأمل أنّه حيث يعتقد أنّه موجود، لكنّه تعثّر وسقط، وحصل اصطدام وألم وجدار يهرع صوبه وصوت زجاج يتكسّر ويسقط ويتحطّم...

عندها صرخت كيرا.

قبل 23 يومًا

«كان مجرّد يوم عاديّ. كنت أسير من المدرسة مع ذلك الصبيّ الآخر في صفّي، شاين، و...».

أحنت كيرا رأسها كي لا يستطيع أوليڤر رؤية وجهها، ولا يتمكّن من الحكم على ردّ فعلها. حافظت على ثبات جسمها ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، وحاولت ألّا ترتجف. حاولت ألّا تبكي.

كيف يفترض بها أن تفعل هذا؟

كيف يفترض بها أن تستمع لذلك ولا تبدي أيّ ردّ فعل، ولا تكشف أنّها تعرفه بالفعل، وأنّه لا يصف ما قام به هو فحسب، بل ما قام به شقيقها هي أيضًا؟

«كان ذلك كلّه لسبب تافه للغاية»، قال. «وكنّا غبيّين. لكن، وفي خلال دقائق، خرجت الأمور كلّيًّا عن السيطرة».

شجّعتها رؤية عينيه تفيضان بالدموع.

تحدّث عن پول كللهر، وكيف تعوّد اللحاق بهما إلى المنزل، وكيف لحق بهما في ذلك اليوم وهو يرشقهما بالحجارة.

«معظمها لم يصب، لكن اثنين منها أصابا حقيبتينا المدرسيّتين ثمّ أصاب أحدها شاين مباشرة على مؤخّرة رأسه. فاستدار صوب پول، واعتقدتُ أنّه سيصرخ عليه أو ما شابه، لكنّه قال بدلًا من ذلك، ’حسنًا، لا بأس. يمكنك المجيء معنا. نحن ذاهبان لرمي الحجارة على سطح الماء‘.

ثمّ رمقني بتلك النظرة، كما لو أنّه يقول... احذُ حذوي. وانطلق يعدو، وتبعه پول، وأنا كذلك».

حاولتْ أن تتخيّل شقيقها يتصرّف بهذه الطريقة، وجرّبت أن تؤدّي المشهد في رأسها كأن بكرة فيلم تعرضه. لكنّها كانت يومها في الثامنة فقط، وتبدو ذكرياتها عن ذلك الوقت زائفة ومعدّلة، كما لو أنّها ملوّثة بصور العائلة ورواياتها التي سمعتها مذّاك. لم تشعر مطلقًا بالثقة بأنّها تستطيع القول من كان شاين فعلًا، وكيف كان يبدو، وكيف كان يميل إلى التصرّف.

«كانت القرية مبنيّة على ضفّة النهر»، قال أوليڤر، «ومن هنا أخذت اسمها».

أعرف.

«كانت المنازل تنحدر نوعًا ما إلى الماء، وكان عليك للوصول إليها أن تتسلّق في الواقع عبر بعض الأشجار».

أذكر.

«وبالتالي ما إن أصبحنا، نحن الثلاثة، هناك، حتى بتنا محجوبين إلى درجة كبيرة عن الأنظار. عندها...». وابتلع ريقه. «كان عندها أن... بدأ شاين، يبرح پول ضربًا. تلك هي العبارة الوحيدة التي يمكنني استخدامها لوصف ذلك. كان شاين قد أعاد سنته، وكان عمره عندها قرابة الثالثة عشرة، وكان پول صغيرًا بالنسبة إلى عمره... لا أذكر كلّ شيء، لكنّني أذكر شاين شامخًا فوق پول، وپول يرفع رأسه للنظر إليه»- تحشرج صوته- «مثل... مثل...» توقّف قليلًا وحاول استعادة رباطة جأشه.

«لم أتدخّل في البداية. وقفت هناك فحسب. لكنّ شاين كان عندها كأنّه يقول هيّا، وكان پول يتلوّى نوعًا ما، محاولًا الإفلات، وشرع عند ذلك الحدّ في البكاء، فذهبت و...»- تحشرج صوته من جديد، وارتفعت نبرته- «لم أتدخّل، بل شاركت. أمسكته من ذراعيه. وثبّته في مكانه. ليتمكّن شاين من الاستمرار... ليتمكّن شاين...».

توقّف وابتلع ريقه بقوّة.

شعرتْ كيرا وكأنّ قلبها ينشطر شطرين، يتمزّق عبر حياكة غير مرئيّة، يتمزّق كالقِطَب. أحد الشطرين مفطور لما فعله شاين، لما كان قادرًا على فعله...

لكنّ الآخر يمتلئ دفئًا، شعورًا، وحتى ربّما حبًّا، حيال هذا القدر من الندم الذي يشعر به أوليڤر في شأنه الآن، وكم أنّه يؤلمه مجرّد رواية القصّة.

فكّرت في أنّه رجل صالح الآن. اتّضح أنّه بات كذلك.

وربّما كان شاين قد بات كذلك أيضًا لو أنّه قطع هذا الشوط.

لقد ارتكبا غلطة رهيبة، رهيبة، أمر تكاد كلمة غلطة لا تكفي حتى للشروع في وصفه. وليس ذلك مثار جدل. لكنّهما كانا ولدين، لم يسبق لهما أن فعلا أمرًا مماثلًا، كانا عاديّين للغاية، ولدين شبيهين بكل الأولاد إلى أن حلّ بعد الظهر الرهيب ذاك.

وها هو أوليڤر الآن لا ينتهك حتى الحدود المفروضة على التجوّل.

وربّما استطاع شاين أن يكون صالحًا.

ربّما أمكن أن يكون كلّ شيء كذلك.

تمنّت كيرا يائسة لو أنّه كان هنا لإثبات ذلك بنفسه. لو أنها تُظهر

ذلك لوالدتها لتزيل عنها الألم الذي شعرت به على مدى سنين طويلة، واللوم الذي أنزلته بنفسها، والمسؤولية التي تحمّلتها عن أفعاله.

ولطالما لامت نفسها.

«كنت والدته»، اعتادت أن تتمتم، ولم تستوعب كيرا ابنة التسع أو العشر سنوات في ذلك الوقت تداعيات ذلك.

بعد وقت قصير، توقّفت والدتها كليًا عن الحديث في الموضوع كلّه.

«... قال شاين لبول، 'سنغسل الدم في النهر'. وعندها عرفت ما سيحصل، ما كان قد قرّر القيام به. شعر جزء مني بأن الفكرة جيّدة، وبأن ذلك ما علينا فعله، ما عليّ القيام به الآن، لمساعدة شاين، لحمايته، ولمنعه من الوقوع في ورطة. لكن جزئي الآخر كان، في الوقت نفسه، ينظر إلى بول، المغطّى بالدم، ويقول: 'حسنًا'، ويتبع شاين بإذعان نزولًا إلى المياه. أراد ذلك الجزء منّي أن يصرخ، 'ما الذي أنت فاعله بحق الجحيم؟ اهرب. اهرب بعيدًا'. لكنّني لم أفعل. لم أقل شيئًا. وبدلًا من ذلك... تبعتهما إلى المياه وساعدت شاين في دفع بول إليها وساعدته في تثبيته فيها. إلى... إلى أن غرق».

صمت.

شعرت كيرا بالسقم. كانت، وعلى مدى سنين عديدة، قد أرادت التفاصيل، والآن وقد حصلت عليها، ستبذل كلّ شيء لردّها.

«جاء رجال الشرطة في تلك الليلة إلى منزلينا»، قال أوليڤر.

كنت هناك عندما وصلوا.

«وحصل كلّ شيء بسرعة كبيرة بعد ذلك».

ما أتذكّره هو أنّ كلّ شيء جرى بتتابع سريع، ضباب طويل رهيب من الدموع والجدالات الهامسة ومنزل هادئ وفارغ كدار لدفن الموتى.

«بعد ذلك، حصل كلّ شيء بسرعة فعليّة. اتُّهمنا وأُرسلنا إلى أوبرستاون، وهي مركز احتجاز للأحداث. خضعنا للمحاكمة. وكان على هويّتينا أن تبقيا سرّيتين، فصرنا الفتى أ والفتى ب. وثَبُتت إدانتنا، لكنّنا حصلنا على أحكام مختلفة استنادًا إلى مدى... تورّطنا. خرجتُ في ذكرى مولدي الثامنة عشرة وشاين... حسنًا شاين انتحر في ذكرى مولده. كان ما يزال لديه، عند هذا الحدّ، خمس عشرة سنة أخرى يقضيها في السجن».

رفعت رأسها عند ذكر انتحار شاين، أملًا منها أن يكون لدى أوليڤر مزيد من المعلومات عنه، وعن سبب قيام شقيقها بمثل ذلك. ما الذي كان قد دفعه، في مآل الأمر، إلى هذا الحدّ المطلق. ولم تكن قد رأته بعد توقيفه، والقليل الذي عرفته عن المدّة التي قضاها في أوبرستاون كانت قد التقطته من تنصّتها على محادثات كانت تجري همسًا.

«أنا لست من نسل الشيطان يا كيرا. لستُ وحشًا مختلًّا. كنت، لخمس دقائق، مجرّد فتى فقد صوابه اللعين. فتى كان، وهو في طريق العودة من المدرسة إلى المنزل، بعد ظهر أحد الأيّام، ارتكب غلطة حمقاء، غلطة رهيبة لأنّه لم يشأ أن يبدو كالجبان أمام صديقه الأكبر سنًّا والأكثر طولًا. كنت في الثانية عشرة. ولا يمكنني محو ذلك، فقمت بثاني أفضل شيء: من تلك اللحظة وصاعدًا، مذّاك، وأنا أحاول التعويض عن ذلك. قمت بكل أمر افترُض بي القيام به. تحمّلت عقابي. كنت سجينًا مثاليًّا. خضعت لكل العلاجات، وانصعت للقواعد. وكنت أفعل كلّ ما يُطلب منّي، وأكثر. ولم أقم، منذ اليوم الذي أطلق فيه سراحي، حتى برمي نفايات في الطريق.

لكن لا يهمّ ما أقوم به لأنّ كلّ ما يفكّر فيه أيّ شخص، كلّ ما يهتمّ له أيّ شخص، هو ما كنت قد فعلته».

اقترب منها أكثر.

خطوة، خطوتين.

«ثمّ التقيتكِ. وأنتِ أحببتني. وعندما أكون معك، أشعر... أشعر أنّني أنا، الأنا التي كان عليّ أن أكونها، الأنا التي كنتها حقًّا، التي أنا. وبالرغم من أنّني عرفت أنّ ذلك لا يمكن أن يدوم، وعرفت أنّك ستكتشفينني في مآل الأمر، ظللت على رغبتي في الاحتفاظ بذاك الشعور، لذا ضللتُ أراكِ. وترافق ذلك عندها، وبما لا يُصدَّق، مع وباء عالمي لعين. وسمعنا بأنّه سيكون حجر، وأنت تقيمين في هذه الشقّة الصغيرة، تعملين من المنزل، وكنتِ قد انتقلتِ للتوّ إلى دبلن، ولا تعرفين أحدًا و...» -هزّ رأسه غير مصدّق- «أنت حتى لا تستخدمين وسائل التواصل الاجتماعي، ففكّرت في نفسي، سآخذ هذين الأسبوعين فحسب. ولن أخبرها إلّا بعد أسبوعين آخرين. وأملت، وأملت يائسًا، بأنّه في الوقت الذي تظهر فيه الحقيقة، تكونين قد رأيتِ منّي ما يكفي لتعرفي أنّ هذا هو أنا، الآن، هنا».

تريد يائسة أن تخبره بأنّها كانت تعرف.

وما تشعر به. وهو أنّها تعرف هذا، هنا، الآن، من هو أوليڤر حقًّا. تلك الأسابيع القليلة الماضية.

الليلة التي وقفت فيها هنا، في هذه الغرفة، وحين رأت الندبة وهي في أحضانه. الأمسية على المصطبة، عندما فاجأها. اليوم المشمس في المتنزّه.

كلّ الأشياء الجيّدة الصغيرة، جمعتها كلّها واحتفظت بها سالمة في قلبها، لأنّ كلّ واحدة منها كانت إثباتًا على أنّ شاين لم يكن شرّيرًا، وأنّه

كان جيّدًا، وأنّه كان يمكنه أن يعيش حياة جيّدة ويكون رجلًا صالحًا لو أنّه كان قادرًا على أن يصمد ما يكفي من الوقت للعودة إلى العالم، كما كان أوليڤر قد فعل.

وكانت، في مرحلة ما على الدرب، قد شرعت في حبّ أوليڤر أيضًا.

وهي، الآن، تريد أن تبقى. أن تكون معه.

أن تحوّل هذا إلى شيء حقيقيّ.

لكن عليها، أوّلًا، أن تخبره حقيقتها هي، أن تكشف عمّن هي بالفعل، كيف عثرت عليه، ولماذا.

بحيث يمكن أن يسامح كلٌّ منهما الآخر، ويبدآ من جديد.

لكنّ الآن ليس بالوقت المناسب. يجب ترك غبار هدم هذه الأكاذيب، ركام الماضي، ينقشع. يجب ترك المجال لامتصاص الصدمة.

وعليها الآن، وحتى ذلك الحين، أن تتصرّف كما سيفعل أيّ شخص آخر، الاستماع لذلك كلّه كأنّه للمرّة الأولى.

نهضت وهرعت من الغرفة إلى الحمّام، وهي تبذل قصارى جهدها لتبدو كأنّها تتقيّأ في المرحاض.

قبل 18 يومًا

أوليڤر على الأرض، يعاني من ألم في رأسه وهناك زجاج محطّم في كلّ مكان، والمياه ساخنة وكيرا تصيح له بشيء، بالكلمات ذاتها، المرّة تلو المرّة، وتبدو كأنّها بعيدة للغاية.

حاول أن يحدث انقشاعة في الضباب، أن يلتقط الكلمات، أن يسمعها.

«أنا شقيقة شاين! كيرا هوغان. وأنا أعرف. عرفت ذلك كلّه منذ البداية. ولا بأس يا أوليڤر. لا بأس، لا بأس، لا بأس...».

اعتقد أنّه قال، «ماذا؟». لكنّه لم يسمع ذلك؛ لا بدّ من أنّه كان في داخل رأسه.

«آسفة»، قالت. «أردت أن أعرف ما كان قد جرى في ذلك اليوم. وما كان يمكن لشاين أن يكونه الآن. وكيف كان يمكن أن يبدو. وإذا كان الجواب أنّه سيكون مثلك، فسيكون هذا أمرًا جيّدًا، لأنّك جيّد. أنت رجل طيّب. أعتقد ذلك. لقد رأيته».

شرع أوليڤر في البكاء.

لو أنّه حقًّا رجل طيّب فسيخبرها بالحقيقة.

بالحقيقة كاملة.

«لا»، قال. «لستُ كذلك».

وقد استطاع إخراج هذه الكلمات.

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

قالت كيرا شيئًا عن استدعاء سيّارة إسعاف.

استخدم كلّ ما تبقّى له، كلّ ما لم تبلغه بعد موجة الظلمة المتدحرجة، ليقول بصوت هادر، «لا!».

«لكنّك أذيت رأسك...».

توقّفت المياه. لا بدّ من أن كيرا أغلقتها.

حاول أوليڤر أن يستدير ويرفع نظره إلى وجهها، لكنّه شعر بأن كلّ شيء يثقل عليه جدًّا. كيف يتمكّن من حمل رأسه على كتفيه عندما يكون الشعور هكذا؟ فهو يشدّه نزولًا، صوب الأرض.

وأدرك أنّه على ركبتيه، داخل الدوش، مع حبيبات صغيرة من...

أذلك زجاج؟

«تحتاج إلى المساعدة، يا أوليڤر. هيّا، دعني...».

ولمّا أمسكت به، تمسّك بساقيها.

«لا»، قال عبر أسنانه المشدودة. «لا».

«أوليڤر، من أجل اللّه...».

«لا... استحقّ...».

«أوليڤر...».

«كنت أنا. كنت أنا. كلّ ذلك... أنا. وليس شاين».

أفلتته يداها وسقط، وعاود رأسه الارتطام بالأرض.

غاب أي صوت على الإطلاق لما بدا أنّه إلى الأبد، باستثناء صوت الماء المتقطّر من الصنبور فوق رأسه. بالكاد كان أوليڤر مدركًا للقطيرات المتوافقة مع الصوت والتي تضرب مؤخّرة عنقه.

«ليس شاين»، كرّر القول.

ثمّ قالت كيرا، بهدوء شديد، «ما الذي تتحدّث عنه؟».

أدار رأسه إلى أن باتت وجنته على البلاطة الرطبة الباردة ولا شيء يحجب فمه. «عندما أخبرتك...». شعر بارتخاء في شفتيه وبثقل في لسانه. يحتاج إلى النوم. لم يعد في وسعه التغلّب على ذلك. كلّ شيء ساخن جدًّا، ثقيل جدًّا... «ما أخبرتك به... أنّه جرى. الذي قلت عنه إنّه أنا... إنّما كان شاين». وها هو يقوم بدفعة واحدة أخيرة، بكل ما أوتي من قوّة، بكلمات أوضح، بصوت أعلى. «استبدلينا. استبدليني بشاين. تلك... تلك هي الحقيقة».

أخذ في الانجراف، وشعر بالموجة السوداء تحاصر قدميه، وتلتفّ من حول كاحليه.

«أنت تقول...». بدت كيرا بعيدة جدًّا. «أنت تقول إنّك البادىء؟ إنّك ضربت پول. وإنّ إغراقه كان فكرتك؟».

فتح عينيه.

كلّ ما تمكّن من رؤيته كان حذاء كيرا الرياضيّ، على بعد إنشات من وجهه، لكنّه أحمر.

لا، تمهّل. كلّ شيء أحمر، أشبه بفلتر.

شيء ما ينزف. إنّه هو.

«نعم»، قال. «نعم. ولذلك... هاجمني... امتنعت عن قول الحقيقة... لم يمكنه المواصلة... وما من أحد يصدّقه».

سمع كيرا تبكي، لكنّه لا يستطيع مواساتها.

لا طاقة له على فعل أيّ شيء.

حاول رفع رأسه، لكنّه لم يتمكّن إلّا من تحريكه بعض الشيء، بحيث بات الآن ينظر إلى البلاط.

ومن ثمّ سمع شيئًا آخر.

شعر بشيء آخر.

المياه.

ليس في ذهنه فحسب، بل هنا أيضًا، في الواقع. وليس نقطة... نقطة... نقطة، كما في السابق. إنّه هطول هادر، يتسرّب من حوله، يملأ رأسه بصوته المتدفّق.

وكيرا ما تزال تصرخ.

ثمّ لا شيء.

غمرته الموجة.

الليلة

«سنقابل مفوّض الشرطة بعد عشرين دقيقة»، قالت لي. «فاعثر لي، حبًّا باللَّه، على الجريمة».

هزّ كارل كتفيه. «لست متأكّدًا من أن لدينا واحدة».

هما في المخفر، يجلسان إلى أحد المكاتب في الخلف متقابلين. لي متهالكة في كرسيّ دوّار، وتترجّح بشرود بضع إنشات من اليمين إلى اليسار ثمّ تعاود ذلك مرّة أخرى، وعيناها حمراوان بعدما فركتهما إحباطًا منذ لحظات قليلة. وكارل يجلس على كرسيّ بلاستيكيّ صلب سحبه حتى طرف المكتب الذي أسند مرفقه إليه وأسند ذقنه إلى يده. وتقع بينهما بقايا مبعثرة لكيس بنّي ملطّخ بالدهن من عشاء ماكدونالدز. وما تزال لي تنتقي كيفما اتّفق من علبة باردة ومترهّلة قطعًا من الماك ناغتز.

الساعة تقرب من التاسعة، وتكاد الظلمة تحلّ بالكامل في الخارج، وكلاهما منهكان تمامًا. عليهما أن يلتقيا عند التاسعة مع مفوّض الشرطة لإفادته بآخر المستجدّات، وليطلعاه على تحقيقاتهما وليقدّما بعض المؤشّرات المتعلّقة بالاتجاه الذي ينويان من خلاله السير بالأمور تاليًا.

وهما، بالرغم من كلّ شيء، ما زالا يفتقران إلى جريمة.

يُحسب لكينيث بالف، بعدما أخبراه بأن إحدى المقيمات في واحدة من شقّتيه قد تكون أدت دورًا في وفاة المقيم في الشقّة الأخرى، بأنّه

حمل لورا مانّيكس وزوجته أليسون على المجيء إلى المخفر طوعًا لإجراء مقابلة.

سارعت أليسون بالف إلى الاعتراف بأنّ زوجها لم يكن على القدر من التكتّم الذي يعتقده، وبأنّها عرفت تمام المعرفة من كان في الشقة رقم 1 ويعمل في مكتب زوجها. كانت تكره أوليڤر سانت لدجر، ولا تريد أن يكون لها أيّ شأن معه، وتعتقد بأنّه يجب أن لا تكون له علاقة من قريب أو من بعيد بأعمال العائلة، وبأنّها وجدت فرصة للتخلّص من المشكلة من خلال الهمس عنه في أذن صديقتها القديمة من أيّام الدراسة، لورا، التي تصادف أنّها تعمل في هذه الأيّام في برنامج حواري استفزازيّ شوك-دجوك في إحدى الإذاعات. ولمّا كان أمر المحكمة القاضي بحماية هويّة أوليڤر لا يشمل إلّا التغطية الصحافيّة، لم يكن في وسع لي أو كارل القيام بأيّ شيء حيال أليسون بالف. فهي لم تنتهك أيّ قوانين.

لكنّ روايات لورا عن آليات نبش الماضي والأذنين اللتين لا تشيخان والمصادفة الملائمة التي تحمل الشركات على القول فلننتج قصّة كبيرة، كانت كلّ ما في الأمر. وأخبرتهما أنّها كانت تحاول إبقاء أليسون خارج الموضوع. وكان كارل قد أبلغها أنّها يجب أن تكتب قصّة بوليسيّة.

لكنّها كانت قد اعترفت بدخولها الشقة رقم 1، وبالتقاطها صورًا لجثّة أوليڤر وبخروجها من دون إخبار أحد بموته. وإنّها حتى لم تخبر أليسون، وهو ما قد يكون أسهم في الحالة الراهنة للأمور: ترفض كلٌّ من المرأتين التحدّث إلى الأخرى. وأصرّت لورا على أنّها لم تلمس أيّ شيء عندما كانت في الداخل، ولم يكن لديها بالتالي أيّ سبب لمسح آثار أيّ شيء قبل أن تغادر من جديد. لكنّها اعترفت بأنّها شغّلت إنذار الحريق في المجمّع مرّتين على الأقل. وذلك في محاولة منها لدفع السكّان إلى الخارج، بمن

فيهم أوليڤر سانت لدجر وصديقته الحميمة الغامضة، لمنحهما الفرص لرؤيتهما وربّما حتى لمقاربتهما.

كان تشريح الجثّة قد انتهى منذ قرابة الساعتين: أوليڤر سانت لدجر توفّي، من الناحية الرسميّة، غرقًا. وستستغرق نتيجة فحص السموم وقتًا أطول، لكنّ النظريّة المعمول بها كانت في أنّه تناول قرص روهيبنول، وكان لديه وصفة طبّية به، وسقط في الحمّام. وفي هذه اللحظة بالذات، كان كينيث بالف يتعرّف رسميًّا على الجثّة.

أيًّا يكن مَن مسح سطوح الشقة رقم 1، فإنه قام بعمل جيّد لعين. فمن بين البصمات التي عثروا عليها، كانت مجموعتان فقط لا تتطابقان مع المتوفّي، وكانتا موجودتين في مناطق لا تُستخدم كثيرًا: خلفيّة جهاز التلفاز، وأسفل باب خزانة الملابس. ومن المعقول أن تكون عائدة لسكّان سابقين. وهي لا تتطابق مع أيّ شيء موجود في الملفّات.

الشيء الوحيد المهم الذي عُثر عليه كان هاتف أوليڤر، وتضمّن رسائل نصّية مع مستخدمة كان قد أدخلها بوصفها «كيرا»، وآخرها يعود إلى نحو أسبوعين.

كان أوليڤر قد أرسل، قبل واحد وعشرين يومًا، نصًّا إلى هذه المرأة يقول:

أعرف أن الأمر انتهى لكنّني لا أريده أن ينتهي بهذه الطريقة. أيمكننا أن نتحدّث؟ يمكننا أن نلتقي في مكان عام إذا كنت تفضّلين.

وكان قد تلقّى، منذ ثمانية عشر يومًا، جوابًا منها.

ربّما نستطيع تناول كأس بعد انتهاء الحجر. حافظ على سلامتك. x

أفاد محتوى التسلسل التاريخي لرسائلهما أن أوليڤر وهذه المرأة، كيرا، كانا يتواعدان، لكن الشيء الواضح أنّهما كانا قد انفصلا قبل موته. وما من أحد الآن يجيب على الرقم الآخر؛ كان طلبه يوصلك برسالة صوتيّة آليّة تقول إنّه لا يمكن الاتصال بالمستخدم في الوقت الراهن. ولم تحتوِ الرسائل الصوتيّة على أيّ معلومات مفيدة قد تساعد في معرفة هويّة المرسل. وكانوا ينتظرون معلومات التسجيل من مقدّم الخدمة، لكنهم أُعلموا في غضون ذلك بأنّه رقم مسبق الدفع. ومن الممكن أن يكون المستخدم قد سجّل أيّ اسم وعنوان يريده لأن أيًّا من ذلك لا يخضع للتدقيق.

كذلك كانت على هاتف أوليڤر سلسلة من الرسائل النصّية والمكالمات الفائتة من شقيقه، ريتشارد، الذي كان يتساءل عن سبب عدم الردّ عليه. واحتوت إحداها على اعتذار عن محادثة سابقة بدا فيها أن ريتشارد كان قد أبلغ أوليڤر بأنّه لا يجب عليه البقاء في تلك الشقّة، وبأنّه يعرف أن أليسون بالف «تكرهه كرهًا شديدًا» ولا يمكن الوثوق بها، وبأنّ على أوليڤر المغادرة من أجل سلامته. وكانت الأخيرة، التي أُرسلت في الليلة الماضية بتوقيت إيرلندا، ذكرت أنّه إذا لم يقرأها أوليڤر في الساعات الأربع والعشرين التالية، فسيقوم ريتشارد بإرسال كينيث إلى باب داره.

عندما تحدّثت لي مع ريتشارد قبل هذا الظهر، تمامًا قبل أن يصعد إلى الرحلة الأولى من ثلاث ستهبط به في النهاية في دبلن- حيث سيواجه أسبوعين من العزل الذاتي- كان قد شرح بأنه الفرد الوحيد في العائلة الذي ما يزال على اتصال بأوليڤر. كان أوليڤر، بعد التهديد بفضح هويّته في لندن قبل ذلك بأكثر من شهرين، قد قطع كلّ اتصال بأصدقائه وزملائه هناك. وكان لديه معالج نفسيّ، دان، لكنّهما كانا في تلك الفترة لا يتبادلان الحديث إلّا مرّة في الشهر.

وكان ريتشارد قد طلب أن يستمر العمل بأمر المحكمة وبألّا يُكشف عن أيّ معلومات عن هويّة شقيقه الحقيقيّة للصحافة. وأكّدت له لي أنّ تلك ستكون الحال. ولا تنشر الشرطة، من حيث المبدأ، إلّا القدر اليسير الممكن من التفاصيل. وكانت المقالة التي نُشرت بعد ظهر هذا اليوم في «ذا پايپر» إيرلندا قد احتوت على قدر من المعلومات هو كلّ ما ستحصل عليه الصحافة.

الشرطة تحقّق بعد العثور على جثّة رجل (29) في دبلن 6

تحقّق الشرطة في دبلن في وفاة رجل في التاسعة والعشرين من عمره عُثر على جثّته في مبنى سكنيّ في هارولدز كروس، في دبلن 6، في وقت مبكر من هذا الصباح. وقد تمّ هذا الاكتشاف المحزن على أثر إفادات من السكّان عن رائحة كريهة. وتقوم الشرطة الآن بالتدقيق في الظروف المحيطة بوفاة الرجل، إلّا أنّ مصادر قالت إنّه لا شبهات بوجود حادث مدبّر. وقد نُقلت الجثّة إلى مستشفى سانت جايمس، حيث ستُشرّح. وفي وسع أيّ من يملك معلومات الاتصال بالشرطة على الخطّ الخاص 1800-666-111.

من حسن الحظّ أنّ اليوم كان يوم خطّة إعادة الفتح، وقد امتلأت كلّ مساحات الصحف وأوقات البثّ بخطة الحكومة ذات المراحل الخمس لإعادة فتح البلاد تدريجًا بدءًا من 18 أيار، إضافة إلى الأخبار المفرحة بأنّه بات في وسع الجميع، بدءًا من الثلاثاء، المغامرة بالتجوّل لما يصل إلى خمسة كيلومترات بعيدًا عن منازلهم بعد خمسة أسابيع من حصرهم بكيلومترين فقط.

لم يهتمّ أحد بجثّة من غير اسم عُثر عليها في إحدى الشقق، خصوصًا وأنّ ذلك لم يكن حتى نتيجة جريمة ما.

«ثمّة خطب ما في هذا الشأن»، قالت لي، وهي تمسح بسبابتها بشرود نقاط الماء المتكثّفة على جانب كوكا الماكدونالدز خاصتها.

قال كارل، «ما لم تفتني الأخبار عن عثور الطبيب الشرعي على نصل بطول سبعة إنشات في ظهر الفتى، فتلك وفاة عرضيّة. نقطة على السطر».

«فلنناقش الأمر».

«وما الذي كنّا نفعله؟».

«حسنًا. إذًا». سوّت لي قعدتها. أخذت بضع رشفات من الكولا، بالرغم من أنّها تعرف أن المقدار الكبير من الثلج فيها سيكون قد أذاب فوائد الكافيين. «حسنًا. إذًا. حسنًا».

تمتم كارل، «بداية جيّدة هنا».

«كيف تستطيع الاحتفاظ بالطاقة للتهكّم؟ فأنت حتى لم تنم الليلة الماضية».

«هذا لأنّني- كيف يمكن قول ذلك؟- شخص يافع».

«يوجد فارق سبع سنوات بيننا، يا كارل».

«تنظرين إلى الأمر من زاوية مختلفة، ذلك ما يهمّ».

«من أوقف الماء؟».

«هو من فعل»، قال كارل. «ذكر توم سيرسون أنّ ذلك احتمال. فقد تبقّى لسانت لدجر ما يكفي من القوّة لرفع يده وضرب المقبض وإنزاله،

لكن ليس ما يكفي لتفادي السقوط على الأرض والغرق في كمّية المياه، مهما تكن، التي تجمّعت هناك».

«وماذا عن الرسائل النصّية؟ فرسالته تقول إنّه لا يريد للأمر أن ينتهي بهذه الطريقة ويعرض عليها اللقاء في مكان عام إذا كانت تفضّل ذلك. يبدو من هذا أنّ خلافًا كبيرًا قد جرى بحيث أنّها قد لا تشعر بالأمان في لقائه وراء أبواب مغلقة».

«لكنّ ذلك يمكن أن يشير أيضًا إلى الحجر»، قال كارل. «فهما في مسكنين مختلفين، ولا يفترض بهما أن يلتقيا وراء أبواب مغلقة. ولا يوحي جوابه بوجود أيّ خطب. هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالًا، يا لي؟ أليس لديك ما يكفي من العمل لإنجازه؟ هل أنت ضجرة؟ أذلك هو الأمر؟».

«لماذا لا تجيب على ذلك الرقم الآن؟».

«غيّرته».

«لماذا؟».

«لأنّ الناس يفعلون ذلك. فالناس، أحيانًا، يبدّلون أرقام هواتفهم».

«منذ متى وأنت تحتفظ برقمك؟ أعتقد أنّه مضى على رقمي عشرون عامًا».

«هيّا، يا لي. كلانا يعرف أنّ هناك دومًا قطعة ترفض أن تتوافق مع اللغز. لكن ذلك لا يعني أنّنا لا نستطيع رؤية ما هي الصورة. وعليك أن تعترفي بأن السبب الوحيد لمواصلتك النظر إلى ذلك اللغز هو هويّته. أبعدي ميل ريڤر، أبعدي لورا مانّيكس، فماذا يبقى لديك؟ فتى خدّر نفسه وسقط في الحمّام. النهاية».

«هل تعرف أنّ قولك 'النهاية' لا يشكّل حكمًا قانونيًّا؟».

«يجب أن يفعل»، قال كارل. «ذلك أكثر فاعليّة بكثير. علينا أن نبحث عن هذه الفتاة، كيرا. كيف تقترحين أن نقوم بذلك؟ ما لم يصلنا شيء عن تسجيل ذلك الهاتف- وأنا هنا لا أحبس أنفاسي- فإنّ كلّ ما لدينا للانطلاق هو الاسم الأوّل».

«ولكنة كورك. والأوصاف الجسديّة التي أعطتها لورا».

قلّب كارل عينيه. «أنت محقّة. أنا متأكّد من أنّنا سنجدها في وقت قياسيّ».

نقرت لي بأصابعها على سطح المكتب، وهي تفكّر.

سألها كارل، «لمَ أنت مصمّمة على إيجاد جريمة هنا؟ لن نواجه أيّ ردود فعل عكسيّة. فهناك قريب واحد يعيش في المقلب الآخر من العالم ويريد إبقاء الأمر طيّ الكتمان. وتعرف لورا مانّيكس أنها نجت بنفسها وسيكون سلوكها، من الآن وصاعدًا، مثاليًّا في هذا الشأن، وهي أيضًا لن تكون مشكلة. دعينا بالتالي نخبر المفوّض أنّنا نعتقد بأنّه كان حادثًا، ولكنْ سيكون علينا بالتأكيد أن نبحث عن هذه المرأة، كيرا، وأن ننتظر التأكيد من قسم فحص السموم، أمّا بما هو أكثر من ذلك...». وقلّب راحتي يديه. «هل يوجد بعد شيء آخر نستطيع فعله؟».

«أشعر أنّنا عرضة لنوع من الخداع»، قالت لي. «كما لو أنّ أحدهم يقدّم لنا سيّارة جديدة بسعرٍ مغرٍ مؤكّدًا لنا أنّ كلّ شيء فوق الشبهات. نعرف أنّه لا يمكن أن يكون صحيحًا، لكن السيّارة تبدو بحالة جيّدة، ولا يمكننا بالتالي الإشارة إلى مكان الكذبة». وتنهّدت. «لنفترض أنّه أغلق الماء بنفسه. حسنًا. لكن لماذا كانت صديقته الحميمة تستخدم هاتفًا مسبق الدفع؟ أين قابلتَ آخر مرّة أحدًا في العشرينات من عمره لا يستخدم

هاتفًا على الفاتورة؟ فهم يحتاجون إلى بيانات غير محدودة لاستخدامها، لا أدري، في التيك-توك وغير ذلك».

شخر كارل.

وتابعت لي، «أليس ملائمًا بعض الشيء أنّ الهاتف ليس مفصولًا الآن فحسب، بل إن الاتصالات بينهما انقطعت أيضًا؟ قبل ثلاثة أو أربعة أيّام، على الأقصى، من موته؟ أضف إلى ذلك مسح الشقّة وتنظيفها بكاملها، والباب لم يكن موصدًا و... ما كان ذلك الشيء الآخر؟ آه نعم، كان محكومًا لقتله طفل وكانت هويّته محميّة، مع وجود صحافيّة تقتفي أثره».

«لكنّه لم يُقتل»، قال كارل.

جلس كلاهما صامتين لبرهة.

ثمّ قال كارل، «أيمكنني، هنا، أن أطرح أمرًا مجنونًا؟».

«لم يسبق لك أن طلبت إذنًا منّي من قبل».

«ماذا لو كان لا يوجد كيزر سوز*؟».

نظرت إليه بدهشة. «ما ذلك؟».

«حقًّا؟ مراجعك في الثقافة الشعبيّة عشوائيّة. تؤنّبينني على عدم معرفتي بتلك المرأة لويز لاين...».

«لويْس».

«... لكنّكِ لا تعرفين كيزر سوز؟».

«أعرف أنّنا سنقابل المفوّض بعد خمس عشرة دقيقة، يا كارل. ذلك ما أعرفه».

«ماذا لو لم يكن من وجود لكيرا؟».

---

* بطل فيلم «المشبوهون المعتادون» Usual Suspects

«لكنها كانت موجودة. كان يبعث لها برسائل نصّية. ولورا التقتها».

«كان يبعث برسائل نصّية لأحد ما ولورا تقول إنّها التقتها. انظري، أنا لا أقول إنّه لم يكن هناك صديقة حميمة. ولا أقول إن أوليڤر لم يعتقد أنّ اسمها كيرا. لكن ماذا لو كانت بالفعل- اقرعي الطبول من فضلك- صديقتنا لورا مانّيكس؟».

حاولت لي أن تدفع جانبًا الإنهاك المذيب لدماغها للنظر في هذا.

«ذلك ملائم»، تابع كارل. «وهو يفسّر التوقيت المناسب لنهاية علاقتهما، ولماذا لا تجيب على الهاتف الآن. تظاهرت لورا بأنّها كيرا للتقرّب من سانت لدجر. خدّر سانت لدجر نفسه وغرق في بقعة من مياه الحمّام. أتت لورا إلى الشقّة واكتشفت هذا، ارتعبت لأنّها اعتقدت أنّه فعل ذلك قصدًا لأنّه اكتشف من هي فعلًا أو ما شابه، وبأنّها ستتلقّى الملامة، فقامت، بدلًا من الإبلاغ عنه، بتنظيف المكان والمغادرة. وبعثت بتلك الرسالة النصّية لتجعل»- رسم كارل إشارة اقتباس في الهواء- «الصديقة الحميمة ترحل. وانتظرته لتمسي رائحته كريهة بما يكفي ليقوم أحد آخر بالتبليغ عنه، ثمّ لتشقّ طريقها إلى تحقيقنا لأن الحصول على بعض العصارة من ذلك هو ثاني أفضل شيء. فتقول لنا إنّها لم تتحدّث معه- وهذا، مرّة أخرى، مناسب- لكنّها قد تحدّثت مع صديقته الحميمة. أعني، بربّك. يجب أن تعترفي بأن كلّ شيء يتطابق».

«ربّما عليكَ أنتَ أن تكتب رواية بوليسيّة»، قالت لي. علكت شفتها وهي تفكّر. «ليست فكرة مجنونة بالكامل، لكنْ... لا بدّ من أنّها تكبره بعشر سنوات».

«وإنْ يكنْ؟ الشبّان الذين في عشريناتهم يحبّون ذلك الهراء. وهي مثيرة».

«آه، إنّها كذلك، أليس ذلك صحيحًا؟ من الجيّد أن أعرف أنّ ذهنك كان مركّزًا على القضيّة، كارلي يا فتى».

ابتسم كارل، «ذهني كان».

«لماذا أشعر دومًا بالحاجة إلى أخذ دوش بعد الحديث معك؟ هل تستطيع، لو سمحت، التوقّف عن إضفاء الطابع الجنسي على شاهدتنا؟».

«أعني، إنّها تمتلك طاقة «أنّني-قد-أفيق-غدًا-صباحًا-لأجدها-واقفة-من-فوقي-ومعها-سكّين»، لكن بلى. ورفع يديه. و، هاي «كيرا، لورا، كلا الاسمين ينتهيان بحرف 'ألِف'».

«سأنسى أنّك تلفّظت بذلك الجزء الأخير».

«سأقدّر لك ذلك». وهزّ كارل رأسه بوقار. «ليس أفضل أعمالي».

«لورا بوصفها كيرا. كيرا بوصفها لورا...». انحنت لي في كرسيها إلى الخلف واستأنف ذهنها دورانه الشارد. «ليست أسوأ نظريّة تطرحها، لكنّها لا تفيد بالكثير الآن، أليس كذلك؟».

«فكّري في الأمر: لا أحد من السكّان الآخرين أفاد عن رؤيته هذه المرأة كيرا».

«لا يذكرون كذلك رؤيتهم أوليڤر. ليس منذ بدء الحجر».

«لم تكن هناك أيّ صور لها على هاتفه».

«لم تكن هناك صور لأيّ يكن على هاتفه».

«وكلّ الرسائل النصّية لا تحتوي، بشكل ملائم، على أي معلومات تعريفيّة قد تقودنا إلى الآنسة الغامضة. أختم مرافعتي». وغمز. «النهاية».

«علينا أن نحصل على معطيات برج الإرسال عن هاتف كيرا، وتتبّع

موقعه. ربّما يقودنا ذلك إلى كاميرا مراقبة أو ما شابه. كاميرا مراقبة السير. شيء ما في أحد شوارع المدينة. ربّما نعثر عليها بتلك الطريقة».

«أو ربّما نهدر ساعات من الطاقة البشريّة في التحقيق في لا جريمة لنحصل على صورة مشوشّة للورا مانّيكس».

«ما الذي تقترح أن نفعله إذًا، يا كارل؟».

«أعتقد أنّه إذا كان علينا أن نفعل أيّ شيء، فهو اتّهام لورا بعرقلة سير العدالة. كان عليها أن تتّصل بنا منذ أسبوعين وهي كانت تختلق لنا الأكاذيب اليوم. وهي ما تزال تكذب، إذا صحّت نظريّتي. وأعتقد، بالطبع، أنّها صحيحة».

«بالتأكيد»، قالت لي، وهي تقلّب عينيها.

«أعتقد أنّه يوجد في ذلك احتمال أكبر من أي شيء آخر يجري هنا. أعني، فكّري في البديل. إحداهنّ أجبرت هذا الفتى على تناول أقراصه المخدّرة ودفعته عبر باب الحمّام، ولم تترك أي دليل قاطع على وجودها مطلقًا، اللّهم إلّا هاتفًا لا شكّ في أنّه مسجّل باسم مختلق وبعنوان لا فائدة منه. ومسحت الشقّة ونظّفتها. وتمكّنت من الدخول والخروج طيلة فترة وجودهما معًا، مهما تكن، من دون أن يراها أحد باستثناء امرأة واحدة لا يمكن الوثوق بها. وعرفت متى ترحل قبل بدء دورة الأيّام السبعة الجديدة لكاميرا المراقبة. وجعلت الأمر كلّه يبدو كأنّه مجرّد حادثة مأسويّة. وكلانا يعرف أن الأساتذة في الإجرام ليسوا على هذا القدر من الشيوع الذي تريدنا نتفليكس أن نعتقده».

«هممم»، هو كلّ ما قالته لي حول هذا. نظرت إلى الساعة على الجدار. «من الأفضل أن نتحرّك». ونهضت متأوّهة.

نهض كارل أيضًا، وتمطّى. «ما الذي سنقوله هنا إذًا؟».

«لنمضِ في فرضية الوفاة العَرَضيّة بانتظار فحص السموم ومزيد من التحقيق. الاحتمال ضعيف بردّ فعل عكسي. سنقول للمفوّض إننا سنحاول العثور على المرأة الغامضة كيرا ونجلب لورا مانّيكس لمزيد من التحقيق الرسمي». وتنهّدت. «وها أنا كنت أفكّر بأنّني سأحظى بنهاية أسبوع هادئة مريحة... أتعرف أنّني كنت سأعمل حتى على جمع شتات نفسي؟».

قال كارل، «هل فكّرت بأنك ربّما جمعت شتات نفسك، لكن الأمر هو أن شتاتك لا يشبه شتات الآخرين؟».

«هل ابتكرت ذلك للتوّ؟».

«كما تعرفين، فأنا لست مجرّد وجه جميل»، قال ذلك مع غمزة.

«أنتَ لستَ حتى كذلك، في هذا الوقت بالذات».

«يصعب سماعك من خلال بيت الزجاج الذي تقفين فيه».

«آه. وبعد قيامنا بهذا، ستقوم بإعادة الأصفاد إلى إدي موينيهان».

«ماذا؟». وقطّب كارل جبينه. «لماذا؟».

«لأن القيام بذلك هو عين الصواب».

شرعا في شقّ طريقهما من حول طاولات المكتب، متوجّهين إلى مكتب المفوّض.

«ومن أين سأقول إنّني حصلت عليها؟».

«لا أدري»، قالت لي. «لكن مهما تفعل، لا تخبره أين كانت».

3 أيّام من الآن

يوم الثلاثاء، ارتفعت مسافة التجوّل من كيلومترين إلى خمسة كيلومترات. استيقظت كيرا مع الفجر. وتناولت القهوة- حافظت على هذه العادة، بعد شراء آلة نسپرسّو مقلّدة في فترة التنزيلات في «ألدي»- قبل أن تدسّ قدميها في حذائها الرياضي وتتوجّه إلى الخارج. الشمس خفيفة وباردة، لكنّها تشقّ طريقها إلى السماء الخالية من الغيوم. سارت بمحاذاة القناة، ثمّ عبرت إلى هادينغتون رود بعد معهد سانت جون، واستدارت يمينًا إلى جادة باث. وعندما بان لها امتداد سانديماونت ستراند- ومن ورائه الأمواج اللطيفة الزرقاء لبحر إيرلندا الممتد على طول المسافة حتى الأفق- شعرت بانفراج جسديّ، كأن ثقلًا من الرصاص أُنزل عن كتفيها، وبإشراقة تندفع عبر قلبها. ثمّ بهجمة نسيم البحر تحرّك شعرها في كلّ الاتجاهات وتسفع وجهها بالرمل.

أحبّت ذلك.

فهو يوقظها، ويعيد تماسكها.

مضى عليها أكثر من أسبوعين الآن وهي في الغالب مختبئة في الشقّة الصغيرة، تخرج منها مسرعة بعد حلول الظلام لشراء البقالة والصحف التي كانت تتصفّحها، كما تتصفّح الإنترنت بحثًا عن أخبار عن أوليڤر سانت لدجر. وقد ظهرت أخيرًا في يوم الجمعة على الإنترنت، كما ظهرت السبت صباحًا في الصحافة المطبوعة: تحقّق الشرطة في دبلن في وفاة رجل في التاسعة والعشرين عُثر على جثّته في مبنى سكنيّ في

هارولدز كروس، في دبلن 6، في وقت مبكر هذا الصباح. وقد تمّ هذا الاكتشاف المحزن على أثر إفادات من السكّان عن رائحة كريهة تفوح من شقّة الرجل... ولا شبهات حول وجود حادث مدبّر.

اعتقدت أنّها ستمضي هذين الأسبوعين مع أوليڤر. كانت ستطلعه على الحقيقة، كلّ الحقيقة: من كانت. لماذا شعرت بأنّها مضطرّة للعثور عليه، وبأنّها أخذت، بطرائق مختلفة، في الوقوع بحبّه. وبأنّها أرادت البقاء معه لرؤية إذا كان يمكن لهذا الحبّ أن ينمو.

لكنّ اعترافه كان قد بدّل كلّ شيء. وها هي الآن تحزن على شخصين: أوليڤر الذي لم يكن أبدًا، وشاين الذي لم يتح له أبدًا أن يكون.

الوجد في قلبها حاد، مختلط ومربِك. أمسكت بنفسها تفكّر بأوليڤر، بأن تكون معه، بأن تثق به، ووجدت نفسها تتمنّى لو أنّ الأمور أخذت منحى مختلفًا. ثمّ تذكّرت عندها ما قاله، بأنه كان رئيس العصابة، وبأنّ ما حصل في كلّ تلك السنين الماضية كان قد حصل بسببه هو، وهي تعرف بيقين حديديّ بارد أن الأمور كان يمكن لها أن تتّخذ منحى آخر.

لا تخشى من أن يأتوا في أثرها. فقد بادرت إلى تركيب كذبة ستحميها، نوع من القفص الذي يحمي من كلاب البحر يحافظ على مسافة بين ذاتها الحقيقيّة وأوليڤر، وكانت عن غير قصد قد خلقت شبحًا. كانت قد أدركت هذا وهي واقفة على بعد خطوات من جسده الفاقد الوعي، وهي تراقب بقعة ماء آخذة في التوسّع في أرضيّة الحمّام، وتعرف ما يمكن أن يحصل عندما يكون أنف شخص وفمه مستندين إلى البلاط.

وهي تعرف أنها تستطيع أن تسير مبتعدة فحسب.

كانت قد استعارت وظيفة واسم عائلة موظّفة حقيقيّة في سيرّوس عثرت عليها في لينكد إن، ووضعت ملفّها الشخصي أملًا منها في أنّه إذا بحث أحد عنها فسيعثر على الزائف أوّلًا ولن يذهب إلى ما هو أبعد. وهي لم تتّصل بأوليڤر إلّا من خلال هاتف مسبق الدفع، كانت قد سجّلته باسم أوليڤر وبعنوان كي بي استوديوز، وكانت، قبل أن تغادر الشقّة للمرّة الأخيرة، قد استخدمته لإرسال رسالة نصّية توحي بأنها وأوليڤر قد انفصلا. وكانت قد شاهدت الرسالة تضيء شاشة هاتف أوليڤر وعثرت على طبقة أخرى من الحماية: فعندما سألها في ذلك اليوم عند القناة عن اسم عائلتها، لم تجب. كان اسم «كيرا» فقط في لائحة اتصالاته. ولم يكن هاتفها الحقيقي قد غادر شقّتها الصغيرة في سوسكس كورت.

كانت قد أمضت تلك الليلة في شقّة أوليڤر، فيما أخذت جثّته تشحب وتبرد، وهي تفرك وتنظّف كلّ أثر لها. كانت الصحافيّة هي الشخص الوحيد الآخر الذي عرف أنها كانت هنا، لكن ما هي، في الحقيقة، المعلومات التي تملكها؟ ليس بأكثر ممّا تعرفه الشرطة. صحيح أن لورا تعرف شكل كيرا، لكنّ كيرا قد أخذت تبذل جهدًا لتبديل ذلك.

ولماذا قد يبحث عنها أحد؟ وقع أوليڤر ومات من جرّاء حادثة مأسوية.

كان قد أدخل نفسه إلى ذلك الحمّام، في تلك الوضعيّة، وقد أخذ يفقد الوعي. كانت قد أغلقت صنبور الماء عندما دخلت الحمّام في البداية، عندما كان رأسه في الحوض. وكان كلّ ما فعلته هو إعادة الأشياء إلى ما كانت عليه. عاودت فتح مرشّة الدوش، كما كانت عندما وجدتها، وأعادتها إلى الوضعيّة الأولى.

فلا وجود لمسؤوليّة تتحمّلها.

وبقدر ما يعنيها الأمر، فإن أوليڤر فعل ذلك بنفسه، ويبدو أنّ الشرطة توافق على ذلك.

لا شبهات حول وجود حادث مدبّر.

لكنّها، في الظلمة، في وقت متأخّر من الليل، وهي على وشك النوم ولا تمتلك الطاقة لتخبر نفسها مزيدًا من القصص، كان عليها أن تقبل بأنّها فعلت الأمر بالذات الذي أمضت حياتها كلّها وهي خائفة من أنّ شقيقها كان قد فعله، وبأنّها في سعيها إلى تلك الحقيقة، عثرت على واحدة أخرى: يوجد قاتل في عائلتها.

لكنّه هي.

العزاء الوحيد الذي أمكنها إيجاده هو في أنّها قادرة على إدراك الفارق بين القتل وبين أن يكون المرء قاتلًا.

وهي تأمل، لمصلحتها، بوجود مثل هذا الفارق.

كان الشاطئ، بالرغم من الوقت المبكر، مزروعًا بعشرات الناس، وكان هناك متسّع للجميع لأن حركة الجَزْر كانت في منتصفها. استطاعت كيرا السير إلى جانب المياه من دون حتى أن تقترب من قاصدي الشاطئ في الصباح الباكر.

راقبت لفترة تتابع الموج، والشمس تتكسّر على سطحها إلى شظايا، تنتقل وتختفي، ثمّ تتكسّر من جديد.

ثمّ شعرت، أكثر ممّا سمعت، بهاتفها يرنّ في جيبها.

شيڤان.

كانت كيرا، كما أخبرت شقيقتها، قد جاءت إلى دبلن لإجراء مقابلة

عمل في فندق وهميّ تملكه الشركة التي تعمل لها بالفعل، لشغل وظيفة في فريقها التأسيسي الذي يضمّ الموظّفين الذين يحضّرون كلّ شيء بانتظار اليوم الذي يفتح فيه أبوابه لاستقبال أوّل الواصلين. وعندما أخذت الأمور مع أوليڤر تبدو واعدة، اتصلت كيرا بشقيقتها وأبلغتها أنّها ستقبل بالوظيفة، المؤقّتة، لبضعة أسابيع. وفي غضون ذلك، كانت القيود التي فرضها ڤيروس كورونا قد قضت على وظيفتها الحقيقيّة؛ فما من مناسبات تحصل في خلال الحجر، وأقفلت في النهاية كلّ الفنادق. وكان رئيس كيرا في كورك قد أوعز إليها بتقديم طلب الحصول على تعويض البطالة بسبب الوباء، وهو ما فعلته، وأمضت «أيّام عملها» في شقّة أوليڤر تقرأ وتلعب السوليتير. وجعلت من استمرار إقامتها في دبلن أكثر قابليّة للتصديق بالقول لشيڤان إنّ الفندق، في هذه الظروف، قدّم لها غرفة تسكنها طوال المدّة، من دون مقابل.

وها إنّ الحكومة قد أعلنت عن خطّة إعادة الفتح، وهي لا تستطيع أن تتوقّع عودتها إلى العمل حتى تموز على أقلّ تقدير. وبالتالي لا تتحمّل كلفة البقاء في دبلن تلك المدّة وتواصل دفع الإيجار في كورك، لذا ستستقلّ القطار إلى بيتها في مرحلة ما هذا الأسبوع. وهي ليست قلقة من حواجز الشرطة على الطريق؛ فقد تبيّن أنّها بارعة للغاية في الكذب.

ردّت على المكالمة وقد فكّرت في أنّها ستقول لشيڤان إنّها ستعود قريبًا إلى المنزل. كانت زيارة والدتها على رأس جدول أعمالها عندما تصل إلى هناك. وهي ليست واثقة من احتمال حصول ذلك في الوقت الراهن، لكنْ من المؤكّد أنّه يمكن السماح بذلك عندما يكون المريض في الرعاية قد بات في مرحلة الاحتضار.

تحتاج إلى أن تخبرها بما اكتشفته، بخصوص شاين.

«ألو؟».

كانت شيڤان قد قالت إنّه لا يوجد شيء تستطيع كيرا فعله لإعادته، لكنّها كانت مخطئة. فهي أعادت شاين إلى نفسه، إلى ما كانه من قبل، في ذكرياتهما. كانت قد تمكّنت من تصحيح هذه الذكريات وتنظيفها، لتجعلها دقيقة وصحيحة.

«كيرا؟». كان صوت شقيقتها خافتًا، وبالكاد مسموعًا من فوق الريح القويّة. «أيمكنك سماعي؟».

«بالكاد أسمعك...».

«كيرا إنّها الوالدة. على شفير الرحيل».

ها هي تركض.

ركضت كيرا حتى قبل أن تنوي على ذلك، وهي تمسك بالهاتف عند أذنها، وتصيح، «انتظري، انتظري، انتظري...».

تقول ذلك لشقيقتها، لكنّها تريده من والدتها أيضًا.

ركضت عائدة من الشاطئ صعودًا إلى أدراج الممشى فإلى زاوية مبنى من الباطون أملت في أنّها إذا وقفت في ذروته قد يقف حاجزًا بينها وبين الريح.

«شيڤان؟».

«صوتك أفضل كثيرًا الآن».

«هي واعية؟».

«أعتقد أنّها تستطيع سماعي. لا يمكنها أن تتكلّم، لكن...».

«هل أنت وحدك معها؟».

«بلى».

«ضعيني على مكبّر الصوت».

كان هناك صوت حفيف. وعندما عاودت شيڤان التحدّث كان صوتها مضخّمًا وذا صدى، ما طمأن كيرا إلى أنّ والدتها تستمع الآن أيضًا.

أخذت نفسًا عميقًا.

حبست دموعها.

«أمّي»، قالت، «هذه أنا. كيرا. هناك ما أريد إخبارك به. إنّه... يتعلّق بشاين».

ملاحظة المؤلّفة

أُعلن عن أوّل إصابة بكوفيد-19 في إيرلندا في 29 شباط 2020: كان رجل قد عاد من سفر إلى منطقة مصابة في إيطاليا حاملًا معه الڤيروس. وفي 9 آذار، ألغيت كلّ الاحتفالات المقرّرة لمناسبة عيد القدّيس باتريك، وأُعلن في 12 آذار إغلاق المدارس ودور الحضانة والمؤسّسات الثقافيّة. وأعقب ذلك، بعد ثلاثة أيام، إقفال الحانات.

أُعلن «الحَجْر» الأوّل في 27 آذار. ولم نكن نعرف حينها أنّه سيكون الأول أو أنّه سيمتدّ حتى فترة بعيدة من الصيف. وأُبلغنا في البداية أنّه سيستمرّ أسبوعين. حُظرت كلّ أشكال السفر غير الأساسيّة، وكان على جميع الموظّفين غير الأساسيين أن يلازموا منازلهم. ولم يُسمح بالاختلاط مع أشخاص لا يقيمون معهم، وكان على الأشخاص الأكثر عرضة أن «يعزلوا» أنفسهم في بيوتهم. كانت الرسالة في الجوهر هي: «لازموا منازلكم إلّا لشراء الطعام أو لممارسة الرياضة ضمن شعاع كيلومترين من محل إقامتكم». وفي 8 نيسان، أطلقت الشرطة عملية فَناخت Fanacht (لازموا منازلكم) لضمان التقيّد بقانون جديد بموجب «قانون الصحّة 1974: الفقرة 31 أ- قواعد القيود المؤقّتة (كوڤيد-19) 2020. ويمكن أن تترتّب على الانتهاكات غرامة تصل إلى 2,500 يورو، بل وحتى حكم بالسَجن. بعد ذلك بيومين، في 10 نيسان، مُدّد الحجر ثلاثة أسابيع إضافيّة.

أمضيتُ هذا الوقت وحدي، في شقّة صغيرة في وسط مدينة دبلن

اشتملت على سرير ينزل من الجدار. (نعم، مثل كيرا تمامًا. لكنّ شقّتي كان ألطف بكثير!) عاودت مشاهدة «لوست» Lost وبنيت الليغو LEGO وطهوت خبز الموز وتناولت كوكتيلات «زوم» ونشرت قصصًا على إنستغرام وجاءتني فكرة هذا الكتاب. (ما يزال يمكنكم مشاهدة قصص إنستغرام تلك في عبارة «Lockdown» المعلّمة في حسابي @cathryanhoward). لم يكن عليّ أن أقلق في شأن التعليم المنزلي أو خسارة وظيفتي أو أقارب عرضة للخطر، وكنت ممتنّة لذلك في كلّ يوم. كذلك، بوصفي أنتمي إلى فئة الانطوائيّين، كان هناك جزء منّي يهوى أن أضطرّ إلى إلغاء كلّ شيء وملازمة المنزل. ومع ذلك، وبمرور الوقت، أخذت أشعر بما يفوق القليل من الجنون.

أعلنت الحكومة في 1 أيار خطّة مرحليّة لإعادة فتح البلاد تبقى المدارس بموجبها مقفلة حتى أيلول وتُرفع القيود تدريجًا بدءًا من 18 أيار، باستثناء تنازل واحد: بدءًا من 5 أيار، ستتوّسع حدود شعاع الكيلومترين لممارسة الرياضة إلى خمسة كيلومترات. وكنت من اليوم الأوّل قد احترمت القواعد بثبات وبالتالي لم أقصد الشاطئ الذي يبعد أربعة كيلومترات من بابي منذ بدء القيود. وبحلول صباح الثلاثاء، ضبطت المنبه على توقيت باكر وكنت عند طرف المياه على شاطئ سانديماونت ستراند البارد جدًّا والعاصف عند الثامنة صباحًا. نعم، على غرار كيرا تمامًا.

في الأيّام الأولى من هذا الوباء، لجأ كثيرٌ من الكتّاب إلى وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها للتعهّد بأنّهم لن يكتبوا أبدًا عن هذا في كتبهم، وأنّه ما إن ينتهي ذلك، فإنّه ما من أحد، بمن في ذلك هم، سيفكّر في ذلك من جديد. لكنّنا، يومها، لم نكن نملك أيّ فكرة عن أنّ هذه الحادثة ستغيّر العالم. وفيما كنت في الحجر في دبلن، خطرت لي فكرة

رواية عن ثنائي محجور في دبلن، كانت الظروف الغريبة والعازلة لهذا العالم الجديد والمتقلّب بالنسبة إليهما هي الفرصة بالضبط التي كانا ينتظرانها. وأردت كتابتها، ففعلت.

رافقتني هاتان الشخصيّتان في سياق ما سيُمسي ثلاثة قرارات بالحجر. وآمل في أن تكون قصّتهما قد رفّهت عنكم في عالم أكثر إشراقًا وأملًا.

دبلن، إيرلندا

كانون الثاني 2021

telegram @
yasmeenbook

telegram @yasmeenbook

شكر

شكرًا لوكيلتي جاين غريغوري؛ لمحرّرتي سارة هودلسون وستيفاني غلنكروس؛ ولبينيلوبي كيلّيك، على رسائلها الإلكترونية المغيّرة للحياة؛ ولكايسي كينغ، المستشار فوق العادة لدى الشرطة؛ ولأندريا كارتر على الإجابة عن أسئلة قانونيّة عشوائيّة صبيحة يوم سبت؛ ولكلّ شخص في ديفيد هَيِمْ، بلاكستون بابليشينغ، كورفوس/أتلانتك بوكس، وجيل هس. شكرًا لهازل غينور وكارمل هرّينغتون على التسجيلات الصوتيّة عبر واتساب التي تطلّبت شرب قهوة نسبريسو، وعلى صناديق كوكتيلات كوارانتيني Quarantini، والمحادثات عبر تطبيق زوم (ربّما أستطيع الاستغناء عنكما، لكنّني لا أريد ذلك)، وكالعادة أشكر أمّي وأبي وجون وكلير. وأيان هاريس، آمل في أن تستمتع بالتزامك كما تستمتع بتطبيقات تتبّع حركة الطيران، وبستراتك غير الرسميّة، والناس يبعثون لك رسائل لإخبارك بأنّهم قد رأوا اسمك في كتبي.

وأخيرًا: شكرًا لك أنت أيّها القارئ. أشكرك فوق كلّ شيء.

مكتبة ياسمين

telegram @
yasmeenbook